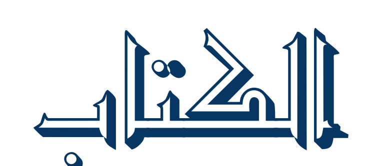


المؤسسة الوطنية للدراسات و البحوث

NATIONAL ASSOCIATION FOR STUDIES & RESEARCH

www.nasr-i.org







العراق بين الحرب والسياسة والواقع

٢٠١٠

N A S R 1st ANNUAL BOOK



بمناسبة الذكرى السنوية لغزو العراق نهدي كتابنا السنوي الأول الى :

شعب العراق المحتل



المقدمة:

سراب القوة وأوهام النصر...

الحمد لله على حسن توفيقه، وأساله الهداية لطريقه، والهام الحق بتحقيقه، وقلبا موفقا بتصديقه، وعقلا بعناية تنسيقه، والصلاة والسلام على رسوله محمد المنسوب إليه جميع الفضائل والمفاخر ولصحبه النجوم الزواهر.

تبقى القضية العراقية وتداعيات الاحتلال الخطيرة واحدة من العقد المستعصية على الفهم للعديد من المراقبين والدارسين في شتى بقاع الأرض، والأكثر غرابه المتاهة التي وجد الفرد العراقي فيها نفسه من غير حول منه ولا إرادة، فتح عينيه ليجد نفسه في المكان والزمان العجيب.

فقد أفزعته المصائب وقطعته الخلافات، ثم ساقته الفتنة إلى طرق وعرة لم يعرف لها سالكا من قبل فكيف أتى إليها؟؟ ومن الذي دفع به إلى فجاجها؟؟ وهو تائه لا يعي بما يدور حوله ولا يعرف إلى أين يمضي؟ ولماذا يتجشم عناء رحلة من غير أي جدوى من جرائها..والمصيبة أنه يمضى بلا هدى ويعمل بلا تخطيط، بل يسير وفق مخطط قدر له وساقته الخطوب سوقا...

فكلنا يعلم أن المحتل استهدف أرض العراق ودنس تربتها..وهو أمر مألوف للعراقيين من قبل والطريق الصحيح لتطهير الأرض من هذا الدنس هو معلوم يتمحور برفض المحتل ومقارعته بمختلف الوسائل، وكل ميسر لما خلق له فمنهم مقاتل له، ومنهم باني لما تبقى من نفوس أهله وديارهم، ومنهم جابر للخواطر يواسي المحروم ويحنو على الأرامل والأيتام، ومنهم من ينتزع الحقوق من أنياب المحتل انتزاعاً باللسان والجنان والمكر والإقدام... وهي مقدمات صحية لنتيجة حتمية تتخلص من الغازي...فما الذي جرى لنا؟؟

حين تركنا الذئب وانشغلنا بالفريسة، فوجدنا أنفسنا نقاتل أنفسنا، ويهجر بعضنا بعضا، ويخطف ويدمر ويحرق والضحية في المحصلة جزء من الجسد العراقي...والغاصب المعتدي بعيد عن الخطر يلهو ويعبث ويجوب الطرقات، وهو بمأمن بعد أن علم منا إننا أمة مسلحة لكن ليست للقتال وإنما للاقتتال، ونحن أمة تصب نار حممها على جسدها من غير وعي ولا إرادة...كل ذلك جرى نتيجة طبيعية بعد أن وعى المحتل الغازي مواطن ضعفنا وثغرات مقتلنا..فرتب أموره قبل المجيء، ونشر سمومه قبل أن تطأ أقدامه أراضينا، وهيأ لكل احتمال ما يواجهه ويقابله...فوجد التعصب المقيت، وأحيى أفكاراً درست وغمرها التراب، ودس بعيون وجنود من الخبث عجنوا ومن المكر شربوا ومن الحقد أكلوا، ودسهم بين أبناء جلدتنا وجعلهم يمضون خلف أشخاص طيبون غافلون مغفلون وأجرى على يديهم المال فكان الشهد الذي جمع حشرات البلاد من أقصاها إلى أقصاها.

ودمرت البنى التحتية للبلاد وسام الناس ألوان العذاب، وحاصرهم وضيق عليهم في أرزاقهم ولم يجعل لهم سبيلا للعيش إلا من ذاك الشهد المسموم الذي أجراه على أيدي رجاله...فتكونت تجمعات وتكتلات وأحزاب، لم تجتمع إلا على هدم كل جميل وتدمير كل أصيل فكانت كالسرطان في جسد المريض يتضخم بشكل ملفت للنظر وينحسر بشكل أسرع مما وجد فيه. ونحن سائرون بأحلامنا لاهون.. ولا نعي حقيقة الأمر..فتقسم المقسم وشظى المتشظي، وانتقلت الحراب من وجهتها الصحيحة إلى وجهاتنا نحن كلنا يقاتل كلنا، فوجدت الفتنة الطائفية على أيدي رجال جندوا لهذا الدور من سالف الزمان وماضي الأيام وجاءوا مع الأرتال وهم يتكلمون بلغتنا وبلهجتنا فنهبوا البلاد بادئ ذي بدء، وتبعهم من هم على شاكلتهم من أصحاب النفوس القميئة المريضة، وأشيع في الدنيا أبناء الرافدين ينهبون ويسرقون وركز الإعلام على

هذه النفوس التي لا تمثل إلا عشر معشار العراقيين، وكبرت الصور وتهيأ للعالم أجمع أن بلد الخيرات أصبح بلد علي بابا والأربعين حرامي.

وبعد أن نهبت البلاد توزع هؤلاء بين من هم على شاكلتهم ومن مذهبهم، وفجأة خُطِط لساعة الصفر فهدم مرقد الإمامين بتوجيه وتنفيذ من رأس الشيطان...وساحت الجموع نهاراً تحرق وتقتل وتخطف ومن كلا الاتجاهات، وفي الليل وعندما يحل الظلام يجيء أتباع الشيطان فيوزعون الغنائم..هذا الكلام دل عليه الدليل القطعي الورود والقطعي الدلالة.

واستعرت النيران وتناخى الغيارى يطفؤنها بما يملكون من بقية وعي وعزيمة وإقدام ومن كل الاتجاهات السياسية منها قبل حملة السلاح، وقل استعار النار الطائفية..ليفاجأ الجميع بلون جديد من الاحتراب..هذه المرة انتقل للخندق الواحد والأسباب متفقة في حين ومختلفة في حين آخر..ولنتكلم عن بعض الشرائح ومنها من حمل السلاح.فالمحتل ومنذ أن وطأت أقدامه الأرض، قوبل برفض مختلف الأشكال والألوان ومن جميع الفئات والاتجاهات..

ومنها من رجال أسرجوا خيل المنايا وحملوا أرواحهم على أكفهم ليقدموها رخيصة في سبيل الله وهم يردون الصائل الباغي عن أرضهم وديارهم وأعراضهم فكانوا بحق أكليل غار يضعه كل العراقيين على رؤوسهم فخراً واعتزازاً. وكان لجهادهم الأثر الكبير على خطط المحتل الغازي ووضعوه في أضيق الزوايا يئن من ضرباتهم ويتوجع، يومها كان المجاهدون من كل العراقيين بمختلف ميولهم واتجاهاتهم وتصوراتهم وأفكارهم..

والحق يقال كان العالم بأسره يغدق عليهم ويمنيهم ويتمنى أن يُوَحَل المحتل فتخبت نيرانه فلا تجرؤ على حرق جيرانه في موطن احتلاله..وبعد حين انحاز كل صاحب فكر لفكره وكل صاحب مذهب لمذهبه وسرى علينا قدرنا في التشرذم والانشطار فكان كل فريق بمجموعتهم يفرحون ويتمنون أن يحمدوا في أحوال كثيرة بما لا يفعلون، وظل العدد الكبير منهم صادق في جهاده وماضٍ يحمل سلاحه يعي هدفه..

وظهرت مجموعات أخرى تحمل من الانحراف في الفهم ما يجعلهم يعدون أنفسهم على الطريق الصحيح والمحجة البيضاء وغيرهم ضال زائغ، وهم الجماعة التي من يتركها فإلى جهنم وبئس المصير وفلسفوا جهادهم بقتال من يليهم من الكفار، والكفار عنوان كبير لكل من لم ينتمي إليهم، لا بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فكفروا كل من يخرج منهم برأي يخالف نظرتهم حتى لو كانت آية في كتاب الله أو حديثاً صحيحاً قطعي الورود قطعي الدلالة، وما أكثرها في شرع الله فحرقوا الأخضر واليابس وبدءوا بقتل كل من لا يقول برأيهم حتى لو كان مجاهداً أذاق المحتل الأمرين أو كان صادقا في توجهه، عمل في السياسة أو كان من عوام الخلق ممن لا يبايعهم..وقد تواترت أخبار ضحاياهم للقاصي والداني وهم لا ينكرون فعلتهم بل يتغنى أميرهم بأنهم قد وغلوا وخاضوا في بحر الدماء.. فلم يجد كل الأحرار بدا من التصدي لهم والدفاع عن أنفسهم فقاتلوهم وبدأت المحنة والفتنة تنشب أضافرها في جسد جانب من الأمة العراقية.

وفي الجانب الثاني في معسكر آخر لا يقل عن أخيه وشقه بشيء ومن غير أن يعلم حقيقة ما يجري بل أوغلت الفتنة في البيت الواحد والحي الواحد والجسد الواحد ولم يبق حي أو مدينة لم تنشب فيها الحريق ومن غير أن تجد يد تتجنب وتطفئ ما تستطيع إطفائه.... ومع كلا الفريقين والاتجاهين نجد أناس يؤججون النيران ويصبون الوقود على كل حريق من الذين نهبوا البلاد من قبل ومن الذين سعوا للفتنة الطائفية وهم جنود كل خطة يضعها الشيطان، ونرى آخرون يقتفون خطاهم ويتبعوهم حتى لو دخلوا جحر ضب دخلوه معهم. ونجد آخرون يعون بحقيقة ما يجري ويصرخون ويملئون الدنيا عويلا من أجل أن يوقفوا هذه الجرائم... وهؤلاء من كل البلاد ومن كل ؟ لأعراق والأجناس... يراد لهم من يشد على أياديهم ويشحذ هممهم، ويقوي من عزيمتهم فلا يلينون ولا يستكينون بل يقتحمون ويسددون ويقاربون... ونحن بجهادنا وجهدنا من أجل توحيد الصف وجمع الكلمة نقول للجميع الآتي:-

لابد من إشاعة روح التسامح والمحبة والتعايش بدلا من الأحقاد والكراهية والتدابر...ولا يكونون بأفعالهم قدوة لنا فنحذوا حذوهم ونتذرع بذرائعهم ونعمل بأعمالهم..فالذي يدعوا لإحياء أمة يكون كالحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين قال لمن ناصبه العداء وقتل من رجاله الأوفياء وهجره من بلده الذي يحب وشرد الآباء والنساء.. قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء... نشيد الحب الخالد ومنهج من يريد أن يحكم فتدين له الرقاب. أما سياسة العقاب والقتل والسجن والعذاب فلا يفعله إلا من يريد أن يغتصب ويحقد كبني صهيون..

لابد من تغيير الوسائل فمن غير المنطق بمكان أن نعمل ذات الأعمال ونريد نتائج مغايرة..وبذلك تكون التكتلات الطائفية والأحزاب العرقية والتجمعات القومية معيقة ويتعين عليها أن تستبدل بكيانات وتجمعات وأحزاب وطنية وإسلامية وحتى لو كانت قومية على تكون قوميتها في المقام الثاني بعد الدين أو الوطن.

فلنتصالح مع أنفسنا قبل أن نتصالح مع الآخر، وأن نظهر ما نخفي وليكن ظاهرنا دالا عن سرائرنا وأن نبتعد عن أخفاء قولا وفعلا ونظهر قولا وفعلا فإن كل شيء سيظهر من تمعرات الوجوه إلى سقطات اللسان وزلات الجنان...ولنحترم أنفسنا ولتظهر ما نخفي ونكون صادقين حتى مع أعدائنا.

أن لا نفترق مهما كانت الأسباب ولا بأس بالاختلاف فلكل منا وجهته التي يوليها ولكل منا خصوصيته التي يعتز فيها ولنا أن نتحاور ولا نتجادل وليسمع بعضنا لرأي بعض وليحترم بعضنا خصوصيات ومقدسات بعضنا الآخر.

أن نكون يداً واحده في وجه العدوان أي عدوان ومن أي كان ومن غير أن ننحاز ظلما لمن يبدر منه عدوان أياً كان.

وليعدل من يتولى أمورنا ويحكم بما يرضي الله ومظنة الحكم في الإسلام العدل والمساواة.

ولنحسن الظن ونشيع روح الثقة والظن الحسن ولنبادر بالنصح في مواطن الخلاف وليتنازل بعضنا لبعض فليس من العيب أن نعترف بموقف خاطئ وقفناه من قبل والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. لا يتبع بعضنا عورات بعض بل فلينصح وليسدد ويقارب ولا يدع المجال للشيطان وجنده أن يتحرشوا بيننا، فلنتفق ونتعاهد ونستوصي بما علمناه سبيلا ولا سبيل غيره فكلنا في مركب واحد ومن أوتي من جهته وخرق موضعه غرقنا مجتمعين (فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فالخير يخص والشر يعم. فلنتكامل ولا نتقاطع ولنتعاون ولا نتدابر، وليتم بعضنا بعض ولنكن كاليدين يغسل أحدها الآخر.

(المثلث الساخن بين أزمة الوعي ووعي الأزمة)

الراصد للساحة العراقية يجد فيها العجب العجاب من الصراع والخلاف حتى في المحيط الواحد والخندق الواحد، ولو أردنا تسليط الضوء على جزء من هذه الساحة ورصدنا ما فيها من اتجاهات وتيارات متصارعة لهالنا ما نرى من دون شك، ولعلنا حين نتابع ما كان وما استجد في أكثر الساحات العراقية سخونة من محافظات العراق مثل الانبار وبغداد ديالى والموصل وصلاح الدين وغيرها من محافظات الوسط والشمال من غير كردستان.

ففي السابق وبين صيحات النداء لردع العدوان الأمريكي على بلدنا تناخى الجميع ومن كل الاتجاهات الإسلامية والوطنية والقبلية وحتى الفردية وغيرها، فأصبحت جل هذه المحافظات حاضنة لكل المجاهدين ومن كل التيارات الإسلامية والوطنية والعشائرية المقاومة للمحتل بالسلاح، كما شهدت هذه المحافظات مولد اتجاهات سياسية لا تقبل العدوان وترفضه وتسعى لصده وطرده في وسائل لا تقل عن السلاح خطورة، كما هو الحال مع ظهور الحزب الإسلامي

خاصة وفيما بعد جبهة التوافق عامة، وظهور قوى أخرى تجمعت في تكتلات في رفضها وتصديها للعدوان كما هو الحال مع هيئة علماء المسلمين التي ظهرت ظهورا ساطعاً في بداية الأمر لكنها فيما بعد انقسمت على نفسها وانشطر الجزء الأعظم منها في مجلس علماء العراق وهو تكتل كذلك رافض للاحتلال والعدوان، وإن كانت له وللهيئة بدايات موغلة في القدم لكن الخلاف في آليات عمل الهيئة وهيمنة بعض الآراء والاتجاهات عليها أدى إلى انحياز مجلس علماء العراق في تكتل مستقل عن الهيئة.

وفي غمرة حماسة هذه المحافظات وشعوبها في التصدي للعدوان وردع الاحتلال غفل الجميع في البداية إلا ما رحم الله عن حقيقة ما يراد لهذه المناطق من حرق وتدمير وابتعاد عن القرار في الساحة السياسية. ولنضرب بعض الأمثلة التي تدل عن غياب تام لوعي الأزمة الذي شهده هذا الشارع، فقد رصدت في البداية أن جميع عمليات المقاومة ضد المحتل كانت ساحتها الحقيقية هي هذه المحافظات بدعم غريب عجيب يجمع جميع المتناقضات.

ولذلك كان الشارع في هذه المحافظات لا يتقبل غير صرخة المقاومة لا غير، تاركين الجمل بما حمل لمن جاء مع المحتل، وفعلا جر التفرد في السلطة وفي الأجهزة الأمنية الويلات على هذه المحافظات وذاق الجميع من أبنائها الأمرين وشهدت ساحاتها الجرائم تلو الجرائم الطائفية ولكل ما هو مقاوم للمحتل أو لكل ما هو مخالف للمذهب....

وبعد أن انحسرت الصيحات التي كانت تطلقها بعض الجهات الوطنية وبعض فصائل المقاومة وغيرها من عدم جدوى العملية السياسية في وجود المحتل كنتيجة منطقية وطبيعية لهذه الجرائم التي شهدتها هذه المحافظات بسبب غياب أبناؤها عن الأجهزة الأمنية وعن صناعة القرار وخاصة بعد الوصول إلى الانتخابات الدائمة والتي ستبقى أربعة سنوات، فتبدل الموقف وتناخى أهلها للوقوف في جبهة موحدة تظم أغلب تياراتها والمشاركة في الانتخابات ويومها كممت حتى الأفواه التي كانت تتناغم مع دعوة رفض العملية السياسية مع وجود الاحتلال وهي الموجة التي كانت مهيمنة على الشارع لهذه المحافظات.

ومع أن العملية الانتخابية تعد صعبة جداً وما ذاك إلا لكون الحكومة وأحزابها لها هيمنة تامة على جميع مفاصل الدولة ويضمنها مفوضية الانتخابات الفرعية في بغداد والمحافظات. وكذلك الأجهزة الأمنية من جيش وشرطة وغيرها من مؤسسات كلها تبع توجه واحد يمثل الحكومة التي تحاول الحفاظ على الإنجاز الكبير الذي حققته بالهيمنة على كافة المؤسسات في الحكومات الثلاث السابقة.

وكان استحداث حادث الحرمين في سامراء إعطاء إشارة خضراء للميليشيات لشن حربا طائفية وارتكاب جرائم تفوق الجرائم التي ارتكبتها أجهزة الأمن الحكومية. وإعطاء فرصة للقائلين بعدم جدوى المشاركة السياسية مع وجود المحتل للنيل من العملية السياسية...اللحن الذي تغنت به الأصوات من جديد بعد أن صمتت لكون مزايداتها في السابق سبباً في ذبح العديد من أبناء هذه المحافظات وما معركة الفلوجة الثانية عنا ببعيد.

هذه الأعمال وغيرها كانت سبباً مباشراً أو غير مباشر لعودة أزمة الوعي ولينسى أبناء هذه المحافظات كل الويلات التي شهدتها محافظاتهم في السابق وتعود إلى المربع الأول من العملية السياسية وفعلا ألجأت الناس عن التخلي عن مشاركتها في الحكومة، وكنتيجة طبيعية تعود هيمنة الأحزاب الحاكمة في السابق.

ولكن الجديد الذي لم يكن في الحسبان هو التحول في السياسة الأمريكية التي باركت في البداية هيمنة الأحزاب الحاكمة، لكنها ومع تغيير إستراتيجيتها خاصة بعد أن طفت قضية الملف النووي الإيراني وعرفت بشكل قطعي المطامع الإيرانية في العراق، وتقاطعت المصالح الإقليمية مع المحتل الذي في البداية لم يتدخل بشكل سافر في أغلب العمليات التي شهدتها الساحة السياسية كالانتخابات وغيرها-وقد ينتفي وجه الغرابة إذا تتبعا الاتفاقات المبرمة ما بين الحكومة والأمريكان-، مع اعتبار أن كل طرف يبحث عن مصالحه لا علاقة له بما سيحدث وما ستؤول

إليه الأوضاع طالما حقق مراميه على المدى البعيد... بعد هذا التغيير شهدت الساحة في هذه المحافظات ظهور الصحوات واللجان الشعبية، وهو يعد تطوراً مثيراً وسريعاً بدأ في الانبار وانساح بعدها في جميع هذه المحافظات وأصبح يحقق نتائج حقيقية على الأرض، يمسكها بقوة بعيداً عن هيمنة العصابات الإجرامية من القاعدة أو الميليشيات وجرائمهم. وشهدت هذه المحافظات تطوراً أمنياً واستقراراً لم تشهده من قبل. والسبب يعود على دعم هذه الصحوات من قبل القوات الأمريكية أو دعم محدود في الرواتب من الحكومة وبشكل انتقائي لا يُمَكِنَ لها في المناطق المختلطة خشية انحسار نفوذ الحكومة وهيمنتها. والملاحظ على هذه الصحوات الآتي:-

كانت بدايتها عفوية آنية وردود فعل تجاه جرائم القاعدة فوافقت هوى من الأمريكان الذين يدعون أن القاعدة عدوها الأول –من غير أن نسلم بذلك- وكانت من أبناء العشائر التي ساندتها بعض الجهات التي لم تشترك في العملية السياسية. واستطاعت هذه الصحوات من استقطاب بعض العناصر والفصائل المسلحة التي وعت طبيعة خطر الهيمنة الإيرانية في المنطقة. على الرغم تأييد الحكومة المعلن لهذه الصحوات إلا أنها في الخفاء تعمل على عزلها وتحجيمها خاصة بالرفض الصريح في استيعابها في الأجهزة الأمنية الأداة التي تتيح للحكومة مزيداً من الهيمنة في الساحة العراقية خاصة بعد أن أصبح عملها على هذه الهيمنة علنا بعد الإقبال المتزايد لجماهير هذه المحافظات على هذه الصحوات ومحاولة استيعابها وتوظيفها من قبل أحزاب وتوجهات لها وجود في الساحة السياسة سواء شاركت في العملية السياسية أم لم تشارك. وكان سكوت أغلب فصائل المقاومة عن التعرض لهذه الصحوات إلا الجهات التي تعاونت من قبل مع القاعدة أو التي تقترب منها فكرياً أو التي تحترم توجهات الهيئة وغيرها من المرجعيات في هذه المحافظات. تأييد هذه الصحوات في العلن لمقاومة الاحتلال لكونه اللحن الجميل الذي ينشده جميع الاتجاهات في هذه المحافظات. على الرغم من أن وجودها قلل من عمل هذه المقاومة من غير أن يستهدف بعضها بعضاً سواء من الصحوات أومن المقاومة الشريفة التي لم تخوض في دماء الأبرياء من العراقيين بمختلف أجناسهم ومذاهبهم وأديانهم.

تعرضت هذه الصحوات ومن يؤيدهم من حين لآخر لحملات إعلامية من قبل بعض الجهات المحسوبة على الحكومة والتلميح بانخراط مطلوبين إليها غافلين كل جرائم الميليشيات التي تحسب على أحزاب هذه الحكومة وأجهزتها الأمنية.

ونحن يمكننا القول بأن هذه الصحوات فيها الغث والسمين وفيها الوطني المخلص في وطنيته وفيها النفعي الانتهازي شأنها شأن جميع شرائح المجتمع بمختلف توجهاتها الحزبية أو الفكرية. والذي يحسب لها الحفاظ على أرواح أهالي هذه المحافظات التي خاض بدماء أبنائها جميع الأعداء بدءً بالاحتلال والميليشيات. والخوف من كل هذه التكتلات هو اضطرام الصراع بينها في المواقف والكلام، ويخشى بعد التمكين أن يتحول الخلاف بينها إلى الخصومة والاقتتال.

والمصيبة في هذه المحافظات أن أفرادها أغلبهم قادة ورؤوس من الصعب بمكان قيادهم، كما وأن عدم وجود مرجعية دينية مقبولة من أغلب أفرادها زاد من تشرذمها، حتى الهيئة التي أريد منها أن تكون هذه المرجعية فشلت وتحولت إلى كيان سياسي زاد من افتراق أهل هذه المحافظات مع اعتبار مواقفها المناهضة للمحتل، وكذلك مجلس علماء العراق الذي يعمل على استحياء وبخطوات خجلى، مع وجود عدد من كبار العلماء لم يؤثر وجودهم على الأوضاع السلبية لكونهم لا يتدخلون ولا يسمع لهم صوت إلا في النادر القليل من المواقف. أضف إلى ذلك طبيعة التشرذم الذي عده الكثير من أبناء هذه المحافظات قدراً غالباً من الله تعالى. وهناك العديد من الأسباب التي تجعل أبناء هذه المحافظات ينقسمون على أنفسهم، وإن كانت وعت جزأً صغيراً من طبيعة المخاطر المحيطة بها. وحتى نكون من الذين يبنون ولا يهدمون ومن الساعين لجمع الشمل ورأب الصدع نقول الآتي:-

إن جميع الاتجاهات المسلحة والسياسية والدينية المقاومة للاحتلال ما خلا القاعدة والميليشيات ومن والاها تعد جزأً من المشروع الوطني التكاملي الذي يتعين على جميع أفراده أن

يدلوا بدلوه من غير التعرض للآخرين بطعن أو اتهام، وعلى الجميع أن يعي بأن المشروع النهضوي الحضاري يتطلب العمل بمختلف الأصعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية والإغاثية والثقافية والفكرية وغيرها، على أن يتفاهم الجميع من غير أن يتقاطعوا، وأن يتكاملوا ولا يتدابروا. وأن يقبل منهم كل ما هو مفيد وأن يتحجم كل ما هو سيء، خاصة من الأفراد الذين يذكون نيران الفتن ما ظهر منها وما بطن من الذين يكيلون الاتهامات لبعضهم بعض.

وتحضرني قصة لطيفة فيها من الحكمة الشيء الكثير، فقد أضاف بعض الحكماء ثلاث نفر مختلفين غير متفقين يكيل بعضهم التهم لبعض، أحدهم يقول لصاحبه يا حمار والآخر يقول له أيها الخنزير وآخر ينعت بالكلب، وحين حان وقت الطعام قدم لهم الحكيم طعاماً خاصاً بما ذكر من الحيوانات التي نعتوا بها كالأعلاف والعظام وغيرها، فلما استغرب الضيوف قال لهم هذا ما سمعته منكم فخجلوا من أنفسهم...قد يكون هذا المثل تسطيح لما نحن عليه لكنه إن شاء الله مفيد لمن كان له قلب، أما الموات فلا حياة لمن تنادي.

القضية الأكثر أهمية أن يعذر بعضنا بعض فيما نختلف وأن تكون لكل منا وجهته التي هو موليها، من غير أن نثنيه عن عزمه، أو أن نلجئه لوجهتنا، ولنعمل على تحديد ثابت وواضح للأهداف التي نتفق عليها ولنعمل بوسائل متباينة للوصول لهذه الأهداف من غير أن نغير بهذه الأهداف ومن غير أن يزايد بعضنا على بعض.

وأن نكثر من مد الجسور بين جميع هذه الاتجاهات، وأن نكثر من الالتقاء وردم الفجوات وأن نشكل لجاناً متعددة تعمل معا وترفع توصيات للقيادات من غير أن نطمع في هذه المرحلة على توحيد هذه القيادات. وأن نتفق على أن يجتمع جميع العلماء من مختلف التوجهات سواء كانت إسلامية بتوجهاتها المعروفة من الإخوان والسلفيين والصوفيين، ومن علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع ومن مسئولي المؤسسات والمراكز البحثية لتكوين مرجعية حقيقية تعد خيمة يستظل بها أبناء هذه المحافظات، كما نرجو اجتماع هيئة علماء المسلمين بمجلس علماء العراق وكبار علماء العراق جميع هيئات الإفتاء الموجودة في العراق لتكوين مرجعية شرعية يتفق عليها الجميع ممن لهم اعتبار في ساحة هذه المحافظات.

أن تكون لنا علائق متينة وقوية مع بقية المحافظات سواء كانت في كردستان أوفي الجنوب والفرات الأوسط، وأن تبنى صلات قوية مع كافة المؤسسات في هذه المحافظات وأن يكون التعايش السلمي والتعاون ديدننا من غير أن نلجأ في خلافنا لغير الحوار والاتفاق.

أن تمد جسور الثقة مع أي حكومة تحكمنا وأن نكون واضحين في مطالبنا وفي تعاملنا من قبلهم وأن نتفق مجتمعين على أن يكون الحوار ومزيد من الحوار للتصدي لخلافاتنا أو للتصدي لمشاريع الهيمنة السياسية الداخلية، أما الخارجية فكل الوسائل تجاهها مشروعة وأولها السلاح. وأن نطلب من الجميع مراجعة أنفسهم وعملهم وتقيم هذا العمل في السنوات التي مضت وأن نستفيد من التجارب والخبرات التي حزناها، وأن نقف بشجاعة للاعتراف بمواطن الخطأ والتعهد بتجاوزه من غير اجترار وتكرار.

أن ننظف ساحاتنا من الحاقدين والمتصيدين في الماء العكر، وأن نمنع كل فعل سلبي يعود على البلد بالضرر ويسهم بمزيد من التشرذم وتقسيم المقسم وتفتيت المفتت.

وأن يكون البناء والأعمار للجميع ومن الجميع وأن تكافئ كل يدٍ تبني وتعاقب كل يدٍ تسعى للهدم والدمار من أي جهة كانت. وأن نتحلى بشجاعة العفو لمن أساء ويريد الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، مع أخذ كافة الضمانات الكفيلة بمنعه للرجع إلى سابق عهده وإساءته ومن الطبيعي أن تكون أغلب هذه الدعوات طمعاً في غير مطمع إلا إذا استشرفنا المستقبل وعلمنا علم اليقين أن أي خياراً غير الحوار والتفاهم والتكامل يكون مآله الدمار وللجميع، من أبسط الحلقات الجامعة لأهلنا في أبسط قصبة وقرية مرورا بالأقضية والنواحي والمحافظات وصولا لكل العراق.

العلامات التاريخية لعلاقة العراق بالغرب

الفصل الأول:

العلامات التاريخية لعلاقة العراق والغرب

في التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقتنا الشرقية الإسلامية ومنطقة العالم الجديد الغربية النصرانية مساحات تاريخية واسعة وعميقة امتدت لقرون واستمرت، وشهدت تفاعلات ايجابية وأخرى سلبية في العلاقة بين العقيدة وبسط السيطرة والنفوذ إلى الحد الذي جعل من العقيدة احد اكبر الدوافع والمبررات الأساسية لتطور تاريخ العلاقات الخارجية بين المنطقتين.

إن هذا الارتباط والتفاعل بينهما كان مكرسا ومسببا لأوجه العقيدة في حقيقة الأمر وارتباطاتها وتفاعلاتها في تلك العقود السابقة وأدواتها، اعتبرت على أنها بداية لفجر جديد أو يقظة مستنيرة أو بداية للتحديث كما اسماها بعض الباحثين، أو أنها أهم عوامل النهضة التي بنيت عليها منطلقات الحضارة لتلك الفترة السابقة.

ان دراسات العقيدة في تاريخنا الحديث والمعاصر استعيدت في مناهج البحث الغربية واعتمدت بشكل واضح على الظواهر التي أفرزتها أدواتها بمعزل عن هوية الأمة وتكوينها الإيديولوجي والذي يمثل طبيعتها وواقعها المتمثل بالإسلام في الشرق وارتباط العروبة به، حيث مثلت للعروبة ثقافتها الفكرية والسياسية، وبين النصرانية بالغرب والتي ربطت بالتمهيد الفكري والثقافي والسياسي للاستعمار الغربي الأوربي والهيمنة الأمريكية بعد ذلك وما تمثلت فيه من نزعة صليبية وعدوانية واضحة تجاه الأمة الإسلامية وتاريخها وهويتها وثقافتها ودينها.

لقد غابت النظرة الإيديولوجية الإسلامية عن تقييم الأوضاع أو" غيبت " عن الواقع وعن الحياة، في دراسة الأوضاع التي شهدتها الأمة والمنطقة الإسلامية عامة، والمنطقة العربية والهلال الخصيب على نحو خاص. واستمر هذا الغياب حتى بداية الثمانينات من القرن الماضي حول تدوين تاريخ المنطقة وكتابته ودراسته على العكس من البحوث والدراسات في " الاتجاه الآخر " التي وظفت من أجلها مؤسسات عملاقة ورصدت لها طاقات هائلة في كل الاتجاهات.

إن الإسلام هو العقيدة والثقافة السائدة التي تهيمن على شعوب المنطقة، وهو الذي شكل لها معالم التصور الفكري للحياة السياسية والاجتماعية، وحدد معالم الاستشراف التاريخي، الذي حدد هويتها ووظيفتها في الحياة. وقد كانت ولا تزال هذه الشعوب مؤمنة بهذه الهوية وأمينة عليها، رغم كل المحاولات التي استهدفت هذه الهوية، وحاولت تغيير وجهتها، وربما كانت العقيدة الأخرى في دواعيها وأهدافها، ووظائفها الثقافية والتعليمية أحد أغلى تلك المحاولات، والتي كانت وما تزال مستمرة في مخططاتها وأهدافها ومراحلها المتعاقبة.

ركزت الدراسات الإسلامية في معظمها حول الغرب النصراني على التبشير وأهدافه والتي تنحصر في مجال " تنصير " المسلمين، بمعناه الحرفي الذي يعني، إخراج المسلمين من دينهم لفرض إدخالهم في النصرانية، ويعتقد بعض المسلمين أن التبشير، هو" التنصير "، وان مهمته تختصر في تلك الغاية والهدف، وان الكنيسة البابوية مازالت تعمل لإرسال المبشرين للقيام بهذه المهمة، وترى أنها وظيفتها الأساسية في إقامة المملكة العالمية للمسيح.

وحاولت تلك الدراسات دراسة الأهداف التي يرمي إليها التبشير، والتي تمثل ارتباطاً وثيقاً في العقلية الأوربية التي انتقلت إلى المسيحية الأوروبية من حيث العلاقة بين الدوافع والمبررات وبين الدين والمنفعة، وقد عبر التبشير عن التلازم الوثيق بين الدوافع الروحية وبين الدوافع المادية.

لقد أدى تقدم الإسلام واجتياحه مناطق النفوذ المسيحي الغربي في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا ومن بعدها في الأندلس وما تلي ذلك في وسط أوربا على يد العثمانيين إلى تأكيد وتعميق العامل الديني في العلاقات بين الشرق والغرب، حيث نتج عن ذلك التقدم وقوع المقدسات المسيحية وأماكنها الروحية الأولى تحت سيطرة المسلمين. كذلك كان هناك تحدياً آخر

يدفع اهتمام الغرب المسيحي الكاثوليكي بالشرق العربي الإسلامي وبالعكس، وهو كونه مركزاً للكنائس الشرقية المختلفة عن كنيسة روما والتي لا تدين بالولاء للبابا حيث يعتبر الشرق العربي مهد المسيحية، وقد كان هناك كنيستين مختلفتين مع كنيسة روما في قضايا عقيدية تخص شخصية المسيح وهما الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة النسطورية، فالأولى مقرها في الشام والثانية مقرها في العراق. فيما كان للكنيسة الكاثوليكية مشروعاً ثيوقراطياً، أرادت من خلاله أن تقيم دولة المسيح الموحدة، من خلال توحيد تلك الكنائس المنفصلة عن سيطرتها، وقد شكل العرب المسلمون حاجزاً، بقصد أو دونه، دون تنفيذ هذا المشروع البابوي.

لقد كان لهذا الصراع سوابق تاريخية بدأت منذ القرن الحادي عشر حيث انتعشت الكنيسة الكاثوليكية بسبب ازدهار النظام الإقطاعي، وحدثت إفاقة مسيحية في عموم أوربا. وامتد سلطان البابا نتيجة لذلك لفرض سيادته على الأباطرة والأمراء الأوربيين والفرسان والنبلاء والسادة الإقطاعيين. وباتت تلك التحديات ماثلة في ذلك القرن، حيث أصبح الإسلام مشكلة الغرب ومعضلته. وضاق الغرب بالعرب المسلمين، وأعلن رغبته في عدم السماح لدين آخر غير المسيحية في أوربا، وأخذ يطالب ويعمل على استرداد أراضيه وممتلكاته من العرب المسلمين. بدأ الصراع في غرب البحر الأبيض المتوسط، وتقهقر المسلمون في شبه جزيرة أيبيريا، أمام تقدم القوى المسيحية.

لقد ترك عصر الإيمان والنهوض المسيحي الحديث للغرب تكوين صورة ضد الإسلام ورسوله تبين مدى الاحتقان الذي أصيب به من الإسلام والذي كان مفعماً بالقسوة وتغذيه الروح الصليبية التي كانت متسمة بالتعصب والخرافات. والعمل على سحق الإسلام في عقر داره، ثم إقامة الوحدة المسيحية بضم الكنائس الشرقية إلى سدتها، والأهم من ذلك جعل زمام الأمور في القرار الأوربي من الصلاحيات المطلقة للبابا والكنيسة.

أخفت الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على الشرق العربي الإسلامي مشكلات داخلية متأزمة، إلا أنها أخفقت في تحقيق الأهداف التي كان يرومها الغرب، فقد كان موقف المسيحيين الشرقيين مخيباً لآمال الكنيسة الكاثوليكية، ولم يتمكنوا من البقاء في الأراضي المقدسة. لذلك قامت الكنيسة بتكوين رهبانيات تبشيرية، لمحاولة احتواء، المسيحية الشرقية، ودراسة الإسلام واحتوائه والعمل على تنصير أتباعه. وقد جاءت هذه الخطوة، إثر الإخفاقات الجزئية التي بدأت تلوح للحل العسكري لمواجهة المشرق الإسلامي، ولقد جاءت تأسيس الإرساليات التبشيرية قبل نهاية الحروب الصليبية، وبعضها ساعد على الحملات الصليبية أو توغل مع الغزاة إلى المشرق العربي الإسلامي، وكانت مهيأة للعمل في الأجواء السلمية على التبشير بالمسيحية.

كذلك تشكلت الإرساليتين الفرنسيسكانية والدومنيكية في وقت متقارب من تلك الفترة. وكان لتلك الإرساليات مهمات خطيرة داخل أوربا وخارجها، حيث أقاموا المعاهد والجامعات واحتكروا التعليم فيها. كما اهتموا وعلى نحو بالغ بدراسة وتعلم اللغات الشرقية مثل العربية، العبرية، الكلدانية، السريانية اليونانية. كما قاموا بدراسة علوم الشرقيين لأغراض التبشير في المنطقة الإسلامية. وجابوا أرجاء الشرق العربي لنفس الأغراض، والتقوا بصلاح الدين نفسه وعرضوا عليه المسيحية. كما قاموا بمهمة البعثات الدبلوماسية للتحالف مع المغول لضرب المسلمين وقصدوا قراقورم عاصمة المغول لمرات متعددة.

بعد ذلك أدركت الكنيسة، إخفاق الجانب العسكري وزادها تعقيداً وصعوبة في تنفيذ مشروعها في معالجة المشكلة الإسلامية، فيما كانت الجامعات والمعاهد الرهبانية والأسقفية التي أقامتها الكنيسة توفر الأسباب للعمل في اتجاه آخر فيما قابله في الجانب الإسلامي مبدأ الجهاد والذي هو أصل من أصول الإسلام والذي يدعو أتباعه على تنظيم مقاومة الأعداء ومقارعتهم حتى الموت.

فقد أدرك الغرب المسيحي أن الإسلام، هو المصدر الأساس لقوة الشرق المسلم، وأن الجهود يجب أن تنصب على دراسته، وأن هذه المسألة إذا ما توفر عليها عدد من العلماء والباحثين المختصين فأنهم يفعلون ما لا تفعله الجيوش والحملات. وكان الملوك والأمراء الأوربيين على قناعة بذلك قبل رجال الدين من الرهبان والمبشرين، فعندما وقع الملك الفرنسي لويس التاسع الذي كان أشد الملوك الأوربيين تحمساً للحروب الصليبية أسيراً في أيدي المسلمين في الحملة الصليبية الثامنة، دعا إلى ضرورة تكتل جهود الصليبيين لتشويه الإسلام وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سر قوتهم وتفوقهم. وأنه لابد من هذا الغزو الفكري، إذا ما أرادوا التغلب على المسلمين الذين لا سبيل للتغلب عليهم الا عن طريق القوة العسكرية. وهذا ما دفعهم للاهتمام بمواجهة الإسلام من الداخل وبالطرق السلمية وعن طريق الكلمة.

ومع تقدم الزمن أصبحت الكنيسة تتجه في دراستها للشرق الإسلامي للحصول على معلومات مفيدة، وأخذت في البحث والتمحيص، والحقيقة أن الاتجاه نحو الوسائل والأساليب السلمية في مواجهة المشكلة الإسلامية لم يمكن من وقف المشروع العسكري، ولم ينجح كل النجاح في إيقاف العمل بالوسائل العسكرية، فقد تحكم في هذه المسألة أمرين فكلما أحس الغرب المسيحي بخطورة الإسلام، وأنه يشكل تهديداً مباشراً لديه وذلك في مراحل قوة واندفاع المسلمين للفتوحات والتوسع وكذلك كلما أحس الغرب بلحظات الضعف والهزيمة واللامبالاة التي تبدو على الكيان العربي الإسلامي، كان ينتهز فرصة ليوجه له ضربة عسكرية جديدة، كما أنه كان لا يزال بعضاً من الأوربيين من الفرسان والأمراء وحتى الرهبان من يؤمن بجدوى الحل العسكري، ويدفعون إليه. لكن على العموم سارت فكرة الحروب الصليبية للاجتثاث الإسلام نحو نهايتها يوماً بعد يوم، نتيجة للضراوة الباسلة التي أبداها العرب المسلمون في مقارعة الصليبيين، كما بقي الاتجاه الآخر من المشروع ينمو ويتقدم تدريجياً ويتطور إلى جانب الحل العسكري.

فمع تطور الحركة العلمية ونشوء الجامعات وانتشار الترجمة ونشاط الإرساليات التبشيرية والارتباط بالتراث العربي الإسلامي، بقي الجانب السلمي في مواجهة التحديات الإسلامية يتطور بشكل ملحوظ وكبير مع تقدم الأيام.

وجرى تطور آخر في هذا الاتجاه بعد منتصف القرن الثالث عشر حيث قدم المبشر الفرنسيسكاني روجر بيكون (Roger Bacon) 1266-1268 مشروعاً إلى البابا عن التحديات الإسلامية، قبل أن توشك حروبها الصليبية على هزيمة كبيرة في نتائجها النهائية. فقد رأى أن " المسيحية عجزت عن القيام بعمل تبشيري حقيقي ". ورأى أن الحروب المقدسة كانت عديمة النجاح، حيث لم يكن ممكناً في نظره، احتلال الأراضي المقدسة والإسلامية كلها، بحيث تتعذر الحياة معهم وتتعذر هدايتهم.

وبينما حفل القرن الرابع عشر بنشاطات الرهبان والمبشرين وتميز هذا القرن بجهود مكثفة من الناحية الثقافية صبت بتعميق معرفة الشرق وتوسيع قاعدة المعلومات الموضوعية عنه.فقد اهتموا بدراسة مناطق نفوذ وانتشار الكنائس الشرقية الأرثوذكسية النسطورية وأقبلوا على دراسة اللغة اليونانية لغة العبادة والثقافة والتخاطب للكنيسة الأرثوذكسية إضافة إلى تعلم اللغة السريانية الشرقية لغة العبادة والثقافة والتخاطب لدى الكنيسة النسطورية، كما اهتموا بدراسة اللغة العربية والاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه كما أولو الاهتمام بدراسة اللغة الكلدانية لغة الثقافة والعبادة بالكنيسة الكلدانية.

وكان قيام الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر تحدياً جديداً أمام الغرب المسيحي تأكدت مخاطره بعد أن توسعت باتجاه الغرب واجتاحت أوروبا الشرقية وأسقطت عاصمة الإمبراطورية البيزنطينية القسطنطينية عام 1453 وقاموا بتحويل كنيستها(آيا صوفيا) إلى مسجد تقام فيه صلاة المسلمين الخمسة.

ثم كان القرن السادس عشر والذي بعده حيث انطلقت فيه أوروبا تجوب الأفاق العالمية فيما أخذ الشرق والدولة العثمانية تتوسع بشكل واسع في محيطها الإقليمي فكان هذا القرن قرن

التطورات والمستجدات والحركات التي جعلت العالم يقبل على عهد جديد أسهم في رسم صورة العالم الشرقي والغربي ونتيجة لصراعهما فقد بانت معالم العالمين في العصر الحديث.

وحين برز النظام العالمي في نشوء الدول والحضارات الحديثة قبل ثلاثة قرون وتأسست الدولة الحديثة على أساسها كان هناك عدة دواعي في إرساء مجموعة من القيم تأسست عليها الدول تباعا والتي كان منها قيمة السيادة الوطنية لكل دوله على أراضيها والتي لا تؤخذ بنظر الاعتبار كيفية حصولها على تلك الأرض. وأعطت قيمة توازن القوى مدلولا في عدم الحيلولة من أن تسيطر امة على امة أخرى وان تحصر الحروب بمناطق معينة ومحصورة. وانتهكت هذه القيم مع قيم أخرى كعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول مرات عديدة لصالح مبادئ وأعراف انتهجتها الدول العظمى في تلك القرون ومنها الولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الراهن حين وجدت إن بوسعها إقرار السلام العالمي وكما تراه بالإصرار على تطبيق قيمها الخاصة بالديمقراطية وتقرير المصير والتي رمزت في مفهومها الى التعددية والتناول المنظم والسلمي للأحزاب في استلام الحكم ونافية تشريع من هو في الحكم كما في المفهوم العالمي للديمقراطية.

ولم تختلف صراعات العراق كثيرا عن الصراعات التي نشأت أبان تلك الفترة بل أضيفت إلى الأسباب التي قامت من اجلها الحروب العالمية والتي ما كان منها اقتصاديا أو استراتيجيا أسبابا جديدة دخل فيها البعد الأيدلوجي الديني منحا مهما مما جعل لا تنطبق مع معاهدة وست فاليا فقد تعدت العلاقات الدولية مراحل الاعتراف والحدود والسيطرة إلى أبعاد جديدة أخرى كانت سمة من سمات السياسة الخارجية الأمريكية من ودروو ويلسون وحتى إدارة الاحتلال والتي منها اختيار العناية الإلهية الأمة الأمريكية كأمة لا غنى عنها بين الإنسانية وانه يتعين السيطرة على أي شيء وكل شيء من اجل صالح البشرية وان النظام الأمريكي العالمي يكافئ المشاركين فيه او يعاقبهم وفقا لمعايير اقتصادية او دينية.

على إن هذه المعايير التي لا تثير فيهم نوازع الولاء والالتزام الوطني عند حدوث الأزمات وان تركز الدبلوماسية الأمريكية على القضايا اللينة (غير الإستراتيجية) وذلك للإشارة بان معظم التوترات الدولية كانت اجتماعية بالأساس حيث برزت هذه العوامل مجتمعة في موقف الانكلو ساكسوني تجاه العراق بشكل خاص اذ برزت صناعة النفط وحركة رؤوس الأموال كأهم العوامل الاقتصادية وكانت الإيديولوجيات البروتستانتية كأهم العوامل الاجتماعية بالإضافة الى العوامل الأخرى السياسية والثقافية والعسكرية والإستراتيجية.

وان الاستقرار والسيادة الوطنية وما نصت عليها معاهدة ويست فاليا كان لها الحضور القوي في العراق خلال القرن الماضي حيث توافقت الرؤية الأوربية مع النظرة الأمريكية بالنسبة الى المنطقة من حيث التفاعل مع الإقليم او من حيث الأمن المرتبط مع الجيران، وحيث تزاوجت الخبرة الأوربية في رسم الدول مع الأهداف السكسونية فيها وحيثما لا يوجد امن ناعم او سياسة او حتى حوار او حرب ناعمة كذلك كان تاريخ المنطقة مليء بالأحداث والدماء. وان كانت هناك أمال عند المخطط الاستراتيجي الغربي برسم حروب محدودة ومسيطر عليها الا أن الواقع كان أمرا آخر فالوجود العسكري للغرب لم يجلب الاستقرار والأمن للدول المحلية وان التكامل الاقتصادي والمالي لم ينجحا في إقامة ونمو المشاريع السياسية والاقتصادية بل زادت حدة التحديات في المنطقة وقلت نسب الخيارات المتاحة.

فظهر الهلال الشيعي ليقابل الهلال الخصيب السني وتحول الاستثمار الاقتصادي الى عامل تحد جديد أمام الأفكار والعقائد المتطرفة عند الدولتين السنية والشيعية وضاعت الحكمة بين ضفتي الخليج كما غاب التعايش بين السنة والشيعة وامتد الصراع بدل التواصل بين دول الإقليم. وقد أدى استمرار عدم استقرار العراق خلال القرن الماضي الى تدمير القيمة الإستراتيجية المحتملة لإقامة قواعد ثابتة أجنبية في هذا البلد وهي النتيجة ذات الشكل الايجابي خلال القرن الماضي حيث ان الوجود العسكري الأجنبي يمكن ان يشجع دول إقليمية قوية على ضمان مصالحها على حساب الدول الأخرى في المنطقة.وتطور الأحداث في المنطقة خلال

القرن الماضي اثر تأثيرا مباشرا على الوجود العسكري الأمريكي فيها وكان هناك تحول واضح في الخطط القائمة على ذلك التهديد الى تلك التي يستند عليها بناء القدرات العسكرية ذلك لان ضمان المصالح المشتركة يجب ان يتم خارج المشاغل الإستراتيجية القصيرة الأمد.

ان المقارنة بين أحداث الماضي يمكن ان تكون فعالة وبناءة فالدور البريطاني في الخليج كان قد تطور من سلطة إمبراطورية غير رسمية الى رسمية بسبب تعاظم الأخطار على حدود المنطقة على الرغم من ان المصالح البريطانية لم تشهد تغييرا وبالتالي فان هناك خطرا متمثلا في ان يتطور الوجود الأمريكي وفقا الى نمط مماثل يشمل على سلسلة من التغييرات التدريجية في طبيعته والأهداف المعدة له.

وان موت الدولة ذات السيادة أمر واضح ولعلها ستختفي خلال العقود القادمة وسيشهد العالم بداية لجغرافية سياسية جديدة تزداد فيها الدول الصغيرة على نحو متزايد فقد انهار النظام الدولي بعيد الحرب العالمية الثانية وكان هناك نية لإيجاد بنية جديدة لنظام دولي جديد.

هذه الأبعاد الواسعة والمختلفة كانت في ثلاثة أبعاد متلازمة والتي تحمل كل منها سمة الاستمرارية والتأثير.

فكان البعد الأول وهو البعد التاريخي لهذا الخلاف العقائدي والذي يمتد إلى عمر ظهور دولة الإسلام وسنوات الصراع الفكري والسياسي بين المسلمين والروم في القرن السادس الميلادي. إلا إننا وفي هذا الكتاب ولاعتبارات شتى أرجعنا هذا البعد الى بدايات الحروب الصليبية الأولى وحتى يومنا الحالي.

ولان أوجه الخلاف العقائدي والوسائل التي استخدمت طوال تلك الفترات للتعبير عن ذلك الاختلاف قد لا تبدو مختلفة في أسبابها ونتائجها فان مساحة التاريخ الحديث والمعاصر يتيح لنا بوجه او بآخر الى نعود الى تلك الحقب المختلفة منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

إن الاستمرارية التاريخية وليس الصيرورة بحد ذاتها كانت ولم تزل في هذا الاختلاف العقائدي وما نتج عنها على الصعيد السياسي والثقافي والاجتماعي والفكري لشعوب المنطقة تجعلنا أن ننظر مرة أخرى إلى البعد الديني كبعد اخر من الأبعاد التي حددت شكل العلاقة بينهما.

ومن خلال البعد الثقافي لهذا الاختلاف كبعد آخر وما نتج عنه وما أسس من منطلقات فكرية جديدة للمنطقة في الوقت الراهن والدور الانكلو- ساكسون الحاضر ومن خلال وثائقه في التأثير بكل إشكاله على العراق.

الوفاق المستحيل

هنالك مرحلة من تاريخ العالم تجدر الإشارة إليها والانتباه لها والتي أثرت بالتأكيد على مسيرة العلاقة بين العراق الإسلامي والصليب النصراني وهي العلاقات البريطانية – الفرنسية وهي بالتأكيد ليست محدودة الأهمية في الشؤون العالمية بين البلدين في المستقبل خاصة انه لا يزال الإشكال في ماضيهم مؤثرا على العالم اليوم. إذ أن القرون الثلاثة الماضية لا تزال عنصرا أساسيا في هذا الموضوع بالنسبة للشؤون العالمية. فخلال تلك القرون الثلاثة، كان الناطقون بالانكليزية لا يزالون هم القوى العالمية المتعاقبة التي سيطرت على أساس مبادئ الليبرالية الاقتصادية تحت مسمى الانكلو– ساكسون والفرانكفونية . فحين كانت فرنسا تتنافس بدون جدوى عالمية على السلطة ضد البريطانيين، منذ تولي ويليام الثالث الانكليزي العرش في 1689، إلى هزيمة نابليون في واترلو1815. ومنذ ذلك الحين، سعت فرنسا الى الدفاع عن مصالحها وهويتها وثقافتها والقيم الاقتصادية ضد العالم الانكلو– ساكسون الليبرالي الاقتصادي والعولمة المتسرعة.

إن التفاعل بين هذين المجتمعين قد فعل المزيد لتشكيل الجغرافيا السياسية، والاقتصادية، والثقافية في العالم اليوم أكثر من أي علاقة أخرى بين أي مجتمعين على وجه الأرض. فهي

ليست مجرد أن الولايات المتحدة الموجودة اليوم هي مجرد إدارة أو إساءة لنظام إدارة لنظام عالمي وثيق الصلة والوحيد بالإدارة البريطانية والتي بنيت خلال ما يسمى المائة سنة الثانية في حربها مع فرنسا. فهي ليست مجرد أن أنصار معاداة الأمريكيين اليوم ما زالوا يستخدمون المفردات أو مجموعة الأفكار الأولى التي وضعها الفرنسيون معارضي النظام الانكلو- ساكسون للسلطة منذ قرون خلت. وإنما أن هاتين القوتين لا تزالان تسيطران على العالم من خلال توسيع دولي وسياسي واقتصادي قائم على القوة الناطقة بالإنكليزية في العالم والعمليات المعقدة التكيف، والتقليد، والمقاومة، والتعاون من خلالها مع بقية العالم الذي يسعى إلى مواجهة ذلك من اجل الربح – وهذا هو التأصل في الديناميكية الإنكليزية - الفرنسية. وان تاريخ تلك الديناميكية يتيح الفهم العميق للسياسة العالمية المعاصرة .وبعد أكثر من قرنين من الخطاب المعادي لأمريكا والعدو الأمريكي في فرنسا. فان الكراهية الإنجليزية والمعاداة تجاه أمريكا هي علاقة عميقة، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في فرنسا. فهذه ليست مجرد مسألة زيادة في الإفراط من الخوف من سيطرة الانكلو- ساكسون في العالم الجامحة وإنما هو مزيج معقد من المواقف الفرنسية تجاه الانكلو- ساكسون في العالم والتي طالما ركزت على العناصر التي توحد السياسة البريطانية والأميركية، أكثر من الثقافة والأطماع الدولية. ولدى التطرق اليوم إلى كيفية قيام الانتقادات الفرنسية تجاه الولايات المتحدة فسنرى أنها تستخدم بعض المفردات نفسها والأفكار التي طوروها خلال المنافسة مع المملكة المتحدة مع إنها أكثر انتظاما من العلاقة المبنية على الكراهية الإنجليزية والفرنسية. ومع أن معاداة الأمريكيين، لا تزال غير مكتشفة او معلنة بينهما، فان العدو الأمريكي لا يزال داخل فرنسا في الاتجاهات الاقتصادية والسياسية والثقافية الفرنسية والتطورات التي تحدد الحاجة إلى مواكبة الجيران الناطقون بالانكليزية في العالم فكلا البلدين لهما تأثير هائل على بعضها البعض. ان الذاكرة التاريخية التي نتجت بان المملكة المتحدة والولايات المتحدة هما البلدان اللذان يمتلكان اللغة المشتركة، بينما فرنسا والمملكة المتحدة هما البلدان ذات التاريخ المشترك. ورغم أن كل ثقافة وطنية بنيت روايتها على الماضي، فان الدولتين الفرنسية والبريطانية قد اختارتا لحظات مختلفة في تاريخهما المشترك لتتذكر أو لتنسى. فان هناك محطات تاريخية معاصرة بينهما قد ساعدت في تشكيل العلاقة بينهما. فبعد استسلام فرنسا لألمانيا ووقوف بريطانيا مع فرنسا آنذاك هي اكبر جزء من الذاكرة الوطنية الفرنسية للمن والشكر للمملكة المتحدة. بينما المواجهة في عام 1898 بينهما حيث أوقفت القوات الاستعمارية البريطانية محاولة القوات الفرنسية لإقامة وجود لها في أعالي النيل، يكاد يكون منسيا في لندن ولكنه لا يزال يلتهب على الجانب الآخر للبلدان الناطقة بلغه المانش. وحتى الحرب العالمية الثانية، يمكن للمملكة المتحدة إلى حد كبير النظر إلى تاريخها الحديث بأنها قصة نجاح. بينما فرنسا ليس فقط تواجه تاريخ طويل من إحباط الطموحات والهزيمة العسكرية؛ وإنما تعيش مع النتائج التي خلفتها تلك الطموحات في عالم يتزايد فيه كراهية التفصيلات والسياسات التي تسعى إلى المنافسة البريطانية - الأمريكية. وحتى عندما تلاشى البلدين إلى المرتبة الثانية للدول الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، وبزوغ الولايات المتحدة في العالم كزعيم فان قبول بريطانيا كان أسهل من قبول فرنسا بها. إن صعود الولايات المتحدة هو أيضا مجرد حلقة أخرى في قصة طويلة من التنافس الانكلو- ساكسون على السلطة والذي اثر ذلك على الإهمال النسبي للأدوار الأخرى في العلاقة البريطانية – الفرنسية والتي منها الدور التمويلي والعلاقة المالية بينهما وكذلك الدور الكاثوليكي وانتعاشه في فرنسا وتشكيل الفكر الانغليكاني الانكليزي في أكسفورد حيث كان لهما تأثير على نواح كثيرة جانبي القناة الإنكليزية، أو بشكل أعمق بين هاتين الرائدتين في المجتمعات الرأسمالية[١].

---

[١] رغم تناول العلاقة بين الإيديولوجيات الدينية التقليدية وتجارب الحداثة بين فرنسا وبريطانيا فإنها تستحق أن تكون محورا مهما في



العلاقة العسكرية المستمرة حتى يومنا هذا بين الشرق المسلم والغرب تعود إلى ما يعرف فرسان يوحنا فرسان القديس يوحنا SOVEREIGN MILITARY ORDER OF MALTA حيث يمكن اعتبارهم اليوم كفرقة عسكرية صليبية أو جماعة دينية صليبية محاربة ساهمت بشكل بارز منذ الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي وحتى اليوم بكثير الأدوار في هذه المنطقة.

نشأت هذه الفرقة في جزيرة مالطا حيث انشأ (جيرارد دي مارتيز) تنظيما منفصلا اسماه وعرفت حينذاك (فرسان القديس يوحنا الأورشليمي). وقد انبثقت عن الجماعة الأم الكبيرة والمشهورة باسم "فرسان المعبد" والتي كان لها شهرة واسعة أيام الحروب الصليبية، حيث بدأ ظهور فرسان مالطا عام1070 م كهيئة داعمة، أسسها بعض الإيطاليين، لرعاية مرضى المسيحيين، في مستشفى (قديس القدس يوحنا) قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، في فلسطين وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم فرسان المستشفى أو الإسبتارية باللغة الايطالية تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل "فرسان المعبد" و"الفرسان التيوتون" وغيرهم، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد. وبعد التزايد الكبير في أعداد الوافدين المسيحيين إلى مدينة القدس والذي زاد في بداية القرن الحادي عشر باتجاه بعض الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين، وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى "قديس القدس يوحنا" واستطاع تجار مدينة "أمالفي 1070 "م من تأسيس جمعية داعمة في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بالأجانب، ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان الإسبتارية في اللغة العربية، ولم يلبث أولئك الإسبيتاريين أن دخلوا تحت لواء النظام الديري البندكتي المعروف في غرب أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسميًا في 15 شباط 1113 م، وهكذا أصبح نظامهم يلقى مساندة من جهتين: تجار امالفي وحكام البروفانس في فرنسا وعندما قامت الهجمة الأولى الأولى من هجمات الحروب الصليبية عام 1097 م وتم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى (جيرارد دي مارتيز) تنظيماً منفصلاً أسماه "رهبان مستشفي قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين وخاصة بعد أن تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين بفضل ريموند دوبوي (خليفة مارتينز) الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا انوست الثاني1130 ، حتى قيل "إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى فرسان الإسبتارية بجانب فرسان المعبد" وقد كان تشكيل تنظيم الإسبتاريين ينقسم إلى ثلاث فئات:

- فرسان العدل الذين هم من أصل نبيل (نبلاء) وأصبحوا فرساناً.
- القساوسة الذين يقومون على تلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم.
- إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

العلاقة بينهما وانه قدم أفكارا مفيدة جدا للعالم الذي يواجه قضايا مشابه اليوم.

فضلا عن الأعضاء الشرفيين ويسمون الكرماء الذين يساهمون بتقديم الأموال والأملاك للتنظيم وبفضل عوائد هذه الأملاك والهبات والإعانات لكنائس بيت المقدس خصصّت قسما منها لمساعدة فرسان القديس يوحنا وأخذ نفوذ الفرسان ينمو ويتطور حتى أصبحوا أشبه بكنيسة داخل الكنيسة. وبعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام 1187 م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وبسقوط عكا 1291 م طرد الصليبيين نهائيًا من الشام واتجهت هيئات الفرسان لنقل نشاطها إلى ميادين أخرى حيث اتجه الفرسان التيوتون نحو شمال أوروبا وركزوا نشاطهم الديني والسياسي قرب شواطئ البحر البلطيكي ونزح (الداوية) أو فرسان المعبد إلى بلدان جنوب أوروبا وخاصة فرنسا حيث قضى عليهم فيليب الرابع فيما بعد 1314 :1307م اما فرسان الإسبتارية (المستشفى) والذي بقي وجودهم حتى اليوم، فقد اتجهوا في البداية إلى مدينة صور ثم إلى(المرج) في ليبيا ومنها إلى عكا ثم ليماصول في قبرص 1291م.

ومن قبرص استمر فرسان الإسبتارية في مناوشة المسلمين عن طريق الرحلات البحرية ومارسوا أعمال القرصنة ضد سفن المسلمين، وازداد نفوذهم آنذاك الى ان عمد رئيسهم (وليم دي فاليت) للتخطيط لاحتلال رودوس وأخذها من العرب المسلمين وهو ما قام به أخوه وخليفته (توك دي فاليت) في حرب صليبية خاصة (1310 - 1308) ليصبح اسم نظام الفرسان الجديد يسمى (النظام السيادي لرودوس) أو(النظام السامي لفرسان رودوس). وفي رودوس أنشأ تنظيم الإسبتاريين مراكزه وازدادت قوته ونفوذه خاصة بعد أن تم حل تنظيم فرسان المعبد وآلت بعض ثرواته للإسبتاريين.

ولأن أرض رودوس كانت بمثابة نقطة إستراتيجية هامة، فقد عمد الأتراك المسلمون بدورهم للاستيلاء عليها خصوصا مع تزايد قرصنة الصليبيين لسفنهم وذلك بعد حصار وضغط متواصلين وكان أهم حصارين في عامي 1310، 1480 مما أجبر رئيسهم فيليب ري ليل آدام على الاستسلام في 1522 والهجرة عن الجزيرة في أول كانون الثاني 1523 الى عدة مدن منها: (سيفليل) إسبانيا و(كاندي سيلان) و(روما إيطاليا)، إلى أن منح الملك (شارك كنت) للإسبتاريين السيادة على جزيرة مالطا في 24 آذار 1530 وبجانب سيادتهم على مالطا (بوثيقة شارك كنت) كانت لهم السيادة كذلك على عدة جزر مثل دي جوزوا وكومين.

واكتسبت اسمها عندما منحها الملك (شارل الخامس. ملك اسبانيا) إلى مجموعة من المقاتلين باسم (فرسان مالطا) في 24/3/1530 ثم بتدخل من الكنيسة تم استبدال الجيوش الإسبانية في طرابلس بمحاربين من فرسان مالطا أو فرسان القديس يوحنا، وتم وضع طرابلس تحت عرش صقليه وقد صدق البابا (كليمنت السادس) على ذلك في 25 نيسان 1530 ومن ثم أصبح النظام يمتلك مقرًا وأقاليم جديدة أدت إلى تغيير اسمه في 26 تشرين الأول 1530 م إلى "النظام السيادي لفرسان مالطا".

ومنذ ذلك الحين أصبحت مالطا بمثابة وطنهم الثالث، ومنها استمدوا أسمهم" فرسان مالطا "واستطاع رئيسهم (جان دي لافاليت) أن يقوي دفاعاتهم ضد الأتراك العثمانيين مصدر خوفهم وأن يبني مدينة فاليتا ـ عاصمة مالطا حاليا والتي أطلق عليها اسمه وكان مما ساعد على ترسيخ وجودهم في مالطا وقوع معركة ليبانتوا البحرية1571 م، بين الايطاليين والأتراك مما أبعد خطر الأتراك ووفر لنظام الفرسان جواً من الهدوء.

وقد تميز هذا النظام منذ إقامته في مالطا بعدائه المستمر للمسلمين وقرصنته لسفنهم حتى كون منها ثروة ولاسيما في الحصار التاريخي 1565 الذي انتهى بمذبحة كبيرة للأتراك، كما توسع النظام كثيرًا حتى إن الملك لويس الرابع عشر تنازل لهم في 1652 عن مجموعة من الجزر في الأنتيل منها سان كيرستوف، سان بارتليلي، سان كوزوا، وصدق على ذلك في 1653 إلا أن صعوبة المواصلات مع هذه الجزر اضطر النظام للتنازل عنها لشركة فرنسية 1655 وظل النظام في مالطا تحت حماية إمبراطور الدولة الرومانية والكرسي الرسولي وفرنسا

وإسبانيا وانتشر سفراؤهم في بعض الدول وهو ما كان يعني اعترافًا بالسيادة الشخصية للسيد الكبير " للنظام أو رئيس الفرسان".

واستمر هؤلاء الفرسان بالإغارة الدائمة على سواحل المسلمين خاصة على سواحل ليبيا وتونس لقربهما من مالطا، ثم احتل فرسان مالطا منطقة برقة سنة 916هـ، غير أن المماليك لم يلبثوا أن أخرجوهم منها، وفي نفس السنة احتلت قوة إسبانية مدينة طرابلس الليبية بقيادة ترونافار وقتل خمسة آلاف مسلم، وأسر ستة آلاف، وفر باقي سكان المدينة وظلت طرابلس من سنة 916هـ حتى سنة 936 هـ تحت أسر الاحتلال الإسباني.

وفي سنة 936 هـ قرر شارلكان ملك إسبانيا التنازل عن طرابلس لفرسان مالطا مقابل مساعدتهم للأسبان في حربهم البحرية ضد الدولة العثمانية التي بدأت تتجه بقوة ناحية الشمال الإفريقي، وبالتالي كسب فرسان مالطا موطئ قدم لهم بالسواحل الإسلامية قطعوا به الطريق على الإمدادات العثمانية القادمة من شرق البحر المتوسط.

وفي 18 صفر سنة 929 هـ سنة 1523 م، غادر فرسان القديس جزيرة رودس إلى إيطاليا بدعوة من البابا كليمنت السابع، في حين رأى رئيس المنظمة الأب فيليب أن يطلب إلى شارل الخامس إمبراطور المملكة الرومانية منحه جزيرتي مالطا وقوزو لأنهم رأوا أنهما خير مكان لغزو البلاد الإسلامية. ورأى شارلكان في ذلك فرصة للتخلص من طرابلس ليبيا التي طالما تحين لها الفرص، فقبل طلب الفرسان على شرط أن يقوموا بالدفاع عن مدينة طرابلس.

ووافق مجلس منظمة الفرسان على الوثيقة القيصرية في 25 حزيران 1535م، وجاء وفد منهم إلى طرابلس ليستلم المدينة من واليها "فرديناند ألركون". وإلى هنا انتهى حكم الأسبان في طرابلس، بعد أن دام عشرين سنة لم يتجاوزوا فيها أسوار المدينة، وقاسى فيها الطرابلسيون شر ما يقاسيه محكوم من حاكم.

تسلم فرسان القديس يوحنا طرابلس في محرم سنة 942هـ سنة1535 م، وعينوا عليها واليا هو القسيس "جسباري دي سنقوسا"، وهو أول والٍ من هذه المنظمة على طرابلس . واستولى الفرسان على جنزور والمنصورية والماية والحشان والزاوية وصبراتة، وكانوا يجبون أموالها ويفرضون عليها المغارم ويأخذون رهائنها خوف الانتفاض عليهم. وقد اضطر أهل الجهة الغربية للخضوع، لأنهم في طريق الجيوش التونسية التي كانت تأتي لنصرة فرسان القديس على طريق البر، بخلاف الجهة الشرقية التي احتفظت بنفسها بواسطة مشايخها.

الا انه بقيام الثورة الفرنسية 1789 وغزوها إيطاليا فقد الفرسان الصليبيون ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا وانتهى بهم الأمر بفقد مقرهم في جزيرة مالطا نفسها وطردهم منها على يد نابليون أثناء حملته على مصر عام 1798 م، ودخلوا في مرحلة من الشتات والتفرق.

ورغم أن معاهدة 1802 أعادت لهم الحقوق السيادية في البلاد إلا أنه لم تكن بالسهولة العودة ثانية إلى مالطا ولذلك انتهى بهم المطاف بالحصول على مقر في روما عام 1834.

وكان بعض الفرسان الذين تفرقوا عقب طردهم من مالطا على يد نابليون قد اتجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وصادف وصولهم فترة الحروب الأهلية هناك وشهدت هذه الفترة ظهور منظمة الكوـ كلوكس ـ كلان (Ku- Klux _ Klan) الإرهابية العنصرية، التي كانت تطالب في ذلك الحين بالدفاع عن المذهب الكاثوليكي وعن سيادة الرجل الأبيض ومنع مساواة المواطنين السود مع البيض في الحقوق، وتوثقت العلاقات بين فرسان مالطا الفارين إلى أمريكا، وبين (الكو كلوكس كلان) خصوصا أن الطرفين يتفقان في المذهب الكاثوليكي.

وقد جسدت هذه العلاقات وعبر عنها بتأسيس تنظيم اسمه فرسان الكاميليا (Knights of Camilia) وهو تنظيم سري نشأ داخل (الكو كلوكس كلان)، تبنى نفس مبادئها، وكان تنظيمه (الهيراركي) يشبه تنظيم فرسان مالطا، فهناك المارد الأعظم (Grand Giant) على غرار السيد الأعظم لدى الفرسان ويعاونه أربعة من فرسان الصقر "Hawks" كما أن طقوس

احتفالات فرسان الكاميليا و(الكو كلوكس كلان) تشبه تمامًا احتفالات فرسان مالطا إذ يلبسون ملابس بيضاء عليها صليب أحمر، ويضعون على رؤوسهم أقنعة لا يظهر منها سوى العينين والأنف والفم، ويشعلون المشاعل النارية، ويزيد أعضاء (الكو كلوكس كلان) أنهم يحملون الجماجم التي تنبعث منها نيران حمراء بشكل مرعب ومن المهم أن نشير إلى أن كلا الحركتين (الفرسان، وكوكلوكس) كانتا تركزان على العودة لأصول الدين المسيحي الكاثوليكي حتى إنه ليبدو أن مطاردتهم للسود وكذلك الآسيويين من غير العنصر الأبيض في الداخل كان اضطهادًا (دينيًا) قبل أن يكون (عنصريًا) على اعتبار أن أصل هؤلاء السود والآسيويين (الذين تم جلبهم إلى أمريكا عن طريق تجارة الرقيق) يعود إلى أفريقيا وآسيا حيث غالبية السكان يدينون بالدين الإسلامي (قبل حملات التبشير فيما بعد) هذا فضلا عن أن هؤلاء السود والآسيويين جاؤوا من المناطق التي سبق أن طُرد منها هؤلاء المهووسون دينيًا وعنصريًا، وهو سبب كافٍ لاضطهادهم!!..

واستمر هؤلاء حتى عصرنا الراهن ومن خلال استقراء التاريخ المعاصر الموصول بشكل راسخ بما قد سبقه من أحداث تاريخية حديثة مثلما نجد ان فرسان مالطا عادوا بوجه جديد في القرن الـعشرين مرة أخرى من خلال نشاطهم الأساسي والذي انتشروا من خلاله وهو المساعدات الإنسانية الممزوجة ببعثات تبشيرية على حد تأكيد بعض التقارير المنشورة من عدة مصادر، وذلك من خلال عمل ميداني بزغ أكثر خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية. واتخذت منظمة فرسان مالطا أسماء عديدة ويطلق عليها مسميات مختلفة منها الهوسبيتاليين وفرسان رودس ولكن أشهر أسمائها هو"فرسان مالطا" ورغم الجدل حول أنشطتهم قديما وحديثا إلا أن المنظمة تحذر الأشخاص والدول من جهات تستغل اسمها وتطالب الجميع التأكد من هوية الجمعيات التي تسعى للحصول على تبرعات حتى يتم التأكد من أنها تابعة لفرسان مالطا.

وبحسب الموقع الرسمي لدولة فرسان مالطا فإن المقر للمنظمة حاليا يقع في العاصمة الإيطالية روما، تحت مسمى "مقر مالطا" وتقول المنظمة عبر موقعها على الإنترنت ان منظمة « فرسان مالطا محايدة وغير متحيزة وغير سياسية وهذه الخصائص تمكنها من القيام بدور الوسيط كلما طلبت منها الدول التدخل من اجل تسوية نزاعات » وتسمى السيادة التي تكتسبها فرسان مالطا سيادة وظيفية لأنها تفتقر لمقومات السيادة الحقيقية وذلك حسب ما أعلنته روما في 1953.

ويلقب رئيس المنظمة بـ"السيد الأكبر[٢] " وهو حاليا الأمير البريطاني "فرا أندروبيريتي" الذي تقلد رئاسة المنظمة عام 1988، ويعاونه أربعة من كبار المسئولين وقرابة عشرين من المسؤولين الآخرين، ويقيم السيد الأكبر في روما ويعامل كرئيس دولة بكل الصلاحيات والحصانات الدبلوماسية وينص القانون الدولي على سيادة دولة فرسان مالطا التي لها حكومتها الخاصة ولها صفة مراقب دائم في المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة، كما أن لها ثلاثة أعلام رسمية لكل علم استخدامه ودلالاته.

فالعلم الأول لدولة فرسان مالطا عبارة عن أرضية مستطيلة حمراء وعليها رسم للصليب باللون البيض في المنتصف وهو العلم الرسمي واستخدم منذ عام 1130، بالإضافة إلى علمين

---

[٢] (اندرو بيرتي Ninian Bertie Andrew Willoughby). وهو من أصل بريطاني. ومن مواليد لندن ١٩٢٩/٥/١٥ . وينحدر من القبائل الانكلو سكسونية القديمة. وتخرج في جامعة أكسفورد. وتخصص بالتاريخ الحديث للكنائس المسيحية. وحصل من جامعة لندن على شهادة عليا بالدراسات الشرقية والأفريقية. وخدم في الجيش البريطاني للفترة (١٩٤٨ – ١٩٥٠)، ضمن صفوف الحرس الاسكتلندي. والتحق بصفوف (فرسان مالطا) عام ١٩٥٦ . وحصل على الحزام الأسود بالجودو. وتم انتخابه رئيسا للحكومة، مدى الحياة عام ١٩٨٨. وهو الرئيس الثامن والسبعين لحكومة (فرسان مالطا). ويعاونه أربعة من كبار المسئولين، وقرابة عشرين من المسئولين الآخرين. ويعامل دوليا كرئيس دولة بكل الصلاحيات والحصانات الدبلوماسية التي يتمتع بها الرؤساء في العالم

آخرين أحدهما يخص الأعمال التي تقوم بها فرسان مالطا و به شكل صليب أيضا ولكن برسم مختلف، فهو في غاية البساطة. لكنه يحمل دلالات وتكوينات رمزية. تشتمل على مطامع توسعية سافرة، ورغبات صريحة بالهيمنة على أقطار العالم، وتعكس التطلعات الحقيقية لنظام دولة (فرسان مالطا).. والشكل الأبرز في الشعار. هو النسر ذو الرأسين.. حيث يشرأب الرأس الأول بعنقه صوب شرق الأرض. بينما يتجه الرأس الآخر صوب غربها.. وتمسك اليد اليمنى للنسر بصولجان الحكم. بينما تتحكم قبضته الأخرى بكوكب الأرض. وفي القلب صليب ذو ثمانية رؤوس. وهو الصليب الذي تمسكت به تنظيمات (فرسان مالطا) منذ 927 عاما. وتعلو الشعار أربعة تيجان ترمز للقارات الأربعة التي كانت معروفة آنذاك. قبل اكتشاف القارات الجديدة (أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا).

والشعار الآخر عبارة عن علم ملكي مخصص للسيد الأكبر ويرفع على قصره في روما أو في مقر إقامته أينما حل. والشعار التالي لا يختلف كثيرا من حيث المفهوم الرمزي عن الشعار السابق. فهو نسخة مكررة عنه. لكنه وضع على خلفية حمراء. ويعود تاريخ هذا الرمز إلى عصر إمبراطورية الروم البيزنطيين. وأضيفت له الخلفية الحمراء (الدرع الأحمر) عام 1743 في فرانكفورد /ألمانيا. من قبل احد العاملين في صياغة الذهب. وهو الألماني (Amschel Moses Bauer) ثم صار هذا الشعار رمزا لكل الغزوات التي قامت بها أوربا للاستيلاء على ثروات البلدان المحتلة في قارتي آسيا وأفريقيا. ويعبر حاليا عن الرغبة الكامنة للسيطرة على ثروات العالم من خلال النظام العالمي الجديد الذي تخطط له دولة (فرسان مالطا).

وتدار الأنشطة المختلفة للمنظمة عن طريق ستة أديرة رئيسية متفرع منها خمسة فرعية و47 جمعية وطنية للفرسان في خمس قارات، وللمنظمة علاقات دبلوماسية مع 96 دولة على مستوى العالم منها مصر والمغرب والسودان وموريتانيا، بحسب الموقع الرسمي للجماعة، بينما ليس لها تمثيل دبلوماسي في إسرائيل .

وتكشف البحوث المتخصصة في بحث السياق الديني والاجتماعي والسياسي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، عن أن أبرز أعضاء جماعة فرسان مالطا من السياسيين الأمريكيين كانا رونالد ريجان وبوش الأب رئيسا الولايات المتحدة السابقان، وهما من الحزب الجمهوري. ويكشف موقع "فرسان مالطا" على الانترنت بأن من أبرز أعضاء المنظمة كان جد الأمريكي الحالي "بريسكوت بوش" Bush Prescott وهو جد الأمريكي (بوش الأب).

- (توني بلير Tony Blair). رئيس وزراء بريطانيا السابق.
- (تيد كيندي Kennedy Ted). شقيق الأمريكي الأسبق (جون كيندي). وهو سيناتور سابق في مجلس الشيوخ الأمريكي.
- (ديفد روكفلر Rockefeller David). وهو أغنى رجل في العالم.
- (جوزيف كيندي Joseph Kennedy). سيناتور أمريكي. والشقيق الثاني للرئيس الأمريكي الأسبق (جون كيندي).
- (رونالد ريغان Ronald Reagan). الأمريكي الأسبق.
- (خوان كارلوس Juan Carlos). الملك الحالي لاسبانيا.
- الملكة إليزابيث Queen Elizabeth II). ملكة بريطانيا.
- (بوش الابن George H.W Bush). وهو الأمريكي الحالي.
- (فاليري جيسكار ديستان Giscard d'Estaing).الرئيس الفرنسي الأسبق
- (ايرك برنس Erik Prince). مؤسس منظمة XE (بلاك ووتر Black water) وتضم اكبر وأحدث جيش للمرتزقة في العالم.
- (جوزيف شميتز Joseph Schmitz). وهو المفتش العام السابق في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، برتبة جنرال متقاعد. ويدير حاليا كافة عمليات منظمة(بلاك ووتر Black Water) في العالم...

واليوم يقدر عدد المتطوعين الذين يعملون معهم بحوالي نصف مليون شخص، منهم زهاء مائة ألف في فرنسا وحدها، ومثلهم في ألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وغير المتطوعين في الولايات المتحدة وحدها ألف وخمسمائة فارس، وقد انضم إلى عضويتها عدد من أصحاب الملايين خصوصا أن نشاطهم الحالي خيري ويختص بالمستشفيات مما يغري بالتبرع لهم. وقد عاد تنظيم الفرسان بقوة في أوائل التسعينيات، حيث عقدت منظمات الفرسان الصليبية اجتماعًا في جزيرة مالطا في أوائل ديسمبر 1990، هو الأول من نوعه، منذ أخرجهم نابليون بونابرت منها، قبل حوالي قرنين من الزمان، وكان الاجتماع مثيراً للغاية - كما قال روجر جيورجو أحد أولئك الفرسان الذين اجتمعوا بالجزيرة وبلغ عدد الحاضرين حوالي خمسمائة (معظمهم من القساوسة) ينتمون إلى اثنين وعشرين دولة. ولوحظ أن الفرسان الصليبيين المجتمعين اعتبروا هذا اللقاء خطوة باتجاه إحياء وإنعاش تلك المنظمة الكاثوليكية الأصولية ذات الجذور الصليبية. حتى إنهم قرروا – بعد جولة واسعة في القلاع والقصور والتحصينات التي أقامها أسلافهم لتصفية الحسابات مع المسلمين في الماضي - التفاوض مع الحكومة المالطية لاستئجار واحدة من تلك القواعد في ميناء "فالتا" - العاصمة - ليتخذوا منها مركزًا لنشاطهم.

وقد روت صحيفة "هيرالد تربيون" الأمريكية تفاصيل هذا الاجتماع في حينه قائلة : إن "الفرسان" توافدوا على الاجتماع، وقد ارتدى كل واحد منهم ملابس كهنوتية سوداء، يزينها صليب أبيض مزدوج الأطراف، ورأس الجلسات" الأستاذ الأعظم" الذي يقود المنظمة، اسمه اندرو بيرتي (60 سنة) وهو أول بريطاني يرأس المنظمة منذ عام1277 ، كما أنه رقم الثامن والسبعون للمنظمة منذ تأسيسها، ويحمل رتبة "كاردينال"، ويرأس مجلسًا يتألف من ستة وعشرين "فارسًا" يساعدونه على تسيير شؤون المنظمة الذي تدعمه أمريكا بقوة!!

وهم مهتمون بإقامة علاقات دبلوماسية مع مختلف الدول حتى إن رئيسهم بيرتي يقول: "إن الدبلوماسية بحد ذاتها ليست من أهدافنا ولكن إقامة علاقات مع الدول تساعد في تسهيل أعمالنا والحصول على الأدوية والمواد التموينية ونقلها إلى المناطق المنكوبة"، وهو لا ينفي تاريخهم الصليبي إذ يقول" :نحن لا نخفي شيئا، فنحن منظمة دينية قديمة، ولنا تقاليدنا وشعائرنا، لذلك فالجانب البروتوكولي والدبلوماسي في غاية الأهمية بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهدنا لتقديم العون للمحتاجين، والقسم الأكبر منا رجال دين وقساوسة".

والملفت أن دولة الفرسان الجديدة تعتمد في دخلها على تلقى التبرعات بحجة إنشاء المستشفيات وعلى بيع طوابع بريدية خاصة بها، وتستفيد أيضا من الشهرة التي تجنيها من خلال توزيعها تبرعات كبيرة على المستشفيات وسيارات الإسعاف والأدوية على الدول المختلفة المحتاجة. ومع أننا لا نستبعد أن يكون هذا الموقف الجديد للصليبيين الجدد (أي التركيز على العمل الخيري فقط) هو وليد الظروف الدولية المعاصرة وقيام غيرهم من الغربيين بحمل السلاح لإبادة المسلمين نيابة عنهم، فالمؤكد أنهم – باعترافهم – لا يتنكرون لتاريخهم الصليبي القديم الذي لا يزالون يفخرون به.

وبالتالي فخطر الفرسان الحالي ليس أقل خطرا من الماضي ويكفي أن نعرف أن منظمات الإغاثة الصليبية التبشيرية في مناطق ملتهبة مثل جنوب السودان كانت ولا تزال تشكل عنصر الدعم للمتمردين على الحكومات العربية، وهم الذين فصلوا (تيمور) عن اندونيسيا الإسلامية، والأخطر أن دورهم التبشيري لا ينفصل عن الدور الخيري، والأموال لا تُدفع بغير مقابل تبشيري.

هذا الكيان الذي بلا أرض على الخريطة رغم تعدد سفاراته على مستوى العالم والذي يدار بواسطة 6 مسئولين دينيين ويعاونهم 5 مساعدين بالإضافة إلى 47 جمعية وطنية موزعة على 5 قارات يقوم بإصدار جوازات السفر وهناك أيضا طوابع بريد لدولة فرسان مالطا التي تدر عليهم دخلا يستخدم في أنشطتها بالإضافة إلى تأسيس مؤسسات عامة مستقلة ويتمتعون بغطاءات

عدة منها العمل الخيري.. وتتمتع بالشخصية الاعتبارية ويحكمها رئيس يبقى مدى الحياة حتى وفاته وعملتها هي سكودو .

ويساعد مجلس يتألف من أربعة من كبار الضباط بالإضافة إلى ستة أعضاء ينتخبون جميعا كل 5 سنوات، لكن يظل صاحب السلطات الأوسع رغم الفصل بين السلطات والحرص على استقلال القضاء ويمنح لقب كاردينال من قبل الكنيسة الرومانية المقدسة.

ولفرسان مالطا جوازات سفر دبلوماسية.. ولهم تنظيم غاية في التعقيد في القيادة والاجتماعات الخاصة بهم تكون رسمية الى حد كبير فهم يشبهون أي دولة في الغالب وغاليا ما تكون اجتماعاتهم في قلاع مخصصة في رودس.. ولهم سفارات في أكثر من 50 دولة في العالم. .وكلمة سفارة تعنى (تمثيل دبلوماسي عال) أي أن العلاقات بين أي دولة معترف فيها في العالم ودولة - فرسان مالطا – تشبه الى حد كبير العلاقات الدبلوماسية بين دول العالم المختلفة.

كما أن مقرهم (قصر مالطا في روما) له بعض الامتيازات كدولة الفاتيكان، إذ إن لهم محاكمهم الخاصة ويقدر عدد أعضاء منظمة فرسان مالطا في مقر دولتهم بحوالي عشرة آلاف فارس وسيدة

وتتحكم المسيحية الأصولية في مبادئ عمل جميع الهيئات التابعة لفرسان مالطا حيث ينص النظام الداخلي لـ«البلاد» على احترام المبادئ المسيحية في الأعمال الخيرية والإنسانية التي تقوم بها مكاتب وزراء الصحة والشؤون الاجتماعية والعمل الإنساني.

ورغم ان "فرسان مالطا" ليست دولة، بل منظمة دولية تعود جذورها للقرن الحادي عشر، ثم بقايا دولة كانوا يحكمونها في مالطا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الا أنها كائنة ضمن قائمة البعثات الدبلوماسية، على موقع وزارات الخارجية لأغلب دول العالم ومنها لبعض وزارات الخارجية العرب ومنها وزارة الخارجية الأردنية حيث يحمل سفير "منظمة فرسان مالطا" في الأردن صفة "مستشار عسكري"، وهو أمر غريب بالنظر إلى أن "دولة الفرسان" كما تعرف نفسها، أو"مسلك مالطا العسكري المستقل"، تقدم نفسها رسمياً كجمعية خيرية تعمل في المجال الطبي وتبرر إصرارها على إقامة علاقات دبلوماسية بالدول بهذا الغرض، حيث يوجد لها مثلاً مستشفىً قديمٌ للولادة في مدينة بيت لحم.

حيث تسلم أمين عام وزارة الخارجية الأردني التلهوني أوراق اعتماد سفير "المستشارية العسكرية السامية لفرسان مالطا" من آخر فرسان مالطا الشيخ وليد الخازن ليكون معتمدا لدى وزارة الخارجية والتي ابتعثت سفيرا فوق العادة ومفوضا غير مقيم للأردن لدى تلك المستشارية التي تتخذ من عمارة في العاصمة الايطالية روما مقرا لها.

ويقول وليد الخازن اللبناني الأصل سفير "الفرسان" في الأردن "إن لـ«فرسان مالطا» دستورها الخاص، وجوازات سفر خاصة بها تصدرها لأعضائها، وطوابع، كما ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع 94 دولة.وأن هناك 16 دولة إسلامية وثماني دول عربية لها علاقات مع فرسان مالطا." ويذكر السفير الخازن أن "منظمته ذات سيادة وتعنى أساسا بالأمور الإستشفائية وبرعاية المعوزين ومقرها في روما وتعترف بها 96 دولة من دول العالم من بينها 16 دولة إسلامية وثماني دول عربية هي مصر ولبنان والسودان والصومال وإريتريا وموريتانيا إلى جانب الأردن". ويقول السفير الخازن "إن منظمته ذات سيادة لكنها فقدت سيادتها على يد نابليون بونابرت سنة 1798 قبل أن يطرد الإنجليز نابليون، لكن المنظمة لم تحصل على سيادتها حتى تدخل الفاتيكان ومنحها السيادة في روما بإعطائنا مقرا هناك"

أما علاقة فرسان مالطا بمصر فهي أقدم بكثير من مجرد تمثيل دبلوماسي بدأ عام 1980 فبناية السفارة التابعة لدولة فرسان مالطا مكتوب عليها بالفرنسية :

(Ambassade De L’ordre souveraine ET Militaire De Malte)

وبالإنجليزية

SOVEREIGN MILITARY ORDER OF MALTA

ومعناها بالعربية : (سفارة النظام العسكري ذو السيادة المستقلة لمالطا). أي "سفارة فرسان مالطا" وليست سفارة دولة مالطا بحسب ما صرح بها مسئول في السفارة نفسها وهي لا ترفع علمًا كبقية السفارات ولا يحرسها رجال الأمن.

والسفارة بدأت في القاهرة عام 1980 لدولة هي من بقايا الحروب الصليبية البائدة ومقرها داخل الفاتيكان، وأنها امتداد لما كان يسمى"فرسان الهوسبتاليين" الصليبيين، وأن نشاطها – الآن- أصبح يقتصر علي الأعمال الخيرية والتبرعات وأن هناك ثمان دول عربية تعترف بها وليس مصر وحدها والغريب أنه أصبح لهذا التنظيم أو منظمة "الفرسان" علاقات دبلوماسية مع خمسين دولة منها دول عربية ومسلمة كمصر والمغرب وتشاد،

ويذكر دليل البعثات الدبلوماسية الخاصة بوزارة الخارجية المصرية أن بعثة فرسان مالطا بالقاهرة مكونة من شخصين السفير ومستشار للسفارة، ولا يذكر الدليل شيئا عن وجود بعثة دبلوماسية مصرية لدى الفرسان، ولم يعرف كيف استطاع فرسان مالطا الحصول على حق التمثيل الدبلوماسي في دول عربية مثل مصر والمغرب وحتى تشاد الإفريقية، وعلى مستوى السفارة، وإن كان الأمر مفهوما في ظل وجود دول أخرى صغيرة لا تذكر مثل الفاتيكان التي تؤيد إسرائيل على طول الخط رغم أنها جزيرة صغيرة عدد سكانها بضعة آلاف.

ويبدو أن نشاطهم الخيري، والدعم الكبير لمزاولة عملهم الذي يتلقونه من الدول العظمى قد أعطى لهم هذا الاعتراف العالمي لوجودهم رغم ان القانون الدولي قد أتاح لمثل هذه الدول التي لا تتعدى مساحتها مساحة أحد الأبنية أو القصور التاريخية القديمة على حق التمثيل الدبلوماسي إذ أن التمثيل الدبلوماسي حق ـ من حيث الأصل ـ لأشخاص ـ سواء كانوا دولا أو منظمات دولية، بالإضافة إلى الفاتيكان (الكرسي الرسولي) الذي يتمتع بوضع خاص في مسألة التمثيل الدبلوماسي بخاصة في الدول الكاثوليكية."

وليس من المستبعد أن يكون ضغطاً أمريكياً قد أسهم بتحقيق الاعتراف الدبلوماسي بها، ضمن رؤية "صراع الحضارات" للمحافظين الجدد! إذ ان مثل هذه السفارات ستبقى ضمن إرثهم الذي يخلفونه في المنطقة على شكل "خلايا نائمة".

الا انه يجب الاعتراف بان نظام فرسان مالطا هو نظام تاريخي ظل يحتفظ بالصفة السيادية، حتى بعد انهيار النظام ذاته وخروج الفرسان من مالطا وفقدانهم لأي قاعدة إقليمية، وتحولهم إلى مجرد هيئة خيرية، ومع هذا الوضع احتفظ الفرسان بحق إرسال بعثات دبلوماسية من جانبهم، وعلى مستوى السفراء، وهم بذلك يمثلون استثناء فريدًا في مجال العلاقات الدبلوماسية والقواعد والأعراف المنظمة لها.

ويبدو أن الفضل في استمرار هذا الوضع يرجع إلى بعض الدول الأوروبية بالإضافة إلى الفاتيكان ـ حيث مقر الفرسان الآن ـ فقد أحاطوا الفرسان بالحماية بعد طردهم من مالطا، ومنحوهم بعض الامتيازات، ومنها حق التمثيل الدبلوماسي وذلك حفاظًا على "الرمز التاريخي" الذي يمثلونه، ودورهم البارز في العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الماضية إضافة الى "الدور الإنساني" الذي يقومون به في رعاية المرضى والإسهام في بناء المستشفيات وهو دور له أهميته.

بالإضافة إلى ذلك فان لهم إسهامات كثيرة على صعيد إقرار بعض بنود القانون الدولي فهم أسهموا في إرساء بعض قواعد القانون الدولي الخاص بالملاحة البحرية ـ بحكم طبيعة حياتهم في جزر البحر المتوسط ـ مثل قاعدة "حق اللجوء ضد الأخطار في البحر."وبشكل عام فإن استمرار وضع فرسان مالطا على النحو السابق، هو استمرار رمزي وتاريخي.

وتبدو المعلومات عن فرسان مالطا متناقضة لأول وهلة لكن معظمها قد يكون صحيحا، فهي منظمة تقوم بدور دولة، وهي أيضا دولة تحمل ملامح منظمة أو حركة، ولذا يمكن اعتبارها دولة ومنظمة في الوقت نفسه، كما أن لها ثلاثة أعلام رسمية لكل علم استخدامه ودلالاته، ولها تمثيل دبلوماسي في 96 دولة في العالم ولكن لا أرض لها ولا سكان بها تستدعي كل هذا التمثيل

الدبلوماسي فمحكوميها عبارة عن أعضاء ومتطوعين في أنشطة خيرية طبقا لما تعلنه دولة فرسان مالطا دائما. وأما الغموض فسببه أن مصادر المعلومات عن تلك الدولة تقتصر تقريبا على كتب التاريخ من دون التطرق للنظام الداخلي لهذا الكيان صاحب السيادة وعلاقاته بدول العالم المختلفة حاليا وكيفية إدارته. حيث تخضع دولة فرسان مالطا للقانون الدولي مثلها مثل الهيئات الدولية العادية، إلا أنها تزيد عنها بأنها تتمتع بسيادة، ومقرها في روما.

مما جعل البعض يعتقد أنه تمثيل على الشعب وتستر وراء أنشطة أخرى وليس تمثيلا دبلوماسيا بالمعنى الصحيح حيث تقوم سفارة فرسان مالطا في مصر بعدة أنشطة خيرية آخرها تجديد مستشفى علاج مرضى الجذام في محافظة القليوبية، وجاء ذلك من خلال راهبات إيطاليات قمن بحلقة الوصل بين إدارة المستشفى وسفارة فرسان مالطا لتوفير التمويل اللازم وهو ما تم بالفعل، ويقول الدكتور أحمد رشاد مدير المستشفى لـ«الشرق الأوسط» لا يهمنا ما يثار حول التمويل ومصادره فنحن لنا الظاهر وليس الباطن، كما أن البعثات التبشيرية المزعومة لا أساس لها من الصحة بدليل أن معظم العاملين وعددهم 80 من المسلمين وحتى المرضى، ولم نشهد واقعة تنصير واحدة أو تدخل في شؤوننا، وأضاف رشاد «هناك من نشر تقريرا عن المستشفى أصابنا بالصدمة وكرهتنا في الصحافة حيث كتب عن قصة حدثت مع المستشفى منذ 40 عاما.

وحول دور السفارة في تمويل المستشفى يقول رشاد «السفارة دورها التمويل وقد قامت بإنشاء محطة رفع مياه وشراء باص للعاملين، وقد طلبنا منهم 10 طلبات نفذوها كلها وهذا ما يهمنا».غير ان الحديث الدائر في الآونة الأخيرة حول فرسان مالطا تكتنفه الظنون والغموض فالظنون منبعها الأحاديث التي أثيرت حولها وخاصة عن دورها الكبير في العراق، الأمر الذي فتح باب الجدل أمام معلومات غامضة مثل علاقتها بأميركا وإسرائيل وما أثير عن أهدافها التبشيرية في العالم الإسلامي.

تعتمد دولة الفرسان الجديدة - كما ذكرنا سابقا - في دخلها على تلقى التبرعات بحجة إنشاء المستشفيات وعلى بيع الطوابع البريدية الخاصة بها، وتستفيد أيضا من الشهرة التي تجنيها من خلال توزيعها تبرعات كبيرة على المستشفيات وسيارات الإسعاف والأدوية على الدول المختلفة المحتاجة.

ولقد أضيف الى دخلها شيئا جديدا وهو القتال بالوكالة لتحقيق أهداف كثيرة منها التعزيز المالي لهيكلها إضافة الى تحقيق إيديولوجيتها التاريخية والتي قامت عليها أبان الحروب الصليبية وهنا برز العراق وحربه كأفضل ميدان لتحقيق الفوائد كلها.

حيث إن فرسان مالطا يعملون في العراق كقتلة مأجورين من خلال شركات أمنية مثل شركة (Black Water) بلاك وتر يو أس أي للخدمات الأمنية والتي تمتلك من العدة والعتاد مالا تملكه دول بأكملها. حيث يعمل بها أولئك الفرسان بعد إعطائهم المسحة التبريرية الصليبية لما يقومون به من أعمال تخريبية وقد جاءت معركة الفلوجة الثانية وإخضاعها في عام 2005 كأبرز مثال على ذلك حين اتفق معهم الجيش الأمريكي ليشكلوا ثاني قوة عسكرية بعد الجيش الأمريكي النظامي في العراق.

ورغم أنهم يرفعون العلم الأمريكي في حربهم هذه من خلال هذه الشركة وغيرها من التي أبرمت عقودا مع إدارة الاحتلال للقيام بمهام قتالية خطرة نيابة عن الجيش، فان من وراء كل ذلك نرى أجواء الحروب الصليبية تعود من جديد وابرز من ذلك ما صرح به ضابط أمريكي كبير لكاتب هذه السطور من إننا لم نأت للعراق لتحريركم من نظام صدام الذي دام حكمه ثلاث وعشرين سنة وانما جئنا لتحرير العراق من احتلال دام الف وأربعمائة عاما في إشارة إلى زمن دخول بلاد مابين النهرين الى الإسلام أثناء الفتوحات الإسلامية الكبرى.

وأن وجود قوات المرتزقة بالعراق ليس مجرد تعاقد أمني مع البنتاغون تقوم بمقتضاه هذه القوات بمهام قتالية نيابة عن الجيش الأمريكي فحسب، بل يسبقه اجتماع وتعاقد أيديولوجي مشترك بين الجانبين يجمع بينهما، فالإدارة الأمريكية الحالية والبنتاغون يحملون أفكار

الانجليكانية الأصولية وتقسيمهم العالم الى خير يمثلونه والى شر يجب القضاء عليه وهو عندهم هنا "الإسلام" وبين اعتقادات "دولة فرسان مالطا" الاعتبارية آخر الفلول الصليبية التي تهيمن على صناعة القرار في الولايات المتحدة والعالم. وابرز مثال على ذلك تلك الحقائق التي كشف عنها الصحفي الأمريكي جيرمي سكيل في كتابه عن شركة "بلاك ووتر" (Black Water) أكبر الشركات الأمنية المتعاقدة مع الإدارة الأمريكية في العراق، حيث أظهر تلك العلاقة "الدينية" التي تجمعهما. وقد أشار كذلك الكاتب الأمريكي جيريمي سيكل بان هناك ما يدل على علاقة وثيقة بين جماعة "فرسان مالطا" وشركة بلاك ووتر (Black Water) للمرتزقة التي توظف عشرات الآلاف من المقاتلين الايديلوجيين المرتزقة حول العالم لدعم قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، وقوات حلف الناتو في أفغانستان.

وعلى الرغم من أن وليد الخازن ينفي ذلك بشدة، ويقول أن "فرسان مالطا" لا يزودون شركة بلاك ووتر(Black Water)، وغيرها من شركات المرتزقة الدولية، بمقاتلين تحركهم حمية الأصولية المسيحية ليستخدموا في الأماكن الخطرة التي يتردد باقي المرتزقة في دخولها، الا مواقف هذه العناصر والتي استخدمت في معركة الفلوجة في العراق عام 2005، ومسؤوليتهم عن الكثير من الفظائع والانتهاكات التي جرت فيها والتي جرت من قبلها في سجن أبو غريب او التي بعدها طوال سنين الاحتلال وحتى اليوم خير دليل وشاهد حي لتلك الروابط والتحالفات الدولية والخاصة. ومن الواضح أن السجل التاريخي لهذه الجماعة على الأقل تدل بأنها: مارست العمل العسكري على مدى قرون وكانت قادرة على التحول الكامل من العمل الخيري إلى العمل العسكري وبالعكس حسب الظرف السياسي القائم. وأنها تمتعت بدعم واعتراف أوروبي للقيام بدورها في منطقة البحر المتوسط كموقع متقدم لمواجهة الدولة الإسلامية. وان هذه المنظمة تستبطن في داخلها آلية عقائدية وتنظيمية مسيحية أصولية للاستمرار عبر عشرة قرون. ويأتي تواجدها الحالي في السودان وتيمور الشرقية، بصفتها الخيرية، في سياق دعم الحركات الانفصالية هناك. ومنذ بداية الأمر في العراق والكل يعتقد ان ما يحدث في العراق اليوم فيه رائحة التاريخ منذ زمن.. ربما منذ أيام عسقلان والكرك وعكا والرها. ولم يكن حديث الاحتلال عن (الحروب الصليبية) حين وصف الحرب على العراق بأنها حرب صليبية زلة لسان كما أعلن عنها البيت الأبيض بعد ذلك وان أريد لهذا المصطلح ان يزج بهذا الشكل تحديدا لقول الحقيقة كمصطلح ليس ببعيد عن التصور المنطقي وهو بالتأكيد شيئا مختلفا عن باقي حروب أمريكا الداخلية والخارجية.... هذه الحرب مختلفة من حيث الوسائل والنتائج عن حرب الولايات المتحدة ضد هتلر والنازية والفاشية فى الحرب العالمية الثانية او في الحرب الباردة او في حرب كوريا او فيتنام او حرب أمريكيا الوسطى او الحروب الأخرى..

إنها حرب تمثل الكيان الأمريكي كعلاقة أمريكا بالحروب الصليبية متجسدة بارتباط كيان هذه الدولة بكل تاريخها وقوتها العظمى وبين دولة فرسان مالطا من خلال واجهتها الشكلية والإدارية شركة (Black Water) وغيرها.. آخر بقايا الحروب الصليبية.......

لقد شهد العالم تحولا جذريا في السياقات العسكرية التقليدية على يد الإدارات الأمريكية بعد قيامها بإشراك جيوش المرتزقة في غزواتها ومغامراتها. وصارت جيوش المرتزقة تعرف اليوم بـ (الشركات العسكرية الخاصة). أو(الشركات الأمنية). أو(شركات الحماية).

وعرف العالم لأول مرة اصطلاح (خصخصة الحروب والعمليات العسكرية). فظهرت إلى واجهة الأحداث العالمية مجاميع متخصصة في خوض المعارك الساخنة، ومعززة بكافة الأسلحة والمعدات الثقيلة وفوق الثقيلة. وبتشجيع البنتاغون، ومباركة دولة (فرسان مالطا). التي سارعت إلى منح عناصر المرتزقة جوازات سفر. تتيح لهم حرية التنقل عبر القارات..

ورصد المحللون انحرافا خطيرا في النهج السري القديم الذي سلكته دولة (فرسان مالطا)، ومحافل الحركة الماسونية. تمثل بالخروج العلني من دهاليز التعتيم والكتمان إلى فضاءات العمليات القتالية المفضوحة والسافرة. وجاءت تشكيلات جيوش المرتزقة منسجمة تماما

مع النوايا والتطلعات العسكرية العدوانية الهجومية للإدارة الأمريكية. ولم تعد أمريكا تكترث كثيرا بعدم كفاية أعداد الجنود والمحاربين. ولم تعد بحاجة إلى قوانين للتجنيد الإلزامي. كما أنها لم تعد بحاجة إلى التأييد الشعبي المحلي العام. ولم تعد بحاجة إلى دعم الدول الأخرى ومساندتها في خوض حروبها العدوانية. واستغنت نهائيا عن تشكيل التحالفات الدولية. بعد أن وجدت ضالتها في استخدام جيوش المرتزقة[٣]..

واستعانت أمريكا لأول مرة بالشركات العسكرية الخاصة، وعناصرها المعبئة بالشر. في بناء إستراتيجيتها العسكرية الهجومية الجديدة. وباتت شركات المرتزقة هي البديل المناسب لتجاوز كل العقبات التي قد تقف بوجه المخططات الأمريكية التوسعية غير المحدودة وفيما يلي ابرز نقاط التحول في السياقات التعبوية التقليدية :-

أصبحت قرارات الحروب الدولية من أيسر وابسط القرارات. خصوصا إذا كانت الدولة الغازية تمتلك ما يكفي من الأموال لتغطية نفقات جيوش المرتزقة. التي ستتكفل بجميع العمليات الحربية... حيث أصبحت الحروب والانقلابات العسكرية استثمارا تنفرد به شركات متخصصة بخوض الحروب على النطاق الدولي. وتمتلك من العتاد ما لا تمتلكه دول كثيرة مجتمعة.. ولم تعد الحروب الدولية مقتصرة على الدفاع عن الوطن. بل من اجل الاستحواذ على الثروات. وتحقيق المزيد من المكاسب المالية...وأصبح واضحا للشعوب أن هناك من يدير الأرض في الخفاء. ويتستر وراء مظاهر خادعة. ومشبعة بالحقد، والكراهية المنبعثة من رماد الحروب القديمة. فظهرت علينا جيوش قادمة من العصور الوسطى. تحمل في أجندتها أهدافا انتقامية سوداء. وتسعى إلى نشر الصهيونية - الصليبية في العالم وبالتالي فان خطر الفرسان الحالي ليس اقل خطرا من الماضي. ويكفي أن نعرف أن منظمات الإغاثة التبشيرية المرتبطة بدولة (فرسان مالطا)، والمرسلة إلى المناطق الملتهبة في جنوب السودان. كانت وما تزال عنصر الدعم للمتمردين على الحكومات العربية. وهم الذين فصلوا إقليم (تيمور) عن اندونيسيا الإسلامية. والأخطر أن دورهم التبشيري لا ينفصل عن الدور الطبي. والأموال لا تدفع بغير مقابل تبشيري. أو بغير غايات انتقامية..

ويعتقد المحللون أن هذه الأفكار الكاثوليكية المتطرفة تشكل خطرا كبيرا على الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية. مثلما هي خطرا على الأمة الإسلامية. فقد كانوا يقتلون أتباع الكنيسة الشرقية. ويخطفون أطفالهم ويعيدون تعميدهم على أسس كاثوليكية. ثم إن دولة (فرسان مالطا) متهمة بدور مشبوه. تحدث عنه إعلاميون وباحثون كبار. حيث أكد الصحفي الأمريكي (جيرمي سكاهيل) بأن معظم الجنود المرتزقة في العراق يحملون جنسية دولة (فرسان مالطا). مما اكسبهم مسحة تبريرية لا سابق لها وان قادة (منظمة بلاك ووتر). وعلى رأسهم الجنرال المتقاعد (جوزيف شميتز). يتبجحون كثيرا بعضويتهم في مسلك فرسان مالطا العسكري السيادي. التي كان وما يزال هدفها المعلن هو إعادة بناء هيكل سليمان في القدس. وفي مكان المسجد الأقصى..

---

[٣] وهذا ما ورد في نصوص الإستراتيجية الأمريكية الجديدة المنشورة من توسيع التحالفات والتنسيق عند استخدام القوات العسكرية الأمريكية

مؤسسة شركة بلاك ووتر المتورطة في جرائم القتل في العراق

أثارت شهادة موظف سابق في شركة بلاك ووتر، والذي كان يعمل في مشاة البحرية الأمريكية وهو يعمل اليوم مستشارا أمنيا في شركة بلاك ووتر سلسلة من ردود الأفعال المتفجرة خلال تقديم شهادته من خلال البيانات وتحت اليمين والمقدمة في 3 آب أمام المحكمة الاتحادية في ولاية فرجينيا.

فقد ادعى الرجل بأن صاحب شركة بلاك ووتر، إريك برنس، قد يكون قد تورط بقتل أو سهل اغتيال الأفراد الذين كانوا يتعاونون مع السلطات الفيدرالية بالتحقيق حول هذه الشركة. كما ادعى هذا الموظف السابق أن اريك برنس "يعتبر نفسه مسيحيا ويحمل مهمة صليبية تنحصر بالقضاء على المسلمين والدين الإسلامي من العالم"، وان شركات اريك برنس "تشجع وتكافئ تدمير الحياة العراقية" من خلال الأسلحة المهربة إلى العراق ورغم ذلك فان الولايات المتحدة لا تزال تدفع الملايين إلى بلاك ووتر أو ما أصبحت اليوم تدعى بشركة زي " Xe " فعلى الرغم من إعلان وزارة الخارجية عن إلغاء عقود بلاك ووتر في العراق، غير أن إدارة الاحتلال ستدفع إلى الشركة أكثر من 174 مليون دولار مقابل الخدمات الأمنية في العراق وأفغانستان.

شركة بلاك ووتر التي تجمع أعمالها بين تجارة السلاح غير الشرعي، والذخائر والمتفجرات واحتمال استخدامها من قبل عناصر بلاك ووتر في قتل المدنيين من الناحية العملية، كصورة عن الجيش المقاول الذي يحصل على ألأكثر قتامة لأعماله يوما بعد يوم. وسوف يواجه مؤسس شركة بلاك ووتر؟ اتهامات لبلاك ووتر من خلال هذه الشهادات، تهما بتهريب أسلحة إلى العراق. حيث قام اريك برنس من خلال عمليات النقل "غير القانونية" أو"غير المشروعة" للأسلحة إلى العراق ومن العراق من خلال الطائرات الخاصة. كما قام اريك برنس المسؤول عن شركة بلاك ووتر وغيره من المسؤولين التنفيذيين بتدمير أشرطة الفيديو التي تجرمهم ومحوا الرسائل الإلكترونية وغيرها من الوثائق وخدعوا عمدا وزارة الخارجية وغيرها من الوكالات الفيدرالية. هذه الادعاءات، وسلسلة من تهم أخرى، ترد في إفادات خطية تحت القسم، ونظرا للعقوبة الحنث باليمين، فقد قدمت في وقت متأخر من الليل يوم 3 آب في شرق ولاية فرجينيا، كجزء من بضع وسبعين صفحة وطلب من المحامين بمقاضاة شركة بلاك ووتر لقتلها المدنيين العراقيين تحت مزاعم بارتكاب جرائم حرب وغيرها من سوء السلوك.

سوزان بيرك، وهي محامية تعمل في القطاع الخاص بالتعاون مع مركز الحقوق الدستورية، أقامت دعوى قضائية ضد شركة بلاك ووتر في خمس قضايا مدنية رفعتها في واشنطن العاصمة. وقد تم مؤخرا تحديد جلسة استماع من قبل القاضي T.S. أليس الثالث في لشرق ولاية فرجينيا وتقديم الالتماسات التمهيدية.

وقد أجابت بلاك ووتر أو Xe في 3 آب ردا على هذه الادعاءات برفض القضية. حيث أن بلاك ووتر ورئيسها اريك برنس والشركة أبرياء من ارتكاب أي خطأ وأنهم كانوا يؤدون واجباتهم المهنية نيابة عن صاحب العمل، وزارة الخارجية الأمريكية.

الموظف السابق، والمحدد في وثائق المحكمة بأنه "جون دو# 2"، وهو عضو سابق في فريق إدارة شركة بلاك ووتر، ووفقا لمصدر مقرب من القضية. فان جون دو# 2 ادعى تحت اليمين أن هذا الإعلان، مبني على أساس المعلومات المقدمة إليه من زملائه السابقين، "والتي يبدو فيها ان اريك برنس وموظفيه قتلوا أكثر من واحد من الأشخاص الذين قدموا معلومات، أو الذين يخططون لتقديم معلومات إلى السلطات الاتحادية إزاء استمرار السلوك الإجرامي.

وان" جون دو#2 يقول انه يعمل في شركة بلاك ووتر لمدة أربع سنوات؛ وأخفى هويته في اليمين في هذا الإعلان لأنه "يخشى القتل ضده انتقاما لتقديم هذا الإعلان". ويدعي أيضا "في عدة مناسبات هدده اريك برنس شخصيا بالقتل.

وفي إفادة مستقلة، قدم السابق لمشاة البحرية، والذي كان يعمل لحساب شركة بلاك ووتر في العراق ادعى أن لديه "معلومات عن بلاك ووتر أوXe حول الزملاء السابقين من الأشخاص الذين قدموا معلومات، أو الذين يخططون لتوفير المعلومات عن اريك برنس واريك وبلاك ووتر قد قتلوا في ظروف مشبوهة ".

" اريك برنس يخشى، من أن السلطات الاتحادية قد تكشف على أفعال إجرامية مختلفة" بحسب ما ادعاه جون دو# 2. " ففي أكثر من مناسبة، قام اريك برنس والوفد المرافق له من كبار مديريه بإعطاء ألأوامر بتدمير البريد الالكتروني وغيرها من الوثائق التي تجرمه وقد تم تمزيق وتدمير العديد من أشرطة الفيديو والوثائق ورسائل البريد الإلكتروني".

كذلك ورد في الإعلان الذي قدمه جون دو# 2 انه قدم المعلومات الواردة في بيانه إلى " هيئة المحلفين في الدعوى التي عقدتها وزارة العدل بالولايات المتحدة والنيابة العامة الفدرالية والتي تعقدها هيئة محلفين كبرى في جريمة ساحة النسور في بغداد في 16 أيلول 2007، وإطلاق النار والتي أسفرت عن مقتل سبعة عشر عراقيا. وينتظر خمسة من موظفي شركة بلاك ووتر انتظار المحاكمة بتهمة القتل غير العمد في حين اعترف جيريمي جوي، بالفعل بأنه مذنب بتهمة القتل غير العمد ومحاولة ارتكاب القتل الخطأ وانه يتعاون ألان مع الادعاء. ومن غير الواضح ما إذا كان اريك برنس والوفد المرافق له يعمل لشبكة من الشركات تعمل الآن تحت راية Xe للخدمات المحدودة. ومن بين تلك الأهداف التي يعمل على تحقيقها والتي يرى نفسه ومجنديه في تلك الشبكة باعتبارهم مسيحيون ذووا أهداف صليبية عليهم مهمة القضاء على المسلمين والدين الإسلامي من العالم".

وتحقيقا لهذه الغاية، عمد اريك برنس إلى نشر بعض الرجال في العراق من الذين لهم رؤيته المشتركة في التفوق للمسيحية، والرغبة في معرفة هؤلاء الرجال في اتخاذ كل الفرص المتاحة لقتل العراقيين. وقد استخدم العديد من هؤلاء الرجال إشارات النداء على أساس أنهم من فرسان الهيكل، وأنهم سليلوا المحاربين الذين قاتلوا في الحروب الصليبية.

وتعمل شركات اريك برنس على نحو تشجيع ومكافأة تدمير الحياة العراقية. فعلى سبيل المثال، تحدث اريك برنس إلى جنوده التنفيذيين علانية عن الذهاب إلى العراق "هو لوضع الحجاج العرب بالتوابيت". وان الذهاب إلى العراق هو لإطلاق الرصاص وقتل العراقيين وكان ينظر إليها على أنها لعبة أو رياضة. واستخدم اريك برنس وموظفيه علنا وباستمرار مصطلحات مهينة وعنصرية بالنسبة للعراقيين وغيرهم من العرب.

ومن بين الادعاءات الإضافية هي أن "بلاك ووتر قامت بتهريب الأسلحة من وإلى العراق." وذكر الشاهد أنه شهد شخصيا الأسلحة التي "هربت" بعد ان جرى تغليفها في أكياس الطعام. وادعى أن "اريك برنس والعاملين في الشركة قاموا بتهريب الأسلحة من العراق على متن الطائرات الخاصة التي تعود للسيد اريك برنس والتي تعمل تحت اسم شركة الخطوط الجوية الرئاسية"، مضيفا أن اريك برنس قد حقق "عوائد كبيرة من المشاركة في تجارة هذه الأسلحة غير المشروعة".

وقد قامت مختلف الشركات التابعة إلى [اريك برنس] بشراء وتوزيع ألأنواع المختلفة من تلك الأسلحة، بما فيها الأسلحة غير المشروعة مثل البنادق شبه آلية والرشاشات مع كواتم الصوت، من خلال قنوات التوزيع الغير مشروعة". لذلك فان بلاك ووتر "لم تقم بالالتزام بشروط العقد مع وزارة الخارجية ولكنها خدعت وزارة الدفاع الأمريكية" وفقا لما ذكره الشاهد. مع أن هذه ليست المرة الأولى التي ظهرت ادعاءات بأن بلاك ووتر أو Xe تستخدم أكياس الطعام للكلاب لتهريب الأسلحة إلى العراق. فقد ذكرت شبكة ايه بي سي نيوز في تشرين الثاني

2008 ان "هيئة محلفين اتحادية في ولاية كارولينا الشمالية تحقق في الادعاءات المثيرة للجدل لشركة ألأمن الخاصة بلاك ووتر أو Xe بأنها شحنت بطريقة غير مشروعة أسلحة هجومية وكواتم الصوت للعراق، كانت مخبأة في أكياس الطعام للكلاب. ويضيف الشاهد أن "اريك برنس تجاهل النصائح والمناشدات من بعض الموظفين، الذين سعوا لزوم وقف قتل العراقيين الأبرياء". وانه رفض إعادة بعض الرجال إلى الولايات المتحدة من الذين يقومون بقتل العراقيين الأبرياء "فضلا عن المعروفين" بالإفراط في شرب الكحول "و" استخدام الستيرويد ".

وكما يقول الشاهد أن اريك برنس "تجاهل مرارا التقييم الذي قام به المهنيون العاملين في مجال الصحة العقلية، وبدلا من ذلك قام بإنهاء عقود هؤلاء المهنيين العاملين في مجال الصحة العقلية والذين لم يكونوا على استعداد لتأييد نشر تقارير كاذبة عن الصحة العقلية لجنود بلاك ووتر. وقد أخفى اريك برنس عن وزارة الخارجية حقيقة صحة هؤلاء الرجال على الرغم من اعتراضات المهنيين العاملين في مجال الصحة العقلية والأمن الدوليين المتخصصين في هذا المجال".

ونصت الشهادة على أن "بلاك ووتر كانت على علم بأن بعض أفرادها، وأفرطوا في استخدام القوة القاتلة التي لا مبرر لها، وفي بعض الحالات استخدموا أسلحة غير مرخص بها، لإحداث إصابات خطيرة أو قتل المدنيين العراقيين الأبرياء عمدا". ويخلص إلى "بلاك ووتر لم تفعل شيئا لوقف هذا سوء السلوك".

وتتوسع الشهادة بشأن قضية الأسلحة غير التقليدية، والتي تزعم بان اريك برنس "أتاح لموظفيه باستخدام مختلف ألأسلحة في العراق دون أي إذن من السلطات المتعاقدة في الولايات المتحدة الأمريكية، مثل القنابل اليدوية وقاذفات قنابل يدوية. وقام موظفو اريك برنس مرارا باستخدام هذه الأسلحة غير القانونية في العراق، بلا داعي لها مما أدى إلى مقتل عشرات العراقيين الأبرياء". فعلى وجه التحديد، ادعت الشهادة بان اريك برنس حصل على هذه "الذخائر غير المشروعة من شركة أمريكية تسمى Le Mas وهذه الشركة باعت الذخائر المصممة لتنفجر بعد اختراق داخل الجسم البشري. وقد أمر اريك برنس موظفيه مرارا باستخدام هذه الذخيرة غير الشرعية في العراق لإلحاق أكبر الضرر بالعراقيين".

إن شركة بلاك ووتر أوXe قد مرت بعمليات معقدة من هيكلية البناء في اثنتي عشرة سنة كانت عليها في قطاع الأعمال، وتغيير اسمها وشعارها عدة مرات. كما أنشأ اريك برنس أكثر من عشر شركات تابعة لها، وبعضها في الخارج والتي سجلت بعمليات محاطة بالسرية. ووفقا للشهادة فقد أنشأ اريك برنس هذه الشركات على شكل شبكات عالمية من أجل طمس الأخطاء والغش وغيرها من الجرائم".فعلى سبيل المثال، نقل اريك برنس أموال من شركة (بلاك ووتر) وأخرى من شركة (Greystone) كلما كان ذلك ضروريا لتجنب كشفها وغسل الأموال والتهرب من دفع الضرائب. وأضافت الشهادة " بان اريك برنس استخدم أسهم ماله الخاص لتمويل عمليات الشركات كلما رأى ذلك ضروريا للتمويل وبالمثل اتخذ اريك برنس الأموال من الشركات والأموال التي وضعت في حسابات شخصية كما يشاء". وقد اطلع على مضمون هذه الادعاءات عضو الكونجرس دينيس كوسينيتش وقد أجاب : "إذا ثبتت صحة هذه الادعاءات، فان بلاك ووتر ستحاسب على سجلها الإجرامي بالنصب على دافعي الضرائب، وسفك دماء المدنيين الأبرياء". غير أن كوسينيتش ولجنة المراقبة والإصلاح الحكومي تحقق مع اريك برنس وبلاك ووتر منذ عام 2004. "والحقيقة أن شركة بلاك ووتر تشكل قانونا في حد ذاتها، وعلى الصعيدين الدولي والمحلي. والسؤال هو لماذا تعمل من دون عقاب. بالإضافة إلى بلاك ووتر، فإننا ينبغي أن نقوم باستجواب أسيادهم في الإدارة السابقة والذين كانوا يعملون على تمويل هذه المنظمة. إن بلاك ووتر أو Xe سترفع عنها الرعاية الفيدرالية بسبب هذه الادعاءات وينبغي إجراء تحقيقات شاملة بعد جلسة استماع أمام القاضي ايليس في القضايا المدنية ضد بلاك ووتر والتي من المقرر أنها جرت في 7 آب 2009.

هيلاري كلينتون، التي رفضت عن بيان موقفها من قوات الأمن الخاصة، أعلنت أنها الآن مشاركة في رعاية تشريع "حظر استخدام بلاك ووتر وغيرها من شركات المرتزقة الخاصة في العراق"، قائلة "أن الوقت حان لإظهار موقفنا من إغلاق الباب أمام هؤلاء المقاولين بسبب الماضي". وهذا يجعل كلينتون أهم شخصية سياسية في الولايات المتحدة حتى الآن قادرة لإصدار مثل هذه الدعوة. غير أن الولايات المتحدة لا تزال تدفع الملايين لبلاك ووتر أوXe على الرغم من إعلان وزارة الخارجية إلغاء عقود بلاك ووتر في العراق، حيث أن إدارة الاحتلال ستدفع إلى الشركة أكثر من 174 مليون دولار لقاء الخدمات الأمنية في العراق وأفغانستان.الولايات المتحدة لا تزال تدفع الملايين لبلاك ووتر أوXe ولمؤسس شركة بلاك ووتر اريك برنس المتورط في جرائم القتل والتي أدلى تحت القسم ورفع صوته في المحكمة الفيدرالية بأنه يزعم أنه وشركة بلاك ووتر يشنان "حربا صليبية" للقضاء على المسلمين والإسلام.وتنص الخطة التي وضعها الاحتلال بشكل أوسع في العراق على سحب بعض القوات الأمريكية وبالبقاء في العراق. ولكن من الواضح أن الاحتلال سيبقي ما يسميه "بالقوة المتابعة" وسوف تشمل تشكيل قوة أمنية فعالة لحماية الجنود الأمريكيين في العراق، وستمنح الولايات المتحدة المدربين للقوات العراقية والوحدات العسكرية "الضرب القاعدة" وكلها مساحات واسعة للاحتلال إلى جانب الاعتماد على مجموعة من التدابير الأمنية الأخرى كالتعاقد أمنيا مع القوات الغير مسؤولة أمام القانون في الولايات المتحدة. ولكن هنا تكمن المشكلة. سفارة الولايات المتحدة في العراق، من المقرر أن تصبح أكبر سفارة في تاريخ العالم. وإذا كان الاحتلال قد قرر أن السفارة وجيشها من الدبلوماسيين والعاملين من الولايات المتحدة يسيرون في داخل وخارج المنطقة الخضراء، فسيكون بحاجة إلى قوة مسلحة كبيرة هناك للحماية. والقوة التي تلعب هذا الدور حاليا وتتألف بصورة شبه حصرية من المتعاقدين من شركة بلاك ووتر، وشركة دين كورب. وفي الوقت الحاضر،وهؤلاء المتعاقدين غير خاضعين للمساءلة بموجب القانون.

الاحتلال ومجموعة من الخبراء القانونيين، بما في ذلك وزارة العدل، اعترفوا بأنه قد لا يكون هناك قانون أمريكي حاليا يمكن أن يستخدم لمقاضاة المتعاقدين ألأمنيين عن الجرائم التي ارتكبت في العراق، مثل قتل سبعة عشر مدنيا عراقيا في أيلول 2007 في بغداد. اقترح الاحتلال زيادة في التمويل لجهاز الأمن الدبلوماسي في الظاهر من شأنه أن يمهد الطريق لقوة حماية مؤلفة بكاملها من الأفراد التابعين إلى الحكومة الأمريكية، ولكن عملية بناء القوة التي من المحتمل أن يستغرق وقتا طويلا. وهو أقل من الحد بشكل كبير أمام الدبلوماسية المدنية الأمريكية في العراق التي تستلزم مثل هذه القوة الأمنية، قد لا يكون أمام الاحتلال خيار سوى الاستمرار في ترتيبات التعاقد مع شركات مثل بلاك ووتر.

والمفارقة هي أنه حينما كان السناتور الاحتلال هو الذي رعى مشروع قانون في شباط 2007 لتحديد الهيكل القانوني لمقاضاة وزارة الخارجية المتعاقدة مع شركات الأمن الخاصة بالنسبة إلى الجرائم في محاكم الولايات المتحدة.

في العراق الآن، هناك عدد من المتعاقدين من القطاع الخاص بشكل أساسي يساوي عدد القوات الأمريكية. بينما المستشارين الاحتلال يقولون أنهم يعتزمون "النظر بجدية" في دور المقاولين في العراق، وإلى أن العزل للمتعاقدين من مواصلة العمل على مستويات كبيرة. والسؤال المهم هو، وإذا كنت تأخذ 100000 من المقاولين من العراق، فماذا سيحل محلهم؟ الجواب هو لا محالة، الاستعاضة عنهم بالجيش الأمريكي.

وزارة الخارجية الأمريكية لها ما يقدر ب 1450 من رجال الأمن الدبلوماسيين في جميع أنحاء العالم والذين هم من موظفي الحكومة، وهناك سوى ستة وثلاثين فقط ينتشرون في العراق.

وفي المقابل، هناك ما يقرب من 1000 من شركة بلاك ووتر أوXe في العراق وحده، ناهيك عن مئات آخرين يعملون لحساب شركة دين كورب.
جعل الأمن الدبلوماسي عملية عسكرية من شأنه أن يشكل تحديات خطيرة أيضا. كما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز في نهاية العام الماضي، "فالجيش ليس لديه موظفين ومدربين لتولي المهمة". وحتى لو كانت هناك قوة عسكرية ومدربة ومتخصصة في القوة التنفيذية لتوفير الحماية في العراق، فهذا الترتيب يعني المزيد من القوافل العسكرية الأمريكية المسافرة داخل العراق، ويمكن أن يضعهم في الصراع المميت مع المدنيين العراقيين على أساس منتظم.
الأمن الخاص أصبح جزءا أساسيا من سياسة الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان. وإخراج الشركات من هذا الموقف يحتاج إلى تعديل كبير مع التعهد بدعم كبير في الكونغرس، ويبدو أن شركة بلاك ووتر ترى الجانب المشرق من احتمال سحب القوات الأمريكية في العراق أو تخفيضها.
وهذا ما يدعو على الاعتقاد بأن الاحتلال سوف يخلق فرصا جديدة لبلاك ووتر أو Xe بعد سحب قواته من العراق.
وبأوضح طريقة تمكنه من القيام بذلك من شأنه أن تقر تشريعات تحظر استخدام المرتزقة بلاك ووتر وغيرها من الشركات في العراق. وبذلك يبقى العراق وبلدان أخرى غير خاضعة للمساءلة تماما لقانون الولايات المتحدة، وغير مسؤولة تماما للقانون في البلد الذي يعملون فيه". الآن، بلاك ووتر ("Xe") هي في محاولة لاستخدام وسائل أخرى لإسكات ضحاياها. في يوم 20 تموز، مثل الشركة تسعا وثمانين من المحامين ولها 100 شركة وحصة في خمسة وثلاثين من أكبر البنوك الأمريكية الخمسين، وطلبت من المحكمة الجزائية الأمريكية لمنطقة شرق فرجينيا بفرض أمر تقييد على المدنيين العراقيين والذين يقاضون الشركة.
والاقتراح كما يبدو يهدف إلى إسكات المحامين الذين يمثلون العائلات العراقية الذين قتلوا أو جرحوا من قبل شركة بلاك ووتر في سلسلة من حوادث العنف على مدى عدة سنوات. وهناك أربع حالات في واشنطن العاصمة، وكانت في الآونة الأخيرة أمام القاضي الموحد أليس الثالث شرق ولاية فرجينيا لغرض الالتماسات التمهيدية بعد حل المسائل الأولية، وكل حالة من المقرر أن يحاكم على حدة. وردا على سؤال حول هذه التصريحات المحددة، فإن الفريق القانوني لبلاك ووتر يقول "لا يوجد حق دستوري لاستمالة المحلفين المحتملين عن طريق البيانات الصحفية، والمقابلات الإعلامية، وخارج نطاق القانون وغيرها من البيانات. وان المحاكمات القانونية، والمحكمة العليا لليستا مثل الانتخابات، تفوز من خلال استخدام والراديو والصحف ". يقول السيد بورك شريك في الدعوى، ومن مركز الحقوق الدستورية، انه سيواصل القتال ضد بلاك ووتر بشدة في محاولتها لإسكات المحامين والعملاء العراقيين. إن "بلاك ووتر على الدوام تنفق ملايين الدولارات على الدعوات العامة والعلاقات العامة في محاولة لتعزيز موقفها، وهذا ما قاموا به من قبل".
ويقول بيل كيغلي مدير مركز الحقوق الدستورية والقانونية. "هذه محاولة مكشوفة لهفوة التعديل الأول لحقوق الأفراد العراقيين وأسرهم، ومحاميهم والجمهور بوجه عام، ودفن هذه الادعاءات الواقعية في ظل الصمت وهي ليست جديدة على شركة بلاك ووتر". القاضي أليس قرر عقد جلسة استماع عامة حول بلاك ووتر أوXe حول أمر تقييد الطلب في 7 أغسطس. وستعقد في شرق ولاية فرجينيا. ومن المحتمل أن بلاك ووتر أوXe يمكن أن تطلب من وزارة الخارجية التدخل لصالح الشركة لدعم ختم الوثائق بلاك ووتر أو Xe كما فعلت في الماضي مع وزارة الدفاع".
كي بي آر هاليبرتون والتي كان ديك تشيني رئيس مجلس الإدارة التنفيذي فيها في الفترة من 1995 إلى 2000، والتي كانت أكبر المستفيدين من شركات الولايات المتحدة في الحرب على العراق وأفغانستان. وأنها لا تزال تعمل على الصعيد العالمي على عقود الحكومة الأمريكية

دفعت إعانة 83 مليون دولار كعلاوات للعمل بالكهرباء للجنود الأمريكيين، والموظفين السابقين في شركة بلاك ووتر هذا ما ابلغه اريك برنس إلى الكونغرس حين قال " لا يمكننا تحديد القيمة لحياة هؤلاء الناس الذين يعملون هناك في العراق" وعندما سئل كيف يمكن لشركته أن تقرر مقدار ما يستحق العراقي من الحياة. أجاب "هذا النوع من الحياة في العراق على صعيد السياسة لا يمكن أن يجعل ذلك شيئا واحدا".

والحقيقة أن وزارة الدفاع دفعت إلى الشركة الفرعية كي بي آر أكثر من 80 مليون دولار في صورة مكافآت لعقود تركيب الأسلاك الكهربائية في العراق بموجب عقود LOGCAP. وبعد ذلك فان هذا العمل تسبب في وفاة الجنود الأمريكيين، فوفقا لما ذكرته وثائق وزارة الدفاع التي كشفت عنها في جلسة استماع في مجلس الشيوخ. فان أكثر من 30 مليون دولار دفعت كعلاوات بعد وفاة الرقيب ريان 24 عاما من القبعات الخضر، والذي كان مات أثناء الاستحمام في قاعدة أمريكية في كانون الثاني 2008.بعد أن صعق بالكهرباء نتيجة الأسس غير السليمة لمضخة المياه، وقد تم توجيه التهمة من قبل شعبة التحقيقات الجنائية في الجيش إلى اريك برنس بوصفها "تهمة القتل غير العمد" لوفاة ريان.

الآن، بلاك ووتر ("Xe") هي في محاولة لاستخدام وسائل أخرى لإسكات ضحاياها. في يوم 20 يوليو، ووفقا لالتماس إلى المحكمة، تطالب بلاك ووتر أو Xe القاضي ايليس لإغلاق دليل على أن شركة بلاك ووتر لا يمكن أن تنشر المطالبات السرية أو التي يمكن أن تؤثر على الأمن القومي. وتقول الشركة أن عقودها مع وزارة الخارجية و" الإجراءات التشغيلية التكتيكية الموحدة" هي دليل لا يمكن أن يكشف على الملأ إذ أنه "يمكن أن تقدم معلومات قيمة لأولئك الذين يرغبون في التخطيط لهجمات ضد الموظفين الدبلوماسيين ألأكثر فعالية في العراق". وبذلك فهم يحاولون التأكد من أنه لا يمكن أن يطلع الرأي العام على سير الدعوى". ولقد أصبحت ممارسة شائعة في العراق خلال الاحتلال أن وزارة الخارجية الأمريكية تعمل مع الشركات الأمنية الخاصة مثل بلاك ووتر للمساعدة في تسهيل منح للتكتم على ما وصلت الأموال للمتعاقدين أمنيا. من المثير للاهتمام أيضا أن تظهر في خط التماس لبلاك ووتر أوXe ان الشركة الآن تفضل أن تسمى من قبل واحدة من المجموعات التي أنشئت مؤخرا كشركات بديلة " بمركز التدريب في الولايات المتحدة ". وهذا من شأنه أن تجعلها بديلا عن مسمى المرتزقة.

ضباع الحرب...... فهم الصناعة العسكرية الخاصة

الفضائح الأخيرة في العراق التي نشرت على نحو متفجر الاتجاه والذي هو نمو قطاع المقاولين العسكريين. فهذه الشركات تسمح للحكومات بتحقيق الغايات والسياسات العامة لتلك الحكومات من خلال الشركات الخاصة، ودون الكثير من وسائل الرقابة. وان هذه الخصخصة يمكن أن تعود بالفائدة على الجميع، إذا اتبعت في الطريق الصحيح.

حكايات الحرب، والربح والشرف والطمع التي تنبثق من الصناعة العسكرية الخاصة في كثير من الأحيان تقرأ كسيناريو يتراوح بين العمل والقتال فقصص استئجار البنادق مقابل مكافحة (المتمردين) في العراق مثلا على حساب خاص للقوة العسكرية الأمريكية ليست الوحيدة او استثناءا، فهناك حالات مشابهة ففي كولومبيا، تخلى أصحاب الشركات في الولايات المتحدة عن حلفائهم فيها. وفضيحة إيجار أفريقيين في انقلاب شارك ابن البريطاني سابق فيها، وتكرار اتهامات استغلال الحرب وصلت الى أروقة البيت الأبيض نفسه.

تصدق هذه الحكايات غالبا، وخاصة في الصناعات العسكرية وهي ليست خيالا. فالشركات الخاصة أصبحت فاعلة ومهمة في الصراعات حول العالم، ولا يقتصر دورها اليوم بمجرد توفير السلع والخدمات للجيوش بل أيضا دخلت الحرب بعملياتها القتالية. ورغم إن هذه

الشركات امتازت بتغطيه إعلامية حديثة وسلطت عليها الأضواء بسبب حوادث كحوادث أبو غريب وزيمبابوي إلا أن الرأي العام غير معتاد على سماع أو تسليط الضوء على هذه القوة الجديدة في الحرب، فالشركات العسكرية الخاصة يظل عملها رغم كل شيء محدودا - وغالبا غير معترف به – وتبقى قصصها رغم كل شيء لغز، أو أسطورة، أو متعلقة بنظرية المؤامرة المحيطة بها، تاركة صانعي السياسات والرأي العام في مواقف خطرة يغلب عليها الجهل.

وهنالك العديد من الأسئلة التي لا تزال دون إجابة، منها ما هي هذه الصناعة ومن أين أتت؟ وما هو دورها في داخل الولايات المتحدة وهل دورها اكبر من المعلن في المشاريع الحالية في الخارج، والعراق؟ ما هي الآثار الأوسع نطاقا لهذا الدور؟ وكيف ينبغي أن تستجيب السياسات الخارجية؟ وهل يمكن أن يكون هنالك فهم أفضل لهذه الصناعة المزدهرة عن طريق تطوير نطاق عملها حتى تستطيع الحكومات على الحصول على عقد جديد يتيح لها قوة كبيرة في السياسة الخارجية.ولكن إذا فشلت، هذه العقود مع الشركات فسيكون لها آثار كبيرة على السياسة وعلى الديمقراطية التي يمكن لها ان تكون بالغة التدمير عليها.

إن القطاع الخاص والمصلحة العامة هي من الأعمال التي تقدمها الحكومات على الخدمات الفنية التي ترتبط بالحرب؛ أو ما يمثلونها، وبعبارة أخرى، أصبح للحكومات الديمقراطية الغربية واجبا آخر تجاه هذه الشركات فأصبحت ملتزمة بتطور هذه الشركات الضخمة لمهنة المرتزقة. والتي كانت تعرف في السابق (بكلاب الحرب) والمساعدة لتقديم مجموعة واسعة من الخدمات، من العمليات القتالية والتكتيكية والتخطيط الاستراتيجي إلى الدعم اللوجستي والمساعدة التقنية.

لقد ظهرت في بداية التسعينات الصناعة العسكرية الخاصة الحديثة، مدفوعة بثلاث ديناميكيات: نهاية الحرب الباردة، والتحولات في طبيعة الحرب التي تطمس الخطوط بين الجنود والمدنيين، والاتجاه العام نحو الخصخصة والتعاقد الخارجي لمهام الحكومة في جميع أنحاء العالم. وهذه القوى الثلاث تغذي بعضها بعضا. فعند انتهاء المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تقلصت الجيوش المحترفة في جميع أنحاء العالم. وفي الوقت نفسه، فإن عدم الاستقرار العالمي المتزايد خلق طلبا على المزيد من القوات. فالحروب في العالم النامي أيضا أصبحت أكثر فوضوية وأقل مهنية وأشرك فيها أمراء الحرب الجنود الأطفال، في حين أن الدول الغربية أصبحت أكثر تحجما عن التدخل. وفي الأثناء تقدم نمو الجيوش بشكل متزايد اعتمادا على الجاهزية التجارية والتكنولوجيا، والتي غالبا ما كانت تعهد صيانتها وتشغيلها إلى الشركات الخاصة.

وأخيرا، فان حكومات كثيرة استسلمت لايدولوجية الاتجاه نحو خصخصة الكثير من وظائفهم؛ كانت من مسؤوليات الدولة في السابق بما في ذلك التعليم والشرطة وإدارة السجون التي سلمت إلى السوق. لذلك فان شركات الحماية الخاصة والتي نشأت كنتيجة – وان ليس كلها- جاءت على حد سواء، مع توفير جميع الخدمات نفسها وبالضبط التي كانت الحكومات تقوم بها.

وانقسمت هذه الصناعة إلى ثلاثة قطاعات أساسية: خدمات الشركات العسكرية (المعروفة أيضا باسم "بشركات الأمن الخاصة")، والتي تقدم مساعدات عسكرية تكتيكية، بما في ذلك القتال وتقديم تلك الخدمات للعملاء؛ والشركات الاستشارية العسكرية، والتي تستخدم الضباط المتقاعدين لتقديم المشورة والإستراتيجية والتدريب العسكري؛ والدعم العسكري والشركات التي توفر النقل والإمداد والمخابرات وخدمات الصيانة للقوات المسلحة، والتي تسمح الأخيرة منها للجنود التركيز على مكافحة الأعداء والحد من حاجة الحكومة إلى تجنيد المزيد من القوات أو استدعاء المزيد من الاحتياطات.

ورغم أن معظم دول العالم العسكرية المهيمنة أصبحت تعتمد بصورة متزايدة على شركات الحماية الخاصة فمثلا كان للبنتاغون أكثر من 3000 عقد من تلك العقود مع هذه الشركات خلال العقد الماضي، وأصبحت لهذه الصناعة وعملائها غير محتكرة فقط للشركات

الأميركية. وإنما صارت هذه الشركات العسكرية الخاصة تعمل في أكثر من 50 دولة، فالجيوش الأوروبية، التي تفتقر إلى وسائل النقل والدعم لقواتها في الخارج أصبحت ألان تعتمد اعتمادا كبيرا على هذه الشركات لهذه المهام. للذهاب إلى أفغانستان وغيرها، فالقوات الأوروبية تعتمد اليوم هناك على شركة أوكرانية بموجب عقد قيمته أكثر من 100 مليون دولار، مستخدمة معبر لها وطائرات من الاتحاد السوفيتي السابق. بالتعاون مع القوات العسكرية البريطانية.

وليس ببعيد في هذا الشأن فالبنتاغون، بدأ يتعاقد مع هذه الشركات لأعماله اللوجستية في العراق وأصبحت هذه الشركات جزءا لا يتجزأ من عمله هناك فالعراق هو الآن في أكبر موقع للالتزام العسكري الأميركي منذ أكثر من عقد من الزمن؛ وهو أيضا اكبر سوق لشركات الحماية والأفراد من أي وقت مضى. فهناك أكثر من 60 شركة توظف حاليا أكثر من 20000 فرد وهناك إجراء لمهام عسكرية تقوم بها هذه الشركات وتوظف تقريبا نفس هذا العدد من جنسيات مختلفة ويعتبرون شركاء في هذا التحالف. وهذا التحالف الذي أطلق عليه بوش "بتحالف الراغبين" وبالتالي قد يكون الأكثر جدارة أن يأخذ صفة " تحالف الفواتير" وهذه الأرقام لا تشمل آلاف الآخرين من المتعاقدين للأعمال الغير عسكرية كإعادة الأعمار وتقديم الخدمات البترولية...

أما التحدي الآخر الذي تمثله هذه الشركات فهو غير نابع من طبيعة ما أصبح يطلق عليها بالصناعة العالمية. وهناك ضوابط كافية من أجل أن تعمل هذه الشركات والذين يمكن أن تستخدم هذه الشركات التجنيد والفرز، وتعيين ألأفراد من العسكريين القدامى وتحفظ لهم ادوار تبقى في أيدي القطاع الخاص.

لكن في العراق، تضخمت هذه المشكلة بسبب الاندفاع الكبير من الشركات لكي تدخل هذا السوق فكانت أما جديدة تماما على هذه الأعمال أو أنها قد توسعت بسرعة .وحتى نكون منصفين، فان العديد من هذه الشركات كانوا موظفين مؤهلين تأهيلا جيدا للغاية. وان عدد كبير منهم متقاعدين من القوات الخاصة الأمريكية وهم من العاملين في هذه الشركات وكانوا خدموا في العراق، وكذلك من الأعضاء السابقين في قوات النخبة في المملكة المتحدة وخاصة ممن خدموا في (القوة الجوية الخاصة).

فكان الاندفاع لأرباح بعض الشركات قد أدى إلى عدم اختيار موظفين أكفاء لهذه الخدمة فعلى سبيل المثال، استخدم الجيش الأميركي محققين في ابو غريب فنتجت عنها فضيحة إساءة معاملة السجناء فقد وجد إن "حوالي 35 ٪ من المستجوبين كانوا من أصحاب العقود الذين استأجرتهم شركة caci وكانوا يفتقرون إلى التدريب العسكري الرسمي. وفي حالات أخرى، من التحقيقات للمقاولين الذين يعملون في العراق كشفت توظيف جنود سابقين في الجيش البريطاني أوقفوا عن العمل لتعاونهم مع الإرهابيين الايرلنديين ونظام جنوب أفريقيا السابق.

أما الركيزة الثالثة التي أثارتها تلك الشركات وهي من المفارقات بالضبط السمات التي تجعل منها حتى اليوم هو تعاونها مع الحكومات الديمقراطية المنتخبة: إذ يمكن انجاز الأهداف العامة من خلال الوسائل الخاصة. وبعبارة أخرى، فهي تسمح للحكومات بتنفيذ الإجراءات التي لن يكون ممكنا تحقيقها إلا أن تحظى بموافقة عامة أو تشريعية. فأحيانا، تكون هذه الحرية مفيدة إذ انه لا يمكن السماح للبلدان الغير معترف بها او الغير ديمقراطية إن تسد الاحتياجات الإستراتيجية لها عن طريق فصل الجمهور عن سياستها الخارجية لذلك ازداد الاستخدام المتزايد للمقاولين من القطاع الخاص من قبل حكومة الولايات المتحدة في كولومبيا وهو احد الأمثلة على هذا الاتجاه وذلك بتأجير شركات الأمنية الخاصة من قبل إدارة الاحتلال للتحايل على الكونغرس بحجم ونطاق العمليات والقوات العسكرية الأميركية المشاركة في كولومبيا خلال الحرب الأهلية.

واستخدام الشركات الأمنية الخاصة في العراق هو مثال آخر : فخصخصة أجزاء من بعثة الولايات المتحدة في إدارة الاحتلال أدت إلى الانخفاض بشكل كبير من الثمن السياسي لسياسات العراق الخاطئة. فلو لم يكن هناك أكثر من 50000 من المقاولين يعملون حاليا في البلاد العراقية فان الحكومة الأمريكية سيتعين عليها إما نشر مزيد من قواتها هناك وهو ما يعني

توسيع انتشار الجيش الأمريكي أو استدعاء قوات الحرس الوطني والاحتياطي) او إقناع البلدان الأخرى في زيادة التزاماتها وهذا ما سيتطلب تنازلات سياسية مؤلمة.

وتمكنت أيضا إدارة الاحتلال بواسطة هذه الشركات من إخفاء التكاليف الكاملة من التدقيق الرسمي فالخسائر التي تلحق بالمقاولين وعمليات الخطف ليست مدرجة على القوائم الرسمية العامة ونادرا ما توردها وسائل الإعلام . والعقود لا تخضع لطلبات قانون حرية المعلومات. وهذا الانخفاض الشديد في الشفافية يثير المخاوف الطويلة الأجل على مستقبل الديمقراطية الأمريكية. فالعالم القانوني آرثر س ميلر كتب مرة "أن الحكومة الديمقراطية هي حكومة عليها مسؤولية - ويعني مساءلة الحكومة - والمشكلة الأساسية في التعاقد أن تلك المسؤولية والمساءلة تضاءلت كثيرا ."

المسالة الأخرى في العراق هي إعفاء المقاولين المحليين من الملاحقة القضائية خلال فترة الاحتلال الأميركي الرسمي للعراق. من خلال بضعة نظم قانونية في البلاد الغربية لتغطية الجرائم التي ترتكب خارج أراضيها. وهناك في بعض الدول لا يوجد تأكيد في الاختصاص القضائي للحكم على مواطنيها خارج أرضيها، وكثيرا ما تفتقر إلى الوسائل اللازمة لإنفاذ قوانينها في الخارج. ونتيجة لهذه الثغرات، فانه لا احد من المتعاقدين الخاصة قد حوكموا او تمت معاقبته على جريمة ارتكبها في العراق (على خلاف من بضعة من الجنود الأميركيين الذين تمت محاكمتهم).

ففي أبو غريب تعاطت القضية. ووفقا للتقارير الرسمية إلى أن نصف المستجوبين كانوا من المقاولين من القطاع الخاص ويعملون لشركتين .ETAN& CACI لحساب الجيش الأميركي وان المقاولين شاركوا في 36% من الحوادث التي ثبت وحدد 6 من الجنود العاملين لذنبهم. وبعد أكثر من عام بعد الأحداث، لم يتم لأحد من هؤلاء الأشخاص بتوجيه اتهام لهم ومحاكمتهم، او معاقبتهم، رغم إن الجيش الأميركي قد وجد الوقت لمحاكمة الجنود المجندين المتورطين. ولم تكن هناك أي محاولة لتقييم الشركات المسؤولية عن تلك الجرائم. إن نمو الصناعة العسكرية الخاصة تبدو اليوم مزدهرة مثلها مثل الانترنت رواجا، إلا إن انفجار الفقاعة هذه ربما تؤدي إلى انتهاء عملها في العراق سريعا، ولكن الصناعة نفسها من غير المحتمل أن تختفي في أي وقت قريب. لذا يجب على الحكومات أن تعمل على مواجهة هذا الواقع. إن استخدام الحلول الخاصة لغايات عسكرية عامة ليس بالضرورة سيئا. ولكن الرهان في الحرب هي أعلى بكثير من مجال الشركات: والأكثر أهمية في هذا المجال العام، أن الأمن الوطني وحياة الناس باستمرار معرضة للخطر. وان الحروب، يجب أن تترك للجنرالات.

إن مركز العراق وأهميته بين الدول العربية يدعو إلى تكريس جديد للمصادر المادية والبشرية لتقوية العمل الإنجيلي في هذه المنطقة الإستراتيجية لان الأمة اليوم أصبحت مشهدا لصراع روحي قد يظهر حاسما في قلوب شعبها وعقولهم ولذلك فان العمل الإنجيلي فرصة سانحة وأبواب مفتوحة إذا ما حشدنا القوى لدعمه وبعثه من جديد
"القس دونالد ماك نيل المرسل في الكويت " 1960.

" ومما لا يعقل إن هذه البلاد الغنية جدا في تقاليد الكتاب المقدس والتي هي ذات أهمية عظمى في إستراتيجيتها تترك بدون عمل إنجيلي فعال ولان العمل فيها عظيما جدا يتطلب أكثر من طائفة واحدة للقيام به لهذا دعيت الكنائس المشيخية والمصلحة عبر البحار ليشكلا إرسالية متحدة للعمل داخل العراق. واستجابت لهذه الدعوة الكنيسة المشيخية عام 1924 في الولايات المتحدة الأمريكية والكنيسة الإنجيلية والمصلحة والكنيسة المصلحة في الولايات المتحدة الأمريكية تودي الشهادة بواسطة الإرسالية المتحدة في العراق والتي تألفت من عشرة أعضاء وكانت إقامتهم في بغداد والموصل وكركوك والحلة ودهوك".

ولان دراسة التاريخ والثقافة البريطانية - الأميركية حول تشكيل الأفكار في تأسيس دولة العراق الحديثة قد اختفت من المدارس ومناهج الثقافة العامة اليوم ونتيجة لذلك، فإن الكثير من القارئين لا يعلمون مدى الصلة العميقة بين البلدين حول هذا الموضوع والذي يعد من اكبر المواضيع من حيث الأهمية الإستراتيجية او التنسيق المشترك او من حيث بعده التاريخي او بعده الجيو- سياسي في العصر الحديث.

ان العالم الحديث بشكله الحالي هومن صناعة كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية - وهذا ما كتب في الميعاد - وان الولادة، والارتفاع، والانتصار، والدفاع، والنمو المستمر والتجدد في السلطة يجب ان تكون نحو الاتجاه الانكلو- أمريكي على الرغم من الاستمرار في المعارضة والصراع. وانه يجب ان تسود إرادتهم على المستويات العسكرية والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، أولا مع المملكة المتحدة الرائدة، ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية بتولي تقدير طبيعة صياغة العالم و إنها قد خلقت للتعامل مع هذه المشاكل.

ولوصف الانكلو- سكسوني في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية نرى ان الوصف لا يشير الى التركيب العرقي ولكن الى ثقافة الانكلو- ساكسون والتي تختلف في ذلك عن العالم اجمع وحتى عن بقية دول الغرب. " فالميعاد" يرى ان الثقافة الانكلو- سكسوني ونجاحها في جميع أنحاء العالم كانت بسبب احتوائها على عناصر مختلفة والتي منها : ببطء تطور النظام السياسي الليبرالي وقابليتها للتوافقية، والتكيف، والابتكار؛ ومسامحة التقاليد الدينية البروتستانتية والتي أصبحت بما فيه الكفاية داعية لاستيعاب مختلف الطوائف الدينية الأخرى وقبولها الفصل بين الكنيسة والدولة مع الاحتفاظ بشعور ديني قوي.

وان النظام الرأسمالي المشغول بالثروة المادية ليس في حد ذاتها فحسب وانما بسبب "الشغف" من اجل تحقيق النمو، ومن اجل الانجاز، ومن اجل التغيير. وكذلك الإستراتيجية التي اخترعتها في البداية البحرية الهولندية في استخدمها كلا من حرية العمل التي قدمتها والوصول بسهولة الى بقية العالم للتلاعب بتوازن القوى. جعلت من هذه العناصر السالفة في حد ذاتها قد شكلت قوة من اجل التغيير. ودعمت وعززت الأشكال الأخرى من الديناميكية وازدهار الذات.

وخلال ألأربعة قرون الأخيرة من التاريخ، من اليزابيث واوليفر كروموبل ولوول مارت الى بوش فقد ميز الانكلو- سكسوني صاحب الحساب في الغنى والمثير للإعجاب على نطاق واسع الإطلاع ببعض الأشياء كاستخدامهم الألفاظ المشتركة ومن كروموبل الى رونالد ريغان أمثال "الرب الحامي" وبنفس القدر بالنسبة للعمل والدافع للمشاريع المشتركة.

من الأشياء الأخرى المثيرة والمتميزة في الثقافة الانكلو- سكسونية أنها تقلل من السمات المشتركة للبلدان الغربية في الوقت الذي تركز فيها على اعتراف الغرب بنصيبه في الميراث الإغريقي والروماني. كذلك الحال بالنسبة للتعليم والذي كان له سطوة خلال قرون في المملكة المتحدة، فتعليم الطبقة الحاكمة البريطانية قد تألفت بصورة ساحقه من الدراسة بعلوم اللغات اليونانية واللاتينية والثقافة السامية واللغة العربية. كما انه يعطي اهتماما ضئيلا لأي بصمة ايجابية لها، ويركز على النواحي السلبية والمعقدة للحداثة والتنوير ومن قبل على الثورة الفرنسية على عقول المثقفين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وأوروبا ككل، والتأثير الضار الذي نتج بعد ذلك في تحديد معالم تاريخ العالم الحديث.

ان نقاط الضعف هذه لا يستهان بها أمام ما تم من بناء للديمقراطيات الرأسمالية المشكلة للعالم الحديث اليوم وتبين طريقة تعامل كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية مع النظام والسلوك الدولي، ومن دون أوهام او عاطفة. وازدهرت في السياسة التي اتبعت مصطلحات تطلق على دول بعينها والتي منها "الطمع والجبن والغطرسة والرضا والكسل، والاستقامة" لم تكن تستخدم في فنون السياسة من قبل وقابلها بعد وما نتج من أعمال تجاهها مارسها هذا الحلف الانكلو– سكسوني بأقل ما يقال عن أعمال ناتجة عنها بالحماقة والجريمة لتلك الأخطاء والجرائم التي ارتكبوها في العالم بشكل عام وفي منطقتنا والعراق بشكل خاص.

هذه القسوة كما يتضح في تعاملات البلدين مع بعضها البعض وفي علاقاتهما مع بقية العالم، فوقوف المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية الى جانب الحلفاء او شركائهم الأوربيين الآخرين كان يقومون به بشكل غير لائق تماما، وعلى أساس حسابات تحكمها فقط المصلحة الذاتية والمعروفة بالخطب الإعلامية بما تسمى "العلاقة الخاصة". فنجد مثلا ان العلاقة الخاصة تلك جمعت الولايات المتحدة وبريطانيا والتي تمثلت بأكمل صورها في الحرب العالمية الثانية حينما كان البلدان على نحو أوثق من أي وقت مضى وقد جمعتهما آنذاك الصداقة الشخصية بين فرانلكين روزفلت وتشرشل وعلى الرغم من الجهود العظيمة التي بذلتهما أطراف كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا الا انه كان تفكيك الإمبراطورية البريطانية هو الهدف الأمريكي المهم أثناء ومباشرة وبعد الحرب.

ان عواقب انتصار الانكلو- ساكسون في خلق النظام الرأسمالي ليشمل العالم كله. ينظر إليه أساسا كانتصار ناتج عن تطبيق وجذب بعض المبادئ والقيم ولكن في هذه الحالة - حالة المنتصر وفقدان الذاكرة- ينظر بقية العالم الى النجاح والسلطة الانكلو- سكسونية على إنها استندت على نتائج "معارك طويلة ومريرة لرسم مستقبل العالم" وان الحضارات في العالم تعيش معا في حالة من الألفة لم يسبق لها مثيل بسبب هذا " المجتمع الليبرالي الرأسمالي" الذي يفرض أفضليته على بقية العالم. الا انه في كثير من المجتمعات في أنحاء العالم ينظر الناس بمرارة واستياء الى هذا النظام الخطير الذي زعزعت به. إذ بعد فرض الألفة بالقوة، فان الولايات المتحدة الأمريكية ستواجه إدارة نتائجها كأولوية مهمة بالنسبة لسياستها الخارجية للمستقبل المنظور. هذه القوة بتطبيق تلك السياسة في منطقتنا العربية وفي العراق بشكل خاص سيرسم

مستقبل العلاقة الاشمل بين الإسلام وبين الجماعات الأصولية البروتستانتية المتطرفة والتي تحمل تشابه لافتا لبعض الجماعات الإصلاح في المنطقة من حيث العودة الى المصادر الأصلية للإيمان، والتنديد بالانحرافات والإسهاب والتأويل كمصادر أخرى للإيمان. فالبروتستانتية حركة الواقع وبعد فشلها المتكرر وبمرور الزمن أصبحت وستكون القوة الحاسمة في تطوير الليبرالية والديمقراطية الانكلو- أمريكية في الأجلين المتوسط والطويل، وربما ان نفس عملية التكيف هذه قد تحدث في الحركات الإسلامية في منطقتنا ولعل التجربة الإيرانية ومحاولة تجديدها وخلقها في العراق ولبنان ابرز دليل على هذه النظرة.

ولكن للتاريخ ربما سيكون له رأي آخر اذا ما نظرنا إليه من زاوية أخرى في هذه العلاقة التي تريد رسما جديدا للعراق الحديث اذ لا يمكن بأي حال من الأحوال نسيان او تجاهل المشاعر الإسلامية بشكل عام خلال القرون الثلاثة الماضية وكيف عمل خلالها الغرب النصراني القوي على قتل الوحدة الإسلامية والمتمثلة بالخلافة الإسلامية العثمانية ووأد كل محاولات النهوض المادي والعقلي وتدمير كل جهود التجديد الفكري والثقافي الشرقي الإسلامي.

ان وتيرة التغيير التي سادت على السياسة الانكلو- سكسونية الجديدة تجاه منطقتنا ستكون اكبر وأسرع وأكثر بكثير من تلك التي تحاول ان تتخذ مواقف أكثر وسطية واعتدالا فالمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية خلقت هذا العالم الحديث بمسببات عدة الا انه ينبغي على الولايات المتحدة اليوم ان تعتمد سياسة أخلاقية وان تكون إستراتيجيتها واقعية، وعلى أساس من التفكير اللاهوتي الذي يجمع بين القلق الأخلاقي وقبول واقع السلطة والحصافة في ممارسته.

ان اعتماد الواقعية الأخلاقية في السياسة الخارجية، واعتماد نهج الفئات البروتستانتية الإنجيلية الأميركية الطموح في "مستقبل السلام والازدهار للبشرية" لها جذور تاريخية تعود الى زمن فتح العثمانيين القسطنطينية عام ١٤٥٣ حين عين السلطان محمد الثاني كينا دوس بطريرك الأرثوذكس اليونانيين وسيطا بينه وبين الرعايا المسيحيين وأصبح مسئولا عنهم وعن دفع الجزية وإخلاصهم للسلطان.

مع توالي الزمان اعترف الباب العالي بموجب فرمانات كان يصدرها بالطوائف الكاثوليكية والأرثوذكس القائمة في دولته. لقد أتاح هذا النظام ونظام الامتيازات التي كانت تتمتع به فرنسا ودول أوربية أخرى فرصة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية تارة بدافع سياسي وطورا بحجة حماية الأقليات غير الإسلامية وأصبح لفرنسا الحق في إيفاد المرسلين الكاثوليك للتبشير بين مسيحي الدولة بينما انتهجت السلطات العثمانية سياسة عرقلة نشاط الإرساليات البروتستانتية ولكن بسبب مساندة الدول الأوربية الكبرى للدولة العثمانية في قهر محمد علي، أخذت الدولة العثمانية تغمض عينيها عن النشاط البروتستانتي.

إذا كانت فرنسا قد دعمت الكنائس الشرقية الكاثوليكية وشجعت روسيا الكنائس الأرثوذكسية فأن إنجلترا ليكون لها دور في التسابق الدولي رعت الطوائف البروتستانتية رعت المبشرين البروتستانت الوافدين من إنجلترا وأمريكا هذا وبجهود السفير البريطاني في اسطنبول - السر سترافورد كاننج - حصل البروتستانت المنشقون من الطائفة الأرمينية الغريغورية على الاستقلال عام 1849 وانضم إليهم فيما بعد البروتستانت السريان واليونان وكونوا الطائفة البروتستانتية " بروتستانت جماعتي " ثم حصلوا في عام ١٨٥٠ بجهود ممثلي بريطانيا وبروسيا والولايات المتحدة الأميركية على الاعتراف الرسمي بالطائفة التي شملت أتباع جميع الكنائس البروتستانتية كالمشيخية والأسقفية والميثودستية والابرشانية.

في العقد الثالث من القرن التاسع عشر تجول في بلاد الشرق الأوسط مبشرون موفدون من جمعيات وهيئات بروتستانتية إنجليزية وأمريكية لدراسة أحوال السكان وتوزيع الكتاب المقدس والقيام بالوعظ ثم أخذت هذه المؤسسات تنشئ لها مراكز ومحطات رئيسية وفرعية في هذه المنطقة بهدف تحويل أبنائها إلى البروتستانتية ولتحقيق أهدافها استخدمت الوسائل التبشيرية

التقليدية كافتتاح المدارس للبنين والبنات وإنشاء المكتبات والمستوصفات والمستشفيات وتشييد دور العبادة وغير ذلك من الفعاليات الدينية والثقافية.

ففي العراق كان هنالك مسيرة طويلة من العمل الإنجيلي حيث بدأت الكنائس الحديثة والتي هي حصيلة حركة الإصلاح الإنجيلي بالعمل في الداخل العراقي وكان أول من زار شمال العراق مرسلون من قبل المجمع الأمريكي للمفوضين وكانوا مرتبطين بعملهم هذا في سوريا وتركيا وغربي ايران.

ففي عام ١٨٣٣ أوفد مجلس الوكلاء الأمريكي للإرساليات الأجنبية المبشرين جوستن بركنز والدكتور اساهل جرانت مع زوجتيهما الى اورميا في غربي إيران حيث أسسا فيها محطة رئيسية ومنها امتد نشاط الإرسالية ليشمل جبال كردستان والموصل. فبدأ مجمع الإرساليات الأمريكي عمله في ارمي عام ١٨٣٥. وقبل 1840 بدأ القس تشليز عمله في الموصل من الجمعية الإرسالية المسيحية حيث كان ترجمانه آنذاك السيد رسام المشهور والذي أصبح فيما بعد القنصل البريطاني في الموصل.

في ١٨٤١ تسلمت إرسالية المجلس الأمريكي محطة الموصل حين قابل د. جرانت المار شمعون مرات عديدة كما زار الموصل مع بركنز وبناء على توصيتهما افتتح المجلس الأمريكي محطة في الموصل في ١٨٤١، وفي عام ١٨٤٢ وصل الموصل القس برس بادجر ممثل رئيس أساقفة كانتربري ـ ومطران لندن للعمل بين النساطرة والكلدان وراح يبذل أقصى جهوده لجذب الكنيسة الاثورية الى الانكليكانية وأبعادها عن المنشقين الأمريكان والكنيسة الكاثوليكية وكذلك لأحداث انشقاق بين صفوف الكلدان الذين تحولوا الى الكنيسة الكاثوليكية إلا انه فشل في جميع محاولاته.

وبعد اربع سنوات زار د. جرانت الموصل ورأى ما وصلت إليه جهود التبشير فيها وفي نفس الوقت قررت الجمعية الإرسالية المسيحية انسحابها من الموصل عام ١٨٤٢. وحلت محلها إرسالية الكنيسة الأسقفية في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت بإشراف القس هو راتيوساوت كيت المقيم في اسطنبول ولفشلها في مهامها عاد المجلس الأمريكي ليؤسس في ١٨٥٠ الإرسالية الآثورية التي شملت منطقة عملها ولايات الموصل وماردين وديار بكر وقد ظلت هذه الإرسالية التركية الشرقية وبذلك أصبحت الموصل " محطة بالاسم والزيارة " وخلت من مبشرين مقيمين يزورها مبشرون متواجدون في المنطقة بين حين وآخر.

أما الأسباب التي عرقلت مساعي المبشرين البروتستانت فعديدة منها ان فرمان صدر عام ١٨٥٠ وقضى باعتراف الدولة العثمانية بالطائفة البروتستانتية اعترافا رسميا الا إن أهالي الموصل لم يستفدوا منه إذ استمرت الطوائف التي كان البروتستانت ينتمون إليها سابقا تقاومهم بحرمانهم من الكنيسة وتفرض عليهم جزية باهظة الى ان صدر فرمان ١٨٥٤ الموجه الى باشا الموصل والقاضي بوجوب حماية البروتستانت كما ان أقارب المتحولين إلى البروتستانتية وأصدقائهم كانوا يقاطعونهم اجتماعيا وكذلك كانت الخلافات بين أبناء الطائفة البروتستانتية حافزاً الى عودتهم الى كنائسهم السابقة كما كانت مثبطة لعزائم الراغبين في الانتماء الى البروتستانتية.

واستمرت منطقة الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسرحا لصراع البعثات التبشيرية البروتستانتية وتعرضت محطة الموصل الى انتقالها من إرسالية الى أخرى في فترات زمنية قصيرة اذ إن الموصل كانت تعد أول مدينة وجد فيها العمل الإنجيلي فيها تربة خصبة للعمل حيث جعل المرسلون الأولون قاعدة لهم لتأدية الرسالة المسيحية وتوطد العمل الإنجيلي فيها ووضعوا أول نظام للكنيسة الوطنية عام ١٨٥١.

ولا تزال أقدم كنيسة بروتستانتية موجودة في العراق هي كنيسة الموصل فمنذ ١٨٤٠ أقام فيها البروتستانت مكانا للعبادة ولذلك اعتبروها عام تأسيس الكنيسة في العراق ولكن انتظام الكنيسة لم يتم الا بعد ان انتمى الى الكنيسة تسعة أشخاص في ٣ / ١١/ ١٨٥١ وبدأ المبشرون

بتدوين أسماء أبناء الطائفة وتواريخ ولادتهم وزواجهم ووفاتهم في سجل يدلنا على ان نمو الكنيسة كان نموا بطيئا فبعد خمس سنوات أصبحت الكنيسة تتألف من (١٢) عضوا و(٥٧) نفسا هذا ولم يكن عدد أعضاء الكنيسة في ازدياد مطرد بل كان متذبذبا بين ارتفاع وانخفاض وان عددهم حتى عام ١٨٩٦ لم يزد على (٦٠) شخصا معظمهم من السريان الأرثوذكس والكلدان. وان الدوافع التي حملت هؤلاء الأشخاص الى التحول الى البروتستانتية متنوعة فمنهم من فضل معتقداتهم على معتقدات كنائسهم السابقة ومنهم من غضب على رجال الدين التابعين لكنائسهم السابقة ومنهم من ركض وراء الإغراءات الشخصية والمادية وغير ذلك من الأسباب الشخصية.

وقد بذلت عائلتا مكدويل وانسلي محاولة جديدة في أواخر القرن التاسع عشر ليقيموا في الموصل ولكن وبسبب المقاومة المحلية التي أخذت تبدو على شكل كبير من التنظيم والتهيئة ضد أي عمل تبشيري انجيلي في الموصل فكر المجمع الارسالي الأمريكي بأنه من الأفضل تحويل قاعدتهم من الموصل إلى جبال الأكراد في ارمي.

حينها شرعت الإرساليات التبشيرية بتأسيس دور العبادة والمدارس وغيرها من المشاريع كانت تقوم بإدارتها وبالصرف عليها وبتقديم المنح للبروتستانت المعوزين ولكن بعد الاعتراف بالبروتستانت كطائفة في الموصل صدرت فرمانات بتعيين الوكيل المالي ورئيس لإدارة الطائفة وكثيرا ما كانت الإرساليات تساهم بدفع رواتب لمثل هؤلاء الأشخاص وتقدم المساعدات المالية لبناء دور العبادة ومشاريع الطائفة فمثلا قدمت إرسالية المجلس الأمريكي مساعدات قيمة لبناء الكنيسة المعروفة باسم " مار سماق " وملاحقها في الموصل.

وظل هذا الوضع قائما حتى عام ١٨٩٢ حينما تسلم مجلس الكنيسة المشيخية في الولايات الأمريكية إدارة المحطة وذلك لغاية عام ١٨٩٨ ويجدر بنا هنا أن نشير الى ان منطقة نشاط الإرساليات البروتستانتية الوارد ذكرها كانت محصورة بالمنطقة الشمالية من العراق وما جاورها ولا تشمل المنطقتين الوسطى والجنوبية.

اذ كانت في بغداد الإرساليات اليسوعية السبتية وشهود يهوة وتعمل بنشاط في بعض المناطق المحيطة ببغداد وفي داخلها أيضا. حيث ساعدت هذه الإرساليات بالأعمال الخيرية إلى جانب عملها التبشيري والذي كان ممزوجا بالتأكيد بالنشاط الطبي والتعليمي. فإلى أواخر القرن التاسع عشر كانت الإرساليات العاملة في المنطقة الشمالية أمريكية تتبع النظام المشيخي بينما الإرساليات التي وفدت الى بغداد كانت من إنجلترا تتبع الكنيسة الانكليكانية.

ابتدأ العمل الإنجيلي في بغداد في نهاية ١٨٢٩ بوصول المبشر الذائع الصيت " انتوني غروفز "وهو من جماعة الإخوة البليموتيين. وحقق هذا المبشر بعض النجاح إذ افتتح مدرسة لأبناء الأرمن وبناتهم وباشر بعلاج أمراض الأسنان والعيون دون أن يلاقي مقاومة من السلطات الرسمية ولكن سرعان ما ساءت الأمور من حوله اذ تفشى مرض الطاعون في ١٨٣١ بشكل مروع لم يسبق له مثيل وقضى على ثلثي سكان بغداد بما فيهم زوجة غروفز وابنه وعدد من منتسبين الإرسالية بحيث اضطر بعد فترة قصيرة الى غلق الإرسالية ومغادرة بغداد

خلت بغداد من المبشرين البروتستانت حتى عام ١٨٤٤ حينما وصلها أحد المبشرين الموفدين من جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود هذا ولم يقتصر نشاط هذه الجمعية على بغداد بل امتد ليشمل المدن التي كان يسكنها اليهود مثل الحلة والبصرة والموصل. وافتتحت هذه الجمعية معهدا في بغداد لتلقين اليهود مبادئ الديانة المسيحية البروتستانتية أنشأت مكتبة ومطبعة ومصلى ولكن بالرغم من العمل المتواصل لمدة تزيد على عشرين عاما فان عدد اليهود الذين تم تحويلهم إلى البروتستانتية لم يتجاوز عدد أصابع اليد.

لكن نواة الكنيسة الانجيلية في بغداد تكونت بفضل استعانة المرسلون ببعض أفراد الطائفة في الموصل ومن هؤلاء تكونت هذه الكنيسة حيث كانوا يمارسون نشاطهم في حقول التبشير إلى جانب التعليم والتطبيب وهكذا فتحت جمعية الإرسالية الكنسية C M S في أواخر القرن التاسع عشر كنيسة بغداد الانجيلية. فالنازحون إليها من الموصل وماردين وسعرت وديار

بكر شكلوا مع العوائل الأرمينية الساكنة فيها نواة كنيسة بغداد البروتستانتية وكان يرعاها القسس الإنجليز أو نوابهم الوطنيون ويقيمون الخدمة الدينية وفقا للطقس الأسقفي في مجمع الإرسالية. لقد عززت هذه الإرسالية موقف البروتستانت في الموصل وبغداد باستقدام معلمين من ماردين لخدمة الكنيسة والمدارس وأيتام الى ميتم الإرسالية في الموصل.

في عام ١٨٨٣ بدأت الجمعية الإرسالية الكنسية عملها في بغداد وبعد مضي خمس سنوات أسست " الإرسالية العربية التركية التي بالإضافة الى بغداد، تسلمت الموصل من الإرسالية المشيخية وقد واصلت نشاطها الى أن أبعدت السلطات الحكومية منتسبي هذه الإرسالية الى خارج القطر لنشوب الحرب العالمية الأولى واشتراك الدولة العثمانية بالحرب ضد الحلفاء. وكانت قد أنشأت هذه الإرسالية مشاريع متعددة في مناطق عملها ففي بغداد افتتحت مدرسة مدة الدراسة فيها أربع سنوات عرفت بـ " المكتب البروتستانتي " وكانت تدرس فيها العربية والإنجليزية والتركية والعلوم العامة وكانت هيئتها التعليمية تضم نخبة من حملة الأقلام ومعلمين قديرين ومبشرين أفاضل. وقد تخرج فيها طلاب تسنى لهم مواصلة الدراسات العليا وأصبحوا أطباء أو صيادلة أو تقلدوا مناصب مرموقة في الدولة. وبلغ عدد طلابها عند غلقها في ١٩١٥ (١٢٠) طالباً اغلبهم من أبناء الجالية البروتستانتية والباقي من الطوائف والأديان الأخرى.

وافتتحت الإرسالية مدرسة ابتدائية للبنات في بغداد كما افتتحت مدرسة للبنين وأخرى للبنات في الموصل وأنشأت مكتبة لبيع الكتب المقدسة في الموصل علما بأن في بغداد كانت المكتبة تملكها جمعية الكتاب المقدس أما نشاط الإرسالية في حقل الطب فمنذ ١٨٨٦ افتتحت عيادة خارجية طورتها الى مستشفى صغير أصبح في ١٩١٥ يضم ٣٣ سريرا وعيادة خارجية. ولقد كان في نية الإرسالية بناء مستشفى صغير أصبح في١٩١٥ يضم ٣٢ سريرا وعيادة خارجية. كذلك كان في نية الإرسالية بناء مستشفى واسع وحديث الا انه نشوء الحرب العالمية الأولى أوقف المشروع. وعلى غرار هذا المستشفى افتتحت الإرسالية في الموصل مستشفى ذات ٢٤ سريرا خدم فيه أطباء وصيادلة وممرضات عراقيون بالإضافة إلى الأجانب.

وزيادة إلى نشاطهم التبشيري السابق ذكره فقد أولت هذه الإرسالية التعليم اهتمامها البالغ. فبعد إن أسس الدكتور ستاوت ١٩٢٤ مدرسة تضم ستة صفوف ابتدائية وخمسة صفوف ثانوية أضيف إليها فيما بعد قسم داخلي نالت هذه المدرسة شهرة واسعة واعتبرت من أرقى مدارس عصرها حتى أن الجامعات الأمريكية في أمريكا أوفي الشرق الأوسط اعترفت بشهاداتها وقبلت خريجيها في الدراسات العليا إليها ولكن لظروف طارئة اضطرت إلى غلق أبوابها في ١٩٤٩.

أما مدرسة البنات فقد تم افتتاحها في ١٩٢٥ وعهدت إدارتها إلى السيدة تومس التي ظلت في منصبها ثمانية عشر عام طورت خلالها المدرسة من ابتدائية إلى متوسطة إلى إعدادية الفرع الأدبي وفي عهد خليفاتها انتقلت المدرسة إلى بناية حديثة في المنصور أضيفت إليها دراسة الفرع العلمي.

أما بالنسبة إلى الفرائض الدينية فان الجالية البروتستانتية في بغداد كانت تؤدي بعد الحرب العالمية الأولى في كنيسة سانت الانكليكانية في الباب الشرقي ولكن بعد أن تسلمت الإرسالية المتحدة في العراق حقل بغداد أخذت هذه الجالية تصلي مع المرسلين الأمريكان أما في دور سكناهم أوفي جمعية الشبان المسيحيين إلى أن تسنى لهم بمساعدة هذه الإرسالية بناء كنيسة لهم في السنك في ١٩٣٠ وكان يرأس الصلاة أما أحد القسس الأمريكان أو أحد شيوخ الطائفة. هذا وبعد تهديم كنيسة السنك لغرض تنظيم شوارع المنطقة، أهدت الحكومة العراقية أرضا واسعة في بارك السعدون شيدت عليها الطائفة كنيسة واسعة ومرافق أخرى وقد تم افتتاحها في ١٩٥٤ وتسلم شؤون الطائفة الدينية القس المصري حليم توفيق جيد إلى ١٩٩٥ وذلك بإشراف مجلس الطائفة المنتخب

في المنطقة الجنوبية للعراق والتي فيها انفردت بالتبشير البروتستانتي، الإرسالية العربية المؤسسة في ولاية نيوجرسي الأمريكية، فمنذ ١٨٩١ أسست محطة في البصرة ومنها انطلقت إلى مدن أخرى. وفي السنوات اللاحقة افتتحت محطة في العمارة وأخرى في الناصرية كما امتد نشاطها ليشمل البحرين والكويت ومسقط وقطر وقد ظلت هذه الإرسالية عاملة في جنوبي العراق حتى عام ١٩٦٢.

ولم تكن مهمة المرسلين في أول عهدهم سهلة الأداء إذ لاقوا معارضة شديدة من الآهلين ومقاومة عنيفة ومن قبل السلطات التركية ولكن بعد نجاح الاتحاديين في الاستيلاء على الحكم في ١٩٠٨ تحسنت أوضاعهم ولذا اخذ عددهم يزداد ونشاطاتهم تتنامى في المجالات المختلفة وفيما يلي موجزها :

١. دور العبادة : حتى عام ١٩١٣ كان المرسلون يقومون بالفرائض الدينية أما في منازلهم أوفي إحدى مؤسساتهم إلا أنهم شيدوا في تلك العام كنيسة صغيرة على أرض الإرسالية التي امتلكوها. وفي ١٩٤٥ أقاموا كنيسة صغيرة أيضا في مدينة العمارة ظلت قائمة حتى ١٩٥٩.

٢. بعد أن قدم بعض المرسلين الخدمات الطبية البسيطة أنشاؤا في ١٩١١ مستشفى لنسنج التذكاري ولكن بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى واحتلال بريطانيا للبصرة والعمارة توجه المرسلون للعناية بالجنود البريطانيين الى ان وضعت الحرب أوزارها.

وبعد البصرة في الجنوب العراقي افتتح المرسلون المصلحة في أمريكيا عام ١٨٨٩ كنيستين واحدة في البصرة وواحدة في البحرين امتد العمل إلى العمارة والكويت وتمركز العمل في البصرة والكويت والعمارة والبحرين ومسقط، حيث افتتحت ثلاث كنائس في مسقط – عمان عام ١٨٨٧ وأسس زويمر عام ١٩١٠ أول مستشفى في الكويت، وفي عام ١٩٣١ بنيت أول كنيسة مسيحية في الكويت ولم يكن فيها أي مسيحي واحد.

أما في البصرة فكان عدد النفوس المسيحية التي اعتنقت المذهب الانجيلي عام ١٩٣١ يبلغ عددهم حوالي ٣٥٠-٣٤٠ وأكثرهم مهاجرون من ديار بكر وماردين والبلدان العربية الأخرى وبنيت لهم كنيسة عظيمة لهم عام ١٩٣١؟.

لقد ازدهرت الطائفة البروتستانتية في العراق في مستهل القرن العشرين وأخذت لا سيما بعد أن نزحت إليه عائلات بروتستانتية من ماردين والمناطق المجاورة لها كما نزحت إليه عائلات آثورية وارمنية حلت في مخيمات اللاجئين في بعقوبة وكانت كنيسة الموصل كما سبق وان ذكرنا تتبع الطقس المشيخي ولكن بعد أن تسلمت الجمعية الإرسالية شؤونها أصرت على إتباع الطقس الأسقفي وبما ان راعي الكنيسة رفض ذلك وعينت أحد البروتستانت الوطنيين ليقوم بالخدمة الدينية والإشراف على شؤون الطائفة الرسمية والمكتبة ثم عهدت هذه المهمة الى المس مارتن التي اضطلعت بها الى أن غادرت العراق بسبب نشوء الحرب العالمية الأولى. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى واحتلال العراق من قبل الإنجليز ونشوب ثورة العشرين قررت الكنيسة الانكليكانية عدم استئناف نشاطها في العراق لئلا تتعرض مؤسساتها الى الفشل بسبب تنامي الشعور الوطني المعادي لبريطانيا.

وفي عام ١٩٢٢ شعرت "جمعية الإرسالية المسيحية الأمريكية" بأنها مضطرة أيضا إلى الانسحاب مرة أخرى وهكذا بقي العمل الارسالي الانغليكاني في العراق إلى أرسالتين هما "الإرسالية العربية للكنيسة المصلحة في أمريكيا" في البصرة والتي بدأت نشاطها قبل عام ١٩٠٠ وامتدت إلى العمارة عام ١٩١٠ وفي الخليج العربي والإرسالية المتحدة التي تقرر في نيويورك في ١٩٢٣ تأسيسها باسم "الإرسالية المتحدة فيما بين النهرين" التي عرفت فيما بعد بـ " الإرسالية المتحدة في العراق " والتي تعمل لحساب الكنيسة الإرسالية اللوثرية الشرقية والتي تعتبر المسؤولة عن العمل التبشيري الانجيلي في شمال ووسط العراق حيث لديها مقرات في شقلاوة واربيل. وتشكلت لجنة فعالة للتعاون بين الإرسالية المتحدة والإرسالية العربية واتفقتا على تبادل وتدارك الأمور والبرامج المشتركة وتوثيق الوحدة الروحية بين هذه الكنائس.

لقد شهدت الإرسالية خلال عملها في العراق أحداثا اقتصادية وسياسية جساما وتغييرات اجتماعية وثقافية على الصعيدين العالمي والوطني آثرت على خططها وفعالياتها منها الأزمات الاقتصادية والكساد العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية في (١٩٢٩ ـ ١٩٣٣) التي أدت الى انخفاض المساعدات المالية التي كانت تتلقاها لتنفيذ برامجها ومخططاتها. فقد أدى الدور التخريبي والفتنة التي كانت للإرساليات البروتستانت دور كبير في قيام ثورة وعصيان بعض الآثوريين في شمال العراق عام ١٩٣٣ وفشلها قد وضع أعضاء الإرسالية في موقف حرج.

وبعد تنامي الشعور القومي بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وقيام ثورات مايس ١٩٤١ و١٤ تموز ١٩٥٨ و١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ أصبح هناك فتورا في شعور العراقيين تجاه المرسلين، لا بل تولد بعد ذلك رأيا معاديا لتلك البعثات التبشيرية، فالإرسالية المتحدة في العراق والتي تأسست في مطلع القرن العشرين تغير اسمها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ إلى اسم " الزمالة العراقية " هذا وقد أسس أعضاء الإرسالية تنفيذا لمتطلبات القوانين العراقية " الجمعية الخيرية الأمريكية في شمال العراق " وكان هدف الإرسالية التبشير بين سكان المنطقتين الشمالية والوسطى. وافتتحت الإرسالية محطة في كل من بغداد والموصل ثم امتد نشاطها الى كل من كركوك ودهوك وبعشيقة واربيل والحلة وبعد ان انسحبت الإرسالية العربية التي سيأتي ذكرها من جنوبي العراق تسلمت الإرسالية المتحدة أعمالها من ١/ ١/ ١٩٦٢ وأصبحت مسئولة عن العمل الإنجيلي في العراق أجمعه الى أن أغلقتها الحكومة العراقية في ١٩٦٩ في أوائل قرارات ثورة تموز القاضية بإغلاق كافة الهيئات والنشاطات التبشيرية في العراق.

وكذلك الحال كان بالنسبة إلى مدرسة البنات التي تم افتتاحها من قبل الجمعية الإرسالية الكنسية في ١٩٢٥ وعهدت إدارتها إلى السيدة تومس التي ظلت في منصبها ثمانية عشر عام طورت خلالها المدرسة من ابتدائية إلى متوسطة إلى إعدادية الفرع الأدبي وفي عهد خليفاتها انتقلت المدرسة إلى بناية حديثة في المنصور أضيفت إليها دراسة الفرع العلمي إلا أنه في عام ١٩٦٨ تم تعريقها. وأصبح في العراق ثلاث طوائف بروتستانتية إنجيلية معترف بها وهي :

١. الطائفة البروتستانتية الإنجيلية الوطنية
٢. الطائفة الإنجيلية البروتستانتية الآثورية
٣. طائفة الادفنتست السبتيين

ولقد أوفدت الإرساليات خلال أعمالها في العراق أكثر من مائة مرسل ونيف توزعوا على مراكز نشاطاتها وقدموا خدمات ثقافية وطبية وإنسانية كما قدموا المساعدات القيمة الى الكنائس الإنجيلية في العراق إلى أن استقلت هذه الكنائس إداريا وماليا.

ففي الموصل افتتحت الإرسالية روضة ومدرسة ودار ضيافة للبنات وبعد أن شيدت بناية حديثة خصصت لمدرسة الفنون البينية وقد ساعدت هذه الإرساليات من خلال توزيعها الآلات الزراعية في الحلة وبعشيقة والموصل وعمل المرسلون وزملاؤهم من العراقيين بكل هدوء على نشر الإنجيل عن طريق صفوف الدرس الكتاب المقدس والعمل الشخصي وفي مخازن الكتب وغرف المطالعة في كل مركز من مراكز عملهم. حيث ساعدت المدارس التي أرسلتها الإرساليات على ترويج العمل الإنجيلي بصورة فعالة فكما ذكرنا سابقا فتحت مدرسة للبنات في الموصل عام ١٩٢٢ والصبيان في بغداد عام ١٩٢٤ والبنات في بغداد عام ١٩٢٤ وهي تحوي عام ١٩٦٠ على ٢٥٠ طالبة أتين من المجتمعات المسيحية والإسلامية واليهودية وتجاوز عمل الإرساليات إلى الشباب وانعقدت صفوف ومؤتمرات ومخيمات للشباب وكانت ترجوا هذه المنظمات بانضمام الألوف من الشباب في العراق وإن يروا عملهم إن يحقق كل نتيجة ممكنة لخدمة العمل الإنجيلي في العراق.

غير إن الكنيسة في العراق كانت بأمس الحاجة إلى زعامة مسيحية وطنية مدربة ترعى الكنيسة الانجيلية ففي بغداد كان هنالك قس مصري وفي كركوك هناك فقط قس وطني واحد. لكنه بعد ذلك شُكلت هيئة مشتركة من الوطنيين لإدارة المنبر وشؤون الطائفة والقيام بالفرائض

الدينية ولكن بعد أن أخذ الآهلون يهجرون الموصل لاسيما بعد ثورة الشواف اذ تضاءل عدد البروتستانت في الموصل أغلقت الكنيسة أبوابها بينما في كركوك ازدادت عوائلهم وانتعشت الكنيسة في العقد الثامن من هذا القرن وفي بعشيقة حققت الإرسالية نجاحا طفيفاً بإشرافها على أعمال الإرسالية الدانمركية إلى الشرق وتحويل بعض اليزيديين إلى البروتستانتية وافتتحت محطة لتدريب القرويين والمزارعين على أساليب الزراعة الحديثة.

وفي اربيل عملت الإرسالية اللوثرية الشرقية ومن العراقيين الذين خدموا فيها القس صادق شامي (١٩٤٢ ـ ١٩٧٧) وهو من أصل يزيدي وبعد انفكاكه من الإرسالية واصل عمله الكنسي بصفته الشخصية.

وفي عام ١٩٥٤ عقدت الكنائس الإنجيلية في العراق مؤتمرا يمثل ثلاث عشر كنيسة جمعت بين هيئات دينية وانجيلية متنوعة وخاصة بين أعضاء من الكنائس القديمة ومن عرب متنصرين وخرج هذا المؤتمر بمقترحات مهمة جعلته بداية لتأسيس كنيسة متحدة أنجيلية بين سكان العراق. وفي عام ١٩٥٦ صوت مجمع الإرساليات العالمي للكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك في عمل هذه الإرسالية وجاء اتحاد الكنيسة المشيخية المتحدة والكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية بعضو جديد إليهم وهو العراق.

غير إن النجاح الحقيقي للعمل الإنجيلي في بلاد ما بين النهرين كان في الكويت فبالرغم انه لم يكن هنالك إنجيلي أو مسيحي واحد في بداية القرن العشرين نجد إن هناك المئات من العائلات الكويتية المسيحية بينهم عدد من الإنجيليين غير قليل.

وأما شيخ الإمارة فهو صديق حميم للمرسلين الإنجيليين ويقدر خدماتهم العظيمة عاليا لأنهم " ادخلوا نور المعرفة إلى بلادهم حين كانت في ظلام دامس" وتقوم الكنيسة بخدمة المسيحيين الذين يعملون في منطقة البترول وهذا القطر – أي الكويت – هو الجنة بالنسبة إلى باقي الدول العربية بالنسبة إلى العمل الإنجيلي والجالية المسيحية هناك هي أقوى جالية[٤].

الدبلوماسية في عصر الإيمان .... الحرية الدينية والأمن القومي

لا تستطيع الولايات المتحدة وبعض الدول العالمية الكبرى والمؤثرة في العالم ان يفهموا انبعاث التدين العالمي الجديد في موجته المعاصرة وان أرادت ذلك فعليهم ان يضعوا تعزيز الحرية الدينية في صلب السياسة الخارجية لتلك البلدان وعليهم ان يدركوا ان ذلك ليس حيويا فقط للحرية والاستقرار في الخارج وانما أيضا على الأمن القومي لأوطانهم .

ورغم ان الولايات المتحدة هي امة دينية، ولكن لا علماء السياسة الخارجية فيها ولا السياسيين قد اتخذوا الدين أساسا لسياساتهم المعلنة على ما يبدو الا في الأحداث الأخيرة فيما يسمى بالحرب على التطرف والحرب على العراق. ومنذ بداية القرن السابع عشر انفصلت العلاقات الدولية عن النهج الديني وعن إخضاع الدين الى الدولة. ونتيجة لذلك، نجد ان معظم ميادين العلاقات الدولية تفترض ببساطة عدم وجود الدين من بين العوامل التي تؤثر على الدول.

ولكن في عالم اليوم وبعد التحدي الذي جابهته "نظرية العلمنة" وجعل الدين يذبل الحداثة وعلى مدى العقود العديدة الماضية خرج الدين الى الساحة العالمية ولعب دورا متزايدا في الشؤون الإنسانية، وبخطى سريعة. فإيران الشيعية بعد ثورة 1979 ودور الكنيسة الكاثوليكية

[4] EVANGELICAL WORK IN ARAB EAST, the Christian writers fellowship, book No; V .Beirut.1960.

والبروتستانتية في "الموجة الثالثة" من الديمقراطية بعد هجمات 11 / 9 اتضح للجميع مدى أهمية ان يصبح الدين القوة العالمية المطلقة في العلاقات الدولية.

مما جعل المحللين وصناع القرار يعيدون دراساتهم وتفكيرهم بمسألة الإيمان ووضع الدين في الشؤون الدولية بعد "العودة من المنفى " كما تشير عناوين إحدى الدراسات الخاصة بهذا الأمر بدأ صانعوا السياسة يحللون الآثار المترتبة على مصالح الولايات المتحدة القومية في العالم بعد ان جعلت الدين او الإيمان إحدى أهم منطلقات السياسة الخارجية والتعامل الدولي خاصة مع منطقة الشرق الأوسط.

مما حدا بالمحللين وصناع السياسة الأمريكية ان يظهروا علامات العودة الى التدين واعتبروا ذلك جزءا لحل المشاكل السياسة الخارجية للولايات المتحدة. مما سيشكل خطرا على الأفكار الوطنية والقومية التي تدعم النظام الدولي في أنحاء العالم، اذ ان خطر السعي الديني الحكومي يكمن في صميم حماية الحرية الدينية، وتسخيرها من أجل دوام الصالح العام. وتظهر البيانات الخاصة بالعلوم الاجتماعية عن ارتباطات قوية بين الحرية الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتبعا لذلك، ينبغي على الدبلوماسية ان تتحرك لجعل الدفاع وتوسيع نطاق الحرية الدينية كعنصرا أساسيا في السياسة الخارجية ومن شأن ذلك ان يعطي أداة جديدة وفعالة من اجل الحرية والتقدم ولتقويض التطرف القائم على التفسيرات الأصولية للأديان ووقف الاستراتيجيات الأخرى التي أثبتت أنها غير كافية وتفعيل قانون الحرية الدينية الدولية في الذكرى العاشرة لإنشائه لتعزيز الحرية الدينية وان يكون عنصرا محوريا في السياسة الخارجية لدول العالم.

لكن إسقاط تجربة الولايات المتحدة الأمريكية على بقية العالم، سيؤدي حتما الى ارتفاع لدور الدين في السياسة القومية او العرقية. ففي مجتمع كمجتمع الولايات المتحدة يتكون الناس من أصول أثنية مختلفة تعيش في سلام نسبي نوعا ما بحكم القانون السائد. وبعد جيلين أو ثلاثة أجيال من الهجرة، فان الهويات الإثنية والثقافية امتزجت عن طريق الاستيعاب والتزاوج ومن المؤكد أن الأمور لا يمكن أن تكون كذلك في أماكن أخرى مختلفة بسبب طبيعة المجتمع الامريكي الذي تأسس على ارض العالم الجديد.

غير ان الأميركيين يجدون أنفسهم أيضا وفي سبيل إيجاد القومية العرقية الخاصة بهم في إحراج سواء على الصعيد الفكري والأخلاقي مما جعل العلماء في تلك الدولة الى إيجاد واثبات نظرية ان القومية إنما هي ليست من نتاج الطبيعة ولكن من نتاج الثقافة، وإنها مجموعة من النظم والقيم استنادا الى مجموعة من الهويات الضيقة بدلا من القيم الكونية .

وعموما يميل الأميركيون الى التقليل من دور السياسة القومية العرقية. ولكن في واقع الأمر فان ذلك يقابل بعض النزعات الدائمة للروح البشرية، في جانب دفع التحديث وبشكل او بآخر فانه سيدفع السياسة العالمية لأجيال قادمة بمجرد القومية العرقية قد استولت على خيال عدة جماعات متنفذة في مجتمع متعدد الاثنيات.

والمهاجرون الى الولايات المتحدة عادة ما يصلون الى الاستعداد للانسجام مع بلدهم الجديد وإعادة تشكيل هوياتهم وفقا لذلك. ولكن لأولئك الذين ما زالوا في أراضي أسلافهم حيث عاشوا لعدة أجيال، ان لم يكن لقرون، فان الهويات السياسية غالبا ما تتخذ شكل العرقية لإنتاج المطالبات للطوائف المتنافسة الى السلطة السياسية وان الإنشاء السلمي للنظام الإقليمي للدول القومية عادة ما يكون نتاج عملية عنيفة من الانفصال العرقي في المناطق حيث لم يحدث بعد الانفصال بعد.

ولكن ما يميز الوجود القومي في بلادنا العربية والإسلامية هو ذلك النموذج الفريد للتعايش السلمي للطوائف على مدى قرون وحقب طويلة خلت والتي كانت من أسباب استمرار ذلك التعايش ربما بالقوة في أحيان ولكن كان هنالك عوامل أخرى كثيرة سادت تلك القرون

الطويلة فرضت على القوميات المختلفة التعايش السلمي وما ميز هذه المنطقة عن مناطق العالم الأخرى.

حيث ان التقسيم المجتمعي لم يكن على أساس القومية او الدين او العرق او الطبقة وانما كان التقسيم المجتمعي يكون على أساس المكان والحرفة والثقافة والنسب. وهذا ما افتقده المجتمع الغربي والمجتمعات العالمية الأخرى وهو بالتأكيد ما امتاز به المجتمع العربي. فالمجتمع العربي لكل البلاد العربية كان ينقسم الى مجتمع المدينة المتحضر ذا الثقافة العالية والتمدن والرقي العالي بالنسبة لمنطقتهم ومن أصحاب الحرف والعلم من كافة الطوائف والملل التي كانت تجمعها تلك المعارف.

ومجتمع الريف والزراعة ذات المستوى المتدني من الثقافة والتنظيم وإدارة الأراضي الزراعية والمختلطة بالأنساب والانسال والذي زيدت عليه بعد دخول الصناعة الى بلداننا في العصر الحديث وهذا المجتمع لم يكن يعنيه التفرق الطبقي الذي سارت عليه الشيوعية في بداية القرن العشرين او الظلم الاجتماعي او حقوق الإنسان في نهاية ووسط ذلك القرن بدلا من العدالة الاجتماعية مع ملاك وأصحاب تلك الأرض.

أما المستوى الثالث من المجمعات العربية والتي ميزت تلك المجتمعات دون سواها وهي طبقة القبائل والعشائر والنسب الطبقي لتلك العشائر بحسب نسلها الكريم والقريب الى نسل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين غالبا ما كانوا يعرفون بالسادة او الأشراف او من العشائر التي كانت تفتخر بنسبها العربي من قبائل عدنان او قحطان والذي تميز هؤلاء بالسطوة والشجاعة والكرم وسائر الشيم والأخلاق العربية المعروفة وهم أهل القوة والجيش والحرب والقتال.

بينما ما كان مألوفا في السرد والنفوذ الأوروبي في القرن العشرين هوان القومية أدت وكانت سببا أساسيا بنشوب الحرب مرتين، في عام 1914 في الحرب العالمية الأولى، ثم مرة أخرى في 1939 حينما اندلعت الحرب العالمية الثانية. وبعد ذلك، خلص الأوروبيون الى ان القومية كانت خطرا ثم تدريجيا تخلت عنها في عقود ما بعد الحرب، واليوم يربطون الأوروبيون الغربيون أنفسهم في شبكة من المؤسسات غير القومية، وبلغت ذروتها في (الاتحاد الأوروبي).وبعد سقوط الإمبراطورية السوفيتية، بدأ الأوربيون بالانتشار شرقا لتشمل معظم القارة كنموذج للمناطق القومية الأخرى، بالاتحاد بالطريق السلمي من اجل الديمقراطية الليبرالية.

وهذه القصة والتي يعتقد بها على نطاق واسع من قبل جانب كبير من المثقفين الأوروبيين وأكثر من ذلك عدد اكبر من جانب المثقفين الأميركيين انطلقت في الآونة الأخيرة ففي سياق اعتبار ان على إسرائيل ان تتخلى عن مطالبتها لتكون دولة يهودية، وفي حل نفسها كونها دولة من قوميتين يهودية مع عربية فلسطينية، نجد ان مؤرخي الغرب يقررون ان المشكلة مع إسرائيل هي أنها استوردت في وقت متأخر من القرن التاسع عشر المشروع الانفصالي وان العالم قد انتقل من عالم ينادي بالحقوق الفردية، وفتح الحدود والتجارة الحرة وكافة نصوص القانون الدولي الى مجرد فكرة 'الدولة اليهودية ذات المفارقة تاريخية " .

والمثال الآخر هو في تجربة مئات من الأفارقة والآسيويين الذين يموتون كل سنة محاولين دخول أوروبا قبل ان تطأ أقدامهم على سواحل اسبانيا وايطاليا ودول شمالي البحر المتوسط حين يكتشفون عند ووصولهم ان أوروبا ليست هي البلاد ذات الحدود المفتوحة.

في عام 1900 كان هناك العديد من الدول في أوروبا لا تتمتع بالقومية الواحدة ذات الأغلبية الساحقة، وبحلول عام 2007 لم يكن هناك سوى اثنين، وواحدة من تلك بلجيكا، وبصرف النظر عن سويسرا فان الإثنية المحلية كميزان للقوى في أوربا كانت تحميها قوانين المواطنة الصارمة في أوروبا من " المشاريع الانفصالية " التي تلاشت كما انتصرت .

وفي عام 1945 كانت أوربا في كثير من النواحي القومية العرقية في أوج دورتها في السنوات التالية بعد الحرب العالمية الثانية. وكان الاستقرار الأوروبي أثناء حقبة الحرب الباردة في واقع الأمر يرجع جزئيا الى انتشار وفاء العرقيين لمشروع الوحدة. ومنذ نهاية الحرب الباردة والقومية العرقية واصلت لإعادة تشكيل الحدود الأوروبية .

لقد أصبحت القومية العرقية تلعب في أوربا دورا أكثر عمقا ودورا دائما في مسيرة التاريخ الأوربي الحديث، والعمليات التي أدت إلى هيمنة ذووا الأعراق الواحدة في بلادهم والفصل بين الجماعات العرقية في اوروبا يرجح أن تتكرر في أماكن أخرى في العالم إذا ما توافرت الأسباب ذاتها التي أدت الى سيادتها في اوروبا. فزيادة التحضر، ومحو الأمية، والتعبئة السياسية والاختلافات في معدلات الخصوبة والأداء الاقتصادي لمختلف المجموعات العرقي؛ وزيادة الهجرة ستطعن في البنية الداخلية للدول، فضلا عن حدودها سواء على الصعيد السياسي والديمغرافي والثقافي والاقتصادي، وستواصل القومية العرقية في تحديد شكل العالم في القرن الحادي والعشرين اذا لم تتمسك تلك الأمم بقيمها الموروثة وأساسات حضارتها .

ولكن معرفة سياسة الهوية تتحدد بطريقتين أساسيتين من التفكير في الهوية الوطنية. فالأولى هي ان جميع الناس الذين يعيشون داخل حدود بلدهم جزء من أبناء الأمة، وبغض النظر عن الإثنية والعرقية او الدينية. وهذه الليبرالية او القومية المدنية كانت المفهوم السائد عند الوسط الفكري الامريكي الحديث قبل الإدارة الأخيرة للحكومة الامريكي. ولكن نظرا الى ان الليبرالية قد تتنافس مع وغالبا ما تصنع وجهات نظر مختلفة، فان القومية العرقية الأساسية لذوي العرق الواحد وهي الثانية في معرفة سياسة الهوية ان الأمم تعرف من خلال التراث المشترك، والذي يشمل عادة اللغة المشتركة، والإيمان المشترك، والأصل العرقي المشترك.

لقد هيمن ذوي العرق الواحد بشكل تقليدي على الفكر الأوربي والأمريكي بشكل خاص بالنسبة الى مفهوم القومية الواحدة. وعلى طول التاريخ الأميركي الحديث وكان يعتقد ان الشعب وحده هو من الأصل الانكليزي أو ما يعرف بالانغلو- ساكسوني، لأولئك الذين كانوا من البروتستانت البيض، او من اوروبا الشمالية حيث كانت أصول الأميركيين. الا انه في عام 1965 كان هناك إصلاح لقانون الهجرة في الولايات المتحدة الغي فيه نظام الحصص ذا المنشأ الوطني والتي كان معمول به لعدة عقود. حيث استبعد هذا النظام بشكل تام وجذري الآسيويين وقيد الهجرة من اوروبا الجنوبية والشرقية.

وتواجه القومية العرقية الكثير من مشاعر القوة من فكرة ان أعضاء أمة هم جزء من الأسرة الممتدة للأمم التي بها أواصر الدم في نهاية المطاف. ومن المعتقد في الواقع المشترك الذاتي ان العلامات التي تميز في المجتمع تختلف من حالة إلى أخرى، وبين الحين والآخر، والطابع الذاتي لحدود الطوائف أدت الى بعض الاختلافات.

يؤكد السرد التقليدي للتاريخ الأوروبي ان النزعة القومية أساسا ليبرالية في الجزء الغربي من القارة، وانه أصبح أكثر عرقيا وغلوا حينما انتقلت الى الجزء الشرقي من اوربا. وهناك بعض الحقيقة في هذا، فعندما بدأت الدول الحديثة بالظهور كانت الحدود السياسية والحدود العرقية قد تزامنت الى حد كبير في المناطق الواقعة على طول ساحل المحيط الأطلسي في اوروبا. وكانت الليبرالية القومية أكثر عرضة للظهور في الدول التي تمتلك درجة عالية من التجانس ألاثني. وقبل فترة طويلة من القرن التاسع عشر كانت البلدان مثل انكلترا وفرنسا والبرتغال واسبانيا والسويد قد ظهرت الأنظمة السياسية في هذه الدول القومية وكانت الانقسامات العرقية قد خففت من جانب آخر عبر تاريخ طويل من التجانس الثقافي والاجتماعي .

أما في وسط القارة، التي يسكنها من المتحدثين بالألمانية والايطالية، فان الهياكل السياسية كانت مجزاة الى مئات من الوحدات الصغيرة. ولكن في الستينات من القرن التاسع عشر وفي 1870 تم حل هذا التجزؤ بعد إنشاء ايطاليا وألمانيا، ذلك ان جل الايطاليين الذين كانوا يعيشون في السابق كأغلبية بينما كان الألمان الذين كانوا يعيشون كأقلية حينما تم نقل مزيد

منهم الى الشرق ولكن الوضع تغير مرة أخرى ففي أواخر 1914 فمعظم بلدان وسط وشرق وجنوب شرق اوروبا تشكلت ليست من الدول القومية ولكن من تقسيم الإمبراطوريات حيث كانت إمبراطورية هابسبيرغ تضم الآن ما تشكل النمسا والجمهورية التشيكية ورومانيا وسلوفاكيا وأجزاء من ما يعرف الآن بالبوسنة وكرواتيا وبولندا ورومانيا وأوكرانيا، وأكثر من ذلك فان إمبراطورية رومانوف الممتدة الى آسيا كانت تضم ألان روسيا وأجزاء من بولندا وأوكرانيا. وأما الإمبراطورية العثمانية والتي تشكل اليوم تركيا الحديثة فقد غطت أجزاء من بلغاريا واليونان ورومانيا وصربيا وتمدد من خلال جزء كبير في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كذلك .

كل واحدة من هذه الإمبراطوريات كانت مؤلفة من العديد من المجموعات العرقية، الا إنها لم تكن تشعر أنها متساوية مع المركز لكثير من تلك الشعوب المتعددة الهويات. والتي كانت تتألف من طبقات الحكم الملكي وهبطت الى طبقة النبلاء والتي كانت غالبا ما تختلف في اللغة والأصل العرقي عن الطبقة التجارية، وأعضاء هؤلاء بدورهم يختلفون عادة في اللغة، والاثنية والدين في كثير من الأحيان عن طبقة الفلاحين ففي إمبراطوريات هابسبيرغ رومانوف على سبيل المثال فان عادة طبقة التجار الألمان كانوا من اليهود. وفي الإمبراطورية العثمانية، كان التجار من الأرمن واليونانيين او اليهود. وكذلك الحال بالنسبة الى الفلاحين والاختلاف بالنسبة الى التنوع العرقي.

وحتى خلال القرن التاسع عشر كانت هذه المجتمعات الى حد كبير ما زالت مجتمعات زراعية أي ان معظم الناس كانوا من الفلاحين في الريف، وكان بعضهم يعرفون القراءة والكتابة. أما الثقافات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فإنها عادة ما كانت مترابطة مع العرق ولم تغير تلك الشعوب من مواقفها إزاء تلك الثقافات حتى صعود القومية الحديثة حيث كانت إشكالية العالم آنذاك.

واليوم يميل الناس الى ان تتشكل الدولة على أساس القومية الواحدة باعتبارها من المسلمات الطبيعية وان شكل التنظيم السياسي القديم من خلال تشكيل الإمبراطوريات فانه يمكن اعتبارها حالات قديمة لاتتلائم مع الواقع السياسي والاقتصادي الجديد او إنها بعض أشكال الأخطاء التاريخية وانه يجب ان يسود الاتجاه الجديد بنشوء الدول.

لكن الدفع من قبل تيارات الحداثة بهذا الاتجاه لن تكون أعمق من التنافس العسكري بين الدول لكي توجد مطالبات قوية لتوسيع نطاق موارد الدول، وبالتالي فان النمو الاقتصادي المتواصل بدوره لن يتوقف على محو الأمية وسهولة الاتصالات فحسب ولكن بدفع السياسات الرامية الى تعزيز التعليم واللغة المشتركة الأمر الذي سيؤدي بصورة مباشرة الى فرصة الصراعات المجتمعية الى سيادة أكثر من لغة في الدولة الواحدة.

لذلك فان المجتمعات الحديثة ستقوم على فكرة ان المساواة من الناحية النظرية على الأقل يمكن لأي شخص ان يطمح الى ان أي وضع اقتصادي ستكون الممارسة فيه للجميع على قدم المساواة، مع الاحتمال التصاعدي للحراك الاقتصادي، وليس لمجرد ان الأفراد لهم قدرات فطرية مختلفة. لهذا فان الاقتصاديين يعتقدون بان الأسس الاقتصادية ستعتمد للنجاح بشكل اكبر على المهارات والأنماط السلوكية التي تساعد الأفراد والجماعات على المشاركة في التجارة.

كما ان الانتقال الى المدن والحصول على المزيد من التعليم خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، دفع الى حد كبير المجموعات العرقية ذات الخلفيات الفلاحية مثل التشيك والبولنديون والسلوفاك والأوكرانيون الى ان يسيطروا على المناصب في الحكومة والاقتصاد والتي كانت محتلة في كثير من الأحيان من قبل الأرمن والألمان واليونانيين او اليهود.

لذلك فان المتكلمين لنفس اللغة جاءتهم اللغة لتقاسم الشعور أنهم ينتمون معا الى تعريف عن أنفسهم وعلى عكس المجتمعات الأخرى تأتي في نهاية المطاف الى طلب الدولة القومية

الخاصة بهم، والتي ستكون المعلم الذي يسيطر على السياسة والموظفين في الخدمة المدنية والسيطرة على التجارة .

والقومية العرقية كانت الأساس النفسي وكذلك الاقتصادي الواحد لخلق جديد ولوجود علاقة مباشرة بين الأفراد والحكومة، ونشأة الدولة الحديثة أضعفت الأفراد من حيث التأثير التقليدي الى كونه مؤسس لوحدات اجتماعية وسيطة، مثل الأسرة والعشيرة، والنقابة والكنيسة. وقبل دفع عقلية الحراك الاجتماعي والجغرافي والعون الذاتي، كانت نشأة سوق الاقتصاديات القائمة على فعل الشيء نفسه وكانت النتيجة ان الفراغ العاطفي في كثير من الأحيان كان يشغلها أشكال جديدة من تحديد الهوية وفي كثير من الأحيان على أسس عرقية .

ان إيديولوجية العرق الواحد دعت الى قيام التطابق بين الدولة والأمة كعرقية محددة، مع شرط ان جميع القوميات الأخرى يجب ان تكون ضمن الحدود.... وبالتالي، ضمان الدرجة الدنيا من الإنسانية والحضارة المهيمنة لتدعي جميع حقوق المجتمع، وتدني هي إبادة الأجناس، او تخفيضها الى العبودية، او تحريم او إنها وضعت في حالة الارتهان.

في القرن التاسع عشر اعتقد الليبراليون على غرار العديد من أنصار العولمة اليوم ان انتشار التجارة الدولية من شأنها ان تؤدى بالناس الى الاعتراف بالمنافع المتبادلة التي يمكن ان تأتي من السلم والتجارة، وحتى داخل الأنظمة السياسية. أما الاشتراكيون فاعتقدوا ان الوئام لا يأتي الا بعد وصول الاشتراكية. ومع ذلك لم يكن بطبيعة الحال ان القرن العشرين هو تاريخ التوجه المتابع العملي "بجعل الدولة والأمة متناسبة" اذ أخذت الدولة أشكالا متنوعة من الهجرة الطوعية (في الغالب بدافع التمييز الحكومي ضد الأقليات والاثنيات) الى الترحيل القسري (التي يعرف أيضا باسم "نقل السكان") الى الإبادة الجماعية. وعلى الرغم من ان مصطلح" التطهير العرقي" حديث الاستخدام والاستعمال الا انه في دورته اللفظي ارتباط بالتشيك والفرنسيين والألمان والبولنديين والكثير من تاريخ أوروبا في القرن العشرين والذي طال عملية التجزئة الإثنية .

وبدأت على حدود اوروبا ما يمكن تصنيفه بالتصفية العرقية الضخمة. للمختلطين عرقيا في البلقان، وكانت الحروب من اجل توسيع الدول القومية في بلغاريا واليونان وصربيا على حساب الإمبراطورية العثمانية المريضة. وخلال حروب البلقان من 1912-1913 ترك ما يقرب من نصف مليون شخص أوطانهم التقليدية، إما طواعية او بالقوة. فالمسلمون غادروا المناطق الواقعة تحت سيطرة البلغار واليونانيين والصرب؛ والبلغار هاجروا المناطق اليونانية التي تسيطر عليها في مقدونيا واليونانيين فروا من المناطق المتنازل عنها من مقدونيا الى بلغاريا وصربيا .

وأدت الحرب العالمية الأولى الى زوال الإمبراطوريات الكبرى الثلاث وأطلقت العنان للانفجار القومي العرقي ففي الإمبراطورية العثمانية كان الترحيل الجماعي والقتل أثناء الحرب قد أودى بحياة مليون شخص من الأقلية الارمنية في محاولة مبكرة من التطهير العرقي وفي عام 1919 غزت الحكومة اليونانية تركيا لتسعى للحصول على "اليونان الكبرى" لتمتد وتسيطر على كل الطرق الى القسطنطينية. ولقاء مع النجاح المبدئي للغزو فان القوات اليونانية نهبت وأحرقت القرى، في محاولة لإخراج الإثنية التركية. ولكن في نهاية المطاف كان لإعادة تجميع القوات التركية سببا في دفع الجيش اليوناني الى الوراء والهزيمة على الأرض التركية، مع انخراطهم هذه المرة بالتطهير العرقي في بلدهم ضد اليونانيين المحليين على طول الطريق. ثم ان عملية نقل السكان أصبحت رسمية في معاهدة لوزان عام 1923 وكان على جميع الأعراق اليونانيين الذهاب الى اليونان وجميع المسلمين في اليونان الى تركيا. وفي النهاية طردت تركيا ما يقرب من 5،1 مليون نسمة وطرد اليونان ما يقرب من 400000 مسلم.

وفي جزء كبير من وسط وشرق اوروبا كان اليهود منذ زمن طويل لهم دورا هاما في التجارة. وعندما منحت الحقوق المدنية في أواخر القرن التاسع عشر مال اليهود إلى المهن التي

تتطلب التميز في التعليم العالي، مثل الطب والقانون، وتقريبا كان اليهود او من أصل الشعب اليهودي يتكون ما يقرب من نصف الأطباء والمحامين في مدن مثل بودابست وفيينا ووارسو. وقبل الثلاثينات كان الكثير من الحكومات قد اعتمدت سياسات لمحاولة التحقق من وعكس هذا الاتجاه، وحرمان اليهود والحد من وصولهم الى التعليم العالي. وبعبارة أخرى فإن الوطنيين الاشتراكيين الذين جاءوا الى السلطة في ألمانيا في عام 1933 قامت حركتهم على الجرمنة أو تغليب الجنس الألماني او الآري على حساب الأجناس العرقية الأخرى كاليهودية وسواها.

وشاركت السياسة القومية العرقية بدورها حتى أثناء الحرب العالمية الثانية. فقد حاول النظام النازي إعادة ترتيب الخريطة الإثنية في القارة بالقوة. والأكثر جذرية كانت محاولة تخليص أوروبا من اليهود قبل قتلهم جميعا فالنازيين استخدموا الأقليات العرقية الألمانية في تشيكوسلوفاكيا وبولندا وأماكن أخرى لفرض الهيمنة النازية والعديد من الأنظمة المتحالفة مع ألمانيا شاركت بحملات في بلادهم ضد أعداء العرقية الداخلية. فالنظام الروماني على سبيل المثال قتل مئات الآلاف من اليهود على أرضه من دون أوامر من ألمانيا وحكومة كرواتيا قتلت ليس فقط اليهود وانما مئات الآلاف من الصرب والغجر كذلك.

ولكن بعد الحرب لم يمكن للمرء ان يتوقع ويعتقد ان سياسات النظام النازي القاتل الذي سحق وهزم سيكون إيذانا بنهاية حقبة من السياسة العرقية. ولكن في الحقيقة أنها مهدت الطريق لجولة أخرى ضخمة من التحول العرقي الجديد. فالتسوية السياسية في اوروبا الوسطى بعد الحرب العالمية الأولى قد تحقق في المقام الأول عن طريق تحريك الحدود لملائمتها مع السكان. وبعد الحرب العالمية الثانية كان الملايين من الناس قد طردوا من ديارهم ورسمت البلدان على الأقل بتأييد ضمني من الحلفاء المنتصرين على أساس عرقي جديد.

ونستون تشرشل وفرانلكين روزفلت وجوزيف ستالين جميعهم خلصوا الى ان طرد العرق الألماني في غير البلدان الألمانية هو شرط أساسي لاستقرار النظام بعد الحرب. كما ان تشرشل وضع في خطاب ألقاه أمام البرلمان البريطاني في كانون الأول 1944 نظام بان "الطرد هو الطريقة التي تمكننا حتى الآن من ان نرى بشكل مرضي ودائم الاستقرار في اوربا. وان كان هناك خليط من السكان لسبب ما فسيسبب بمشاكل لانهاية لها".

وأشار الى "معاهدة لوزان باعتبارها سابقة مبنية على أساس راسخ اذ انه حتى قادة الديمقراطيات الليبرالية قد خلصوا الى ان التدابير غير الليبرالية من شأنها ان تزيل أسباب التطلعات العرقية او العدوان على أساس عرقي أيضا".

بين عام 1944 وعام 1945 فر خمسة ملايين من ذوي الأعراق الألمانية في الأجزاء الشرقية من الرايخ الألماني الى الغرب هربا من قهر الجيش الأحمر الذي كان يغتصب ويذبح في طريقه الى برلين. ثم بين عامي 1945 و1947 طردت الأنظمة الشيوعية الجديدة في تشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا ويوغوسلافيا آخر سبعة ملايين من الألمان ردا على تعاونهم مع النازيين. وهذه التدابير شكلت اكبر حركة للسكان قسرا في التاريخ الأوروبي مع مئات الآلاف من الأشخاص الذين كانوا يموتون على طول الطريق.

وحفنة من اليهود الذين نجوا من الحرب عادوا الى ديارهم في شرق اوروبا واجتمع مع الكثير منهم مع المعادين للسامية بينما اختار حوالي 220000 منهم الذهاب الى البلاد الأميركية من ألمانيا وفي نهاية المطاف ذهب أكثرهم الى إسرائيل او الولايات المتحدة. وهكذا اختفى اليهود أساسا من اوروبا الوسطى والشرقية التي كانت مركز الحياة اليهودية منذ القرن السادس عشر. أما اللاجئين من مجموعات اثنيه أخرى فقد تم إجلائهم من منازلهم وأعيد توطينهم بعد الحرب. ويرجع هذا جزئيا الى ان حدود الاتحاد السوفيتي قد انتقلت غربا والى ما كان في وقت من الأوقات تسمى بولندا في حين أن حدود بولندا أيضا تحركت غربا والى ما كان في وقت من الأوقات تسمى ألمانيا. وجعلت السكان يتطابقون مع الحدود الجديدة فهنالك كان 5،1 مليون من البولنديين الذين يعيشون في المناطق التي أصبحوا جزءا من الاتحاد السوفيتي وكان قد تم

ترحيلهم الى بولندا و500000 من أصل أوكراني من الذين كانوا يعيشون في بولندا أرسلوا الى جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية. وآخر تبادل للسكان وقع بين تشيكوسلوفاكيا والمجر مع نقل السلوفاك والهنغار والمجريين أرسلوا بعيدا عن تشيكوسلوفاكيا. وعدد أصغر من المجريين انتقلوا أيضا الى المجر من يوغوسلافيا مع الصرب والكروات الذين تتحركوا في الاتجاه المعاكس.

ونتيجة لهذه العملية العرقية الضخمة من عدم التجانس العرقي المتحرك والمثالي الى حد بعيد أدركت اوربا بالنسبة للجزء الأكبر لكل امة في اوروبا قد امتلك دولته الخاصة به وعلى كل دولة كانت تتألف بشكل حصري من القوميات العرقية واحدة. وخلال الحرب الباردة كانت هناك بضعة استثناءات لهذه القاعدة وشملت تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا. ولكن هذه البلدان أثبتت ان مصيرهم اللاحق سيجري نحو القومية العرقية.

بعد سقوط الشيوعية توحدت شرق وغرب ألمانيا وانقسمت تشيكوسلوفاكيا سلميا الى جمهوريتي التشيك والسلوفاك والاتحاد السوفيتي المكون من مجموعة متنوعة من مختلف الوحدات الوطنية تقسمت. ومنذ ذلك الحين والأقليات الإثنية الروسية في العديد من دول ما بعد الاتحاد السوفيتي هاجرت بصورة تدريجية من روسيا والمجريين في رومانيا انتقلوا الى المجر والقلة المتبقية من ذوي الأعراق الألمانية في روسيا ذهبت الى ألمانيا.

ووجد مليون شخص من اصل يهودي في الاتحاد السوفيتي السابق طريقهم الى إسرائيل. ويوغوسلافيا شهدت انفصال سلوفينيا وكرواتيا ومن ثم انحدرت الى الحروب العرقية في البوسنة وكوسوفو ويعتبر تفكك يوغوسلافيا مؤامرة لتجزئة الشعوب وانتصار القومية العرقية في أوروبا الحديثة وهذا الأمر نادرا ما يعترف به اذ ان القصة المروية والأكثر أهمية التي تروى للرأي العام هي انتشار الديمقراطية او الرأسمالية والتي ما زالت أسباب توسعها مجهولة الى حد بعيد وغير مقدر .

وفي فترة بعد انتهاء الاستعمار كانت آثار القومية العرقية لا تكاد تقتصر على أوروبا. وانما على جزء كبير من العالم النامي وكان إنهاء الاستعمار يعني تفصيل العرقية من خلال تبادل او طرد الأقليات المحلية ففي نهاية الحقبة البريطانية في عام 1947 أسفرت عن تقسيم شبه القارة الى الهند وباكستان جنبا الى جنب مع طقوس العنف التي احاطت مئات الآلاف من الأرواح. وأصبح خمسة عشر مليون شخص لاجئين بمن فيهم المسلمون الذين ذهبوا الى باكستان والهندوس الذين ذهبوا الى الهند. ثم في 1971 أعلنت باكستان انفصال بنغلادش التي كانت متوحدة معها على أساس الدين وانقسمت الى باكستان الناطقة باللغة الاوردية وبنغلاديش الناطقة بالبنغالية .

وأما الانتداب البريطاني الذي انشأ على فلسطين دولة يهودية في عام 1948 فقد دفعت الحرب التي نشأت بعد إعلان تلك الدولة الى ان المناطق التي تقع تحت السيطرة العربية تم تطهيرها من السكان اليهود في حين ان العرب فروا او أجبروا على الخروج من المناطق التي وقعت تحت السيطرة اليهودية. حيث ترك 750000 من العرب مناطقهم ولجئوا في المقام الأول للبلدان العربية المجاورة وأما 150000 المتبقية فكانوا لا يشكلون سوى سدس سكان الدولة العبرية الجديدة. وبعد ذلك ألهم المد القومي زيادة العنف ضد اليهود في البلدان العربية جميعها مما دفع أكثر من 500000 تقريبا من اليهود هناك على مغادرة أراضيهم الأصلية والهجرة الى إسرائيل.

ومثلها في نهاية 1962 وبعد انتهاء 132 عاما من السيطرة الفرنسية في الجزائر أدت الى الهجرة القسرية من الجزائريين من اصل أوروبي او ما يسمى (pieds - noirs) بمعظمهم الى ان يهاجروا الى فرنسا. وبعد ذلك بوقت قصير أجبرت الأقليات العرقية من اصل آسيوي الى الخروج من أوغندا وكان إرث الحقبة الاستعمارية لا يكاد تنتهي.

وعندما انتهت حقبة الإمبراطوريات الأوروبية في الخارج كانت قد خلفت وراءهم رقع من الدول التي غالبا ما تتخطى الحدود العرقية وكانت أنماط التسوية الداخلية للسكان المختلطون عرقيا مختلفة بحسب الجغرافية والثقافة والموارد الطبيعية التي كانت تمتلئ بها بلادهم.

وإذا نظرنا الى التفسير الاقتصادي في نشأة الدول ورسم حدودها فأننا سنجد العكس من ذلك التفسير السابق في رسم الحدوود والذي لم يكن للدافع القومي والاثني أي دور في ذلك التقسيم كما سبق. فالاقتصاديين يرون ان كفاءات الأسواق التنافسية تميل وتتأثر بالتعددية في تلك الأسواق مع زيادة حجم الأسواق وان تفكك الإمبراطورية النمساوية الهنغارية مثلا الى دول قومية اصغر كان من نتائجها تعدد الأسواق والنظم الاقتصادية الا انه في الوقت نفسه وضع الحواجز أمام التجارة مما ساهمت بزيادة الآلام الاقتصادية في المنطقة في فترة الانقسام بسبب تلك الصعوبات الاقتصادية. وفي الكثير من التاريخ الأوروبي اللاحق انطوت على محاولات كثيرة للتغلب على هذا التفتت الاقتصادي الى ان بلغت ذروتها في عودتها الى الاتحاد الأوروبي في عصرنا الراهن .

كذلك فان الانفصاليات الإثنية كانت لها أثار مختلفة على حيويتها الثقافية لان معظم مواطني الدول المشتركة في التراث الثقافي واللغوي المتجانس لدول أوروبا ما بعد الحرب كانت تميل الى ان تكون أكثر ثقافية من الجزر ذات الديموغرافيا المتنوعة كالولايات المتحدة الأمريكية ومع قلة اليهود في أوروبا وبعض الألمان في براغ عقب الهجرات القسرية والطرد الا ان تلك الحالة صارت مكافئة للبلدان المستقبلة لهم.

اذ ان البلدان التي تخلصت من الأرمن والألمان واليونانيين واليهود والعرب وغيرهم من الأقليات الناجحة حرمت نفسها من بعض أكثر المواطنين الموهوبين وأعطت بكل بساطة مهاراتهم ومعارفهم في أماكن ودول أخرى. لذلك نجد ان انتصار دعاة السياسة العرقية كان يجد قبولا لهم في التجمعات الريفية إما الأماكن الأكثر تحضرا والتي تمتلك المهارات في الدول الصناعية والمتقدمة في الاقتصاد فإنها كانت الخاسرة الأكبر من تلك السياسة.

وكثيرا ما أفضت القومية العرقية الى التوتر والصراع أكثر مما أثبتت ان تكون مصدرا للتماسك والاستقرار الا في حالة اعتبارها مصدرا للثقة المتبادلة والتضحية وان الديمقراطية الليبرالية والتجانس ألاثني ليست متوافقة فقط بل إنها قد تكون مكملة. ويمكن للمرء ان يجادل بان اوروبا كانت منسجمة منذ الحرب العالمية الثانية ليس بسبب فشل القومية العرقية ولكن بسبب نجاحها والتي أزالت بعض من أعظم مصادر الصراع داخل البلدان وفيما بينها وان حدود الدول والأعراق الآن تتوافق الى حد كبير مما يعني أن هناك عدد اقل من النزاعات حول الحدود او الجاليات والتي أفضت الى تشكيل الإقليم الأكثر استقرارا في التاريخ الأوروبي وهذه الأنظمة السياسية المتجانسة اثنيا أظهرت قدرا كبيرا من التضامن الداخلي إضافة الى ذلك فإن الحكومة تسهل برامج نقل المدفوعات المحلية من مختلف الأنواع.

والاختلاط العرقي الجديد يمكن تصنيفه جنبا الى جنب مع عملية الفصل القسري ألاثني على مدى القرنين الأخيرين فكما كانت هنالك عملية خلط أثنية أحدثتها الهجرة الطوعية فان النمط العام كان واحدا من الهجرة للفقراء الى ركود المناطق الثرية والأكثر ديناميكية. ففي أوروبا وهذا يعني في المقام الأول حركة الغرب والشمال التي تؤدي قبل كل شيء الى فرنسا والمملكة المتحدة قد استمرت هذا النمط في الوقت الحاضر وكان نتيجة للهجرة الأخيرة على سبيل المثال ان هناك الآن نصف مليون من البولنديين في بريطانيا العظمى و200000 في ايرلندا. وجزء كبير من المهاجرين لأوروبا من الذين انتقلوا من أوطانهم الى آخر انتهى الأمر بهم بأن مالوا الى البقاء هناك وتم استيعابهم على الرغم من تذمر البعض من السكان الأصليين وما افترض عليه بغزو"السباكين البولنديين" او"الزبالين الأتراك".

ان أهم ما حدث من تحول جذري من التوازنات الإثنية الأوروبية في العقود الأخيرة قد أتى من الهجرة من البلدان الأسيوية والإفريقية ودول الشرق الأوسط، وكانت النتائج مختلطة

فبعض هذه الجماعات قد حققت نجاحا ملحوظا مثل الهندوس الهنود الذين قدموا الى المملكة المتحدة. ولكن في بلجيكا وفرنسا وألمانيا وهولندا والسويد والمملكة المتحدة وأماكن أخرى في اوربا أحرزت قدرا محدودا من تحقيق التوازن بين التعليم والتقدم الاقتصادي للمهاجرين المسلمين وبالنسبة للغربة الثقافية كانت التحويل اكبر.

وكم هذه المشكلة يمكن ان يعزى الى عدم التمييز إلى الأنماط الثقافية للمهاجرين أنفسهم والى مدى سياسات الحكومات الأوروبية. ولكن هناك عدد من العوامل من التعددية الثقافية الرسمية لبرامج الرعاية الاجتماعية السخية كسهولة الاتصال مع نفس الأوطان الإثنية جعلت من الممكن استيعابها بشكل اكبر في ميادين الثقافة والاقتصاد. ونتيجة لذلك فالبعض من المخططات التقليدية للسياسة الأوروبية قد تأقلمت مع الوضع الجديد فاليسار على سبيل المثال يميل الى اعتناق الهجرة في اسم مذهب المساواة والتعددية الثقافية. ولكن اذا كان هناك في الواقع صلة بين التجانس ألاثني للسكان والاستعداد لتقديم الدعم السخي لإعادة توزيع الدخل بين البرامج وتشجيع أكثر من مجتمع غير متجانس قد ينتهي الى تقويض اليسار بشكل أوسع في جدول الأعمال السياسي. اما البعض من النزعات أوروبية التحررية الثقافية فاشتبكت بالفعل من المحافظين الثقافيين مع بعض الجاليات المهاجرة الجديدة.

اما الآثار المستقبلية فان القومية العرقية هي نتيجة مباشرة للعناصر الأساسية للتحديث ومن المرجح ان تزداد حدة في المجتمعات التي تمر في هذه العملية. لذلك فليس من المستغرب انه لا تزال من بين القوى الأكثر حيوية في أنحاء كثيرة من العالم المعاصر. فالقومية العرقية هي في كل مكان في سياسة الهجرة في جميع أنحاء العالم وكثير من البلدان بما فيها أرمينيا بلغاريا كرواتيا فنلندا ألمانيا المجر ايرلندا إسرائيل صربيا وتركيا -- توفر التلقائية او المواطنة السريعة الى الجماعات المغتربة إليها او التي تنتمي الى المجموعة العرقية المهيمنة في تلك البلاد.

والصين تعطى الأولوية لقانون الهجرة وبخاصة من الذين هم خارج الصين ويعودون إليها اما البرتغال واسبانيا فان سياسات الهجرة هي لصالح المتقدمين من المستعمرات السابقة في العالم الجديد. ولا تزال دول أخرى مثل اليابان وسلوفاكيا تقدم أشكال تحديد الهوية الرسمية للأعضاء الوطنيين ذوي العرقية المهيمنة وتسمح لهم بالعيش والعمل في البلاد. اما في الولايات المتحدة الأمريكية فالحكومة الأمريكية الرسمية مستمرة في الممارسات ذات المعاملة التفاضلية على أساس الانتماء العرقي على الا يشكل ذلك انتهاكا للمعايير العالمية وغالبا ما ينظر في هذه السياسات الاستثنائية على إنها في سياق عالمي وذات معايير عالمية.

ونتيجة لتلك الحركات المجتمعية العرقية وبغض النظر عن أسبابها المتعددة سواء كانت حربية او سلمية فقد جعلت العولمة الاقتصادية لأكثر الدول في الاقتصاد العالمي أولى ثمار تلك العملية واليها يعود الفضل إلى تلك المجموعات العرقية قبل التاريخ او الثقافة للاستفادة من الفرص الجديدة للإثراء وتعميق الانشقاقات الاجتماعية من خلال تحديد المناطق التي قد يحاولون فصل أنفسهم من الأكثر فقرا وأقل منها تحقيق مناطق مميزة متجانسة قد يحاولون اكتساب السيادة مما قد يثير ردود عنيفة من المدافعين عن الوضع القائم.

بطبيعة الحال هناك مجتمعات متعددة الأعراق ما زالت ضعيفة في الوعي العرقي ولديها إحساسا قويا وأكثر بان الدول المتقدمة في العرق قد تؤدي الى مطالبات سياسية قصيرة من السيادة. فأحيانا هنالك مطالب الحكم الذاتي العرقي او تقرير المصير لا يمكن مواجهته داخل دولة موجودة كمطالبات الكتلونيين في اسبانيا والفلمنكيين في بلجيكا والاسكتلنديين في المملكة المتحدة رغم ما قد تم الوفاء به بهذه الطريقة على الأقل في الوقت الحالي. لكن هذه الترتيبات لا تزال غير مستقرة وتخضع لإعادة التفاوض المتكرر. اما في العالم النامي وبناء على ذلك فان الدول الأحدث فلها حدود غالبا ما تتخطى الحدود الإثنية ومن المرجح ان المزيد من التقسيم العرقي الناتج عن النزاع الطائفي سيكون سائدا وان بمجرد العداء العرقي فانه قد تخطى عتبة معينة من

العنف لذلك سيكون الحفاظ على المجموعات السياسية المتنافسة داخل الدولة الواحدة تصبح أصعب بكثير .

هذه الحقيقة ستخلق معضلات لدعاة التدخل الإنساني لمثل هذه النزاعات لأن صنع السلام وحفظ الجماعات حين تسود الكراهية والخوف تتطلب تكلفة عسكرية دائمة لتكوين أساس للاستقرار وعندما يصعد العنف الطائفي والتطهير العرقي الى مستويات عالية فان عودة الأعداد الكبيرة من اللاجئين الى مواطنهم الأصلية بعد وقف إطلاق للنار قد يتم التوصل إليه في كثير من الأحيان غير عملي وغير مرغوب فيه، اذا ان وقف إطلاق النار هذا قد يمهد السبيل لإجراء جولة أخرى من الصراع.

وهكذا يمكن ان يكون التقسيم أكثر إنسانية كحل دائم لهذه النزاعات الطائفية المكثفة التي ستخلق تدفق موجات جديدة من اللاجئين وإنها تتعامل مع هذه المشكلة هكذا مسالة والتحدي الذي يواجه المجتمع الدولي في مثل هذه الحالات هو الفصل بين معظم المجتمعات بطريقة إنسانية ممكنة عن طريق المساعدة في النقل وضمان حقوق المواطنة في وطن جديد وتوفير مساعدات مالية لإعادة التوطين والاستيعاب الاقتصادي. وبالتأكيد فان كلفة كل هذا سيكون هائلا لكنها لن تكون اكبر من التكاليف المادية للتدخل الاجنبى والحفاظ على وجود عسكري كبير بما يكفي لتهدئة الخلافات العرقية المتناحرة او وقف المقاتلين او تكلفة عدم القيام بأي شيء .

وعلماء الاجتماع المعاصرين الذين يكتبون عن القومية يميلون الى التأكيد على ان مجموعة العناصر لوحدات الهوية ومدى الوعي الوطني الثقافي والسياسي يصنعها المذهبيون والسياسيون. ومع انه سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن القومية هي جزيئية او هشة بسبب بنائها الا ان القومية العرقية تقابل بعض النزعات الدائمة للروح البشرية والتي هي بفعل عملية إنشاء الدولة الحديثة وعامل حاسم لمصدر كل التضامن والعداوة بشكل او بآخر وسيبقى لأجيال كثيرة قادمة. ولا يسع المرء الربح فيها الا ان من مواجهتها مباشرة.

وبعد عقود من المكاسب التاريخية فإن العالم قد انحدر الى الركود بالنسبة إلى الدولة الديمقراطية. والدولة التوسعية آخذه في الارتفاع وتهدد كل من الديمقراطيات الراسخة والناشئة في جميع أنحاء العالم. ولكن هذا الاتجاه يمكن عكسه مع إقامة الحكم الرشيد والمساءلة الصارمة وبمساعدة من المساعدات المشروطة من الغرب .

فمنذ عام 1974 تحولت أكثر من 90 بلدا الى الديمقراطية وقبل نهاية هذا القرن كان هنالك حوالي 60 % من الدول المستقلة في العالم هي دول ديمقراطية. فالديمقراطيات في المكسيك واندونيسيا في أواخر التسعينات والأحدث عهدا في "الثورات الملونة" في أوكرانيا شكلت قمة من موجة المد والجزر من التحول الى الديمقراطية. حتى في العالم العربي أصبح الاتجاه واضحا ففي عام 2005 كانت القوى الديمقراطية في لبنان قد ارتفعت بسبب الاغتيال السياسي والعراقيين صوتوا في انتخابات برلمانية متعددة الأحزاب بعد غزو واحتلال مستمر نتج عنه أكثر من مليون قتيل بسبب التطهير الطائفي والعرقي والعمليات العسكرية ولأول مرة منذ ما يقرب من نصف قرن.

ولكن الاحتفالات بانتصار الديمقراطية سابقة لأوانها. وخلال سنوات قليلة فإن الموجة الديمقراطية قد تتباطأ من جانب قوى التيار الديكتاتوري الرشيد وقد ينحدر العالم الى ركود الدولة الديمقراطية. فالديمقراطية في الآونة الأخيرة أطيح بها أو خنقت تدريجيا في عدد من الدول بما فيها نيجيريا وروسيا وتايلاند وفنزويلا وكان آخرها بنغلاديش والفلبين. وفي كانون الأول 2007 تم تزوير الانتخابات في كينيا ولقيت الديمقراطية آخر نكسة مفاجئة وعنيفة.

في الوقت نفسه فإن معظم القادمين الجدد الى النادي الديمقراطي وبعض أعضاء ذات التاريخ الديمقراطي الطويل الأم كان الأداء سيئا. وحتى في العديد من البلدان التي ينظر الى قصص النجاح فيها مثل شيلي وغانا وبولندا وجنوب إفريقيا فان هناك مشاكل خطيرة في الحكم وجيوب عميقة من عدم الرضا. وفي جنوب آسيا حيث سادت الديمقراطية للمرة الأولى فيها في

الهند فهي الآن محاصرة بدول غير مستقرة سياسيا ودول غير ديمقراطية. وتطلعات التقدم الديمقراطي أحبطت كل مكان في العالم العربي باستثناء المغرب سواء عن طريق الاحتلال وما نتج عنه من مواجهة أسهمت ببروز التطرف والعنف السياسي والديني (كما في العراق) وخارجيا بالتلاعب بالانقسامات المجتمعية (كما هو الحال في لبنان) او نظم الحكم الاستبدادية للمشيخيات والملكيات (كما هو الحال في مصر الأردن وبعض من دول الخليج العربي).

قبل ان يمكن ان تنتشر الديمقراطية يجب عليها ان تتخذ جذور لها بشكل أعمق وهو المبدأ الأساسي من أي حملة عسكرية او الجيو- سياسية وإنها في مرحلة ما عليها ان تقدم القوة لترسيخ المكاسب قبل ان تحرز على مزيد من الأراضي. والديمقراطيات الناشئة يجب ان تثبت أنها قادرة على حل المشاكل على الحكم والوفاء بالتزاماتها نحو توقعات المواطنين من اجل الحرية والعدالة والحياة ألأفضل والمجتمع ألأكثر عدلا.

وإذا كانت الديمقراطيات لا تحتوي على انظمة اكثر فعالية ضد الجريمة والفساد او توليد النمو الاقتصادي والتخفيف من التفاوت الاقتصادي او تأمين الحرية وسيادة القانون وبالتالي فان الناس في نهاية المطاف سوف يفقدون الثقة وسينتقلون الى بدائل سلطوية. وعلى الديمقراطيات ان تناضل ويجب ان تكون متوحدة حتى يتسنى لجميع شرائح المجتمع بشكل دائمي ان تصبح ملتزمة بالديمقراطية بوصفها أفضل شكل للحكومة والى القواعد الدستورية والقيود لبلدهم. ويمكن لواضعي السياسات الغربية ان يساعدوا في هذه العملية حيث يتطلب الأمر أكثر من السطحية الانتخابية للديمقراطية. ومن جانب آخر يمكن جعل المعونة الأجنبية للحكم الرشيد ان يساعد الجهات المانحة على عكس الركود الديمقراطي. الا ان واضعي السياسات الغربية والمحللين اليوم لم يعترفوا بنطاق الركود الديمقراطي لأسباب عديدة منها ان التقييمات العالمية للديمقراطية من قبل إدارة الاحتلال تعتمد على تقييمات من قبل منظمات مستقلة مثل دار الحرية التي تميل الى ان تستشهد بالعدد الإجمالي للديمقراطيات ومجموع الاتجاهات في تقييمها لحال الديمقراطية العالمية بينما تهمل الحجم والأهمية الإستراتيجية للبلدان المعنية......

فالمناخ من الخوف والشعور بالعجز الناجم عن التهديدات الخارجية الناجمة عن التدخل الأحمق في العراق قوضت المثل الأميركية وأنضجت السياسية الغوغائية.

فخلال الحرب الباردة كان التهديد الذي كانت تمثله الأسلحة النووية وضعت مصير العالم في أيدي قلة قليلة. ولكن عندما يتعلق الأمر بإدارة مخاطر القرن الحادي والعشرين والسياسة الطائشة المتبعة فان الاستجابة لتحديات اليوم وتهديدات التطرف والكوارث الطبيعية يتطلب مشاركة واسعة من المجتمع المدني. فالمتطرفين والإدارة الأمريكية اختاروا ساحات القتال ومن المرجح ان يكون المدنيين وليس الجنود هم خسائر المعارك لكلا الطرفين.

فموت الأبرياء سيولد مناخ من الخوف والشعور بالعجز في مواجهة الشدائد وتقويض الإيمان والمثل الأميركية ستنضج السياسية الغوغائية للسياسة الأمريكية. وسيتوقف في نهاية المطاف إدامة الولايات المتحدة "للقيادة العالمية والقدرة على المنافسة الاقتصادية وعلى تدعيم صمود مجتمعها".

فالمرونة ظلت تاريخيا واحدة من القوى الوطنية الكبرى لسياسة الولايات المتحدة. وكانت هذه النوعية من السياسات هي التي ساعدت في السيطرة العالمية وسمح للبلد على مواجهة التحديات غير العادية التي واجهت التجربة الأميركية.

هذه الاتجاهات النزولية بدأت بعد قيادة واشنطن في الاتجاه المعاكس. فمنذ 11 أيلول 2001 والبيت الأبيض لم يوجه على على العمل التطوعي والإبداع في مواجهة الشدائد. وبدلا من ذلك أرسل رسائل مختلطة بان التطرف بوصفه خطرا واضحا وماثلا وخلافا لما جرى خلال الحرب العالمية الثانية عندما كان سكان الولايات المتحدة بأكملها قد تم تعبئتهم وبعد عقود من مكافحة التجسس السوفيتي خلال الحرب الباردة فان جهاز الأمن الاتحادي جعل الخوف من كشف معلومات أهم سمات هذه المرحلة ووصلت النتائج الى ما وصلت اليه.

والمرونة تعني وجود وسائل جديدة لاستيعاب الدروس التي يمكن استخلاصها من الكارثة. فمن الحماقة ان تذهب الى مجتمع يعود الى العمل كالمعتاد في اقرب وقت بعد يمسح الغبار جراء عملية عسكرية ما فالناس يجب ان يكونوا على استعداد تام لجعل عملية التغييرات تأتي بعد إصلاح الأسباب بشكل جذري وليس دفع تعويضات منازلهم وأعمالهم من جيوبهم لدفع التكاليف فالمجتمعات المحلية بحاجة الى تحسين أوضاعهم بالقوة وسعة الحيلة والقدرة على استعادة إمكانياتهم قبل الأزمة المقبلة والعنصر الآخر هو الصمود والذي هو القدرة على استعادة الأمور الى طبيعتها في أسرع وقت ممكن بعد وقوع الكارثة.

ونحن اليوم في باب شان إصلاح المجتمع والأمة بعد هذه المقدمة التاريخية والسياسية للسياسات العرقية والاثنية التي ولدت المآسي من القتل والتهجير والسياسات الخاطئة التي اتبعت لتزيد الأزمات ولا تجعلها في طريق الإصلاح تجعلنا اليوم من تقديم النظرة الإسلامية الجديدة والرؤية الأخرى لما يجري وسيجري على ارض امتنا.

ولئن كنا نتحدث عن انقسام العالم إلى أهل حقٍّ وأهل باطل فإنه لابد من الحديث عن تقابلٍ يُظهر خلفية كلٍّ من الفريقين، وهو التقابل بين الكفر والإيمان.

ولا ينبغي أن يروِّعنا استخدام الآخرين لبعض المصطلحات التي يستعيرونها من القرآن ثم يغيِّرون وجهتها، فالقرآن جاء فيه: {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُو اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[الأنفال:60] ودلَّ بكلمة "الإرهاب" على بناءٍ حضاريٍّ إيجابيٍّ يخيف العدو فلا تمتد يده لسرقة الأمة والعدوان عليها.

وأصبحنا اليوم نحتاط -لكثرة ما مارسه الإعلام وما هم وراءه- من ترديد كلمة "الإرهاب" على أنها مرادفة للتطرف، بينما الإرهاب لا يكون في التطرُّف بل يكون في الوسطية، لأنه بناء حضاريّ.

المصطلح الآخر هو"التكفير" الذي يطلقونه أيضًا في هذه الأيام على من انحرف فكرُه وشذَّ عن الصراط المستقيم. ولئن كان مصطلح "الإرهاب" مرَّ في كتاب الله سبحانه مرة، فإن مصطلح "التكفير" يُذكر مئات المرات في القرآن.

فما الذي يشهده العالم اليوم؟ وما سر هذه الفوضى المحلية والعالمية؟ وكيف نفسر من المنظور القرآني لما يجري على أرض العراق من احتلال وحرب وتدمير؟

ربما تكون المصلحة والمسالمة والمواطَنة من البواعث التي تحدُّ من السلوك الشرير، لكن الإيمان يبقى خيرَ باعث، وفي المقابل نجد أن القرآن الكريم يسلط الضوء على مصطلح الكفر، والذي يقع في الكفر ينطلق من العمى، لأن الكفر هو الستر، وانه ينطلق من الغطاء لا من البصيرة ومن العمى لا من الإبصار.

ومن هنا فإن القرآن صرح تصريحًا لا مجال للّبس فيه، حين تتبع بعض العلماء المعاصرين كلمة "الذين كفروا" منطلقًا من قوله سبحانه: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} فكانوا يتتبعونها في مواضع ورودها في القرآن ليبين كيف تعامل القرآن مع هذا المصطلح، وكيف تعامل معه تعاملاً موضوعيًّا من خلال القرآن كله؟

1- خاطب الذين كفروا بخطابٍ علميٍّ حكيم: حيث وجّه الألباب ونبّه العقول، فما كان هذا القرآن العظيم في خطابه للذين كفروا دائمًا يخاطبهم على وجه التهديد بنار جهنم، بل نبّه عقولهم أولاً، ومارس دور تنبيه العقول وتوجيه أذهان البشرية.

فعلى سبيل المثال نقرأ قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ، وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 31-32].

وهكذا كان يخاطب الذين كفروا بهذا الخطاب المغري للآيات، والمغري بعجائب الصنعة، لعلّه إن تأمل في عجائب الصنعة تسوقه تأملاته إلى صانعها سبحانه.

2- وبعدها نبّه القرآن إلى أخطاء الذين كفروا: ونقرأ مستوياتٍ ثلاثةً في القرآن الكريم:

* فقد نبّه إلى أخطاء عَقَائديةٍ تمس العقيدة، فوقعوا بسبب العمى والكفر (الستر والغطاء) في الخطأ العَقَائدي.

1- تعظيم غير الله بقلوبهم: ومن ذلك قولُه تعالى وهو يعالج القضية ويشرحها: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ} [الأنعام: 1] أي يجعلون له عدلاً ومكافئًا ومساويًا، فقد تكون المصلحة إلههم، وقد يكون المال إلههم، وقد تكون النفس إلههم، وقد تكون الغريزة إلههم... إنه خطأ عَقَديٌّ من خلال تعظيم غير الله بقلوبهم.

2- استهزاؤهم برسل الله عليهم الصلاة والسلام: وهو خطأ له صلة بالعقيدة والسلوك، فقال:{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} أي للذين كفروا فاستهزؤوا بهؤلاء الرسل الكرام، {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [الرعد: 32] وهذه الآية دالَّةٌ على أن الله سبحانه وتعالى لا يُنـزل بعد الاستهزاء بالرسل عقابًا مباشرًا إنما يملي لهم يزيدهم طغيانًا حتى يحق عليهم القول.

3- إنكارُ اليوم الآخر: قال سبحانه: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا} وهذا ما عليه المادية والعلمانية الملحدة التي تتحرك بقوة على أرض أوربا المادية وعلى أرض أمريكا في الغرب، وحتى في اليابان وفي الصين وفي الدول التي بدأت تتفرنج كما يقولون، {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: 7].

ب- ومن الأخطاء السلوكية العملية التي نبه القرآن إليها: الرغبة في القتل، والرغبة في الإخراج، والرغبة في سجن أهل الحق... وإن كان الخطاب قد توجه بالمفرد وكان يشير إلى رغبة الكفر في أن يكون ذلك حالاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل إمامة أهل الإيمان.

* يقول سبحانه وتعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} ولاحظوا كيف يعطي الوصف الذي هو الباعث، {لِيُثْبِتُوكَ} أي ليسجنوك، {أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} فكان هذا الكفر باعثًا على الرغبة في حبس أهل الإيمان أو قتلِهم أو إخراجِهم، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30].

* وقال سبحانه منبهًا هذه الأمة: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} [البقرة: 217] فلا توقف لهذا الأمر أبدًا.

* وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ} [الأنفال: 36] أي ليكون هذا المالُ سببَ قطع طريقِ الإنسان حين يريد التوجه إلى رشاده وتوازنه.

وسبيل الله هو الصراط المستقيم، وهو الوسطية والعلم والحضارة... ولا تنظروا إلى واقعنا، فواقعنا لا يعبِّر عن صراط الله المستقيم، فنحن نقترب في سلوكنا لكن واقعنا وتفاعلنا مع دين الله وصراطه إنما هو تفاعلٌ هامشيٌّ لا يعبر عن هذا الدين العظيم الذي تَفَاعَلَ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فكانوا سادة العالم، ولو تفاعلنا مع هذا الدين نكون سادة العالم، لأنها معادلة: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ} [النور: 55].

وانظروا إلى هذه الأخطاء السلوكية التي يقع فيها الذين كفروا... هكذا المصطلح القرآنيّ.- ثم قال: {فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} و"ثم" للتراخي، ولم يأتِ بـ "فاء العاقبة" التي تفيد السرعة إنما قال: "ثم" حتى نتعلم الصبر، ونتعلم سنن الله، {ثُمَّ يُغْلَبُونَ} وما قال: فيغلبون، {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ، لِيَمِيزَ اللّهُ} في مثل هذه الحالة {الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ..} إنها حالة اختبار لنا نحن فيها المختبَرون، فهو اختبارٌ توجَّهَ إلينا حتى يتم فرز أصحاب الصدق والثبات.{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] أين هؤلاء الذين تحدث القرآن عن صدقهم؟ وليس هذا الصدق بالصراخ، إنما يترجم الصدق بحركةٍ وسلوكٍ

وبناءٍ وعمل، ويترجم بتعمير البواطن ثم بملاحظة استقامة الظواهر، وبالتفاعل عملاً وسلوكًا مع القرآن بكل ما في هذا القرآن...

- ثم قال: {ويَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ} ففينا من ينجذب إلى الخبيث، فهو يزعم الإسلام ويدعيه، لكن باطنه ينجذب إلى الكفر وأهله، وهكذا يلتحق بعد الاختبار كلُّ خبيث بخبيث ويبقى الطيب مع الطيب.- ثم قال: {فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} ليجتمع في صفٍّ واحد، {فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الأنفال: 36-37].

ج- ومن الأخطاء الخُلُقية التي نبّه القرآن إليها والتي وقع فيها الذين كفروا: وهي تمثل توصيفًا للسلوك مع ذكر الباعث، فالباعث كان الكفر لأنه حالةُ تيهٍ وحيرة، وبعد ذلك يظهر الاعوجاج الخلقيّ:

* {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} [ص: 1-2] إنه الاستكبار والرغبة في الاختلاف، والرغبة في الخصومة، والرغبة في المنازعة...

* ومما يعين على عدم الوصول إلى الهداية ما يُرى من الإباحية والفسوق على أرض الغرب، وقد سرى هذا الأمر مع الأسف إلى بلاد الإسلام، وبدأ ينتشر فيها انتشارًا شديدًا، فالذي يعرف ما يجري على أرض بلدنا والبلاد الإسلامية المحيطة بنا مما يَندى له الجبين من الأمور المخلة بالأخلاق يعلم إلى أين وصلنا.

قال تعالى: {كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [يونس: 33] فنبَّه أن الفسق حاجب آخر إذا أضيف إلى الكفر، فإنه يغلق البصيرة إغلاقًا تامًّا، فلا يصل الإنسان إلى الإيمان أبدًا.على أن القرآن عرّفنا ببصيرة الإيمان، وأشهدنا ببصيرة التصديق حال أهل الكفر، وأشهدنا ما هم عليه في الحقيقة لأنهم في عمى، والأعمى لا يبصر، لكنه سبحانه أشهدنا حقائقهم.واسمعوا إلى القرآن وهو يكشف الغطاء عن هذه الحقيقة:

- {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} فهم في حالة الانبهار بالمادة، {وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [البقرة: 212].

- ويقول سبحانه: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ} [محمد: 12] فهذه هي صورتهم.

- وقال: {الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ، رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ، ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 1-3].

- وقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} [آل عمران: 10] هذا مشهد الذين كفروا ببصيرة أهل الإيمان من خلال تصديق القرآن.

- وقال أيضًا:{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [آل عمران: 179].

- وقال: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [آل عمران: 196-197].

- وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} [النور: 39] وهذه صورة قرآنية عجيبة، لو أن أهل الإيمان أدركوا أبعادها لقادتهم إلى الثبات. فمهما رأينا - ونحن في مدة الاختبار - من غطرسة، ومهما رأينا من علو وطغيان، ومهما رأينا من إملاءٍ أملاه الحق سبحانه لهم، ومهما رأينا من تفوُّق... لكن علينا أن نعلم أن الصورة هي صورة سراب.فمكرهم بالإسلام مهما كان قويًّا هو في النتيجة كسراب، ورغبتهم في إلغاء الإسلام مهما كان تدبيرها يستند إلى القواعد فإنها بائدة كسراب، مهما أرادوا أن يطفئوا نور الله... يريدون إلغاء المقاومة، ويريدون إلغاء فكرة الجهاد، وقد أُلغي الجهاد الآن من الخليج، حيث أُلغي تشريع الجهاد من الكتب، فالمناهج صدرت في دول الخليج وأُلغي فيها ذكر الجهاد إلغاء تامًّا.

إذًا هم في خطواتٍ عملية في تزوير المصطلح، فالإرهاب الذي هو بناءٌ حضاريٌّ صار في أذهاننا يعني التطرف، والتكفير مخيف، والجهاد ينبغي أن يُنسى، وهم يدعون إلى وحدة الأديان ويقولون: الإسلام يساوي اليهودية، ويقولون: ينبغي أن يدخل الإسلام إلى المسجد، ويمكرون ويمكر الله، لكن إذا لم يكن لدينا أن "أعمالهم كسراب" فإننا سنتأثر وسوف ننحرف عن طريقنا.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ} [النور: 39] عند مكرهم تجد الله يدبِّر ثم يدمِّر: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [النور: 57]

وفي النتيجة ينبغي أن نقرأ التوجيه القرآنيَّ إلينا وهو سبحانه يخاطب أحب الدعاة إليه حين قال لحبيبه: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: 35]

ويومًا من الأيام وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وحوله ما يزيد على مائة ألف من أصحابه ونـزل قوله تعالى: {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} [المائدة: 3].

يومًا من الأيام سنقرأ هذه الآية حينما نجد الله عند هذا السراب الذي هو أعمالهم ومكرهم وتدبيرهم... يومًا من الأيام سيظهر الإسلام.. يومًا من الأيام سيتفوق عدل الإسلام على ظلم المادية، وسيتفوق خُلُقُ الإسلام على اللاخلقية، وستتفوق أمانة الإسلام على غشهم وسرقتهم وأكاذيبهم وخداعهم... يومًا من الأيام سوف تتفوق طهارة الإسلام على تلوثهم، وعلى دنسهم، وعلى انحلالهم... يومًا من الأيام سيتفوق تواضع المسلم على تكبُّر الكافر.. يومًا من الأيام سيتفوق ما في المسلم من إيمان على ما في المادية الملحدة من الكفر... وعندها نتلو قوله تعالى كما تلاه رسول الله: {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ}. قال تعالى: {وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139] ولا ينحصر معناها في السيادة السياسية، إنما أنت الأعلى حين تستطيع أن تتجاوز الفتنة، فأنت الأعلى فوق الفتنة، لأن الفتنة لا يمكن أن تكون جاذبة لك. فكان كبار أهل المعرفة يقولون: أَغْلِ ثمنَك أيها الإنسان، حتى لا يقدر على شرائك غير الله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ} [التوبة: 111]

فإذا كان الله يشتري فلا يمكن أن تُقدّم نفسك لغيره، وغيرُه لا يستطيع أن يدفع الثمن الذي يدفعه الله، ولا يستطيع أن يكون منافسًا في الشراء لله، فأَغْلِ نفسك ليكون كلُّ ما سوى الله عاجزًا عن شرائك.

وهنا يبرز تساؤل كان يرد على الدوام في أذهان كثير من الناس بعد أن عرفوا الحق حول عدم قدرة علماء الإسلام من تطبيق الحكم الرشيد اليوم بعد تبوؤهم المسؤولية فشلهم في أعمالهم التي تصدوا لها خلال سنوات الاحتلال، ولعل التأثير السيئ على أفعالهم جعلت الكثير من الناس يستبدل الكثير من الثوابت والمسلمات التي كان يعتقد بها إلى ما كان يؤمن قبل ذلك من المحرمات وبالتأكيد كانت له الكثير من الحجج والبراهين ما يجيز له فعل ذلك فالتاؤيل والتدبير حاضر في كل فعل وزمان. منذ سنيين طويلة وأنا ابحث في هذا الموضوع ليس على الصعيد السياسي فحسب وإنما على اغلب الصعد فعجز الإنسان المسلم العربي في إيجاد السبيل الصحيح لنهضته وإعادة بناء أمته لا تقوم بالتأكيد على مزاوجة فروع المعرفة الكثيرة والعقائد والأفكار العالمية بالإسلام والنظم الفكرية له، فكما فشلت الدعوات الموسيقى الإسلامية والرياضة والفن والأدب الإسلامي وحتى على صعيد السياسة الإسلامية ومثلما كانت قد فشلت من قبلها تزاوج الاشتراكية بالإسلام وسنشهد فشل ما نراه اليوم من تاطير للديمقراطية بالإسلام لا وحتى إعطاء الشرعية لها بل وجعلها شهادة كل مسلم وآثم من يكتمها وينكرها ويبطلها. هذا الهرج والمرج والفوضى في التاطير والتفكير والعجز عن الرؤية الواضحة لخواص شعوبنا وأفكارنا جعلت الكثير من الباحثين والمفكرين يختلفون في تفسير ما كان طوال أكثر من قرن من الزمان وان أكثروا من الوصف له ولكنهم اقلوا وعجزوا عن إيجاد السبل القويمة للنهضة الا في شعارات

عقيمة ليس فيها أسس واضحة للنهضة ومحددة للتعامل مع الآخرين أو في اقل حد ممكن في نجاح النخبة والصفوة ليكونوا على قدر المسؤولية.

ولا ادعي في هذه الكلمات أني قد وجدت حلولا لهذا الأمر ولكن الفشل لا يدعو إلى عدم تقديم المحاولة مرات لإيجاد الصيغة المناسبة للنجاح وعدم الفشل ولكني كذلك اعتقد جازما أن أساس المشكلة الحقيقية تكمن في عدم وجود الرؤية وتنظيم الفكر قبل أن يكون واقعا للحال في التنفيذ والمشكلة التي تبدو بالنسبة للكثير من أن تنفيذها لجميع مراحل الفكرية قد فشلت طوال القرن العشرين وان سوء التنفيذ دفعنا بالأساس إلى التقليل من معايير النجاح واختلاف المعايير في الفشل وبالتالي فان سقوف أهدافنا انخفضت عبر عقود طويلة من السنين وبتنا نتوق للماضي القريب على جميع المستويات حتى انطفأت في قلوبنا شموس الأمل بالمستقبل الواعد.

اعتقد أن المشكلة تكمن في نظرتنا إلى المستقبل لكل أسباب حياتنا فلا مستقبل لنا في رؤية نهاية لاحتلال فلسطين ولا أمل لدينا في عودة النظام والاستقلال للعراق أو في وحدة البلاد العربية أو حتى في مستقبل تدبير شؤونهم. والأمر يسود كذلك على آمال ومستقبل المرء الشخصية فلا مستقبل زاهر له ولأولاده والسعيد منهم من يستطيع أن يجد له حياة أخرى في الغرب فهو امن لهم واشمل لكل الجوانب حياتهم هذه وأمسى الكل يبحث ويجيد العمل ولكن من دون تغيير.

في التاريخ همسات ولمسات صغيرة يهمس بها لنا ويمكننا أن نحسن بها في مواطن قليلة منها ما اشتهر به العراق بأنه موطن مدرسة الرأي الفقهية الحنفية والتي كانت تنظر إلى المستقبل في فتواها مثلما كانت تعيش واقعها ومن هنا جاءت تميزها فقربها من عهد النبوة والصحابة وصواب علمائها وقوة أسانيدهم وعظمة رجالهم جعل فتواهم حية وقادرة لرؤية مستقبلهم ومرضية لطموح أبناء الأمة الإسلامية لقرون من بعدهم ولعل فتواهم في قصر الصلاة للمسافة المأذون بها حتى وان كان زمان السفر اقل من مسيرة ليلة وإنما بساعات قليلة حين ضربوا مثالا برجل يركب نهرا من أعالي الجبال فيقطع تلك المسافة بسويعات قليلة ابرز مثال لنجاح الفقيه المسلم باعتقاده لمستحقات عصره وأمال مستقبله.

وحينما نعتقد باستمرارية التاريخ ونؤمن بحتمية ما سيكون نستطيع أن نصل إلى أصل المشكلة ومن ثم نجد الحل فيها. فالفقيه المسلم وعالم الإسلام والمثقف والمفكر والأديب والمؤرخ والفيلسوف كل هؤلاء عليهم أن يخرجوا من واقع حياتهم إلى رسم آفاق مستقبلهم ومستقبل شعوبهم وأممهم. فلا يجوز للفقيه أن يسال عن أحداث قد وقعت ويبقى دائما في دائرة رد الفعل لمن حوله بقدر ما يكون منارة لامته وشعبه بمعنى انه في التاريخ والأدب والتربية وباقي العلوم الإنسانية فلسفات أرساها فلاسفة ومفكرون على مدى تاريخ البشرية المكتوب تميزت بين التقليدية والواقعية والتجديدية والتقدمية والعنصرية والدينية وغيرها وجميعها تبحث عن مستقبل لشعوبها وأسس بقائها وتنظم وترسخ لمبادئ وقيم خاصة.

وحتى اليوم نراها في الغرب ومن قبل في الشرق تجتهد في مواصلة ديمومتها وحين صدقنا بمقولة العولمة والعالم قرية صغيرة سلبنا من أنفسنا القدرة على أن نحلل ونكون أسس لمستقبلنا ولحضارتنا بعد ما أصبح مفكرينا وعلمائنا بموقع التنفيذ والعمل وتخلوا عن مواقعهم الطبيعية في التأصيل والتخطيط.

أرى اليوم من غير المنطق والمقبول سؤال عالم الدين والفقيه عن رأيه بالاحتلال والمقاومة والعمل السياسي في بلد محتل كالعراق بعد سنوات من الاحتلال وشرعية الانتخابات ومن المصيبة أن نرى أن عالم الدين والفقيه والمفكر يفتي ويعطي راية لكل ما قام به المحتل من مجازر إلى سرقات إدارة الحكم وغيرها بل ويعطي شرعية لها من خلال المشاركة بها من باب الإصلاح ودرء المفسدة وهي نجسة في كل شيء ومثل هذا ينطبق في فلسطين والجزيرة العربية وباقي دول العالم الإسلامي. لا أستطيع أن أتخيل أن يصل مستوى المفكر والفقيه المسلم إلى درجة أن يبدي رأيه بالرفض أو القبول أو الإنكار أو الاستحسان بالحرمة أو الحلة لأمور قد

فرضت عليه سواء بقوة السلاح أم من خلال وسائل الاتصال أو بالثقافة فهذه ليس بمكانه ولا يليق به أن يلبس ثوبا غير ثوبه ويستملكن حالا غير حاله.

علينا أن ندعو بشكل واضح ومميز لا لبس فيه ولا مواراة ولا تأويل بان يكون الفقيه المسلم والعالم والمفكر بمنزلة المخطط الاستراتيجي والراسم المعتد به بدل أن يكون سياسيا وتنفيذيا.وان يكون صاحب رؤى بدل أن يكون مفسرا ومؤولا .

وان يضبط مقاليد الأمور بالمستقبل خير له من مساع الدوران في دوائر الأغيار. وان يحدد كلماته وأفعاله بحسب الوصول إلى غاياته المستقبلية أفضل من نجاحه وفشله في ما أراده الآخرون منه ان يكون فيه.

نحن بحاجة اليوم لفتاوى مستقبلية تخص بلادنا وشعوبنا نرسم من خلالها مستقبل أبنائنا بل وحتى مستقبلنا. نحن بحاجة لفتاوى في تنظيم عقود الامتياز والاحتكار النفطي على سبيل المثال والتي سنواجهها مستقبلا حيث علينا ألا نقتصر في ذلك على سنة ابن سعود في عقود الامتياز النفطي حينما أباح لمعمر الأرض البوار ما تحت الأرض وما فوقها مقابل نسبة للعائلة الحاكمة لكل برميل من النفط المستخرج منها ومن ثم فرض ضريبة ٥٠% من أرباح النفط المستخرج والتي عرف بعد ذلك كذبا باتفاقات المناصفة النفطية؟؟ او نترك هذه المسالة لمساومات السياسيين وأصحاب الشركات النفطية.

نحن بحاجة اليوم لمعرفة رأي المفتي بوجوب قدسية الحدود التي رسمها المستعمر البريطاني والفرنسي للأرض العربية والإسلامية ولبلادنا بشكل خاص فهناك فرصة في السنوات الخمس القادمة مثلا أن تكون ارض وسط وشمال العراق حرة ويمكن ضمها لبلاد الشام كما فعل ذلك من قبل صلاح الدين وتذهب كردستان إلى تركيا ويتنازع على الجنوب كل من السعودية وإيران على مناطق النفوذ فيها.او نترك ذلك لحسابات القوة والضعف بين الأطراف المختلفة والغير قادرة على الحل او تطبيق الحكم الرشيد.

المستقبل ليس بأماني وإنما طموح يرسم بأفكارنا وهو حياة مخطط لها بعناية البشر الذين لهم القدرة على تغييرها ورسمها فلا احد منا كان باستطاعته تخيل ما سيجري للعراق قبل عشر سنوات ولا احد له القدرة على معرفة كم ستستمر المقاومة وكيف سيكون شكل العراق بعد خمس سنين .

الفقيه والمفكر علية أن يسبق عصره ويرى بنور الله سبيل الخلاص ولا أريد في هذا المقام من الدعوة إلى سلوك مسالك مراكز البحوث والدراسات الغربية في هذا المجال وكيف مكن لهم الشيطان أعمالهم برؤيتهم المادية واستطاعتهم الوصول إلى غاياتهم والتي سيكون ضمان نجاحها من خلال بقائنا وبقاء مفكرينا وفقهاؤنا في دائرة ردة الفعل لكل ما يصيبنا.

القضاء مكتوب عند الله لكن المستقبل من صنع الإنسان وهو قدر الله، وشر الناس من أراد الدنيا بعمل الآخرة؟؟

المن لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت.

اعمل ما شئت فانك ميت.

كما تدين ...... تدان.

الواقعية الجديدة للسياسة الوطنية العراقية.

الفصل الثاني:
الواقعية الجديدة للسياسة الوطنية العراقية.

أزمتنا..... أزمة فكر

جاء الاحتلال الأمريكي فرصة لإعادة التفكير في المناهج الفكرية الشرقية الإسلامية وعدم المضي في تحديث المناهج السابقة وجعلها تتلاءم مع المتغيرات الفكرية والسياسية والعلمية. إلا إن أزمة الفكر العربي الإسلامي وهي أساس الأزمة التي تعيشها الشعوب الإسلامية هذه الأيام ومن قبل ما سبقت أنهم ليست لديهم الهوية الخاصة بهم كشعوب لهم من الإرث الحضاري والعقلي ما يجعلها متميزة بكل المعاني عن الأنظمة الغربية الرأسمالية ومن قبل الاشتراكية أو العنصرية وما سواها وان العالم ليس قرية صغيرة أوانه يعيش في نظام كوني واحد.

فكانت الدعوات التي قد سبقت من مفكري الأمة في كيفية التزاوج الفكري بين الشعوب فظهرت الاشتراكية الإسلامية والديمقراطية والشورى والاقتصاد الحر والمرابحة ضمن تصورات إسلامية وما سوى ذلك إلا أنهم عجزوا عن إيجاد المخرج الخاص المخلص من هذه ألازمة الفكرية. لا بل تعدى الأمر عن العجز عن إيجاد حتى الرياضة الخاصة بهذه المنطقة أو حتى إيجاد واختراع نوع من أنواع الفنون التي تلاءم العقل الشرقي. وبدل ذلك ظهرت دعوات بالرياضة الإسلامية للبس المرأة للحجاب وعدم الاختلاط والجواز الشرعي لتلك الملاعب، وحتى الفنون من تخريج لأصولها العربية أو تصنيفها لتكون موافقة مع متطلبات الشرع الإسلامي.

من هذه المقدمة نرى إن من أوجه الأزمة التي نعيشها هي أزمة فكرية في الأساس في عدم وجود منتهى خاص بنا. فأساس العمل هو البناء الفكري للدولة ومن ثم تأتي أنواع الصعود الأخرى ومن ذلك الأساس الفكري للاستراتيجيات السياسية، فعلى سبيل المثال إن زوال الاحتلال ليس هو هدف بعينه تسير عليه الشعوب فالاحتلال زائل لا محالة فلقد جاء بسبب رجل واحد وسيخرج كذلك لنفس السبب في حين يجب عدم إعادة التجربة الأفغانية في سبيل خروج الاحتلال السوفييتي نرى إن الفصائل تقاتلت فيما بينها من اجل الزعامة السياسية وما جر ذلك من ويلات على الصعيد العالمي.

ولذلك وجب إيجاد الهوية والصفة الشخصية للمجتمع ليتمكن من معرفة أصول النهوض الفكري والعلمي لشعبه بعد زوال الاحتلال ومن اجل ذلك جاءت سمة البطل أوصفة المنقذ أو القائد واجبة في التفكير السياسي والاقتصادي والاجتماعي العراقي اليوم. وان تقديم هذه النظرية واستنهاض هذه الغريزة لدى شعوب المنطقة وإيجاد السمة التي يجب إن يتسم بها أبنائها والتميز بها عن النظام الغربي ما يتسم بها من دعائم الديمقراطية والحرية والسلام الأمريكي وما سوى ذلك قد يكون بداية لبناء جديد في معرفة القيادة القادرة على بناء هذه الشعوب لطريقها الخاص لحياة جديدة ومستقلة

إن أصعب ما يمر به الإنسان ليس اختيار الوطن بل البعد عنه والمعرفة بأنه سوف لن يعود إليه. اختيار صعب بين هذا وبين اختيار الموت من اجل ذلك ولعل الإحداث التي تعصف بالبلاد أشبه ما ستجعل الأمور تسير إلى ذلك الخيار وان الصبر على التسليم بذلك قد يكون أهون تلك الأمور.

ويمكن اختزال طبيعة النزال اليوم على ارض الرافدين إلى قوة الإرادة بين طرفي الصراع وعلى قناعات احد الطرفين فإرادة المحتل في تقديم نموذجه في الحياة وتطبيق مسببات الأمة الأمريكية على العالم اجمع خاصة إذا اعتبروا أنهم هم العالم وعليهم مهمة القدر في إيصال رسالتهم الكونية إلى العالم.

وبين قدر شعب جاهل ضعيف لا يريد سوى متطلبات عيشه من مأكل ومشرب دون سواها وهو أصلا لا يقدر حتى الوصول إلى استحقاقها ولا يريد حتى النظر إلى ما فوق ذلك، وفيه فئة آمنت بقدرها واستنهضت الهمم الرائدة لتاريخها ومستقبلها ورضيت بالمقاومة سبيلا لحياتها وان لم يحتضنها كامل شعبها. بين تلك الإرادتين ينتصب قدر العراق اليوم بين من فقد الحكمة ويمتلك المغامرة والإرادة والمعلومة والمعرفة وبين من عنده الحكمة ولا يراها ولا يمتلك الشجاعة ولا المعرفة ولا القدرة ولا يريد من قدره إلا بقدر ما تشتهيه نفسه.

إن منطق التوراة الذي جاء على الدبابات والعقول الأمريكية في بناء عالم جديد في العراق أساسه جملة من المتناقضات بين أفراد شعب ليس بينهم رابط سوى فراغ فكري وجمود وجحود مترسخ جيلا بعد جيل لكل من يقوده ومتمردا على كل الصعاب التي تواجهه، هذا الأساس أرادت التوراة الجديدة وحاملوها إن يقيموا بنيانهم الشامخ ومجدهم الزائف عليه وبالتالي نرى النتائج بين عشية وضحاها إن صمدت أمام هذا المد الفوضوي الشعبي من المقاومة والتي ستؤدي نتائجها بالتأكيد على قلب الطاولات على رؤوس جالسيها المفاوضين.

إن قلة الوعي السياسي جعل فئات كثيرة من الصفوة الحاكمة تعتقد على إن بيدها زمام المبادرة وان عليها إن تقود البلاد إلى الهاوية المستدامة التي ستحقق مصالحهم على حساب سواهم، والذي شجع على ذلك استشراء الجهل السياسي بشكل عام والنفاق العقائدي بشكل خاص وطبيعة مفاهيم هذا المجتمع والذي تربى ببيئة يجب عدم نسيانها في مثل هذه الظروف ولمدة عقود من الزمن إلى جانب قلة الوعي الثقافي بزوغ الحلم الملحمي والاعتقاد الغيبي كل هذا أصبح وقودا ودافعا لتلك الأهداف والمعتقدات التي جاءت على ظهور المكائن الأمريكية.

بدأت كتابات تظهر بشكل مطرد وباتت تشكل الرأي السائد اليوم في الفشل الثقافي الفكري بانهزام مروجوا ثقافة التزاوج بين الثقافات وربما كانت أبو غريب وحديثة وقبلهما وبعدهما مفتاح لذلك الانهزام الفكري.

فهل يمكن أن تكون حديثة هي باب القبر الجماعي فقط ؟ الجثث التي شاهدناها، والأطفال الموتى؛ هل يمكن أن تكون هذه بضعة فقط من الكثير؟ هل إن ما فعله جيش أمريكا في الأحياء الفقيرة يذهب الى أبعد من ذلك ؟ أتذكّر بشكل واضح الشكوك الأولى التي تولدت لدي في فترة اعتقالي بان ذلك القتل الفظيع قد يحدث باسم الولايات المتحدة في العراق.

كلّ جيوش الاحتلال فاسدة. وجميعهم عدو ومجرمي حرب؟ الجزائريون ما زالوا يكتشفون القبور الجماعية حتى اليوم التي خلفها المظليون الفرنسيون والذين محوا قرى بأكملها ،وكذلك المغتصبين القتلة من الجيش الروسي في الشّيشان.

وكذلك الأحد الدامي .حينما جلس الإسرائيليون يراقبون ميليشياتهم اللبنانية العميلة تذبح نحو1,700 فلسطيني. وأيضا في ماي لاي ومن قبلهم النازيون الذين كانوا أسوأ واليابانيون والستاشي الكرواتيين. وأخيرا وليس آخرا جاء هؤلاء الجنود الصغار الذين يمثلون جيش الولايات المتحدة الأمريكية في العراق والذين تلطخت أيديهم بدم الأبرياء.

اعتقد إن جزء من المشكلة هو عدم اكتراثنا نحن العراقيين بالعراقيين الذين سقطوا من مختلف المذاهب مطلقا، فقبل اندلاع المقاومة وعندما هاجم العراقيون جيش الاحتلال بقنابلهم على الطريق وبالسيارات الانتحارية، أصبحوا بوجهة النظر الأمريكية أنهم الأشرار، وأنصاف البشر وكما عرفوهم الأمريكان في فيتنام ولكن تناسى الأمريكان وتناسينا إن هؤلاء كما كانوا في المقاومة يمكن إن يكونوا مسلمين وباستطاعتهم جميعا أن يصبحوا محمد عطا أخر.

أعتقد إن هذا النوع من الأفعال أصبح سلوكا. فالرعب في أبو غريب نحي جانبا. فهي كانت إساءة، لا تعذيب وبعد ذلك تأتي بعض الأحداث الصغيرة، ضابط صغير في الولايات المتحدة اتهم بقتل جنرال في الجيش العراقي بحشوه في كيس نوم بالمقلوب وجلس على صدره. وثانية، نحصل على بعض العناوين البارزة .من يهتمّ إذا ملأ التراب فم عراقي آخر؟(الم يحاولون قتل أولادنا الذين يحاربون الإرهاب هناك).

دعمت حكومة الولايات المتحدة قواتها المؤلفة من القتلة والمرتزقة المفسدين والذين يعيدون اليوم الجرائم الأمريكية في فيتنام وغيرها والتي ظهرت على شكل رأس الكتلة الجليديةَ في مذابح اصغر شانا وأكثر دموية من القتل العشوائي والذي ينفذ بواسطة الكتائب المسلحة والمليشيات المنظمة من قبل القوات المحتلة وفي بعض المناطق المسيطر عليها.

وهذا المنطق ظهر واضحا أثناء وبعد معركة الفلوجة الثانية حيث عد أي هجوم عسكري ضد القوات الأمريكية تمردا وهو ما يعطي الحق بقتل المدنيين،سواء في نقاط التفتيش من قبل الجنود القتلة أومن خلال، استعمال أسلحةِ المحرمة مثل القنابلِ زنة 2000 رطلِ على أماكن متوقعة من المتمرّدين ،وهذه اللامبالاةَ للحياةِ العراقيةِ جعل حتى الجمهور أمريكي غير حساس وغير قادر على فَهْم فداحةِ الجريمةِ، فالقصف الهائل، وخراب النظام البيئي، والدمار المنظّم للحياةِ في بَعْض المناطق الريفية البعيدةِ ومن ثم تدريب جنود عراقيين ومن سواهم على القتل المنظم والمنهجي في قطع الرؤوس واغتيال الكفاءات والمثقفين الذين اعتبروهم من الأعداء المحتملين جعلت صعود هذه الحالة ألاأخلاقية وهذا العهر الوحشي للحرب السمة الأساسية لوجه الحرب في العراق.

وعلى الرغم مِنْ استمرار احتلال العراق والذي يعد بالعمل الوحشي بكل المقاييس فان هذه الأعمال الوحشية ارتكبت من قبل تلك القوات الأمريكيةِ ،والتي تُسبّبُت بموتَ مئاتِ الآلاف، وان عشرات آلاف منهم قتلِ بيد تلك القوات، والذي أدى إلى إن يُزعزعُ البلادَ بشكل دائم، ومستوي، من حينٍ لآخر، ومن خلال قْتلُ المدنيين بتعمد، يجب إن نَأْخذُ الدرسَ الوحيدَ الذي يَكُونُ بأنّنا يَجِبُ أَنْ لا نَتْركَ هذه الوحشيةَ الأمريكية ألا تُلوّثُنا نحن العراقيين، وألا تُحطّمُ هياكل العراق الاجتماعية.

إن هذا التمييز العنصري والتخمير الغريب للقوميةِ، إشارة على نزعةِ القوات الأمريكيةِ لاستعمال النارِ الهائلةِ في المناطقِ المدنيةِ،جعل من حياة للعراقيين العاديينِ إن تُصبحَ أكثر صعوبةً وفزع ويأس في كُلّ يوم. وأكثر من 30000 عراقي قتلوا في شهر واحد نتيجة لأعمال وتدريب القوات الأمريكية في البلاد وأكثر من 100,000 شخص هَربوا من بيوتِهم في بغداد في شهر واحد والآلاف من المعتقلين في السجون الأمريكية وما صاحبها من حالات التعذيب والمعالجة اللاإنسانية والتي كانت "واسعة الانتشار" في معسكراتِ ألاعتقال.

لقد سادت في بلادنا السادية الأمريكية والتي تقول في أناشيدها الوطنية وفي تدريباتها العسكرية" مثل القتلِ القتل! أقتل! أقتل! يَجْعلُ الدمُّ العشبَ يَنْمو." هذا النظام المتطور والمصمم بشكل مُحدّد للتَغَلُّب على الكرهِ الإنساني الطبيعي لقَتْل الإنسانِ الآخر وليس لحِماية مصالحِ السكان المدنيين أو تحقيق العدالة والتنمية وإنما لإرساء السلام الأمريكي والحرية والديمقراطية بنسختها الغربية الانكلو-سكسونية.

حينما احتلت بريطانيا العراق في تشرين الأول 1914 وبدأت بغزو أراضيه لأربع سنوات كانت قد عرفت ماهية هذا الشعب الذي يسكن الطين ويفترش التراب والذي يتكون من أعراق ومذاهب وجهل واعتقادات شتى جعل من الصعب إن يحكم من داخل أهله أو إن يكون لهم رأي في حكمه. لذلك كان ومنذ البدء للتدخل الإقليمي والدولي في العصر الحديث رأي بارز في رسم تشكيل مستقبل البلد وتنظيم هيكلته السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولعل كان ألاعب الحاضر والغائب القديم ومنذ خمسة قرون والحاضر بمطامعه الإقليمية السياسية والدينية ومحاولته إعادة تشكيل الدولة المريضة والمنهارة وهي الدولة العثمانية التركية الجديدة. ولقد كانت هذه الإمبراطورية العجوز من ابرز اللاعبين في العراق بعد الدولة البريطانية المحتلة وكانت الغائب الأبرز في كتب المؤرخين الذين ذهبوا بعيدا في دراساتهم عن الدور التركي في العراق وأثره في رسم المستقبل العراقي في القرن العشرين. فقد كانت لمعارك الأتراك مع البريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى اثر بارز في ذلك النفوذ وكانت لمطالبة الأتراك بالموصل وجه أخر من أوجه ذلك التأثير وكان لرجال بريطانيا في العراق وعلاقتهم القديمة بالجيش العثماني اثر كبير في تلك التدخلات، وكان اثر العامل الديني بارزا في تقديم رجال السنة العلمانيين للحكم في العراق وكذلك في رسم الحدود والأقاليم العراقية. وكانت هزيمة البريطانيين على يد الأتراك في جنوب تركيا بعد معاهدة مندروس مؤلمة وقاسية وأعطت الدافع للأتراك بالمطالبة للتوسع خارج حدود تركيا بعد توقيعها على تلك المعاهدة خلال خسارتها الحرب العالمية الأولى ووقف بطل تركيا القومي آنذاك أتاتورك موقفا بارزا في وقف سلسلة الانهزامات المتتالية للرجل المريض، ثم إن انفتاحها القومي جعل منها دولة إقليمية تمثل مصالحها الخاصة فقط بعد إن كان مفهوم المصالح تلك هي رعاية مصالح المسلمين بشكل عام في العالم.هذا التغير في الإستراتيجية التركية جعلها تفكر من جديد بأنها دولة إقليمية من دول المنطقة ترتبط مصالحها بشكل أساس مع دول مجاورة ومستقلة بجوارها ضمن منظومة غربية حديثة في رسم خارطة العالم القديم. من هنا جاءت المباحثات البريطانية التركية الأمريكية في أوائل العشرينات لرسم حدود العراق الجديدة وتمكين رجال تركيا في العراق من تبؤ المناصب السياسية الهامة في تشكيل النظام السياسي الحديث. فبالرغم من خسارة تركيا الحرب مع الغرب إلا أنها بالتأكيد كانت أقوى دولة إقليمية يمكن الاعتماد عليها أو التأثير على الاستراتيجيات الغربية الحديثة في نظام اقتصادي عالمي جديد نشا بعد أعقاب الحرب العالمية الأولى.وحينما نقرأ هذا التاريخ يتبادر إلينا مفهوم التوافق الإيراني - الامريكي حول العراق، فبالرغم من التوافقات الحالية من العداء المشترك لهذا المحور إلى الاتجاه العروبي الإسلامي نجد إن السياق السياسي التاريخي قد اخذ مداه الواسع في هذا الحلف من خلال ازدياد التنسيق بينهما لرسم مستقبل العراق ووضع رجالات إيران لتبؤ المناصب السياسية في البلد ذلك لان من أسس العلاقات الدولية هي إنه التعامل مع الأعداء الأقوياء خير من التحالف مع الحلفاء الضعفاء. الأمر الأخر إن توافق المصالح يتقدم في أحيان كثيرة على اعتبارات النجاح والفشل في الاستراتيجيات الدولية العامة والعلاقات الدولية فالتوافق والاختلافات في العلاقات لا تؤثر سلبا أم إيجابا في تطوير وإنماء المصالح المشتركة ولذلك نجد إن هناك خيطا رفيعا بين الدول المختلفة لا ينقطع مهما كان مجال الخلاف والعداء بينهما ليكون صلة الربط الأساسية في تحقيق المصالح المشتركة. وحينما سقطت سيادة الدولة العراقية في 9 نيسان 2003 أصبح أهم الواجبات على المقاومة العراقية بناء الدولة الكاملة السيادة والتي تتولى حكومتها إدارة شؤونها الداخلية والخارجية من دون إن تخضع في هذا الأمر إلى أي تدخل خارجي والذي يتيح لأبناء الدولة حق المساواة أمام القانون وفي الحقوق والواجبات وبمعنى أخر تحقيق الدولة ذات الكاملة السيادة أو الدولة المستقلة. وتأتي معرفة

التاريخ الحديث والمعاصر كمفتاح أساسي لمعرفة السياسات التي قادت إلى تأسيس الدول ودراسة العلاقات السياسية والاقتصادية التي حكمت الأمم والشعوب الأخرى وفي العلاقات الدولية مع العراق. ولتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث والمعاصر دوراً كبيراً في التأثير المباشر وغير المباشر على الأحداث العالمية وبخاصة على الأحداث التاريخية التي أدت إلى بناء الإمبراطورية والدولة الأمريكية فقد استند واقع الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع العراق والعالم كونها قد سبقته باعتبارها أحدى ولايات المستعمرات البريطانية في أمريكيا الشمالية، حيث أن دراسة الثورة الأمريكية وقادتها وما استفاد المهاجرون من تلك الثورة والتي أدت إلى الاستقلال في 4 تموز 1776 ثم الحرب الأهلية بعد ذلك، ورغم ذلك عدت تلك الثورة امتداداً طبيعياً للتطور الغربي الحديث. ثم كانت الإمكانات الاقتصادية الهائلة التي امتلكتها الولايات المتحدة الأمريكية لتحدد نوعا جديداً من العلاقة بينها وبين العالم لم تألفها أي من الدول في العالم، فقد دخل الصراع السياسي مثلاً في سمة تلك العلاقة وكان التنافس الامبريالي حول العالم والتوافق بينهم وحتى التكامل في العلاقات هي التي حكمت العلاقة بين دول العالم والولايات المتحدة الأمريكية. ولم يحول تدهور ومن بعد توثيق الصلات بينهما خاصة بين حربي الخليج إلا إلى مصدر أخر لتعزيز مقومات تطور وتفوق المصالح الأمريكية في العراق. إن انعكاس أثار الحرب على الاحتلال من خلال تغيرات جوهرية تناسب مع توسع النفوذ الجديد للولايات المتحدة في العالم. وبينت السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية على مدى التخلخل الاقتصادي والسياسي وحتى الاجتماعي الأمريكي في داخل الولايات المتحدة وفي الخارج بفضل نتائج تلك الحرب. جاءت أحداث العراق في فرض النظام بالقوة المسلحة ودخول ثقافة العنف السياسي فيه من قبل الأحزاب والحكومة العراقية والمرتزقة ليواجه العراق مشكلة بنيوية كبيرة منها توجيهه بالقوة التي تخيف وهي لا تؤدي بالضرورة إلى النتائج المرجوة، وانتقل عنف الدولة إلى المجتمع في وجوه أخرى منها عدم استطاعة الحكومة استغلال الموارد المتاحة أو السعي إلى توافق الانقسامات الاجتماعية والدينية والعرقية أو إلى شراء الولآات للأقليات إلى جانب استخدامها القوة مع الصفوة المتعلمة والمثقفة في البلاد الأخرى. هذا التغير في التعامل مع المجتمع العراقي جاء بعد ما أحس الأمريكيون بلذة النصر السريع الذي أحدثوه في العراق وأرادوا إن يؤكدوا على ضمان الحقوق والامتيازات لمواطني ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية ورعاياها في العراق، وجاء إقرار هذه السياسة تجاه العراقيين بان تكون ثابتة وليس قابلة للتغيير ويمكن العمل بها من خلال التعامل مع رؤساء العشائر أو مع المنفيين والمنشقين وأصحاب الأطماع، أو مع أصحاب الاتجاه الديني والذين تتمركز أهدافهم بصورة واضحة مع المعتقد الديني وليس مع بناء الدولة، ولم يتم التعامل مع أبناء المدن المثقفين ذو المستوى الثقافي العالي، وقد ساعدت تلك السياسة على زيادة الهوة بين أبناء العشائر وبين أبناء المدن أو بين أبناء المجتمع المتماسك وأدى ذلك إلى الحد الذي فضلت فيه بعض العشائر العراقية الحكم العسكري الأمريكي الأجنبي المباشر على حكم ابن المدينة الوطني. فأصبحت السياسة الأمريكية قادرة على أن تدير المتناقضات السياسية وليس كسب التوافقات وأصبحت العلاقات العراقية المحلية في السياسة الأمريكية تقوم على معرفة الصراعات ونشأتها وإدارتها ثم حلها وفقاً لمصالحها الخاصة. ولم تجعل لتاريخ شعب العراق التي تعاملت معه أي اثر في تلك العلاقات فهي في نظرها تصنع التاريخ وتعرف كيف تسير إلى المستقبل وبذلك خالفت المبادئ الأساسية للعلاقات الدولية في حقوق السيادة والمواطنة والسلوك المحلي للدولة وحتى تغير مفهوم توازن القوى واستخدام القوة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ألأخرى لصالح مفهوم التدخل الإنساني العالمي في الحرية والديمقراطية والسلام الأمريكي. كانت هذه السياسة قائمة على إرساء دعائم صراع طويل داخلي وإقليمي وخارجي حول العراق واستطاعت بفضل دبلوماسيها وقناصلها المعتمدين في العراق من إنشاء أنواع مختلفة من الصراعات، ثم وبفضل قوتها العسكرية والإستراتيجية العالمية والتي تتمتع بها تمكنت من إدارة تلك الصراعات وبالتالي

حلها أو تركها أو حتى إشعالها من جديد وبوجوه أخرى وبحسب مصالحها القومية. وكان على هذه القوة العظيمة أن تأخذ بنظر الاعتبار وهي تنشئ هذه الدولة العراقية الحديثة وبالمصاف الأول المصلحة القومية لدولتها ضمن صفات محدودة تتمثل بالحدود والهوية والحدود السياسية والعرق ألاثني إلى جانب خلق البيئة الملائمة لمحيط هذه الدولة مع التركيز على بناء النموذج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع وضمن الدائرة الرأسمالية الكبرى خصوصاً وبالنظام العالمي بشكل عام. إذ أن معارضة خارجية قوية لإنشاء الدولة المستحدثة أو إرادة شعبية لا تريد مثل تلك الدولة قد يؤدي إلى فشل فرض نجاح قيام مثل هذه الدولة. ثم إن تلك المعايير بعد ذلك اختلفت لتجعل من تطلعات الشعب المعينة في الحرية والاستقلال أمراً جوهرياً وقانونياً مهماً في انتشار الدول فأصبح الاستقلال وتقرير المصير والإرادة الوطنية وهو حقاً من حقوق الشعوب في القانون الدولي ودخل ذلك في حسابات المستعمر من جديد. وان أهم الملامح الأساسية لتطور السياسة والتغيير في النظام ألأمريكي تجاه العراق، معتمداً على التطورات العالمية في التجدد والتغيير أكثر من الحاجات والمصالح المنظورة عند السياسيين والموظفين الحكوميين فقد كانت الرؤية الرأسمالية في صناعة الاحتكارات إلى جانب السيطرة والتملك أهم السمات التي اتسمت بها هذه الرؤية ،بالرغم ما عصف بالعالم الغربي من حروب وكوارث اقتصادية سادت تلك الفترة نتيجة تلك السياسات، وكان للحركة العلمية والتقدم التكنولوجي والصناعي والتأكيد على المذاهب الفكرية في الديمقراطية والحرية السياسية أثر بالغ في تطبيق واستمرار هذا النظام السياسي العالمي ودون الحدود الضيقة التي كانت تقيد الساسة المحليين في إطار القومية والوطنية وحتى الدينية الأيدلوجية. وعلى العكس من ذلك كانت سمة الجمود في الفكر الايديلوجي المحلي عند أصحاب الفكر العراقيين خلال هذه الفترة سبباً في انهياره، فالسياسة الدولية تبنى على إدارة المتناقضات وليس على التوافقات وكان يجب أن يعرف الطرف المقابل قبل الشروع في الدخول في العملية السياسية تحت ظل الاحتلال والتي كبلت الساسة العراقيين. فجاءت المذهبية كشعور بالتصميم الوطني لإثبات الهوية أو الذات الوطنية والشرف والحرية في العمل الوطني مما جعلها انتماء للمذهب أكثر منه إلى الوطن في تحقيق وحدة سياسة قومية ذات هوية وقوة للدولة ذات العرق واللغة المختلفتين. هذه الثوابت والحدود والقيود كانت السمة البارزة للساسة العراقيين خلال هذه الفترة وليس لنا كمؤرخين الحكم عليها بالنجاح أو الفشل بقدر إظهار القدرة على الوصف والتعبير. وأمام تلك التحديات يبدو لنا ومن خلال الواقع على إننا في خطا التوهم باتهام الاستعمار ألأمريكي في العراق في تحمله المسؤولية المباشرة في عدم الاستقرار السياسي فيه خلال هذه الحقبة يشير إلى دوره الفعال في ما أفرزه من نتائج لمستقبل المنطقة، فما قام به المستعمر هو التعامل المباشر أو غير المباشر ووفقاً لمصالحه مع هذا المجتمع المتعدد، ولكن أثر المستعمر الأساسي كان في سيطرته السياسية والعسكرية والاقتصادية في هذه الحقبة الحاسمة، مع أنه بلا شك أصبح النظام الوطني والقانون المحافظ الأمين على هذا الواقع الجغرافي الجديد ولأسباب دولية عديدة. كما إن القوى ألأمريكية في العراق أدت دوراً كبيراً في صياغة هويات طائفية وعرقية بين أبناء المجتمع العراقي ووصلت فيه إلى مستوى عال من النجاح حينما بدأ السكان من العراقيين يعتقدون إلى أن هذه الولاءات التي دفعتهم القوى الخارجية إلى اعتناقها هي ولاءاتهم الأصلية ونابعة من صميم المجتمع الذي يعيشون فيه ولا بد من الاعتراف بها. فقد كان دخول السنة إلى الحكومات العراقية المتعاقبة وبشكل واسع إلى تقييدهم بشكل كبير في أنماط الإدارات الحكومية الموجودة كما أنهم فقدوا تأثيرهم على بقية فئتهم في المجتمع العراقي وعلى العكس من ذلك فقد دخلت الشيعة وبارتباطاتهم الواسع بمرجعيتهم الدينية إلى جانب مواردهم المالية وارتباطهم التجاري الواسع وسيطرتهم على الحياة الاقتصادية وانفتاحهم الديني على المجتمع العراقي وقد ساعدهم في ذلك الحالة الاجتماعية والفقر والجهل لدى معظم العراقيين إلى تجاهلهم للنظم السياسية ولقد شجعت المنح المالية المقدمة من قبل السفارة الأمريكية لعلماء الدين إلى الدخول تحت سيطرتهم عن طريق دفع المنح المالية الكبيرة إليهم.

لعبت الشخصية الأمريكية المظهر الأكثر تميزاً في العلاقة ألأمريكية تجاه العراق فمن المعروف أن السمة الغالبة للمجتمع الأمريكي هو تعدد المعتقدات والتحولات الدينية وأشكالها وهي في غالبها مبنية على أسس من الاندماج بين تلك الحركات والأحزاب رغم بقاء بعضها ضمن خصوصيتها الدينية، وانعكس ذلك كدافع للشخصية المسيحية ألأمريكية لتشجيع ممارسات سلوكية معينة وتركت انطباعا أكبر في رسم صورة الشخصية الصامدة الثابتة القوية والرغبة المتعجرفة لتحقيق كل ما أراده الرب ودعاهم إليه فكان هناك نوع من الميثاق بين الرب الموثوق الذي يمكن الاعتماد عليه وبين أناس مؤمنين قادرين من خلال حضاراتهم وثقافتهم الرأسمالية من تحقيق ما يريده الرب منهم. ودعت الشخصية الوطنية الأمريكية إلى الاعتماد على النفس والتكييف والاستقلالية في رسم السياسة الخارجية الأمريكية، وحينما جاءت فترة انهيار برجي التجارة في سبتمبر 2001 وبداية فترة (الحرب ضد الإرهاب) كانت سبباً لاجتماع عدة عناصر قادت إلى تحضير ودراسة سياسية خارجية ووفقاً للشخصية الأمريكية – للعقود القادمة وهذا ما اعتبر تحدياً أخلاقياً وأيدلوجياً واضحاً ودافعاً إلى معرفة السلوك الأمريكي في العراق في هذه الفترة. ولتأكيد الحرب العالمية ضد الإرهاب تفوق قوة الاقتصاد الأمريكي وهذا ما أعطى شعوراً واسعاً للشعب الأمريكي بالشعور بالمسؤولية تجاه دول العالم إذا أخذنا بعين الاعتبار حركة التجدد والتغيير في الفكر الرأسمالي وتحت هذا التأثير تحركت السياسة الاقتصادية الأمريكية إلى وجه جديد في تغيير صورة التأثير من خلال دعم جهودها السياسية بوضع خطط وأفكار حول ماهية متطلبات الاقتصاد العالمي تجاه ما ستستخدمه السياسة الأمريكية فأنشأت مؤسسات اقتصادية كصندوق إعادة أعمار العراق. وفي أعقاب فشل إدارة الاحتلال في التجربة مع الأحادية، فان الولايات المتحدة بحاجة مرة أخرى لبناء سياسة خارجية تستند الى واقع والى أوفياء للقيم الأميركية. وهذه المسؤولية يجب أن تتصدى لتحديات العصر مع إجراءات فعالة بدلا من السذاجة الآمال. وعلى الرغم من حالة الأمن المتدهورة في العراق، فان إدارة الاحتلال لم تعد النظر في هدف سياستها الأساسي البعيد المدى في الشرق الأوسط خاصة بعد انسحاب مخططي وداعمي قرار أمريكيا دخول الحرب، ومن ذلك Wolfowitz، نائب وزير الدفاع، وFaith، وكيل الوزارة للسياسة.

وربما تكون الولايات المتحدة قد تعلمت الدرس حول عملها السياسي المستقبلي في المنطقة وربما سيكون الهدف الإستراتيجي القادم "إيران". والإدارة المدنية في وزارة الدفاع الأمريكية تبحث عن تهديد جدي موثوق ومن خلال عمل عسكري خاصة إن الحكومة الإسرائيلية تدفع إلى ذلك إلا إن هناك العديد من الخبراء العسكريين والدبلوماسيين الذين يعارضون فكرة العمل العسكري، وان خيار العمل العسكري إسرائيلي أو أمريكي في هذا الوقت في إيران هو عمل غير جيد. الا إن وجهة النظر الاسرائلية فترى انه إذا استمر التهديد الإيراني فانه سيعد مشكلة دولية.

إلا إن هذه الإدارة تجري اليوم مهمات الاستطلاع السرية داخل إيران على الأقل منذ الصيف الماضي. ومعظم الاستخبارات تستهدف جمع المعلومات على النشاطات النووية الإيرانية، والمواد الكيماوية، ومواقع الصواريخ، وان مثل هذه الأهداف التي يمكن أن تحطّم بالضربات الدقيقة وهجمات الصاعقة القصيرة الأمد. وهذا بالتأكيد ما يريده "المدنيون في وزارة الدفاع الأمريكية من دخولهم إيران وان يحطّموا أكبر قدر من البناء التحتي العسكري".

بعد انتصار الاحتلال في خريف ٢٠٠٤. دَعمَ مُستشاروا أمنه القومي اتجاه السيطرة على الجيشِ والمخابرات الإستراتيجيةِ والعمليات العسكرية السريّةِ إلى درجة فريدة لم يسبق لها مثيلا إلا منذ ارتفاع دولة الأمن القومي ما بَعْدَ الحرب العالمية الثانيةَ. ذلك لان لديه طموحا لإعمال

عدوانيةُ وطموحًا لاستعمال تلك السيطرةِ ـــ ضدّ الملالي في إيران وضدّ الأهدافِ في الحربِ المستمرةِ على الإرهابِ ـــ وجعل جميع المؤسسات والوكالات لأجل اسَتَخْدامهاُ على نحو متزايد، كمستشار حكومي واحد وذات صلات وثيقةٍ إلى وزارة الدفاع الأمريكيةِ وتكون "مسهلات" للسياسةِ التي تَنبثقُ مِنْ الاحتلال ونائبِ دكّ تشيني.

على الرغم مِنْ حالةِ الأمنِ المتدهورةِ في العراق، فان إدارة الاحتلال لم تعد النظر في هدفِ سياستِها الأساسيِ البعيد المدى في الشرق الأوسطِ: في جعل مؤسسة الديمقراطيةِ الأمريكية منتشرة في كافة أنحاء المنطقة. مُعتَبَرًا ذلك ضمن الإدارةِ كدليل دعمِ أمريكا لقرارِه للدُخُول للحرب. وأعادَ ترتيب موقعَ القيادةِ في وزارة الدفاع الأمريكيةَ المدنيةَ والتي دَعتْ للاحتلال، وعلى حساب وولفيتز، نائب وزير الدفاعِ، وفيث وكيل الوزارة للسياسةِ الخارجية.

الحرب على الإرهابِ سَيُتوسّعُ، وسيضع عملياً تحت سيطرةِ وزارة الدفاع الأمريكيةَ. والاحتلال الامريكيَ ُخوّلُ استخدام مجموعاتَ مغاوير سريةَ ووحداتَ قواتِ خاصّةِ أخرى لإجْراء العمليات العسكرية السريّةِ ضدّ الأهدافِ التي تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية بأنها إرهابية في عشْرة دول في الشرق الأوسطِ وجنوبِ آسيا. وكانت وزارة الدفاع الأمريكية قد حاولتْ العَمَل على النشاطاتِ السريةِ قبل ذلك. ففي أوائل الثمانينات بُدِأتْ وخُوّلتْ وحدات سريةِ من الجيشِ للعمل في الخارج بالإشرافِ وكانت النَتائِج كارثية. فبرنامج العملياتِ الخاصِّة المعروف بدعم نشاطِ الاستخبارات، أوسي أي أي وأُديرَ مِنْ قاعدة قُرْب واشنطن كان مسئولا عن الإنقاذِ الفاشلِ، في نيسانِ، 1980 عن الرهائنِ الأمريكانِ في إيران، وبَقيت الوحدة طيّ الكتمان مِنْ العديد مِنْ الجنرالاتِ الكبارِ والزعماءِ المدنيينِ في وزارة الدفاع الأمريكيةِ، وكذلك عن العديد مِنْ أعضاء الكونجرسِ. وقد نُشِرَ في النهاية في حربِ إدارة ريغانَ ضدّ حكومةِ ساندنيستا، في نيكاراغوا. حيث كَانَت مُلتَزِمة أيضا بدَعْم رجال الكونترا. وكذلك الحال في أفغانستان حيث دعمت قوات المجاهدين وكانت النتيجة ازدياد اتجاهات التطرف في المنطقة. وقد عادت تلك الوحدات إلى الخدمة في العراق بعد إن أصبحت الحرب على الإرهاب في المفهوم الأمريكي ذات طبيعة "إنسانية منفردة" وليست على نطاق دولي ومؤسساتي يتطلب مثل تلك الوحدات للعمل وبما تنتجه من كوارث وفشل.

واقعية السياسة الوطنية العراقية.....

قبل ستين عاما، قدمت الولايات المتحدة نموذجا في القيادة العالمية في سبيل احتواء السلطة السوفيتية وتلك الرؤية الإستراتيجية وضعت الأساس لواقعية ومبدئية للسياسة الخارجية الأمريكية فيما بعد وعلى الرغم من الأخطاء والنكسات في فترة الحرب الباردة. إلا أنها كانت ناجحة بحسب النتائج التي وصلت إليها تلك الحرب.

في 1947 قدمت طروحات حول أساليب إدارة الحرب الباردة ضد النظام السوفييتي والإيديولوجية الشيوعية من خلال ديمقراطية ذات مصداقية في القيادة. وان احتواء الشيوعية السوفيتية سوف يتطلب قيادة قوية أميركية ودولية على حد سواء مع الدعم العسكري، ديناميكية اقتصادية. وهذه الرؤية الإستراتيجية استندت الى الحقائق الأساسية والقيم هي التي رسمت لسياسات هاري ترومان ودوايت أيزنهاور وكل الرؤساء الأمريكيين بعدهم لجيلين.

والمفتاح التاريخي للقيادة المشتركة الفعالة هو الذي سيستعيد وسيسعى الى إيجاد أرضية مشتركة، بربط مصالح الولايات المتحدة الأمريكية الخاصة مع مصالح الآخرين. فقد فهم ترومان وأيزنهاور ان الدفاع عن اوروبا وأمريكا من السوفيت يتطلب وجود عسكري قوي، لكنهم فهموا أيضا انه لا يمكن ضمان النجاح إذا لم يكن الأوربيون يريدون ذلك. من هنا فهم الرؤساء الأميركيون أهمية القيادة الأخلاقية والتي تعطي القوة للقيادة، من خلال الالتزام بالكرامة الإنسانية واحترام القانون الدولي وحقوق الإنسان والحريات المدنية وهذا ما لم تفعله الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملها مع شعوب وأمم العالم الثالث والعراق بشكل خاص تحت ظل هذه الإدارة.

اليوم، ونحن في بداية عهد جديد لم يسبق له مثيل من الفرص والتهديدات العالمية والتحديات الجديدة التي تتطلب رسم إستراتيجية جديدة. في ظل عالم اليوم - عالم سريع التغير التكنولوجي والاقتصادي وتدهور مصادر تامين الطاقة والمخاطر البيئية والتحديات الأمنية غير المتماثلة . في القرن الحادي والعشرين، والعولمة في جميع أشكالها من تآكل أهمية الحدود الوطنية والتي تعتبر من اكبر التحديات التي يواجهها العالم إلى جانب الانتشار النووي والاحترار العالمي. فان السياسة الوطنية الجديدة يجب ان تكون قادرة على التعامل بفعالية مع هذه الحقائق. ويجب عليها ان ترفض كل التخيلات الانعزالية من عدم المشاركة الآخرين ومن تخيلات الحكام الجدد من تحويل وتغيير العراق من خلال التطبيق الانفرادي باستخدام القوة العسكرية فقط.

لقد افتقرت إدارة الحكومات السابقة والتي جاءت مع الاحتلال إلى المبادئ السليمة واستخدمت بانتظام الخطابة الفاضلة، دون الأفعال واستعاضت عن القيادة الأخلاقية، بإلقاء المحاضرات للآخرين عن الديمقراطية وبدل احترامها للقيم الديمقراطية فان تلك الحكومات المتعاقبة على حكم العراق جعلت الصورة العراقية تتضاءل أمام أنظار العالم من خلال السجون السرية، والتعذيب، وانتهاك الحرمات وهو ما يذكر العالم بحماقة هذه الحكومة، وخيانتها للأمانة، وعدم اكتراثها لآراء الآخرين. إن ما يطلق عليه اليوم إعادة ترتيب العملية السياسية هي أول الخطوات نحو إستراتيجية جديدة من الولايات المتحدة ومن خلال مشاركة واسعة للقيادة. ولكن هذه الخطوة وحدها ليست كافية لمعالجة المشاكل الجديدة في العراق بفعالية، فيجب أولا فهم كل تعقيدات المشكلة العراقية وإعادة صياغة مفهوم الحلفاء في الحرب في العراق ويجب التساؤل عن الافتراضات القديمة، وكسر النماذج القديمة من التعامل مع الأطراف العراقية المختلفة، وتبني نهج جديد للمهام في اتجاهات متعددة لإصلاح الواقع العراقي. وبعد سني الغزو للعراق والإطاحة بصدام حسين في نيسان عام 2003. أصبحت الفوضى تسيطر على هذا البلد وليس لدينا اليوم أي حوار على مستوى وطني، مما عطل الطاقات وشتت الاهتمام على القضايا المصيرية للبلد الذي بدا اليوم يطوف على أهواء سياسية من قبل هواة للسياسة ليس فيهم أي محترف لها بمواجهة أهم المسائل الحاسمة التي تواجه أمتنا التي ستؤثر على مستقبلنا لسنوات قادمة.... مستقبل العراق الى الأبد ..

لقد تطورت هذه الحرب الى حرب متعددة الجبهات، فبعد مراحل نهب المدن وسرقة المتاحف والمكتبات والكنوز إلى عنف الغوغاء والتطهير المذهبي الأعمى والإبادة البشرية للسكان المتعاطفين مع المقاومة إلى الأشكال الأخرى بحصار وتجويع وتدمير المدن أصبحت صحاري وبراري ومدن العراق ساحات القتال لتشمل مختلف الجماعات المقاومة والمتمردة، والجنائية والميليشيات القبلية والطائفية وفرق الموت، والمتعاطفين مع القاعدة في جميع أنحاء الدولة . فالعراق اليوم هو بلد ممزق ويجري تفجيره. وفيه من القوى الداخلية المدمرة اكثر بكثير من تلك القوى التي تريد بناؤه. وهو البلد الذي فيه قوى الانقسام والهيمنة الساحقة قد غلبت قوى التعاون والمصالحة .

الشعب العراقي في كسر متزايد وعلى طول خطوط شعبه فقد أدى العنف الأعمى والمرعب إلى نزوح اكثر من مليونين من اللاجئين تتدفقوا عبر الحدود مما سيؤدي الى زعزعة

الاستقرار في المنطقة بأسرها. والى هجرة جماعية داخلية تقدرها بعض المصادر الاغاثية بأربعة ملايين مهاجر ومن مختلف مناطق العراق.

وبينما المواطنون يشعرون بالغضب واليأس فإن الحكومة لا تستطيع وعاجزة عن تحقيق الاستقرار مع الفصائل المتحاربة التي تشارك في الحرب الأهلية والواقع ان نوري المالكي وهو رئيس وزراء ما يسمى "بحكومة الوحدة الوطنية" غير راغب وغير قادر على انجاز اي شيء من فكرة معجزة المصالحة حيث يتطلب ذلك إن يتراجع العراق أولا عن حافة الهاوية ووقف استمرار الحرب الأهلية التي تعصف به! في حين ان قوات الاحتلال لازالت منشغلة حتى اليوم بقتل المدنيين العراقيين ونسف البيوت والمراكز العامة والمساجد وفي كل يوم دون وجود خطة عمل حيال وقف العنف ذلك . ولكن هل يمكن للتاريخ إن يساعدنا قليلا للخروج من هذه المحنة التي تعصف بالعراق وتساعده وتهيئته للاستعداد للتعافي من جديد .

كتب لورانس العرب في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) عن القبائل (العربية) التي قاتلت ضد الأتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، عن حلم جميع الرجال العرب، الذين يحلمون بدولتهم ليلا وفي النهار مع الغرور الذي كانوا يحملونه يقاتلون العثمانيين، ولكن الحالمون من الرجال -كما يقول- اليوم هم اخطر الناس لان حلمهم هذا سيفتح أعينهم لجعله ممكنا. وحلمهم هذا يتمثل بخلق امة جديدة، لاستعادة النفوذ المفقود، ولإعطاء للعشرين مليون من العرب الساميين الأسس التي تبنى من وحي أفكار حلم الوطنية. وحينما انتصرت بريطانيا في الحرب العالمية الأولى كان خصمنا شركات النفط البريطانية والتي كانت امتيازاتها في بلاد مابين النهرين مريبة إلى جانب السياسة الاستعمارية الفرنسية في بلاد الشام والتي حولتها إلى خراب . وأخشى - والقول للورنس - إلى إن نولي أهمية لهذه الأمور اكثر من الشرف والحفاظ على الأرواح البريئة ومن جعل النساء والأطفال سعداء. حيث كنا سنلقي الآلاف من أبنائنا إلى النار لكي تكون الذرة والأرز والنفط في بلاد ما بين النهرين لنا. لكن ومع حكمة أللنبي هزمنا الأتراك بأقل الخسائر من خلال استخدامنا للمظلومين في تركيا. العراق الذي يمتد تاريخه إلى اكثر من 3000 سنة قبل الميلاد ويحتل جزءا كبيرا من المنطقة التي تعرف باسم بلاد ما بين النهرين، والتي نشأت عليها الثقافات والحضارات على مدى القرون السابقة.

في تشرين الثاني 1914 أعلنت بريطانيا العظمى الحرب على الإمبراطورية العثمانية بعد إن شكل العثمانيون تحالفا مع الألمان في الحرب العالمية الأولى. وفي ذلك الوقت نزل الجيش البريطاني في الكويت وبعد ست سنوات مريرة من الحرب وخسارتها لأكثر من مائة الف قتيل وأربعين مليون باون ذهب تولت بريطانيا السيطرة على حقول النفط، والتي كانت تستخدم لتزويد القوات البحرية البريطانية .

واقر البريطانيون بان كردستان كانت مكتفية ذاتيا، وأنها يمكن ان تستقل لوحدها داخل العراق. وكانوا يعرفون ان في العراق أكثر من السنة والشيعة يعيشون في هذه البلاد (وفي أجزاء منفصلة) ورغم هذا فقد أوصت بريطانيا وبقوة ان السنة هم القاعدة الأهم لحكم العراق لأنهم كانوا القادة التاريخيون وانه إذا حكمت الشيعة فسيصبح العراق دولة دينية والتي من شان ذلك إن يؤدي إلى عدم الاستقرار في المنطقة. فكما نرى اليوم حقيقة أن التيار الإسلامي الشيعي المهيمن على غالبية الحكومة العراقية الحالية، ليس لديه النية للتخلي عن السلطة أو حتى المشاركة مع الآخرين في حكم العراق مما استدعى الكونغرس والإدارة الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تبني خطة بديلة عن هذه الحكومة إذا لم تستجب الى أي من ألأفكار الجديدة. ففي (26 ايلول 2007، اقر مجلس الشيوخ الامريكي خطة السيناتور بايدن بالتعديل رقم 2997 والذي يعبر عن إحساس الكونغرس عن الفدرالية في العراق والذي قال في قراره هذا قال "نحن في الأساس نهدف لان يكون للأميركيين خطة في العراق-- خطة من اجل النصر والسلام في العراق-- وتجسد خطتنا "الذكية" ترتيب القوى الديناميكية والعرقية لسكان العراق الى بلد يفتخر باستقلاله والذي يمكن ان يرتفع ثانية مثل العنقاء من هذا الرماد من اليأس" نص قرار الكونغرس

الامريكي. غير إن الأمن والسلام لا يتحقق الا إذا كانت هنالك خطط مشتركة ترسم لعراق مسالم ومزدهر وتمثل الرغبة بذلك عن طريق الاحترام المتبادل، والأمن الحقيقي، والتطلعات المشتركة بين أبناء العراق الواحد إلى جانب ديناميكية المساهمة لكامل منطقة الشرق الأوسط والعالم .

إن التحديات التي تواجه العراقيين اليوم تتمثل اليوم بانفجار متزايد من العنف ومزيد من عدم الاستقرار في الشرق الأوسط. وبالتأكيد كان السبب الأول في انفجار هذا العنف الأعمى هو الاحتلال الامريكي للعراق وهذا الاتجاه من العنف قد يبقى وينمو لسنوات، وان الغزو وانهيار العراق أسهم بشكل كبير في تغذيته وصعوده. كذلك فان تزايد القوة وتطور الشبكات الإجرامية فيه والفساد الإداري وقلة الكفاءات الإدارية قادرة على تعطيل الاقتصاد العراقي. كذلك أصبح النفط والسيطرة على موارد الطاقة واحدة من أسباب والتحديات التي تواجه العراق اليوم فهو نافذة للإغراء والتسلط وتقدم النزعات القومية والعنصرية والمذهبية. إلى جانب المشاكل البيئية والصحية والأوبئة والفقر، والصراعات المذهبية، والتوزيع السكاني العشوائي على امتداد الحدود الوطنية. إن هذه الاتجاهات الحالية من التحديات والمشاكل والتي تتطلب حلولا محلية بالدرجة الأولى ثم إقليمية ودولية ستحدد بالتأكيد الواقعية الجديدة لمواكبة هذا العالم الجديد، فنحن بحاجة الى واقعية جديدة في سياستنا الفكرية والداخلية والخارجية. سياسة أخلاقية، ومبدئية تستند على هذه الواقعية التي تتفهم أهمية الحوار والدبلوماسية والتعاون المتعدد الأطراف. فنحن بحاجة الى واقعية جديدة على أساس الفهم بأن ما يجري داخل بلدنا له آثار عميقة لا تضمن لأحد النفوذ بشكل مطلق، ولا السيطرة، فنحن بحاجة إلى إن نفهم كيف نحل مشاكلنا، والى العمل مع شركائنا الآخرين في الوطن على الاحترام والثقة.

لذلك علينا قبل كل شيء إن نحدد الأولويات التالية. أولا وقبل كل شيء، انه يجب علينا إعادة بناء تحالفاتنا الداخلية والسير باتجاه حلول مشتركة للمشاكل المشتركة. ونحن بحاجة الى استعادة الاحترام والتقدير للقيم التي توحدنا، ويجب أن نعيد التزامنا بالقانون الوطني والى التعاون المتعدد الأطراف. وهذا يعني احترام كلا من نص وروح الاتفاقيات التي تؤسس أسس السلام الاجتماعي الداخلي.

ويجب ان علينا كذلك وقبل كل شيء احترام حقوق الإنسان. وان نرتقي بثبات نحو البناء مع أولئك الذين يريدون بناء بلدهم ويعلمنا التاريخ أنه إذا أراد شعب الاستقرار فعليه أول كل شيء معالجة الفقر الذي هو أساس هذا القدر الكبير من العنف من خلال زيادة المساعدات والمضاعفة من المساعدات الإنمائية والرعاية الصحية وخلق فرص العمل وتحفيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص وتمويل خطط البناء والعمران. ان التحديات التي تواجهنا اليوم والتي لم يسبق لها مثيل بحاجة الى ان نتعلم من أخطاء السنوات السابقة ومن أخطاء الاحتلال بان نرى أنفسنا كما هي من خلال هذه الرؤية الواقعية الجديدة ومن خلال سياسة فعالة لمواجهة التحديات التي تعصف بالعراق.

تركت التغطية الإعلامية لحرب العراق واحدة من أكثر الجوانب والصفحات المفجعة والمخفية لتلك الحرب والى حد كبير وربما كانت المنسية في داخل بلدنا ربما بسبب الفواجع الأخرى التي أصابت العراق والتي كانت أعمق من أزمات اللاجئين بشكل كبير.

لكن الذي لا يغتفر في هذا إن الاحتراف الصحافي في أزمة اللاجئين الرهيبة لهذه الحرب أنها قد أوجدت مآسي لا تزال بعيدة عن ألأنظار بشكل متعمد، عن الرأي العام العراقي والعربي والعالمي وبخاصة الامريكي ليبقى هذا الموضوع خارج إطار النقاش العام حول الحرب ومسبباتها والواقع الذي وصلت له.

ومما لاشك فيه ان البيت الأبيض يريد ان يبقى هذا الموضوع هامشيا ومنسيا وعلى درجة كبيرة من الابتعاد عن التغطيات الإعلامية للحرب والتي تعد هذه التغطية وإدارتها إحدى الصفحات المهمة لعمليات الادارة لتلك الحرب، لأنها تبرز باعتبارها مثال صارخ ومأساوي وكارثي على الكيفية التي تقدم بها مذهب الاحتلال في تقديمه للمحبة والسلام الامريكي للعراقيين .

وتشير الأرقام المهولة، والتغييرات اليومية لأعداد اللاجئين الى ان هناك اكثر من 3،2 مليون لاجئ فروا من العراق على مدى السنوات القليلة الماضية، لتغرق المنطقة بأسرها بأعداد هؤلاء اللاجئين، وخاصة في الأردن وسوريا .وتشير تقارير المفوض السامي لشؤون اللاجئين الى ان اكثر من مليوني عراقي قد هجروا من ديارهم وأحيائهم داخل العراق بينما التقديرات التي أعلنت عنها منظمة الهلال الأحمر العراقي ان بين 50000 و 100000 يتركون ديارهم كل شهر بسبب العنف الطائفي حتى ان 20 % من أعداد المشردين قد تضاعفت منذ بداية عام2007.

وتشير هذه التقارير أيضا الى ان في بغداد وحدها هناك حوالي مليون شخص قد طردوا من منازلهم بسبب الحرب الطائفية وفرق الموت. وان زيادة أعداد الوفيات يعزى الى العنف الذي تمارسه القوات الطائفية الرسمية والشعبية ضد شعبها وسجل هذا العنف في عام 2007 ضعف المعدل من هذا العنف من العام الذي سبقه .

أما متوسط حصيلة القتلى في جميع أنحاء البلاد المتصلة بالحرب فقد تضاعفت كذلك قبل عام 2007 والى نحو62 قتيل يوميا لهذا العام.

ومن جانب آخر فان الكثير من المهنيين والكفاءات والذين كانوا في أمس الحاجة الى تصحيح مسار البلد او في إعادة اعماره قد فروا الى الأبد بسبب إحساسهم بالخوف، وعدم جدوى وجودهم في نهاية المطاف بسبب السياسات التي اتبعت لإدارة الدولة في ظل الاحتلال الى جانب التهديد بالقتل مما دعاهم الى الاستقالة. وهكذا كانت "هجرة الأدمغة" كارثيا لأي مستقبل للعراق على المدى المنظور، وايا كان الشكل الذي سيأخذه في نهاية المطاف .

كذلك فان هؤلاء اللاجئون الكنوز الذين تسربوا عبر الحدود الى الدول المجاورة سيحدثون بالتأكيد توترا شديدا على الموارد البشرية لتلك البلدان.

وان العديد من هؤلاء اللاجئين هم من النساء والأطفال، بعد ان قتل رجالهم أثناء العودة الى منازلهم، وببساطة بعد ان تلاشوا هؤلاء في صفحات النسيان للحرب بعد ان كانوا ضحايا القوى الطائفية والحكومية لشعبهم مما دفع الكثير من تلك العائلات الى الفرار في خوف وهلع وتركوا كل ما يملكونهم ورائهم. وحين حاول البعض منهم العودة الى بيته، اكتشف ان ديارهم وممتلكاتهم قد بيعت، او سرقت أو دمرت.

ومن جانب آخر لهذه المأساة ان الإجهاد الناجم عن التعامل مع تدفق اللاجئين هو من الضخامة بحيث ان البلدان المحيطة لكثير من اللاجئين سوف تجبر هؤلاء في النهاية على العودة الى العراق، والذي سوف لن يؤدي الا الى تفاقم الأزمة الإنسانية الموجودة بالفعل داخل البلاد.

أما البلدان ألأبعد من الشرق الأوسط وأوروبا فقد تقبل الجزء اليسير من اللاجئين وبخاصة الذين تعاونوا مع الدول الغربية والولايات المتحدة أثناء الاحتلال، ويجوز ان تسمح الولايات المتحدة في نهاية المطاف بقبول اللجوء لـ 1600 شخص في هذا العام، ومن المتوقع ان تستقبل السويد اكثر من 20000. وهذه الأعداد بالتأكيد ستعتبر وستمثل تخليا عن القيادة الأخلاقية التي نادى بها جميع الأميركيين أثناء غزوهم للعراق.

في آب 2007 خلصت تقديرات الاستخبارات الوطنية الأمريكية الى ان الانهيار المدني هو الذي دفع بأزمة اللاجئين الى هذا المستوى والتي يمكن في نهاية المطاف ان تؤدي الى الفوضى التقسيم الفعلي للعراق. وكثيرا ما قيل ان هذه المأساة هي أسوأ أزمة لاجئين في الشرق الأوسط منذ إنشاء إسرائيل في 1948. الا ان المشكلة الحقيقية والمعلن عنها في الرأي العام الدولي والعالمي هي "الأزمة الأخلاقية" التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية أمام مسؤولياتها تجاه المتعاونين معها فقط منذ بدء الاحتلال والذين يبلغ عددهم بضعة الآلاف، والذين خاطروا بحياتهم ليتعاونوا مع المحتل بعدد وافر من الطرق والأساليب التي لا تقدر بثمن. اذ أنهم كانوا قد خدموا أعين المحتل وآذانه في أرض أجنبية غريبة عنه اعتبرها قبل غيره ان سكان هذا البلد هم جميعا أعداء لوجوده. والعديد من هؤلاء العراقيين محاصرين الآن في كابوس بيروقراطي بسبب قوانين الهجرة الأمريكية الجديدة. وأنهم وأسرهم يواجهون الموت الأكيد من قبل فرق المقاومة إذا لم يتمكنوا من الحصول على وضع اللاجئ في حالات الطوارئ والهرب الى الولايات المتحدة...البلد الذي ضحوا بكل شيء لمساعدته.

ان الواجب "الأخلاقي"الذي يجد فيه الأمريكيون ملزمين به فقط تجاه 12000 لاجئ الى الولايات المتحدة ضمن الأعوام القادمة كما يصرح به كيرك جونسون، من وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية في العراق، وببساطة يقول ان هذه "الأرقام محرجه تماما. ولا يمكننا ان نسلم ما لم يعد واجبا أخلاقيا لإدارة الاحتلال في هذه الحرب وإذا لم نفعل شيئا وإذا ما تخلينا عن هؤلاء الناس الى المصير الرهيب فسيلحقنا العار وسيصبح ذلك الفصل المظلم من تاريخنا، ورئاسة الاحتلال سوف تحاسب بحق إزاء هؤلاء".

ان الواجب "الأخلاقي" ينحصر فقط إزاء أولئك الناس أما المواطنون العراقيون والمهجرون والذين يعدون بمئات الآلاف والتي كانت جريرتهم الوحيدة أنهم أبناء الوطن الاصلاء وأنهم لم يقبلوا او لم يريدوا ان تتلطخ أيديهم بدماء أشقائهم الآخرين او ان يكونوا جزءا من مشروع الاحتلال في ادارة البلاد او إنهم أبوا ان يكونوا عونا له فليس في أخلاقيات المحتل أي التزام تجاههم. ان موازين الحق والقوة هي التي ستحدد في عالمنا المعاصر مدى تطبيق قوانين حقوق الشعوب في العيش بأوطانها واحترام حقوق الإنسان في ظل السلام المدني والاجتماعي للشعوب. ومن هنا تكون إرادة الشعوب في النمو والعيش والبناء والتقدم وفي اكتساب الحرية والنظام مرتبطا بشكل كبير بهذه الحقوق.

وبالتأكيد فان فرض إرادة اللاجئين بأنفسهم لحقوقهم المشروعة سيكون جزءا مهما لفرض إرادة الشعب كله باكتساب حقوقه في الاستقلال والحرية والسلام.

الأمين العام المساعد للحملة الإستراتيجية الإعلامية في العراق
أرشيف الأمن القومي الالكتروني رقم: 219
معركة تحرير العراق - 7000-202/994
واشنطن 8 أيار، 2007

في كانون الثاني 2003 أوصت وزارة الدفاع الأمريكية المخططين بتشكيل "فريق من وسائل الإعلام للرد السريع " ليكون بمثابة جسر بين الأحداث في العراق والذي كان سابقا تسيطر الدولة على منافذه الإخبارية من خلال إنشاء شبكة "الوسائل الإعلام العراقية الحرة"، ووفقا لوثيقة تم الحصول عليها من خلال قانون حرية المعلومات ونشرها على شبكة الانترنت من الأرشيف الأمني القومي الأمريكي.

قام البنتاغون بتشكيل فريق تصوير قبل غزوه العراق على أمل أن يقدم "العراق الجديد" المزدهر والديمقراطي في المستقبل، والذي سيكون بمثابة نموذج للشرق الأوسط. واعتقد الخبراء من الولايات المتحدة وبريطانيا، بان تشكيل وسائل إعلام عراقية ستكون من جهة الوسيلة الفعالة الوحيدة - وحسب رأي الأمين العام المساعد للإستراتيجية الإعلامية الأمريكية - بتوجيه الرأي العام العراقي، في السنوات الأولى والثانية للحرب وحتى... الانتقال" إلى حكومة ذات صفة تمثيلية ومنتخبة. وان إنشاء صحيفة عراقية أسبوعية جديدة من شأنه أن يعطي العراق سمة "هوليوود" جنبا إلى جنب مع الأخبار. وتصور مخططوا وزارة الدفاع انه بعد الغزو الأمريكي للعراق فسيكون هناك تعاون ودي مع حكومة بغداد الجديدة، وهو ما سيمكنها من أن تستحوذ على نشر المعلومات والخاصة بالنظام السابق في العراق. لحساب وسائط الإعلام الجديدة المستقلة، ولشبكة الانترنت، وسائر المصادر البديلة للمعلومات التي تتوفر في العالم الحديث. وكانت هنالك حملة في وسائل الإعلام الأميركية بأنه سوف لن تتمكن هذه الوسائل الإعلامية من السيطرة على هذه الرسالة إذا لم يتم خصخصتها، والعمل على أساس التعاقد سيجعلها مربحة لتلك المشاريع وستكون قادرة آنذاك من الاستفادة من منح البنتاغون. وتحمس مخططوا البنتاغون، لهذا المشروع واعتقدوا أنهم سينجحون فيه لأنهم اعتقدوا ان العراقيين سيكونون مثل الكوريين الشماليين الذين كانوا يتجمعون قبالة تلفزيون الدولة ليلا بينما كان الأغنياء في كوريا الجنوبية يستمتعون بالبرامج الصباحية. لذلك كلف مخططوا وزارة الدفاع الأميركية اثنين من الاستشاريين ودفع لهم مبلغ 140000$ لكل حملة مدتها ستة أشهر. والتي سميت هذه الخطة ب((الورقة البيضاء)) والتي أعدت في كانون الثاني 2003 من قبل اثنين من وزارة الدفاع - مكتب العمليات الخاصة - بقسم الشرق الأدنى وشؤون جنوب آسيا (الخطط الخاصة). حيث كان الاستشاري الأول مسئولا عن الحرب النفسية ؛ وأما الثاني فقد انشأ خطة خفية لغزو العراق. حيث كان واضحا لقدامى العاملين في البنتاغون انه منذ منتصف 2002 أن الاحتلال كانت له "منهجية في الإعداد لغزو العراق ولإسقاط صدام حسين". وكانت وحدة التخطيط والتي يشار إليها في وقت لاحق باسم "مكتب الخطط الخاصة" واجبها الأساس هو التنسيق في "الجوانب العسكرية والسياسية لأية حملة" محتملة على العراق و"وضع خطط الغزو الفعلية". حيث كشف تقرير أعدته لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ في 9 تموز 2004، وجهود السناتور كارل ليفين وموظفيه في 21 تشرين الأول 2004 المزيد من التفاصيل حول أنشطة هذه الوحدة الخاصة والتي أصبحت في وقت لاحق من أنشطة مكتب وكيل وزير الدفاع للسياسة، والذي أشرف على هذه الخطط السرية. وبعد رفع السرية عن هذا التقرير والذي سماه المفتش العام في وزارة الدفاع بالتقرير "المدمر " نجد ان هذا التقرير كشف دور مكتب وكيل وزير الدفاع للسياسة في وضع ونشر تحليلات للاستخبارات البديلة عن العراق وتوجيه، وتتحدث

تلك "الورقة البيضاء" ان واجب المدنيين والعسكريين الأمريكان في العراق هو الانتقال إلى عراق جديد بتشكيل حكومة واسعة التمثيل خلال سنة الى سنتين وان على حكومة الولايات المتحدة ان تنشئ في 12 شهرا نظام معلومات من شأنه ان يخدم " نموذجا لحرية وسائط الإعلام في العالم العربي لضمان السيطرة على الرسالة الأمريكية الجديدة.

وكان على الحكومة الأمريكية أيضا ان تعين "مفوضا" في العراق للسيطرة على وسائط الإعلام المؤقت" ولغرض تنظيم "الإعلام" وضمان عدم نشر أي بث يدعو الى "الكراهية". وان يعمل على إنشاء بيئة تتقبل "تحديد وسائل الإعلام" وكذلك بناء البنية التحتية وإيجاد الطرق البديلة لتعطيل المواقع ية التي هي ليست ضمن هذا التشكيل كشبكة الجزيرة الإخبارية القطرية من غير ان تمس البنية التحتية العائدة لها. والاستعانة بوسائل الإعلام البريطانية التي من شأنها تدريب الخبراء العراقيين وتقديم المعلومات عن نوايا الولايات المتحدة والعمليات التي ستقوم بها وكذلك ستشمل مهمتهم منع العراق من العودة الى الماضي مع إعطاء العراقيين أملا في المستقبل. فإلى جانب خطط "التسلية وبرمجة المجلة الإخبارية المرتبة في "هوليوود" سيكون من واجب هذه الشبكة الإعلامية التركيز على الدعاية للسياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة والتي تعارض رسميا تفكك العراق الجغرافي والانقسامات الداخلية مع تأكيدها من جانب آخر على الهويات المستقلة والمنفصلة للشيعة، والسنة، والأكراد. كما رأى مخططوا البنتاغون، ان من المواضيع "الإستراتيجية للحملة الإعلامية" التركيز على "جرائم النظام القديم"، وان هناك "يوم جديد مشرق". وشملت هذه "التوعية أيضا "مخاطر الألغام"، و"إعادة انطلاق ضخ النفط" ومواضيع "العدالة وسيادة القانون"، و"المساعدات الإنسانية... و"الإدارة والرعاية للسكان الأشخاص المشردين داخليا"، و"السجناء السياسيين وإجراء مقابلات حول تعرضهم للتعذيب الوحشي" و"نزع أسلحة الدمار الشامل " و" قصور صدام وثراه". غير ان مهندسي الحرب، والعالم وجدوا الواقع الفعلي للعراق ما بعد الغزو غير المنضبط على وسائل الإعلام فمع فضائح "أبو غريب"، وكذبة أسلحة الدمار الشامل، وتفكك النظام القانوني، وانهيار البنية التحتية المدنية، والخسائر الضخمة، ونزوح اللاجئين الذين يبلغ عددهم 4 مليون، والمعونة الأمريكية الإنسانية غير موجودة. وبينما يبقى المشرف العام على شبكة الإعلام العراقية في المنطقة الخضراء فان وسائل الإعلام البديلة، التي تعمل لحسابها الخاص، والهواتف الخلوية، ومصوري الفيديو، والمدونين، والفضائيات الإخبارية الأخرى كشفت الوجه الآخر من الحقيقة وهذا ما لم يكن من الواضح متوقعا من قبل البنتاغون ان تكون الأمور بهذا الشكل خارجة عن نطاق سيطرتها.

الوثائق :

الوثيقة 1 : وزارة الدفاع الأمريكية، مكتب الأمين المساعد للعمليات الخاصة؛ ومكتب مساعد الأمين، ومكتب الشرق الأدنى وشؤون جنوب آسيا (الخطط الخاصة) الكتاب الأبيض بعنوان، "الرد السريع لفريق وسائل الإعلام "16 يناير، 2003

المصدر: أزيلت عنها من خلال قانون حرية المعلومات. وتوصي بإنشاء "فريق للرد السريع " باستخدام وسائل الإعلام وذلك باختيار وسائل الإعلام" الأمريكية والبريطانية والعراقية الخبراء للتحضير لإنشاء "وسائل الإعلام العراقية الحرة" التي أعقبت غزو العراق. ويناقش مهمة الفريق، واحتياجات الأفراد، والمهام المطلوبة، وخطط للبرمجة، ويحدد المواضيع التي سيتم نشرها على الرأي العام العراقي.

الوثيقة 2 : وزارة الدفاع الأمريكية، ومكتب المفتش العام ومراجعة الحسابات بعنوان، "اقتناء: العقود الممنوحة لسلطة التحالف المؤقتة من قبل قيادة الدفاع المتعاقدة - واشنطن ،" 18 مارس، 2004. تقارير عن الإجراءات التي اتخذها مكتب إعادة الأعمار والمساعدة الإنسانية لسلطة التحالف المؤقتة - الكيانات التي أنشئت لتحكم العراق في أعقاب الغزو الأمريكي في آذار 2003 - وقيادة الدفاع المتعاقدة - واشنطن، والذي كان مسئولا عن تولي نشاط القطاع الخاص في دعم من الغزو والاحتلال - ومنح العقود. قام المفتش العام بهذا التحقيق بعد مراجعة حسابات عقود

الدفاع وكالة "ووجد مخالفات في كل من المنح وإدارة العقود" وأوصى بإجراء تحقيق. وخلال الفترة الزمنية قيد النظر في مراجعة الحسابات، وقيادة الدفاع المتعاقدة تم منح 24 عقدا تبلغ قيمتها 5،122 مليون دولار، منها 13 عقدا تقدر قيمتها ب 111 مليون دولار، تصنف "الدعم وسائل الإعلام "و" المساعدة الإنسانية"، وهناك عقد يناقش وسائل الإعلام الحرة العراقية والتي منحت البرنامج على هذا الأساس.

الوثيقة 3 : وزارة الدفاع الأمريكية، المفتش العام تقرير بعنوان "استعراض أنشطة ما قبل الحرب العراقية مكتب وكيل وزير الدفاع للسياسة،" 9 شباط 2007. يستعرض هذا التقرير ما أنجز بناء على طلب من السيناتور بات روبرت رئيس مجلس الشيوخ - لجنة الاستخبارات، والسيناتور كارل ليفين. وتقرير من مجلس الشيوخ لجنة الاستخبارات في 7 يوليو، 2004 حول موضوعية الاستخبارات الأميركية قبل الحرب والتقييمات الاستخبارية بشأن العراق" ولاسيما في ما يتعلق بإمكانية تسييس الاستخبارات. وجد المفتش العام ان "مكتب وكيل وزير الدفاع للسياسة المتقدمة، ان التقييمات الاستخبارية بشأن العلاقة بين العراق وتنظيم القاعدة، لا تتفق مع معلومات الاستخبارات- ورغم ان الإجراءات لكبار صناع القرار لم تكن غير قانونية أو غير مصرح بها، فان" مكتب وكيل وزير الدفاع للسياسة لم يقدم أي تحليل للاستخبارات " لكبار صانعي القرارات" .

الحكومة الأميركية وبرامج الحرب النفسية المبرمجة في العراق العراق ووسائل الإعلام..... الجدول الزمني قبل (وأثناء) غزو العراق

16 كانون الثاني 2003 مكاتب وزارة الدفاع للعمليات الخاصة للشرق الأدنى وشؤون جنوب آسيا (الخطط الخاصة)، إصدار الكتاب الأبيض الدعوة الى تشكيل "فريق للرد السريع لإقامة وسائل الإعلام "العراقية ووسائل الإعلام الحرة "بعد الإطاحة بالحكومة في بغداد.

شباط 2003 تكليف جيم ريان هنري، نائب رئيس شركة للتطوير والتقييم الاستراتيجي(irdc) في سان دييغو لكون المقاول القائم على سياسة الدفاع وتكليف الشركة الدولية للتطبيقات العلمية (saic).

5 آذار 2003 البنتاغون يعطي عرض بقيمة 33 مليون دولار لشركة saic لإعادة أعمار العراق ومجلس الإنماء (irdc)، والى مجموعة من المنفيين العراقيين وضعهم بول وولفويتز.

11 آذار2003 وزارة الدفاع تعطى saic مبلغ 15 مليون كمصدر وحيد للعقد لانجاز مشروع "وسائل الإعلام العراقية الحرة". ورغم ان الشركة عملت بشكل مكثف مع القوات الخاصة الأمريكية، الا أنها لا تملك الخبرة بتشكيل وسائل الإعلام. وبموجب العقد يقوم نائب رئيس Saic الأميرال المتقاعد وليام اوينز وهو عضوا في لجنة السياسة الدفاعية بإسداء المشورة لدونالد رامسفيلد، وأما أعضاء مجلس الإدارة للشركة الآخرين فتشمل العميد المتقاعد وين داونينغ، والذي يعمل أيضا على الصعيدين المحلي والدولي لتطوير الإعمال الخاصة بالشركة، وكان عضوا في مجلس لجنة "من اجل تحرير العراق". والتي استأجرت له بعد ذلك saic، لتكون المنبر الإعلامي الداعي "لإسقاط صدام حسين، وبالتعاون مع المخطط العراقي المنشق احمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي). والذي شارك في 1997، بصياغة خطة مفصلة لغزو العراق، والتي قادها هذا العراقي مع المتمردين بمساعدة حوالي 5000 الى 6000 من قوات العمليات الخاصة...وقد أطلق على هذه الخطة الجنرال انطونى زينى قائد قوات الولايات المتحدة العسكري لمنطقة الشرق الأوسط عليها باسم 'عملية خليج الماعز' تشبيها للعملية الأميركية في غزو خليج الخنازير في كوبا في 1961). وفي 11 آذار، 2003 - روبرت رايلي،

السابق لإذاعة صوت أمريكا، يجري التعاقد معه ليكون مدير مشروع شبكة الأعلام العراقية (imn). حيث كان رايلي قد عمل لإدارة ريغان كحلقه وصل بين الكاثوليك، وبوصفه المخطط للكونترا في نيكاراغوا. وكان عضوا في مركز السياسة الأمنية، والتي كانت مؤسسة عقيدة "السلام من خلال القوة الأمريكية." والتي تضم قائمة الأعضاء الأخرى دونالد رامسفيلد، ريتشارد بيرل، دوغ فيث، واليوت ابرامز، وفرانك جيفني. وروبرت رايلي هذا له كتاب حول التعارض بين اللاهوت الإسلامي والقيم الغربية.

20 آذار 2003 الولايات المتحدة تغزو العراق.

21 آذار 2003 رسالة الكترونية عن عقد لوزارة الدفاع مع "أخصائي" حيث تشير هذه الرسالة الى ان شخصا من مكتب إعادة الأعمار والمساعدة الإنسانية (orha)، وهو الكيان الذي أوجده البنتاغون لحكم العراق، يريد استئجار أربعة أفراد بمن فيهم شاهنا علي رضا - (صديقة بول وولفويتز وصاحبة فضيحة الفساد في البنك الدولي بعد ذلك في نيسان 2007)- كخبراء (للمشاريع الصغيرة والمتوسطة) لتقديم المشورة فيما يتعلق بتثقيف الناخبين، وتطوير الأعمال، والسياسة، والمرأة، وإصلاح الحكومة. (العقد رقم 03 - dasw01 - و- 0537)

27 مارس 2003 منحت saic مبلغ 834744$ قيمة عقد ك"مستشار للديمقراطية والحكم لنفس المجموعة، بمن فيهم شاهنا علي رضا. (حيث كشف في نيسان 2007 ان بول وولفويتز، عندما أصبح مديرا للبنك الدولي، منحها زيادة على مرتبها مبلغ بأكثر من 193000$ - عن (مسائلة الحكومة موقع المشروع على الشبكة العالمية، 4/5/07). وفي 29 آذار 2003 الدبابات البريطانية تطلق النار على أربعة من الصحفيين لتصويرهم توزيع الأغذية في البصرة. (مراسلون بلا حدود)

30 آذار 2003 القوات الأمريكية في العراق تصل الى وزارة الإعلام وتقصفه وتلحق أضرار في المبنى وتدمر الصحون اللاقطة. (بيان صحفي للقيادة المركزية3/30/2003)

6 نيسان 2003 القوات الأمريكية تقتل عبد الرزاق عمران، المترجم لهيئة الإذاعة البريطانية، عندما ألقت قنبلة على قافلة كردية في شمال العراق.(محكمة بروكسيل). وفي 7 نيسان 2003 القوات الأمريكية تطلق النار على سيارة محطة الجزيرة، على الطريق بالقرب من بغداد. (مراسلون بلا حدود) وفي 8 نيسان 2003 نيران دبابة أمريكية تطلق النار على فندق فلسطين ببغداد وتقتل مصور رويترز taras protsyuk والاسبانية telecinco والمصور خوسيه. (وكالة اسوشيتدبرس).

8 نيسان 2003 صاروخ أمريكي يضرب مكتب الجزيرة ببغداد ويقتل المراسل طارق أيوب. مع إطلاع البنتاغون على نطاق واسع على موقع المكتب.

10 نيسان 2003 احمد ألركابي الذين عينته saic كمدير لشبكة تلفزيون الإعلام العراقية يعلن عن برامج "مرحبا بكم في العراق الجديد" من الخيمة التي أقامها الجنود الأمريكيين. وبعد ذلك بخمسة أيام "صوت العراق الجديد" يبدأ البث رسميا على الإذاعة صباحا. (وكالة اسوشيتدبرس، 8/6/03؛ صحيفة كريستيان ساينس مونيتور، 4/21/03). وفي 13 أيار 2003 شبكة الإعلام العراقية تبدأ البث التلفزيوني من بغداد، بعرض الصور المتحركة، والمسلسلات التلفزيونية المصرية، وأغاني، وأخبار، رياضة، ومقابلات عن العراق وانعدام الأمن والخدمات (وكالة اسوشيتدبرس، 5/25/03) وفي 15 أيار 2003 العلاقات العامة - التقارير الأسبوعية saic (انطلاق صحيفة الصباح، بـ 50000 نسخة. والهدف من ذلك هو إخماد الاضطرابات في أوساط العراقيين من خلال إنشاء وسيطرة ووجود أميركي على القضايا الأساسية) عقد للبنتاغون لشركة سان دييغو لتكنولوجيا المعلومات لإقامة تشغيل وسائط الإعلام في عراق ما بعد الحرب بالتنسيق مع العمليات النفسية وموظفي الاتصالات في البيت الأبيض" (العلاقات العامة الولايات المتحدة 5/19/03). وفي حزيران 2003 بول بريمر مدير سلطة التحالف المؤقتة، والتي خلفت مجموعة orha، تعلن ان شبكة الإعلام العراقية هي شبكة ذات كيان مؤقت يحل محل وزارة

الإعلام العراقية، والتي تم القضاء عليها من قبل سلطات الاحتلال في أيار 2003. وتعطي الوزارة المعدات والتسهيلات لشبكة الإعلام العراقية. وتحتفظ ببضع مئات من الصحافيين والموظفين الآخرين. وجنبا الى جنب مع صحيفة الصباح فشبكة الإعلام العراقية تقوم بتشغيل شبكة محطة التلفزيون ومحطتان إذاعيتان. وسيكون رئيس التحرير فيها العراقي المنفي السابق الكندي منصور. (مراسلون بلا حدود 4/26/07). وفي حزيران 2003 روبرت رايلي يترك شبكة الإعلام العراقية فجاه. (واشنطن بوست، 10/16/03). وفي 5 آب 2003 – استقالة مدير شبكة الإعلام العراقية بسبب قوله ان التمويل غير كافي لينافس محطات إخبارية كالجزيرة وغيرها من المصادر الإخبارية البديلة. رغم انه كان من المقرر ان ينتهي عقده في نيسان 2004. (وكالة اسوشيتدبرس، 8/6/03).

10 اب 2003 الصحيفة البريطانية الديلى تيليجراف، تنشر تقارير حول احمد الركابي وتقول ان التلفزيون العراقي نشأ فيه مشاكل من عدم الكفاءة والمحسوبية، وان مزاعمه من ان عدم كفاية التمويل "لا ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد." (الديلي تيليجراف، 8/10/03). وفي 17 آب 2003 الجنود الأمريكيون يقتلون مازن دانا، صحفي فلسطيني يعمل لرويترز، بينما هو يصور خارج سجن أبو غريب.

أيلول 2003 – دوران سميث تصبح مستشارا لوسائل الإعلام لسلطة الائتلاف المؤقتة ورئيس شبكة الإعلام العراقية. وهي صديقة الطفولة ل الاحتلال والمنتجة السابقة لبرنامج هذا الأسبوع مع ديفيد برينكلي، غادرت أي بي سي في 1989 لتصبح مستشارة وسائل الإعلام ل الأب الاحتلال. (مركز بحوث وسائل الإعلام).

30 أيلول 2003 - واستنادا الى المفتش العام في وزارة الدفاع، كان قيمة العقد الأولي لشركة saic هو15 مليون دولار لإنشاء شبكة الإعلام الحرة العراقية كبرنامج يبلغ قيمته 82.3 مليون دولار (وزارة الدفاع ؛ مكتب المفتش العام 18 مارس، 2004 ،) وفي تشرين الأول 2003 البنتاغون يبدأ عرضه لعروض جديدة بمبلغ 200 مليون دولار كعقد لتشغيل شبكة الإعلام العراقية.

في 16 تشرين الأول 2003 – أشارت تقارير واشنطن بوست ان السيناتور ريتشارد لوغار يريد نقل 100 مليون دولار لتوسيع شبكة الإعلام في العراق ويطالب بانتقال السيطرة عليها من البنتاغون الى وزارة الخارجية الأمريكية ؛ ومع ذلك، فإن وزارة الدفاع ومكتب العمليات الخاصة (المسئولة عن العمليات النفسية) ستحتفظ بالسيطرة. (واشنطن بوست، 10/16/03).

7 كانون الثاني 2004 – القمر الصناعي عربسات، يبدأ البث للبرامج التلفزيونية لشبكة الإعلام العراقية. وفقا لما ذكره راديو هولندا، انه "بعد الهجوم الامريكي على العراق فان كلا من إدارة عربسات ونيلسات أعلنتا إنهما لن تدعا شبكة الإعلام العراقية تبث على القمرين الصناعيين ولكن تأثيرات خارجية جعلتهما يعدلان عن قرارهما.(بي بي سي تقارير الرصد الدولي، (1/7/04

9 كانون الثاني 2004 اتخذ قرارا بعدم تجديد العقد saic لإدارة شبكة الإعلام العراقية، وإن شركة هاريس ستحل محلها مع وزارة الدفاع، المقاول العسكري الجديد من ملبورن، فلوريدا. يعلن ان "قيادة الدفاع - واشنطن (dcc - سلطة التحالف المؤقتة) التي تحكم العراق حاليا ،" أعطت عقدا قابل للتجديد بقيمة 96 مليون دولار لتطوير شبكة العراق الإعلامية "القديمة". والذي يبلغ القيمة الإجمالية للعقد ما يقرب من 165 مليون دولار. وان المقاول المحلي سيكون للشركة المسيحية اللبنانية للإرسال، وشركة الفوارس للاتصالات السلكية واللاسلكية - الكويت. (شركة هاريس، 4/27/2007).

20 كانون الثاني 2004 في خطابه عن حالة الاتحاد خطاب الاحتلال يقول : ستخفض الحواجز بين أمريكا والعرب من خلال الدعاية والإعلام، وان صوت أمريكا وغيرها من الخدمات الإذاعية سيجري التوسع في وضع برامجها باللغتين العربية والفارسية، وقريبا ستبدأ

قناة تلفزيونية جديدة لتقديم خدمة الأخبار والمعلومات الموثوق بها الى جميع أنحاء المنطقة"(موقع البيت الأبيض، 1/20/04).

14 شباط 2004 ومع 62 مليون دولار، تطلق حكومة الولايات المتحدة شبكة الحرة الإخبارية ، والتي ينوى التنافس مع الجزيرة، في بث الأخبار والترفيه للدول العربية من قاعدة في سبرينجفيلد بولاية فيرجينيا. كذلك خصصت واشنطن مبلغا إضافيا قدره 40 مليون دولار لتأسيس قناة الحرة عراق والتي ستبدأ البث في نيسان 2004. وستكون برامجها على غرار راديو سوا.

14 شباط 2004 - المقاول السابق لسلطة الائتلاف المؤقتة لتشغيل شبكة الإعلام العراقية دون نورث يقول من الواضح ان العراق بحاجة الى التدريب المهني في الصحافة وكل أشكال التدريب الذي عمله الجيش الأمريكي والمسئولين في سلطة الائتلاف المؤقتة هو العثور على القصص الهجومية الكاذبة. ويقول : ان أسباب المشاكل في شبكة الإعلام العراقية كثيرة، منها عدم مصداقية التجربة من خلال الإملاء لخطط وسياسات شبكة الإعلام العراقية imn." كذلك عدم وجود رأس المال التشغيلي، فعلى الرغم من ان imn تعتبر أغلى مشروع إعلامي يعمل لحساب حكومة الولايات المتحدة في التاريخ والذي يقدر بحوالي 4 ملايين دولار شهريا، الا انه يجبر على التقشف وخاصة بالنسبة للمعدات الأساسية مثل بطاريات الكاميرا، او الحاملات الثلاثية وتحرير المعدات. والى درجة رفض طلب للطباعة قدره 200 طلب لدليل تدريبي باللغة العربية للصحافيين. وكذلك "الافتقار الى التخطيط لبرنامج إنتاج أو حيازة غير قانونية أدت الى بث برامج لحقوق محفوظة لأشرطة من هوليوود وأفلام أوروبية والافلام المصادرة من قصر عدي نجل صدام. كذلك كان إصدار الأوامر اليومية التي لا نهاية لها لتغطية أخبار المؤتمرات لسلطة الائتلاف المؤقتة، وإجراء المقابلات والصور، مما يترك الا القليل من الوقت والقليل من التسهيلات لتغطية الأخبار الحقيقية. (مجلس الشيوخ جلسة استماع - لجنة السياسات، جلسة استماع لدون نورث في 2/14/05) وفي 15 شباط 2004 شركة هاريس تتولى تشغيل شبكة الإعلام العراقية من saic. بعقد يبلغ قيمته 3،82 مليون دولار.

السياسة الخارجية الأمريكية في العراق _ القضايا والخيارات

في عام ١٩١٠ ألقى تيودور روزفلت كلمة في السوريون - باريس حول الديمقراطية والمواطنة. وقد أشار في كلمته من جهة أخرى من السياسة إلى أن أساس القوانين مهم جدا في النظام الديمقراطي وأن حقوق المواطنة من المسائل الهامة، والتي تأخذ مساحة واسعة من حجم المسؤوليات للسياسة المتبعة.

لذلك فأن على الناس بشكل عام والطبقة المثقفة بشكل خاص أن يطوروا فرصة تطوير مواقفهم وبصورة جادة اتجاه صيغة أو أي علاقة سياسية فإذا لم يستطيعوا هؤلاء أن يوجهوا العامة من الناس إلى خدمة أنفسهم فأنهم في النهاية لا يستطيعوا أن يوقفوا عدم الاحترام حول ما هم فاعليه.فأن أخذ الأشياء الرخيصة من الأيادي القذرة والضغوط الصعبة ستجعلك في كل الأحوال تعيش وسط هذا العالم.

لهذا فأن تحديات التي تواجهها السياسة الخارجية الأمريكية هي قريبة من البيئة التي نتجت منها، وهذه الكلمات تبقي أثار أساسية في التفكير.

أن أغلب وسائل الأعلام حين تتكلم عن السياسة الخارجية ،فأنها تبدأ بالتعليق حول وجود جواب مقنع لكل سؤال بغض النظر عن أن تلك الأجوبة تكون متوافقة أو أنها صائبة أو حكيمة أو تلك التي لا تتفق مع الرأي العام كانت خاطئة او عبثية.

وكل المعالجات الأكاديمية حول هذا الموضوع تبدأ من خلال الاعتقاد بأن مناقشات الحكومات لا تبدي أهمية للأحداث. لأن خيارات السياسة الخارجية تقاد من قبل مجلس من المؤسسين أصحاب النفوذ مثلما هو الحال في النظام الدولي أوفي البلاد ذات الطبيعة المؤسساتية السياسية المرنة.وفي الحقيقة أن كلتا المقدمتين هي خاطئة، أو غير متكاملة.

خاصة إذا تكلمنا حول القمة المعرفية للناس سواء كانت باتجاهات صائبة أو حول سياسات متشابهة غير متوافقة عليها تستخدم في قضايا محدودة.أما علماء الاجتماع فأنهم يعتقدون أن النظام الرسمي يكون كافي لإعطاء الحرية في العمل والتأثير لجعل التاريخ في الماضي حول القضايا المختلفة التين نواجهها.أما أخصائيي السياسية الخارجية فأنهم يهدفون إلى عرض وجهة نظرهم حول القضايا المطروحة من خلال تسليط الضوء من عدة أماكن مختلفة ليتاح لهم عدة خيارات يمكن استخدامها بحيث يمكن لهم استعمال أفضل الخيارات الوطنية أو المصالح الوطنية لتنفيذ تلك الخيارات.-

ما يفكر به الأكاديميون هو في الخيارات المستقلة أما ما يفكر به الاختصاصيون فهو عبارة عن تجارب عملية يعتقد بأنها تستطيع أن تحكم أو أن تسيطر على ردود الأفعال فهم يعتقدون أن السياسة A مثلا يمكن أن تكون ناجحة بشكل ممتاز لحل مشكلة ما لكنهم في الوقت نفسه يجدون أن هذه السياسة سوف لن تكون بالقوة المناسبة أوانها لن تفيد طبقة المصالح الخاصة لذلك فأنهم لا يمكن لهم تبني تلك السياسة لذلك نجدهم يقضون الوقت الطويل والجهود الكبيرة لا يجاد سياسات أخرى يمكن لها أن تضمن لهم الفوائد الكبيرة وبالطبع ذات تكاليف رخيصة أيضا.

تعتمد السياسة الخارجية الأمريكية على:

حل المشاكل

الفوائد المرجوة

التكاليف القليلة

مصلحة الطبقة الحاكمة.

كذلك لا يمكن النظر إلى القضايا العالقة في السياسية الخارجية من منظار أما أبيض أو أسود فالاختصاصيين يعرفون دائما أن الخيار المناسب دائما يكون بين الظلال أو بين الحدود المتفرقة للأسود والأبيض واللتان تجتمعان معا بطرق مختلفة ،وأغلب أخصائي السياسة الخارجية يؤمنون أن هذه الحلول لا تكون بشكل مؤكد بين تلك الألوان ولكنها بالتأكيد سوف تكون متبناة فالحياة بالطبع ليست وجبة غداء مجانية ولكن فقط النهايات الجادة أنما هي سباق الأشياء ومنافسة التحديات.

هذه المجموعة تهدف إلى مقدمة ذلك العالم لإعطاء معدل للخيارات ولتأكيد المسائل المتبعة في السياسة الخارجية الأمريكية مع الأخذ بالاعتبار المصالح العليا للبلاد الأمريكية والعالمية والتي تنهل اليوم من عدة مصادر ممكنة لا تتفق مع بعضها البعض الآخر من حيث الوسائل والأساليب ،إلا إن من المهم هو كيفية العمل مع كل مشكلة على حدة وليست مجتمعة أو مرتبطة مع بعضها البعض مع القبول أن ليس هنالك أجوبة صالحة بالتأكيد لكل جزء سهل وإنما التجربة

هي التي ستقرر اى سؤال سيكون سيئا ولماذا رأى الأشياء التي سيعتقد أنها ستجلب المصالح وتكون مثيرة للاهتمام.

تعدد الخيارات والوسائل التي استخدمت من قبل السياسة الخارجية الأمريكية بحسب واقع وامتيازات وأهداف كل دولة على حدة، فمع الصين العظيمة أخذت مسألة تطور السياسة الصينية والتحديات والصعوبات الديناميكية ومشاكل الأقاليم وحلها ألا أن التنمية الموعودة والنمو ١٥٠ سنة قادمة سوف يكونان بالتأكيد المحددين الأساسين للسياسة الخارجية الأمريكية في التعامل مع الصين. وعلى النقيض من ذلك استخدمت مسائل حقوق الإنسان وحق تقرير المصير للأقليات في حل مشاكل أوفي تفاقم مشاكل البلقان حيث التأسيس لبناء أوربي جديد قائم على تلك الأسس والمفاهيم. ألا أن الشئ الأكثر أهمية في عالم السياسة الخارجية هو تورط قضايا الاقتصاد والتجارة في علاقة البلدان مع بعضها البض الأخر.هذا الحصار حيث التجارة المقيدة هو نوع آخر من العلاقات الدولية وأصبح تستخدم فيها أدوات السياسة الخارجية في السنوات الحالية.

أن نمو الاحتكار الاقتصادي بهذا الشكل جاء بسبب قلة أهداف السياسة الخارجية المنظورة والتي أصبحت مكلفة وغير متفق عليها من أحد. ولكن كيف يمكن التعامل مع الأخطاء المميتة من قبل بعض الدول وكيف يمكن للسياسة الخارجية أن تستخدم وسائلها القوية أمام هذه التحديات حيث أظهرت أدارة الاحتلال كونها قوة عظمى أمام دول سمتها محور الشر أمام العراق وكوريا ولم تستخدمها لحد الآن أمام إيران إذ أن لها موقف خاصا.

لقد كتبت قبل الحرب كتابات عن كيفية التعامل مع العراق وأغلبها تشير إلى تجزئة المشكلة العراقية وكل جزء يتعامل معه على حدة وحاولت جهود الولايات المتحدة بالا ترتبط مباشرة الأحداث التي ستكون في العراق بقضايا عربية كقضية فلسطين وخاصة بالنسبة للنتائج حيث أن الفشل في تلك لا تعني الفشل في العراق إلا أنها مجتمعة تمثل أحد أوجه المصالح الأمريكية في المنطقة، وأن المساعدة في العراق سيحقق حتما في هذا الاتجاه.

المشكلة الأخرى التي واجهت السياسة الأمريكية هي في مرحلة ما بعد صدام والمشاكل الأمنية التي يمكن أن تحدث في منطقة الخليج العربي والتي ستزداد حتما أكثر مما تقل، أن أي عراقي قوي بما فيه الكفاية سيوازن وسيقف أمام إيران ألا أنه سيشكل تهديدا للسعودية والكويت أكثر من الخطر النووي الإيراني.

ولكن هل تستطيع القوة أن تكون أداة الضغط الفاعلة لتكريس التهديد من قبل البرنامج النووي وهل ستؤدي الضغوط السياسية على دول الخليج النفطية أكثر من التهديد المباشر لوجودها.لذلك على واشنطون إلا تكون مفاجئة إذا أخذت التهديدات مكانا لها في المنطقة في الزمن اللاحق. رفع غطاء الدبلوماسية من حرب العراق عندما تطورت قضية العلاقة بين الولايات المتحدة وبين رئيس المنظمة الدولية، حيث حاولت الأخيرة أن تؤسس لنظام جديد بعد الحرب الباردة يقوم على أن استخدام القوة يكون تحت حكم القانون وجرت محاولات لإنشاء علاقات دولية جديدة تقوم على غير هذه الأسس وإنما على نظرة أمريكية جديدة

ذلك لأن قوة الدبلوماسية لا تأتي أو أنها متعلقة بقوة المؤسسات التي تتبناها كمجلس الأمن وغيره وإنما يأتي من مرونة النظام الدولي المتعدد والذي يخول تحريك القوة بين الأمم العالمية. حيث تمتعت الولايات المتحدة بدورها كقوة رئيسة في العالم وحاولت استعراض قوتها واستخدامها في مرات عديدة منذ عام ١٩٩٦ والتي أصبحت بعد ذلك أدارة اللعبة وخططها بيد الإدارة الأمريكية التي ركزت على توسيع وانتشار قوتها العسكرية في العالم أكثر من اهتمامها بتوسيع القيم والمبادئ الأمريكية عليها.

وهذه السياسة العسكرية الفريدة كانت الضامن لتفضيل النظام الدولي ليس على حساب المصالح الأمريكية فحسب وإنما على المتطلبات العالمية والعدل. وربما كان عدم استخدام القوة الناعمة الأمريكية في العراق حيثما كانت ضرورية هي من الأخطاء التي أتبعت في العراق.

إذ أن مشكلة القوة الأمريكية في القرن الحادي والعشرين هي عبارة عن سلسلة من الأخطاء والإخفاقات وخارجة عن نطاق السيطرة وحتى في أعلى مراحل قوة الدولة، فمن الإرهاب العلمي إلى التحدي النووي إلى الاستقرار الاقتصادي العالمي فأن لدى الولايات المتحدة القليل من الخيارات والفرص إلا أنهما في الوقت عينه كانت عنوانا للتحدي لاستمرار التحالف الدولي.
إلا أن الأزمة العراقية الحالية أتاحت درسين مهمين الأول للأوربيين في هل أن الأمريكيين على حق في التدخل في الشؤون الداخلية للدول ولهم الحق في تغيير النظام وهل هم باستطاعتهم تحمل تكاليف ذلك والمسألة الأخرى في المسائل العسكرية وهي أن الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة والعظيمة في العالم اليوم وتستطيع أن تذهب لوحدها الى أي مكان في العالم وأن تعمل ما تريده.
أما الدرس الثاني فهو للأمريكيين أن التوسط بين ضفتي الأطلسي يمكن أن يكسب السلام أكثر من كسب الحرب. وان التدخل في الشؤون العالمية هو أن ثمنه بسيط لو كان تدخلا قصيرا ولكنه سيكون غاليا جدا أذا كان طويلا وأن هناك وسائل أخرى غير القوة العسكرية يمكن ضمان تحقيق الأهداف كالتجارة والمساعدة الإنسانية والمحافظة على السلام.
ولسنوات قادمة ستتاح للسياسة الخارجية الأمريكية قدرا كبيرا من الحرية من العمل والتخطيط للتوسع وبشكل لا يمكن تخيله في مجال واسع للتأثير مستندة على القوة الأعظم في النظام العالمي. أن القوة العظمى في التاريخ الحديث لا تنتظر الفرصة لتشكيل مستقبل العالم بحد ذاته ولكن تلك القوة في الحقيقة تستطيع أن تجمع الموازنات مع القوة الأعظم متى ما كانت تلك مسؤوليتها. وأنيط بها ذلك القدر الكبير من المسؤولية لإصلاح العالم.
أن هذه الحرية في الاختيار لا تعني تحديد الخيار بحد ذاته بقدر ما يكون واضحا أو قابلا للاستخدام. لذلك فأن قوة السياسة الخارجية لأية دولة أوجهة في أن تكون حيثما تريد أن تكون وبغض النظر النتائج والسلبيات في النجاح أو الفشل أو حتى في الحب أو الكره.

نتائج الإستراتيجية الأمريكية المتغيرة في العراق

تخاطر الولايات المتحدة بإشعال النزاع الشمولي المسلح في العراق من خلال تسليمها مسؤولية قتال المقاومة إلى الجيش وقوات الشرطة العراقية الجديدة ومن خلال أما بتَشجيع الشيعة والأكراد لذَبْح السُنّةِ أو بتَمْكين حصان طروادة ملئ بالمتمرّدين السنّةِ لاختراق قوّاتِ الأمن المتعددةِ العرقيةِ لتقوّيضهم.
فالعراق في وسطِ نزاع مدني عَنيف جداً، يسقط فيه اكثر من 500 إلى 2000 قتيل أَو أكثر كُلّ شهر. وهذا النزاعِ الداخليِ أَصْبَحَ شاملا؛ فهي معركة "حول بقاءِ المجموعةِ." فهو يُحرّضُ الشيعة ضدّ السُنّة، بشكل خاص، وألاكراد ضدّ السُنّةِ بشكل اكبر، والمجموعة ضدّ المجموعةِ بالأقلّياتِ الأصغرِ، وبجبهاتِ متعدّدةِ.
وهكذا حرب بهذه الكثافةِ الحاليةِ والشمولية والمسيطر عليها يُمْكِنُ أَنْ تَنْزلَق إلى حريقِ شاملِ، ومَع مستوى عالي و"خطر من الذبحِ الجماعي" تجعل من انسحاب الولايات المتحدة من العراق إزالة للمانع الأخير من الانزلاق الى الحرب الشاملة.
لذلك تَحتاجُ واشنطن الى إستراتيجية جديدة، وتبدأ بخطوتين: تَبَاطُأ تعزيزِ الجيشِ العراقي وتراقبُ وتَهدد بُعجُالة التوازن العسكري بين قوَّةِ السُنّةِ والشيعة وألاكراد لإجْبارهم للتَفَاوُض".

ولكن هذه الخطواتِ (خصوصاً الأخيرة) خطرة ومن غير المحتمل أنْ تنجح لأنه لا يوجد أي تحليلِ كامل يدعو الى نجاح هذه الخطوة بسبب الجانب المعقّد والمتعدد الأبعاد للنزاعِ العراقيِ.

وبالرغم من أن الحربِ في العراق بشكل رئيسي هي نزاع شامل، فهي تحتوي على عنصرَ مهمَ أيضاً مِنْ التمرّدِ القوميِ. وقد تتغيّبُ واحدة من الأشياء الضرورية مِنْ اللغزِ إذا لا يُدركُ بأنّ العديد مِنْ العراقيين (وفي الغالب هم من السُنّة) أنهم يُحاربونَ في بَعْض الأحيانِ تحت الهامِّ أنهم يَعتقدونَ بأنّهم يشنّون حرب المقاومةِ ضدّ المُحتلين الأمريكانِ و"الخونةِ" العراقيينِ الذي يَتعاونونِ مَعهم.

ولذلك فان مجموعاتِ المقاومة السنيّةِ، من كلتا القوات الإسلامية الأصولية والمقاومة العلمانية تجْعلانِ كأحد أهدافهاً طردَ القوات الأمريكيةِ مِنْ العراق. ويتزامنُ هذا الهدفِ بطموحِ البعض لإعادة حزب البعث إلى السلطة أو بحلمِ الآخرين لتأسيس خلافة إسلامية سنيّة وباتهام كُلّ الأطرافَ الإسلامية الشيعيةِ بأنها تَحْتَ سَيْطَرَة إيران أو على الأقل أنها تلاحق ذيولِ طهران. وكذلك تَعتقدُ المقاومةُ السنيّةُ ان الولايات المتّحدةُ تُريدُ تَأسيس قواعد عسكريةِ دائمةِ في العراق لكي تسيطرَ على البلادِ ونفطِه بشكل غير محدد. غير ان هذا لا يَحْجبَ حقيقة ان أيديولوجيةَ المقاومةَ هي ضد الحضورِ الأمريكي اكثر من بُعدها القوميَ.

أما البعض مِنْ القواتِ المقاومة المتطرّفةِ الأكثر فكرياً، مثل القاعدةِ في العراق، فان إيديولوجيتها تتمثل في قتال الأمريكان أينما كانوا وكيفما كانوا وحتى الموت لطَرْد الأمريكان وحينذاك ينَالُون هدفَهم الخاصَ للهيمنةِ.

ولكن ومنذ خريفِ 2003، فان مجموعات مقاومة أخرى أرسلتْ الإشاراتَ من خلال الوسطاءِ الدوليينِ أنهم يُريدونَ الكَلام مباشرة إلى الولايات المتّحدةِ. وان اثنين مِنْ أهدافِ هذه المجموعاتِ هي أَنْ تُحْصَلَ على بيانٍ واضحٍ مِنْ واشنطن بأنّها سوف لَنْ تُؤسس قواعد عسكريةَ دائمةَ في العراق ووَضْع جدولاً زمنياً لتُكملُ ألانسحاب العسكريَ الامريكي، حتى إذا امتدُّ لأكثر من اثنين او ثلاث او حتى خمس سَنَواتِ.

ولأكثر مِنْ سنتين من الآن، فان واشنطن لديها الفرصةُ لفَتْح المفاوضاتِ، بمساعدة وسطاء دوليين، مع عناصرِ المقاومة هذه وبعد ذلك تسحبِ الزعماء العراقيينِ الحكوميينِ الحاليين إلى تلك المحادثاتِ. وأما النتيجة فيمكنُ أَنْ تَكُونَ اتفاقية بالعناصرِ مِنْ المقاومةِ لتَخفيضِ التمرّدِ: بأَنْ يُرسل الزعماء السياسيين والدينيين السنّة رسائلَ واضحةَ إلى دوائرهم الانتخابية لتَعليق حربِ المقاومةِ ويُتابعونَ مصالحهم السياسيةَ خلال اللعبةِ الصاعدةِ للسياسةِ والحكمِ السلمي بدلاً مِن القتالِ. وفي المقابلِ، تحتاجُ الولايات المتّحدة إلى جدول مواعيد مرن لانسحاب قوَّاتِها، مبنية لَيستْ فقط على التواريخ لكن أيضاً على الحقائقِ على الأرضِ كبناء إجراءات الثقةِ. وأما الآن وقد أَصْبَحَ النزاع "معمم "أكثر بكثير فمن المحتمل انه سَيَكُونُ مطلوبَ لكَبْح العنفِ. بان تكون الحاجةَ والفرصةَ للتَعَامُل مع المقاومةِ التي أساسها سنيّةِ.

وهناك إستراتيجية أخرى مُقتَرَحة للتَهديد بمُعَالَجَة التوازن العسكري مِنْ بين الفئاتِ التي يتكون منها المجتمع العراقي تَستندُ إلى فرضيتين متبادلتينِ. تَفترضُ بأنَّ المقاومة السنيّة يجب ان تَكُونُ "مُرغَمة للمَجيء إلى طاولة المفاوضات" إذا هدّدَت واشنطن بالرَمي في منطقتها قوة شيعية كردية. او بأنّ الولايات المتّحدةَ يُمكِنُ أَنْ تَحَلَّ مشكلةَ التمرّدَ بتأييد الحملة العسكرية الشيعية الكردية المشتركة لسَحْق المقاومةِ السنيّةِ. لكن هذا التهديدِ لَيسَ من المحتمل أَنْ يُحرّكَ قواتَ سنيّةَ فحسب وانما يَعتقدُ العديد مِنْ المحللين بان السُنّةَ يُمثّلونَ في الحقيقة أغلبية سكانِ البلادَ، وكلّهم يَتوقّعونَ بان يستلموا مساعدةَ هائلةَ مِنْ الدول العربيةِ السنيّةِ المُجَاوَرَة في أيّ نزاع شامل مَع الشيعة والأكراد.

ومن المهم الإشارة الى ان الولايات المتّحدةِ ليست لديها قوةُ الضغط الكافية لإنْجاز التسوياتِ المطلوبةِ للقضايا الأساسيةِ التي تُقسّمُ العراق: كالتركيب الدستوري، توزيع الإيرادات النفطية، وألامن. لكن من غير المحتمل أَنْ تَستدعى واشنطن تلك قوةِ الضغط من خلال التهديداتِ

الإستراتيجيةِ الجوفاء وسَيَكُونُ عليها تَعجيل جُهودِ وساطتِها وتعْملُ ذلك بالمساعدةِ الدوليةِ. وفي هذه النقطةِ، يُمْكِنُ أَنْ تحْصلَ على الشراكةِ النشيطةِ للأُمم المتّحدةِ والإتحاد الأوربي لمُسَاعَدَة السفيرِ الأمريكيِ في العراق، وكبار مسئولي الولايات المتّحدة الآخرون الذين يَتوسّطونَ في تسوياتِ سياسيةِ.

ان أي عملية وساطةِ دوليةِ في العراق مِنْ الضروري أَنْ يَكُونَ مخطط لها بدقةً، ومُصَمَّمة ومُنسّقة. وهناك وقت قصير نسبياً لانجاز هذا. ولكن ليس هناك خيار أفضل من انْجاز السياسيينِ العراقيين الذين يُساومونَ لتَثبيت العراق ويَمْنعونَه من الانحدار إلى الحرب الأهليةِ الشاملةِ.

وأي جُهدَ دبلوماسيَ للولايات المتّحدةِ في هذا المجال فانه يجب عليها التنسيقِ – وكما فعلت سابقا - مع آية اللهُ علي السيستاني فما زالَ هذا الزعيمَ الدينيَ الشيعيَ المحترمَ على نحو واسع في العراق قد قلّلَ من تقدير قوته بشكل واسع للاعتدال والمساومةِ. مع ان هناك العديد مِنْ الآخرين الذين قَدْ يقبلون بالحوافزِ الماليةِ والسياسيةِ التي تقدمها الولايات المتّحدةِ وأوروبا سوية. وكذلك مع جامعة الدول العربيةِ، التي طوّرتْ الروابطَ مَع عدد مِنْ الممثلين السياسيينِ في المقاومةِ السنيّةِ وهكذا يُمْكِنُ أَنْ تَعْرضَ لهم تأميناتَ موثوقةَ ويُقنعونَهم للمُسَاوَمَة.

والوساطة الأمريكية والدولية يَجِبُ أَنْ تَبْدأَ بتَسهيل عملِ لجنةِ المراجعةِ الدستوريةِ. وهذه اللجنةِ، هي التي شكلت بعد 15 تشرين الأول 2005 في ألاستفتاء الدستوري العام ولكن لحدّ الآن لَمْ تفعل لاستكمال التعديلاتِ الدستوريةِ؛ تلك التعديلاتِ والتي سَتَتبنّى مِن قِبل أغلبية برلمانية بسيطة ومصدّقة بالاستفتاء العامِ الآخرِ. هذه العمليةِ أُسّستْ لأن الدستورَ الحاليَ لم يكن قادرا على تَكريس الإجماع ولهذا فهو غير فعّالَ. اذ يَتْركُ الدستور الحالي العراق بسلطةِ مركزيةِ ضعيفةِ جداً. وهو يُقسّمُ ضمنياً السيطرةَ على النفطِ وحقولِ الغاز المستقبليةِ بين مناطق شيعية جديدة تَحتوي على 80 % مِنْ نفطِ البلادَ ومصادرَ الغازِ ومنطقة كردية أخرى حينما تدْمجُ كركوك معها، سَتحتوي على 20 %.

إذا فالمساومة الدستورية يُمْكِنُ أَنْ تُتوسّطَ فيها، وساطة مشتركة ولكنها لن تحل الأزمة الأخرى وهي ألامن، فالإستراتيجية الأمريكية الجديدة عليها ان تبدأ بحل المليشيات المُخْتَلِفة، وتسريح ونزع سلاح الجماعات المسلحة الغير حكوميةِ المُخْتَلِفةِ وإعادة تكاملِ أعضائها إلى الحياةِ الاقتصاديةِ المدنيةِ. وتقويض سيطرةِ المليشيات من هياكلِ الدولة (ويضمن ذلك الشرطةِ) لتُعيدُ نوع من النظام وهناك خطة للدَعمَ بالتمويل الدولي الشاملِ.

وبينما هنالك جُهود مكثّفة تَمْضي في الوساطةِ، الا انه يجب إعادة بناء الشرطةِ العراقيةِ والقوّات المُسلَّحةِ. فان اختراق الشرطةِ (ووزارة الداخلية) بالمليشيات الطائفيةِ يجب أنْ تُعْكَسَ؛ في قيادة جديدة وربما تَضمين القوات الأمريكيةِ في بَعْض وحداتِ الشرطةِ العراقية يمكن أَنْ تُساعدَ. في إعادة بناء الجيشِ العراقيِ. ومثل هذه الجُهودِ يَجِبُ أَنْ تَستمرَّ: فالعراق ببساطة لا يُمْكن أنْ يُتحْمَلَ أطول بكثير دون جيش وطني والذي يُمْكِنُ أَنْ يُدافعَ عن النظام السياسي الجديدِ.

أنّ التأريخ يُعلّمُ الدروسِ ذات العلاقةِ. ففي 2003، أسندتْ إدارة الاحتلال خططِها لإعادةِ بناء العراق على التجربة الأمريكيةِ في ألمانيا واليابان. وقَارنَ نقّادُها النَتائجَ على نحو متزايد بفيتنام. وربما قَدْ يَكُون الوضع اليوم في العراق مشابها ليوغسلافيا ما بَعْدَ الحرب الباردة.

وان اختيار إدارة الاحتلال ألمانيا واليابان كنماذج لتحويلِ العراق كان غير صحيح لأن تجارب تلك البلدين كَانتْا مختلفة إذ انه حينما احتلت الولايات المتّحدةَ ألمانيا واليابان في 1945، فان تلك البلدانِ كَانتْا تمتلكان المجتمعات المُتَجانسة جداً والمرتبطة بالاقتصاديات العالميةِ قبل الحرب. وهما قد نالتا الهزائم المُدَمّرة التالية والمُسْتَسْلمة بعد سَنَوات مِنْ الحربِ الوحشيةِ.

ولا شيء من هذه الشروط وَجدتْ في يوغسلافيا في التسعينياتِ أوفي العراق بَعْدَ عقد. فكلا البلدين كَانا قَدْ خُلِقا في بداية القرنِ العشرينِ ومِنْ بقايا الإمبراطورياتِ الأخرى (النمساوية والعُثمانية) وأُسّسَا ضمن حدودِ بأنّ تَضمّنتْ مجموعاتَ عرقيةَ ودينيةَ متباينةَ لم تكن سَتُفضّلُ أَنْ

تَعِيشَ في نفس الحالةِ. وان يوغسلافيا والعراق لم يتطورا جداً في ألاقتصاد العالمي ولم يستسلموا بعد الحرب وهذه النقطة الأخيرة مهمة جدا.

ولَكنَّ بدلاً مِن ذلك ،أدّى هذا التناظرُ التاريخي المعيب إلى اختيارات سياسيةِ معيبةِ. فعندما سَقطتْ بغداد، اعتبرت إدارة الاحتلال في البداية ان العراق أصبح الجائزة التي اكتسبتها ولذلك منعت الشركات الفرنسيةً، وألالمانية، والشركات الروسية مِنْ عقودِ إعادةِ البناء. ورَفضَ بوش جُهودُ البريطاني توني بلير بأَنْ تَعطى الأُمم المتّحدةَ دور مركزي في المهمّةِ. واختارت الولايات المتّحدة تَعيين نفسها كقوّة محتلّة، مستندةُ الى تواجدها العسكري المستمرَ حسب قوانينِ النِزاع المُسَلَّحِ بدلاً مِنْ ميثاق الأمم المتحدةِ. وكُلّ هذه المواقف عُكِستْ في النهاية بظَهورْ حركة المقاومة المُسلَّحة، ومَعها اختفت أيّ فرصة لدعم بقيّة المجموعة الدوليةَ للعراق مجددا.

ولذلك أصبحت إمكانية تنفيذِ السلامِ البلقاني الطرازِ في العراق قد انحسرت، واستبدل مكانها مكافحةِ التمرّد على الطرازِ الفيتنامي. وأستعملَ بَعْض نقّادِ الإدارةِ الأمريكية تناظرَ فيتنام للدِفَاع عن انسحاب القوات الأمريكيةِ من العراق. ليعطى كنموذج بكيفية إعادة توجيه الجُهودَ ألأمريكية. فهناك عدد مِنْ الخبراءِ (مثل Pollack من مؤسسة بروكنجز) قاسوا على تجربةِ فيتنام للدِفَاع عن قضية (حملة تهدئةِ تدريجيةِ)، ودعوا الى ان قوّات التحالف يجب تُركّزُ على ضمان أوسع منطقة من ألأرض بشكل تدريجي وعلى حِماية السكان المحليين في ذلك المكان، وتعطي للحكومةً مجال أفضلَ وبذلك ترْبحُ تعاونَها في تَهميش المقاومين السنة. وبذلك تَقُومُ بحملة مستندة على مقولة "كسب القلوب والعقولِ".

إلا ان الإدارة الأمريكية وجدت ان بعض العراقيين لا يُكافحونَ من أجل الحكومةِ الجديدةِ، ولكن لسيطرَة مجموعتِهم الخاصةِ (كردية أو شيعية) على الحكم، وان مثل أولئك الذين يَستخدمونَ تناظرَ فيتنام، يعتقدون ان المليشيات الكردية والشيعية هي التهديد الطويل المدى والأعظم إلى الوحدةِ العراقيةِ ويَحْثون الولايات المتّحدةَ بتَحريك ثقل عملياتِها في العراق مِنْ تَعقب المتمرّدين في الوسطِ السنيِ إلى تَأسيس يَضْمنُ امن المناطقَ أولا في بغداد والجنوب الشيعي.

وهناك الكثير لكي يُقالَ عن النماذجِ الفيتناميةِ والبلقانيةِ اليوم، غير ان القوات ألأمريكية في العراق سَيكونُ عِنْدَها القليل من الوقت لإعادة تعلم تقنياتَ ثمينةَ شَحذتْ في فيتنام. فالتَوَتّرات العرقية في العراق تشبه تلك الذي أدّت إلى تقسيمِ يوغسلافيا، ويُمْكِنُ أَنْ تعطي نتيجة مماثلة في العراق. فالمليشيات الشيعية والكردية تُتقدّمُ وتَنْمو وستصبح تهديداً للقوات الأمريكيةِ، ثمّ بالتأكيد إلى وحدةِ العراق. لذلك يجب إعادة النظر في وَضْع القوَّاتِ الأمريكيةِ والعراقيةِ لضمان سيطرةِ أعظمِ على بغداد مركزِ البلادَ والتي تحوي على 20 % من سكانِه، حيث الجاليات السنيّة والكردية والشيعية تَختلطُ كليَّاً بصورة طوعية.

ويَبْدو انه من غير المحتملَ، ان الولايات المتّحدة في هذه المرحلةِ المتأخّرةِ سَتَنشرُ قوة كبيرة في العراق بما فيه الكفاية لتَنفيذَ أمّا سلامِ بلقانيِ الطرازِ أو التهدئةِ على طرازِ فيتنام.

فقد وَضعتْ الولايات المتّحدةُ 500,000 جندي في جنوب فيتنام في 1970 في بلاد كَانَ عدد سكانها لا يزيد على نِصْف سكان العراق اليوم. ومنظّمة حلف شمال الأطلسي وَضعتْ أكثر من 100,000 جندي في البوسنة وكوسوفو، وتلك المجتمعات كانت تشكل حوالي خُمس حجمِ العراق. وقوّات التحالف حالياً لَيسْ عديدَها كافيَ حتى لقَمْع التمرّدِ السنيِ؛ وهم غير مهيئين لمُوَاجَهَة المليشيات الشيعيةِ والكرديةِ القويَّةِ الأكثر بكثيرِ أيضاً.

وأولئك الذين يَستعملونَ تناظرَ فيتنام يعدون لدور عسكري أمريكي أطول وأكبر وأعمق في العراق. ولكن القاعدة السياسية لهذا ألالتزام غائبُة في كلتا المجتمعات الأمريكية والعراقية. والمساعدة الاقتصادية الأمريكية إلى العراق جفّفتْ بشكل كبير. ويَبْدوان الوجود العسكري الأمريكي محتملَ ان يقلل في السَنَةِ القادمةِ.

أما وحدة المجتمعاتِ المنقسمةِ عرقياً ستكون بالكاد مهمّة جديدة أو غريبة على الإدارة الأمريكية. والجُهود المماثلة التي تُطلّبتْ لإنْهاء الحربِ في البوسنة في منتصف التسعيناتِ او في تَركيب وريث إلى نظامِ الطالبانَ في أفغانستان في أواخر 2001 تختلف تماما عما يحدث في العراق. فالعراق لَيسَ مجتمعا أكثر انقساما ممِنْ كَانَ في البوسنة أَو أفغانستان فحسب. وانما كلتا الدولتين كَانتْا في وسطِ الحروب الأهليةِ القديمةِ والمفتوحةِ وعندما تَقدّمتْ الولايات المتّحدةِ لاحتلال العراق وجدته مختلف وبحالة صعبة جداً وللمرة الأولى حاولتْ الولايات المتّحدة بوَضْع أسس لمجتمعٍ يعيش سوية وبدون ضمان للتعاونِ.

وبالمقارنَة مع نظرةِ الإدارةَ في أفغانستان، ونظرتها في العراق فان واشنطن ميّزتْ طريق أهدافَها هناك ومَنعتْ أيّ نوع من التعاونِ الإقليمي. فالولايات المتّحدة لَمْ تَغْزُ أفغانستان لكي تُعيدَ صنع تلك البلادِ كنموذج لآسِيَا الوسطى، ولم تُعلنُ واشنطن نيتهاً للتَرويج للديمقراطيةَ في الدول المجاورة لأفغانستان. ولم تلزمْ الولايات المتّحدة نفسها بمثل هذا البرنامج، وهو ما كَانَ ليَضْمنُ دعمَ إيران، باكستان، روسيا، طاجيكستان، وأوزبكستان للحربِ، ومساعدتُها في تَشكيل السلامِ اللاحقِ.

ولكن حين غزت الولايات المتّحدة، العراق أعلنت ان من أهداف غزوها هو جَعْله نموذج للشرق الأوسطِ، وَوعْدت بأنَّ النجاح في العراق سيَكُونُ بداية الجُهودِ لتَحويل النظم السياسية مِنْ جيرانِ العراق. وهذا ما كَانَ يَتصوّرُ عند تلك الأنظمةِ وانه من المحتمل أَنْ تلتزم به.

والتزام واشنطن العلني بالديمقراطيةِ الإقليميةِ وتحديها المصاحبِ لشرعيةِ عملِ الأنظمةِ المجاورةِ حدث من جُهدِها في مواقف مختلفة من دْعمُ لحكومة وحدة وطنية في العراق. فالقادة السياسيون العراقيون سَيَعْملونَ سوية فقط عندما يَستلمونَ إشاراتَ متقاربةَ مِنْ ضامنيهم الخارجيينِ المُخْتَلِفينِ وهؤلاء سوف لن يضمنوا أي قرار بوحدة العراق ما دامت الولايات المتحدة الأمريكية ملتزمة بنشر الديمقراطية في المنطقة بحسب رؤيتها.

لذلك يَجِبُ أَنْ يتدارك الأمر وان تتضامن (وعلى الأقل للسَنَوات العديدة القادمة) جُهودِها لتَفادي الحرب الأهليةِ في العراق. وما لم يُمْكِنُ لواشنطن أَنْ تَصْنعَ او تكون مثال لرؤية العراق لكُلّ حكومات المنطقةِ عندها يُمْكِنُ ان يكونُ لديها فرصةَ لضمانِ مساعدةَ تلك الحكوماتِ.

ان الهدف المركزي للدبلوماسيةِ الأمريكيةِ، يَجِبُ أَنْ يكون ان ثمن تحويلِ العراق واستقراره، هو بالتأكيدِ الاشتراك بالسلطةِ، والسيادة، والتعاون الإقليمي، وكُلّ هذه المفاهيم التي يُمْكِنُ لجيران العراق أَنْ يَكُونوا مَسْؤُلين عنها.

الا انه لا الشعب الأمريكي ولا الشعب العراقي يمكن أَنْ يَدْعموا دورا عسكريا أمريكيا أطول في العراق. فلا النموذجَ البلقانيَ لتنفيذِ السلامِ ولا النموذجُ الفيتناميُ للتهدئةِ متاحُ للولايات المتّحدةِ. وطالما أنَّ الدور العسكري الامريكي المستقبلي في العراق مَعْنيُ به بشكل واسع، فالتناظر الأكثر ملائمة سَيَكُونُ حملاتَ مكافحةَ التمرّد في أمريكا الوسطى في الثمانيناتِ، حيث التدخّل العسكري الامريكي قد حُدّدَ بشكل كبير في النصيحةِ والاستشارة والتدريب.

ففي العراق، يمكن لهذا الارتباط العسكري المخفّضِ أَنْ يُزاوجَ مَع الحملة الأمريكيةِ النشيطة ألأكثر بكثير مِنْ الدبلوماسيةِ الإقليميةِ إذا ان الهبوطِ نحو الحرب الأهليةِ الأوسعِ سَتُتفادى بشكل كبير إذا اتبعت مثل هذا الإجراء خاصة وان السفير الامريكي السابق في العراق ورئيس وكالة الأمن الوطني الامريكي سابقا ومساعد وزيرة الخارجية الأمريكية حاليا هو احد مخططي الحرب على العراق كان مسئولا عن تلك الإجراءات في أمريكيا الوسطى في الثمانينات.

فالاغتيالات وبخاصة للعلماء والمثقفين العراقيين وتأسيس فرق الموت ليست مؤسسة عراقية خاصة. إنما هو تأسيس خاص بالإدارة الأمريكية ومخابراتها ففي تلك السنوات والتي كانت سنوات حكم ريغان الثماني عدت بأنها من أكثر الفترات دموية في تاريخ أمريكا اللاتينية. حيث ضخت واشنطن المال والسلاح وكل الإمدادات لفرق الموت. وكان عدد ضحايا فرق الموت مذهلا. إذ قتل أكثر من 70 ألف شخص في السلفادور، ومائة ألف في غواتيمالا،و30 ألف في

نيكاراغوا. واختارت واشنطن اسم مقاتلوا الحرية على فرق الموت المنفذة لجرائم القتل والاغتيالات لصالحها، وخاطبهم ريغان بأنهم (إخوتنا، مقاتلو الحرية. نحن مدينون لهم بالمساعدة. إنهم، بقيمهم الأخلاقية، يماثلون آباءنا المؤسسين لأمريكا).

ففي العراق اليوم ثلاث حروب مختلفةِ تجتاحه الآن: الأولى بين قوّاتِ التحالف بقيادة الولايات المتحدةِ والحكومة الحليفة لها وبين المقاومة، الثانية بين الأكراد والجالياتِ الأخرى في شمال العراق، والثالثة بين العرب السنّةِ والعرب الشيعةِ في مركزِ البلادِ. والأخيرة هي الأكثر أهميةً بما تمثّله بالجانب الأعظمَ للكارثةِ الإنسانيةِ بالإضافة إلى عدمِ الاستقرار الطويل المدى في العراق وفي المنطقةِ.

إنّ النزاعَ بين السُنّةِ والشيعة، هي حرب أهلية عمومية، ولَيسَت حرب مستندة على الجنس أَو العقيدةِ، وجُهود الجيشِ الأمريكيِ لتَعَلّم نمط هذه الحرب والممارساتِ أفضل من تعلم دروس قتال مكافحة التمرّد في حرب فيتنامِ.

وفي العراق هنالك فرصة ضعيفة للسيطرة عليه خصوصاً إنّ الشيعة أقوياء جداً وأنْهم ليسوا بحاجة لأحد للاشتراك بالسلطة، وهناك ثقة معدومة بين النُخَبِ السياسية، ولا توجد أي مؤسسةَ في العراق قادرة على ضمان أيّ شيءَ إلى أي احد. وألاسوأ، ان مستوى العنفَ عَبر العتبةَ الأخيرة حيثُ الطوائف لا يُمْكِنُ لها أَنْ تَعِيشَ بسلامة سوية. ففي مرحلةِ سابقةِ، كَانَ يمكنُ لهذا النزاعِ أَنْ يَكُونَ قابل للحلَ ثانيةً بالمساومةِ. ولكن في هذه المرحلة لَنْ تكون هناك أي مساومة محتملةُ.

واليوم، يُواجهُ كُلّ السنة والشيعة تهديدات أمنِية حقيقة. فقد تَصاعدَ العنفُ بشكل رهيب منذ تدمير ضريحِ سامراء في شباط 22، 2006، وقد يَشتدُّ لعِدّة سَنَوات. فمنذ أن رَبحتْ الأطرافَ الشيعيةَ السيطرةَ على الحكومةِ العراقيةِ في أوائل 2005، إشتغلتْ قوّاتَ الشرطة الشيعيةَ المهيمنةَ في أغلب الأحيان كفرق موت. وابتداء مِنْ أواخر شهر نيسان 2006، وصحافة الولايات المتّحدةَ لوحدها سجّلتْ 3,500 وفاةَ في الشهرينِ السابقِين، والعدد الكليّ للوفيّاتِ الفعليةِ كَانَ أعلى من المحتمل. وخلال تلك الفترة، وطبقاً للهلال الأحمرِ العراقيِ، أصبحَ أكثر مِنْ 2220000، عراقي من اللاجئين خارج العراق. وهذا التخمينِ منخفضُ أيضاً، كذلك فان نسبة الوفيّاتِ من اللاجئين تدْلُّ على ان حوالي 20% من السنة قد قتلوا في حملاتِ التَطهير العرقيةِ بسبب فرق الموت.

اليوم، لا عراقي سنيَ آمنُ في أي مكان ضمن مناطق المليشيات الشيعيةِ أَو قوّاتِ الشرطة الواقعة تحت السيطرةِ الشيعيةِ، ولا الشيعة آمنون مَنْ القائمين بالعمليات من السنّةَ. وإنّ الخطرَ أعظمُ والعنفُ أسوأ حيث الجاليتين تُعايشانِ في بغداد وفي الأجزاءِ مِنْ المحافظاتِ المحيطةِ الأربع في الانبار وبابل ديالى وصلاح الدين.

والحالة سَتَسُوءُ، لأن الأعمال الوحشية العموميةَ الشاملة قد صلّبتْ إنتساباتَ طائفيةَ. فقبل 2003، عملياً كُلّ العراقيون عرّفوا أنفسهم كعرب، وفي المعارضةِ إلى أكراد وعرب. ومنذ ذلك الحين، اختفت الهويّات الوطنية والعرقية، وتُغلّبوا عليهم بالهويّاتِ الطائفيةِ المعيّنةِ الأكثر. فحوالي 92 % مِنْ الأصواتِ في انتخابات كانون الأول 2005 اختارت للأطرافِ الطائفيةِ، وكلّ الجاليات تستخدم الآن لغةِ متطرّفةِ جداً. ولا يمكن لواشنطن في هذه الظروف - ان كانت ذا نواياها (طيبة) - ان تُعلّقُ جُهودَها لتَقْوية الحكومة العراقيةِ حتى يُمْكِنُ لها أَنْ تَتوسّطَ في صفقة كبيرة بين كُلّ الطوائف، وتجبرُهم على المُسَاوَمَة بالتَهديد بمُعَالَجَة قوَّتِهم العسكريةِ.

عملياً، مثل هذا السياسةِ تكون صَعِبة من حيث أَنْ تُجبرَ التحالفَ العراقيَ المتّحدَ (uia)، الكتلة للأحزاب الدينية الشيعيةِ، لتَسليم النصرِ التي رَبحتهَ في انتخابات كانون الأول 2005. والفكرة سَتَكُونُ التَهديد بإزالة الدعم الأمريكي للشرطةِ والجيشِ العراقيِ إذا بَقيتْ القواتَ مُنْقَسِمةً على طول الخطوطِ الطائفيةِ ورَفضتْ أَنْ تُعيدَ التنظيم مستندة للولاءِ إلى العراق. وستكون الورقة الرابحة للولايات المتّحدةَ التهديدَ بتَرْك العراق بشكل كامل.

الا ان هذه الإستراتيجيةِ من المحتمل أَنْ تَفْشلَ فالمحاولات لإرْغام الاشتراك بالسلطةِ بين المجموعاتِ الطائفيةِ في العراق سوف لَنْ توقفَ او حتى تعالج القتال بينهم. فالـ uia لَيْسَ مُنْقَسِمُ. على الرغم مِنْ المنافساتِ الداخليةِ بين مكوناته، والزعماءَ الشيعةَ ضاعفوا التزامهم وقوتهم باتخاذ القرارات والتفاوض مع الحكومةِ الأمريكيةِ. وفي نيسانِ 2006، أختار uia المالكي بدل من الجعفري رئيسا للوزراء وقَبلتْ الأطرافُ الكرديةُ والسنيّةُ الترشيحُ فوراً بالرغم من أنَّه اصلب وطائفي بإفراط.

وان إصْلاح الشرطةِ قضيّة خاسرة؛ وان أيّ ملاحظة أمريكية حول أداءِ هذه القوةَ ستُجتَمعُ بالردود السريعةِ الساخنةِ مِنْ الزعماءِ الشيعةِ. في آذار، طَلبَ uia من القوات الأمريكيةِ عدم التدخّلِ في الأمنِ الداخلي. الا ان أكثر الزعماءِ الشيعةِ لا يَرْغبونَ مغادرةَ أمريكيةَ فوريةَ، لكن فقط يَتمنّونَ بجَمْع اكبر مساعدة أمريكيةِ قَبْلَ أَنْ تَتصاعدُ الحرب الأهليةَ الى حد أبعد. بالرغم من ان الزعماءِ الشيعةِ والمليشيات الشيعيةُ تَستلمُ مساعدةَ مِنْ طهران على مِقياس ثابت.

ورغم ان أيّ محاولة جدّية لإرْغام العراقيين لاشتراك بالسلطة سيُؤدّي إلى أمّا الى تخفيض سريع في القوات الأمريكيةِ أوالى انسحاب فعلي ومخزي أمريكي قِبل اشتداد المعارك الهائل. والسيطرة على كُلّ مدينة او حيّ مُخْتَلَط في البلادِ سَيَكُون جاهزا لأول من يريده، والذي يَزِيد من ذلك إن الحوافزَ للتَطهير العرقي في كافة أنحاء البلادِ قد أصبحت في أوجها والحكومة العراقية الشيعية المهيمنة لَرُبَّمَا تَجِدُ نفسها أيضاً قد أجبرتْ بشكل أعمقَ إلى علاقة اكثر تطورا مَع إيران.

وبالرغم من أن المليشيات الشيعيةِ تَحْتَ سَيْطَرَة uia، الا أنهم لا يَستجيبونَ إليها أَو إلى أحدهما الآخر. وتَبْدو فرقُ الموت الأكثر نشاطاً والتي تتَكُونَ مِنْ ألويةِ بدر، الجناح المُسلَّح للمجلس الإسلامي الأعلى في العراقِ، والذي يُسيطرُ على وزارةِ الداخلية. وقد قَتلَ جيشُ المهدي المنتمي الى الصدر العديد مِنْ الناسِ أيضاً.

ونتيجة لذلك، فالعراق قد يَتفرّعُ إلى أقاليمِ عموميةِ. كما قد يُصبح بلداتَ مُخْتَلَطةَ خطرةَ وأحياءَ حضريةَ معزولة. ولا أحد يعْرفُ كيف ذهبتْ هكذا الأمور بعيداً ؛ وتَقترحُ بَعْض التقاريرِ بأنّ العديد مِنْ البلداتِ أصبحتْ منعزلة وصافية مذهبيا. فالمليشيات الشيعية عُمِرتْ مِن قِبلَ المتطوعين الجدّدِ، وجيوش الأحياء الشعبية المستقلةِ الجديدةِ تُشكّلُت، أيضاً. والحركة المطلقة بين المناطقِ السنيّةِ والشيعيةِ سَتُقلّلُ على نحو متزايد وستكون هناك نقاطِ التفتيش مدارة من قبل تلك المليشيات، كما ان القواتِ الحكوميةِ، ستكون ضمن او حول بغداد.

وأما التركيبِ العرقي لبغداد فسيكون إلى حدٍ بعيد مركّب فالمدينةِ سَتُقسّمُ إلى جزأين فقط، والبعض مِنْ أحيائِها سَيصبحُ جيوبَ مَعْزُولةَ محاطة بالسلك الشائكِ او الجدران الكونكريتية. وهذا الحَلِّ القبيح عَملَ قبل ذلك: ففي القدس، كان الجزء الغربي من المدينة جزيرة يهودية مِنْ 1948 إلى 1967 ومحاط بمثل هكذا جدران. وأيّ من هذا التقسيمِ للعراق من المحتمل سَيَكُونُ واقعيَ، لأن العديد مِنْ الزعماءِ الشيعةِ ما زالوا يَتمنّونَ بأنّ وحّدَة البلادَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَظْهرَ، ولا نظامَ في الشرق الأوسطِ يَتحمّلُ وجود استقلال رسميَ للأكراد.

في هذه الأثناء، سَتَبْقى الولايات المتّحدة القوة العسكريةَ الأقوى في العراق وسَيكونُ عليها حينذاك واجباً واحدا فقط: هو الالتزام الأخلاقي والإنساني لتَقليل الضررِ الذي سيكون سببه التَطهير العرقي، وهذا أيضاً سيكون من اهتمام الأمن القومي الامريكي. وما عدا ذلك فالحكومةَ الأمريكيةَ سَتَستمرُّ في أَنْ تَكُونَ ملامة من أغلب دول العالمِ لكُلّ الأذى الذي سيَحْدثُ للشعب العراقي.

والالتزام الامريكي الأخلاقي والإنساني سيَعْني استعمال القوة العسكريةِ الأمريكيةِ لحماية اللاجئين العراقيينَ الذين يريدون الانتقال. وكذلك ستدافع القوات الأمريكية عن البلداتِ المُخْتَلَطةِ الضعيفةِ والأحياءِ الحضريةِ مِنْ كلا المهاجمين السنّة والشيعة لوقت طويلِ وبما فيه الكفاية لتَنظيم النقلِ لأولئك الذين يُريدونَ الانتقال إلى مواقعِ أكثر أماناً. وما عدا ذلك، فيمكن لها ان تُسيطرُ على

بغداد. وإما العشرات، وربما حتى المِئات مِنْ القرى والمدن في وسط العراق سَتكُونُ مُهدَّدة بالمعاركِ الطائفيةِ الشاملةِ التي يُمْكِنُ أَنْ تَستمرَّ لشهورِ أَو حتى سَنَواتِ.

وهناك عدد من زعماءَ الشيعةَ يُدركونَ بأنَّ مثل هذه السياسةِ ستنقذ العديد مِنْ الشيعة وستَجْلبُ السيطرة الأعظم للحكومة الشيعية المهيمنة على مدن أكثرَ منها مما يُمْكِنُ أَنْ تُديرَ ما عدا تلك السياسة. وهناك تعاون نشيط إلى حدٍّ ما سَيُتطلّبُ؛ فكُلّ الذي سَيَحتَاجُ إليه إمساكُ من ناحية المليشيات الشيعيةَ أَنْ تَتْركَ حامياتَ دفاعيةً مؤقتةً وقوافلَ إخلاءِ تُكملُ مهامَها بدون الحاجة الى المُحَارَبَة.

وبمرور الوقت. ستضعف المليشيات السنيّةِ أيضاً وستضيع المناطقِ التي تحت سيطرتِهم. لكن القوات ألأمريكية إذا حُدّدتْ المُغَادَرَة بعد ذلك الوقت فان ذلك سيؤدي الى ترك المستوطناتَ التي هي تحت الأيدي السنيّةِ وسيؤدي ذلك الى عدم حماية أولئك الشيعة الذين تَمنّوا الذِهاب.

ومن المهم الإشارة الى ان تلك السياسة تهدف الى ضمان ان الشيعة سيَبْقونَ الجانبَ الأقوى عسكرياً، وأيّ تغيير في الميزان القوّى يُمْكِنُ أَنْ يُشجّعَ فئاتَ سنيّةَ لتَحدّيهم ثانيةً. وإنّ النتيجةَ تَمِيلُ الى ان بعد الحرب ألأهلية فسيكون العراق أكثر استقراراً وأقوى.

والبعض قَدْ يَقُول بِأَنَّ هذه السياسةِ سَتُشرّعُ الى تَطهير عرقيَ. لَكنَّهم يَجِبُ أَنْ يُواجهوا مسالة كلفَ حماية اللاجئين؛ وإلى حدّ ما فأَنَّ هذه السياسة إذا نَجحتْ، فالعراقيين سيُواجهونَ معاناة أقل مِنْ إذا فَشلتْ. الآخرون سَيَدّعونَ بأن الإدارة الأمريكيةَ الحاليةَ من غير المحتمل أنْ تَتّخذُ هذه الإجراءاتِ. ولربما، يمكن توفير على الأقل بَعْض الحياةِ في بضعة أماكن لغرض حول حمايةِ اللاجئين.

طريق الولايات المتّحدةَ في العراق يتحدد الآن إلى اختيار قاتل بين سياسةِ الاحتلال في البَقاء حتى يأمن العراق او يَتدهورُ ببطء وبين سياسةَ نقّادِه التي تدعو الى سَحْب القوات الأمريكية بسرعة حتى إذا لاحت نذر الحرب الأهليةِ. وتَبْدو نظرةُ الاحتلال محاولةً من طرفه ببساطة لتَجَنُّب الهزيمة. ويَبْدو البديلُ مثل طريق الهروبُ الأمريكيُ مِنْ المستنقع العراقي، ومهما كانت النتائج. وبأي من الطّرق، سواء بفقدان ألأمريكان والعراقيين.

وهناك طريق ثالث: يمكن للولايات المتّحدةِ من إيقاْف مقاومتِها العقيمةِ للمَدِّ الطائفي الحتمي بان تعيدُ استثمار العراق الآن وتساعدُ العراقيين وتحوّلُ هذه القواتِ إلى تسوية سياسية فعّالةَ وتُوحّدُ العراق بجَعْله لا مركزيا. وهذه الصفقةِ سَتُقودُ إلى جَلْب السُنّةِ الى عرضِ يُقدّمُ إليهم من خلال وعود بانسحابات للقوّاتِ الأمريكيةِ الوَاعِدةِ قبل 2009، مع دْعُم من الدبلوماسيةِ الإقليميةِ.

فهناك ثلاثة أجزاءِ في إستراتيجيةِ الاحتلال في العراق. أولاً، ان الولايات المتّحدة تَضعُ في أولويتها القصوى خَلْق حكومة الوحدة الوطنية، وبان ذلك العَمَل سَيُساعدُ على حلّ مشاكلَ سياسيةَ أخرى. لكن العراق كَانَ لديهُ حكوماتُ الوحدةِ الوطنيةِ للسَنَوات الثلاث الماضية، وآخر واحدة شملت سبعة وزراءَ سنّةَ يَحْملونَ المواقعَ مهمة كنائبِ رئاسة الوزارةَ ووزارة الدفاعَ، وهم عملوا على قضايا حاسمةِ كإبْقاء الأمنِ وتخفّيض الفسادً.

والثانية، تُخطّطُ واشنطن لسَحْب القوات الأمريكيةِ وان يتدرب العراقيون للسَيْطَرَة لكن هذه السياسةِ تَعطي العراقيين قليلاً من الحافزَ لخَوْض معاركِهم الخاصةِ.

الثالثة، وألاكثر تَدْميرا، فبالرغم من أن الاحتلال يُعلنُ بإصرار بأنّه ما زالَ يُتابعُ نصرَ أعماله تَقترحُ سياسته بأنّ عليه تَجَنُّب الهزيمة.

وعلى الرغم مِنْ إشاراتِ صغيرةِ مِنْ التقدّمِ، فان فريق من الدبلوماسيين الأمريكان والضبّاطِ العسكريينِ في العراق وَصفوا الحالةَ في هذه السَنَة بالحرج في أكثر مِنْ ثُلاث محافظاتِ في العراق. ووَجدَ تقريرهم أيضاً بان تلك المليشيات الطائفيةِ ما زالَتْ مُسَيطَرة على قوّاتِ ألأمن في العراق وان التَطهير العرقيِ المنتشر يَحْدثُ في كافة أنحاء البلادِ، مما سيؤدي الى بدايةَ التقسيمِ الواقعيِ. ورغم ذلك قرّرتْ إدارة الاحتلال إنْهاء المساعدةِ في إعادةِ البناء الاقتصادية الأمريكيةِ بعد هذه السَنَةِ، وبالرغم من أنَّ المتمرّدين، لا يُمْكن أنْ يُهْزَموا بدون إعادة بناء العراق. فقد

قَطعتَ الأموالَ أيضاً لتَطوير الديمقراطيةِ في العراق. أخيراً، وان سَحبَ القوات ألأمريكية من شوارعُ المُدنِ الكبيرةِ، سيَتْركُ للمليشيات السيطرةِ الأعظمِ.
ونتيجة لهذه الحالةِ المتدهورةِ وانسحاب الاحتلال من البرامج فان التمرّدِ سَيَنْمو، رغم انه لن ينتصر طالما ان القوات أمريكية ستَبْقى بالقوةِ الكافيةِ، ومَع رأيِ بقاء 50000 جندي. فان أيّ جُهد من المتمرّدين لاحتلال الأجزاء الكبيرةِ مِنْ الأرضِ ستَفْشلُ ضدّ قوّة الولايات المتّحدةَ الناريةِ المهيمنةَ. وهكذا سَيَكُونُ الاحتلال قادرا على تَجَنُّب الهَزيمة في العراق حتى وهو يُسلّمُ المشكلة إلى إدارة جديدة.
وحينذاك ستَكُون تلك الحالةِ قد وَصلتْ النقطةَ فيها الى حيث لا إستراتيجيةَ، ومهما كانت ذكية على الورقةِ، فهي لا يُمْكِنُ لها أَنْ تَعْملَ. ولكن هناك في الحقيقة طريق لإبْقاء العراق ككُلّ ويَجْعلُه مستقرّ سياسياً: بدلاً مِنْ المُوَاصَلَة تَمزيق البلاد إرباً إرباً بالجُهودِ العقيمةِ في المركزيةِ، وذلك بَجْعلُه لا مركزيا.
وتعزز هذه الإستراتيجيةِ قانونيا مِنْ دستورِ العراق الحالي ومتّسقة مع تفكيّرُ الجيش الأمريكي بشأن انسحاب القوّاتِ المنظّمِ ورغبةِ الدبلوماسيين الأمريكان لدبلوماسية إقليمية نشيطة أكثر.
وإن تتابع الأعذار بالاعتراف بالهزيمة أو الفشل أو بالنسبة إلى النجاح من حيث تذوق لذة طعمه أو بالنسبة إلى الانتظار والتهيؤ لما قد يكون أو من حيث عدم المبالاة والتصنع والانشغال بأمور أخرى كل ذلك جعل عدم جدوى القناعة بضرورة الرنو إلى التطلع بمستقبل التحرير والاستقلال.
فحينما نسمع ما تبثه وكالات الأنباء بين الحين والآخر من أخبار عن تفجير في سوق شعبي مكتظ أوفي محطة نقل للمسافرين، يؤدي إلي استشهاد وجرح العشرات من المدنيين. وينسب في تلك الأخبار إلى توجيه الاتهام الفوري إما إلى منظمة القاعدة أو أي جهة أخرى مؤهلة للوصف بالإرهاب.وان التفجير يستهدف طائفة دون غيرها. وانه ناتج إما عن وجود سيارة مفخخة أو انتحاري يفجر نفسه.
وفي غياب الدولة وأجهزة حفظ الأمن والقانون وفي حال الفوضى الناتجة عن تجوال قوات الاحتلال وشركات الأمن والمرتزقة المحصنين قانونيا في شوارعنا فضلا عن الميليشيات المدعومة من قبلها، تتكرر التفجيرات ويتساقط الضحايا ويزداد عدد الأرامل واليتامى والخراب الإنساني والمجتمعي العميق. وتبقى الأسئلة معلقة مغلفة بالتضليل والأكاذيب، ذلك لان تفجير المفخخات في أماكن تجمع المدنيين وعلى مقربة من المساجد، غالبا ما ينفذ بعد نجاح عملية للمقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال بالتحديد وخاصة عندما تنجح في استهداف عدد من جنودهم. ومعظمها يتم خلال يومين من الإعلان عن مقتل أو إصابة عدد من جنود الاحتلال.
من ذلك ما نشر في وسائل الإعلام حيث أعلن المصدر العسكري الأمريكي يوم 15/ 4/2006 (قتل اثنين من المارينز وجرح 22 آخرين في قتال مع العدو) في الانبار غرب العراق. في اليوم التالي 16/4 انفجرت مفخخة قرب مسجد في المحمودية أدت إلى قتل عشرة مدنيين.
وحينما أعلنت قوات الاحتلال عن مقتل ثلاثة جنود أمريكيين يوم 11/4/2006. بعد يومين في 13/4 انفجرت سيارة مفخخة في سوق مزدحم في الهويدر، شمال بغداد، على مقربة من حسينية، مما أدى إلى استشهاد 13 شخصا.
وفي يوم 17/11/2005، أدت عمليات المقاومة إلى قتل سبعة من جنود الاحتلال .بعد يومين أي في 19/11، استشهد 13 مدنيا اثر انفجار مفخخة في سوق مزدحم قرب جسر ديالى.
صباح الأربعاء 2/11/2005، آخر أيام رمضان، نجحت المقاومة في قتل 6 جنود أمريكيين يضمنهم اثنين من المارينز وإسقاط مروحيتهم السوبر كوبرا. في مساء اليوم نفسه، انفجرت مفخخة في سوق شعبي في المسيب، على مقربة من الحسينية، فاستشهد 23 شخصا وجرح العشرات. وقد تناقلت وكالات الأنباء الخبر بسرعة موحية بان الشيعة مستهدفون.

يوم 31/10/2005، نجحت المقاومة في قتل ستة جنود أمريكيين، كما نجحت قبله بيومين في قتل الكولونيل ويليام وود، قائد الكتيبة الأولى من فوج المشاة184 ، وهو العسكري ذو الرتبة الأعلى الذي يقتل في العراق هذه السنة. وبعد يوم واحد أي في 1/11 انفجرت مفخخة في الحي التجاري في البصرة فاستشهد 15 شخصا وجرح العشرات.

وفي يوم 29/9/2005 نجحت المقاومة في قتل تسعة من جنود الاحتلال من بينهم 2 من النخبة أي المارينز. في اليوم التالي أي 30/9، أدى تفجير سيارة مفخخة في سوق لبيع الخضروات في الحلة إلى استشهاد 7 وجرح 42.

في يوم السبت 15/4/2005 قتل أربعة من المارينز في اشتباك مع المقاومة، في الرمادي وفي يوم الأحد 16/4 انفجرت سيارة مفخخة في سوق شعبي مزدحم في المحمودية جنوب بغداد فاستشهد 11 مدنيا وجرح 23.

يوم السبت 26/2/2005 نجحت المقاومة في قتل ثلاثة جنود أمريكيين في الحلة. ويوم الاثنين 28/2 فجرت مفخخة وسط المسيب على مبعدة 15 ميلا من الحلة فاستشهد العشرات من الأبرياء.

ان الاستهداف المتكرر للأسواق والأماكن العامة، يتم بواسطة سيارات مفخخة، تفجر عن مبعدة. وهذه تقنية متوفرة لسلطات الاحتلال بسهولة شديدة. لقد سمعنا الكثير من الشهادات من مختلف أنحاء العراق عن سيارات تنفجر بعد تفتيشها في نقطة تفتيش أمريكية أو انفجارها على مقربة من مراكز مرور أو حشد للناس وكان السائق قد طلب منه التوجه إلى تلك الأماكن في أوقات محددة من قبل قوات الاحتلال ولم يبق سالما إلا لأنه ترك السيارة قبل فترة قصيرة من الوقت ولعل حادثة الضابط في وزارة الداخلية والذي كان من أعضاء المؤتمر الوطني لأحمد الجلبي ابلغ مثال حول تصرف القوى الحكومية ومقدرتها على تنفيذ تلك الهجمات على المواطنين.

إن كثرة هذه الشهادات وتكرارها من قبل المواطنين على اختلاف انتماءاتهم دفعت الصحافي البريطاني المستقل روبرت فسك إلى التحقيق في صحة عدد منها والكتابة عنها باعتبارها أسلوبا تلجأ إليه قوات الاحتلال لإثارة الرغبة بالانتقام بين الناس فضلا عن تشويه صورة المقاومة ونعتها بالإرهاب

ومن بين الأمثلة المعروفة حادث إلقاء القبض على عميلي القوات البريطانية الخاصة المتنكرين بالملابس العراقية .وكانا في طور نقل متفجرات خاصة بالتفخيخ وغيرها في مدينة البصرة. كذلك، إلقاء القبض على ضابط أمريكي متنكر وهو ينقل المتفجرات في مدينة تكريت. فضلا عن وجود ما لا يقل عن 145000 ألف مرتزق ناشط في العراق.

إن ما يجري في العراق، حاليا، باسم إرساء الحرية والديمقراطية والسلام الأمريكي، لا يزيد عن كونه نسخة مرعبة لنفس الجرائم ونفس الخطاب. وان هذا النمط من الجرائم ليس فريدا من نوعه والأمثلة كثيرة في البلدان المبتلاة بالاحتلال الأمريكي من فيتنام إلى أمريكا اللاتينية. وعدم النظر إليها والتدقيق فيها من هذا المنطلق، في بلادنا، سيوقعنا في مأساة نجاحها.

ولا بد لنا من التوفيق بين اثنين، رأي المؤرخين وبين رأي السياسيين في الاتفاق على المعادلة بين القوى المحلية والقوى الدولية في إنشاء الدولة العراقية الحديثة بالرغم من الاعتبار أن الكيانات العربية الحديثة كانت لامتدادات تاريخية سابقة، وإن كان ذلك لم يلعب دوراً حاسماً وسياسياً في أخذه بعين الاعتبار من قبل المستعمر وبخاصة في السياسة الأمريكية التي لها اعتزاز عظيم ومتميز دون سواه لتاريخها القصير ودون النظر إلى التاريخ العربي الإسلامي في رسم الدولة العراقية الحديثة.

وان أهم الملامح الأساسية لتطور السياسة والتغيير في النظام ألأمريكي تجاه العراق معتمداً على التطورات العالمية في التجدد والتغيير أكثر من الحاجات والمصالح المنظورة عند السياسيين والموظفين الحكوميين فقد كانت الرؤية الرأسمالية في صناعة الاحتكارات إلى جانب

السيطرة والتملك أهم السمات التي اتسمت بها هذه الرؤية ،وبالرغم ما عصف بالعالم الغربي من حروب وكوارث اقتصادية سادت تلك الفترة نتيجة تلك السياسات، وكان للحركة العلمية والتقدم التكنولوجي والصناعي والتأكيد على المذاهب الفكرية في الديمقراطية والحرية السياسية أثر بالغ في تطبيق واستمرار هذا النظام السياسي العالمي ودون الحدود الضيقة التي كانت تقيد الساسة المحليين في إطار القومية والوطنية وحتى الدينية الأيدلوجية.

وعلى العكس من ذلك كانت سمة الجمود في الفكر الايديلوجي المحلي عند أصحاب الفكر العراقيين خلال هذه الفترة سبباً في انهياره، فالسياسة الدولية تبنى على إدارة المتناقصات وليس على التوافقات وكان يجب أن يعرف الطرف المقابل قبل الشروع في الدخول في العملية السياسية تحت ظل الاحتلال والتي كبلت الساسة العراقيين فجاءت المذهبية كشعور بالتصميم الوطني لإثبات الهوية أو الذات الوطنية والشرف والحرية في العمل الوطني مما جعلها انتماء للمذهب أكثر منه إلى الوطن في تحقيق وحدة سياسة قومية ذات هوية وقوة للدولة ذات العرق واللغة المختلفتين.هذه الثوابت والحدود والقيود كانت السمة البارزة للساسة العراقيين خلال هذه الفترة وليس لنا كمؤرخين الحكم عليها بالنجاح أو الفشل بقدر إظهار القدرة على الوصف والتعبير. وأمام تلك التحديات يبدو لنا ومن خلال الواقع على إننا في خطا التوهم باتهام الاستعمار ألأمريكي في العراق في تحمله المسؤولية المباشرة في عدم الاستقرار السياسي فيه خلال هذه الحقبة يشير إلى دوره الفعال في ما أفرزه من نتائج لمستقبل المنطقة، فما قام به المستعمر هو التعامل المباشر أو غير المباشر ووفقاً لمصالحه مع هذا المجتمع المتعدد، ولكن أثر المستعمر الأساسي كان في سيطرته السياسية والعسكرية والاقتصادية في هذه الحقبة الحاسمة، مع أنه بلا شك أصبح النظام الوطني والقانون المحافظ الأمين على هذا الواقع الجغرافي الجديد ولأسباب دولية عديدة.كما إن القوى ألأمريكية في العراق أدت دوراً كبيراً في صياغة هويات طائفية وعرقية بين أبناء المجتمع العراقي ووصلت فيه إلى مستوى عال من النجاح حينما بدأ السكان من العراقيين يعتقدون إلى أن هذه الولاءات التي دفعتهم القوى الخارجية إلى اعتناقها هي ولاءاتهم الأصلية ونابعة من صميم المجتمع الذي يعيشون فيه ولا بد من الاعتراف بها.

وقد لعبت الشخصية الأمريكية المظهر الأكثر تميزاً في العلاقة ألأمريكية تجاه العراق فمن المعروف أن السمة الغالبة للمجتمع الأمريكي هو تعدد المعتقدات والتحولات الدينية وأشكالها وهي في غالبها مبنية على أسس من الاندماج بين تلك الحركات والأحزاب رغم بقاء بعضها ضمن خصوصيتها الدينية، وانعكس ذلك كدافع للشخصية المسيحية ألأمريكية لتشجيع ممارسات سلوكية معينة وتركت انطباعا أكبر في رسم صورة الشخصية الصامدة الثابتة القوية والرغبة المتعجرفة لتحقيق كل ما أراده الرب ودعاهم إليه فكان هناك نوع من الميثاق بين الرب الموثوق الذي يمكن الاعتماد عليه وبين أناس مؤمنين قادرين من خلال حضاراتهم وثقافتهم الرأسمالية من تحقيق ما يريده الرب منهم. ودعت الشخصية الوطنية الأمريكية إلى الاعتماد على النفس والتكييف والاستقلالية في رسم السياسة الخارجية الأمريكية، وحينما جاءت فترة انهيار برجي التجارة في سبتمبر 2001 وبداية فترة (الحرب ضد الإرهاب) كانت سبباً لاجتماع عدة عناصر قادت إلى تحضير ودراسة سياسية خارجية ووفقاً للشخصية الأمريكية للعقود القادمة وهذا ما اعتبر تحدياً أخلاقياً وأيدلوجياً واضحاً ودافعاً إلى معرفة السلوك الأمريكي في العراق في هذه الفترة. ولتأكيد الحرب العالمية ضد الإرهاب تفوق قوة الاقتصاد الأمريكي وهذا ما أعطى شعوراً واسعاً للشعب الأمريكي بالشعور بالمسؤولية تجاه دول العالم إذا أخذنا بعين الاعتبار حركة التجدد والتغيير في الفكر الرأسمالي وتحت هذا التأثير تحركت السياسة الاقتصادية الأمريكية إلى وجه جديد في تغيير صورة التأثير من خلال دعم جهودها السياسية بوضع خطط وأفكار حول ماهية متطلبات الاقتصاد العالمي تجاه ما ستستخدمه السياسة الأمريكية فأنشأت مؤسسات اقتصادية كصندوق إعادة أعمار العراق.

هذا الجزء الثالث من المعضلات التي على الاحتلال أن يواجهها في الشرق الأوسط. فالجزء الأول الحرب على الإرهاب، والجزء الثاني هو أفغانستان والجزء الرابع سيتناول النزاع بين إسرائيل وفلسطين، وسيكون الجزء الخامس ايران. العراق ليس مستقر و"زيادة عدد الجنود" لم تنجح و"اتفاقية وضع القوات" بين الولايات المتحدة والعراق ليست سوى ورقة. فالبلد يعاني من العنف. والفعاليات السياسية في العراق هي شبه عسكرية ومدعومة من الجيش، بما فيها لواء بدر، جيش المهدي، وحركة أبناء العراق "الصحوة". وهناك أعداد كبيرة من العراقيين عاطلين عن العمل. الصناعة منهارة، والخدمات الأساسية -- الكهرباء والماء والغاز والصرف الصحي - - متقطعة أو غير موجودة. الجيش والشرطة فاسدة ومخترقة من قبل الميليشيات، والجيش يعطي الولاء للمشتبه فيهم. ومعظم الحركات السياسية في العراق مدعومة أو أن لها صلات واحدة أو أكثر مع الدول المجاورة للعراق فبغداد هي عبارة عن سلسلة من الأسوار والجدران وجيوب المقاومة لم تنقطع فيها، وتعاني من سنوات من التطهير العرقي، وفي عواصم المحافظات مثل كركوك، الموصل، بعقوبة، البصرة، على سبيل المثال – تطفو على شبح حرب أهلية. هذه هي وراثة الاحتلال في العراق. فالاحتلال ليس لديه خيار آخر غير متابعة وعود حملته الانتخابية: وهو سحب لواءين من القوات الأمريكية في كل شهر. حسبما تشير صحيفة نيويورك تايمز اليوم أن المخططين العسكريين الأمريكيين، بانتظار أمر من الاحتلال، "كي يعكفوا حاليا على وضع خطط لانسحاب سريع للقوات الأمريكية من العراق تحسبا لأن يرفض المنتخب الاحتلال المقترحات الحالية البطيئة جدا كما أشارت إلى ذلك وزارة الدفاع والجيش. " وهذه أول علامة ملموسة على أن الاحتلال على استعداد لمواجهة الجنرالات، الذين كانوا يبطئون في اقترح سحب القوات الأميركية كما قد وعد الاحتلال في عام 2008. في الواقع، وعندما يتعلق الأمر بالعراق، فان الاحتلال له السيطرة الكاملة. فهو غير ملزم بأي اتفاق أو خطط وقعه الاحتلال. وانه غير متعثر بنتيجة ثلاث سنوات من الجدول الزمني لاتفاق تمركز القوات، التي تدعو إلى بقاء القوات الأمريكية في العراق حتى عام 2011. وانه ليس مرتبط بأي جدول زمني يرسمه الأدميرال مولن من هيئة الأركان المشتركة، والجنرال بترايوس، والجنرال اوديرنو، قائد القوات الأمريكية في العراق. فهو القائد الأعلى للقوات المسلحة. وفي هذا الصدد، فإن التقرير الذي نشرته صحيفة التايمز إشارة مشجعة إلى انه يخطط للعمل على سحب القوات المقاتلة وهذه هي نصف القصة فقط. العديد من منتقدي الاحتلال، الذين يشككون في إن المنتخب سيؤدي في النهاية إلى تحقيق وعوده بشان الانسحاب يشيرون إلى أن الاحتلال يلجأ إلى عدم قول أي شيء ملموس حول ما يمكن أن يحدث في كل أو معظم ما يسمى بمكافحة سحب القوات، لكنه يقول، في وقت ما قبل عام 2010. وتحديد سحب الوحدات أو"القوات المقاتلة" ولكن وفقا لمحللين فان ذلك يعني معظم الذين يشكلون نصف عدد القوات الأمريكية في العراق. أي أن يترك شيئا من 60000 إلى 80000 جندي والذين سيوصفون عادة بأنها القوات "المتبقية"، لاستخدامها في واحدة أو أكثر من الأغراض التالية: تقديم الدعم لقوات الأمن العراقية، وتدريب قوات الجيش والشرطة العراقية، وحماية حدود العراق، مكافحة الإرهاب، وحراسة السفارة الأمريكية. بعد فترة وجيزة من توليه منصبه، كان ينبغي أن يتكلم الاحتلال على نحو ما عن تصوره لهذه القوات، والأمل عن الإعلان عن خطط لسحب جزءا منها، وفي الوقت نفسه على سحب ما يسمى بالوحدات القتالية للخروج من هناك. وعلى نفس القدر من الأهمية، كان يتعين على الاحتلال أن يعلن عن سياسته في العراق. كما وصفه في وقت سابق، العراق اليوم هو مزيج من الميليشيات الغاضبة ولكن هل

ينظر الاحتلال إلى أن الولايات المتحدة على المدى الطويل ستكون الضامن لاستقرار العراق؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإلى متى؟ ولماذا؟ وماذا لو تصاعد العنف في العراق بين الخليط من الأعداء السياسيين والفصائل المقاومة؟ وماذا لو أن العنف سيأخذ من جديد الشكل الطائفي القائم على الحرب الأهلية، أو إذا كان العرب والأكراد في العراق على مدى الاشتباك في كركوك والموصل؟ في الواقع، ستجدد أعمال العنف في العراق لا سيما أثناء مغادرة القوات الأميركية، حينذاك سيواجه الاحتلال اتهامات من المحافظين الجدد، ومن الجمهوريين ووسائل الإعلام على انه تبديد للمكاسب التي يفترض تم إنجازها خلال عهدي غيتس والاحتلال. فإذا كان هذا هو الثمن السياسي الذي سيدفع، ومن ثم يتعين عليه دفعه. فان ذلك سيقلل من الضرر خاصة إلى أن الزيادة في القوات لم تحل الانقسامات السياسية في العراق، وقد ينتهي بهم الأمر للعراقيين إلى تسوية خلافاتهم عن طريق القتال بعد خروج القوة الأمريكية. بالطبع، هناك الكثير الذي يمكن أن تفعله إدارة الاحتلال للحد من شدة تصفية الحسابات القادمة في العراق. كأن تذهب إلى الأمم المتحدة للحصول على مساعدتها على التفاوض على وضع إستراتيجية للمصالحة الوطنية بين العراقيين وتستطيع شن موجة من النشاطات الدبلوماسية بين الدول المجاورة للعراق بما فيها إيران، لإقناع تلك الدول ان تستخدم نفوذها للسيطرة على وكلائها، والحلفاء، والرهائن التي تمتلكها داخل العراق. (ولهذا، فإن الولايات المتحدة سيكون عليها أن تدفع الثمن: فإيران تريد من الولايات المتحدة تقديم تنازلات في مقابل المساعدة على تحقيق الاستقرار في العراق. والمملكة العربية السعودية تريد من الولايات المتحدة تتبنى شيئا ما مثل مبادرة الملك عبد الله عام 2002، كخطة للسلام العربية لفلسطين، وتركيا تريد من الولايات المتحدة الأمريكية الدعم السياسي والمالي من أجل الموافقة على السماح لأكثر من الحكم الذاتي الكردي في شمال العراق، وسوريا، التي لها تأثير على حزب البعث والقوى القومية العربية في العراق، تريد دعم الولايات المتحدة لجهودها في استعادة مرتفعات الجولان وبالنسبة للولايات المتحدة أن تعترف بمصالحها المشروعة في لبنان) وهناك أكثر من ذلك: فالكثير من الأموال الأمريكية لإعادة أعمار العراق. قد وعد بعدم السعي لبناء قاعدتين للقوات الأمريكية. ويجب أن يكون هناك استعداد للسماح لروسيا، والصين، واليابان، وأوروبا، بالمساواة في الحصول على عقود النفط العراقية وجهود إعادة الأعمار. والورقة الرابحة هنا، بطبيعة الحال، هي إيران. فسوف يكون التعامل مع إيران ونفوذها في العراق، متعلقا بجزء كبير منه بمشروعها النووي وتمددها الواسع في الخليج العربي النفطي وفي لبنان إلى جانب تعلقها الواضح في العراق وفي رؤوس الحكومة المهيمنة اليوم في بغداد ونفوذها الكبير في الجزء الجنوبي من العراق. إلا أن دخول العامل الشمالي من إيران الجديد سيكون له حساب جديد تماما في التعامل مع هذا الملف وبشكل حاسم في التقويض الإيراني والذي سيكون ممكنا في حالة تفعيل هذا العامل. لكن يبقى هنالك احتمال شخصي وهو قد يرضخ الاحتلال لأولئك الذين يرغبون في إطالة أمد الاحتلال في العراق لأجل غير مسمى، وذلك كجزء من الأمر الواقع والحرب الصليبية في الشرق الأوسط. خاصة بعدما توافرت المعلومات التي تشير إلى زيادة حملات رامسفيلد الجديدة في منطقة آسيا الوسطى وارتباطها المباشر في الشرق الأوسط فلا شيء على الإطلاق عن أي شيء قد قاله الاحتلال منذ فوزه في الانتخابات أومن أي من جميع الشخصيات التي أحاطت به منذ فوزه في الانتخابات في أن تعطي أي أمل على الإطلاق لوضع حد فاصل بما سيجري في العراق. فمن الواضح أن جعل الاحتلال نفسه في فترة انقطاع لخطته في الانسحاب، فهو يوضح للناس أن سياسته في الشرق الأوسط ستتم على أساس تلك السياسة السابقة لكلينتون والاحتلال، إذ إن "فريق الأمن القومي " يعمل لخدمة مصالح ذاتية الولاءات ومشكوك فيها مع السياسيين مثل هيلاري كلينتون. وستعمل وسائل الإعلام بصورة تدريجية على أن الاحتلال سيقبل أن يمثل حلما للكثير من الأمريكيين وخلال الانتخابات العامة حينما وعد الانسحاب حينما كان عدد الواضح من القتلى من الجنود الأمريكان يؤثر على الرأي العام بينما اليوم قد انخفض إلى حد كبير فهو غير ملزم بما كان قد وعد آنذاك.

مفاوضات بحسب قواعد السياسة العامة:

يعيش البلد منذ منتصف آذار 2003 في حالة الحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية ضمن ما يسمى الحرب على الإرهاب. وجعلت ساحته إحدى ساحات تلك الحرب. ولم تنص الاتفاقية الأمنية التي بدأت في 30حزيران 2009 في الانسحاب من المدن ثم الانسحاب الكلي 2011 على إنهاء حالة الحرب في العراق وإنما أعلنت انسحابا كليا من إحدى ساحاته والتي قد تعود إليها في أي ظرف طارئ. وهي مشابهة لاتفاقات متوالية كانت السلطات البريطانية قد عقدتها مع الحكومة العراقية أثناء فترة الاحتلال البريطاني للعراق وهي اتفاقيات 1924، 1925، 1930، 1936، 1948، 1954، حتى معاهدة الجلاء 1959.

إن النظام العالمي في إنشاء الدول قد اعتمد على معاهدة ويست فاليا 1876 والتي شكلت أسس النظام العالمي للدول الحرة والمستقلة والتي نصت صراحة على عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول وعلى حق تقرير المصير. وعلى طول القرن العشرين نشبت الحروب كالحرب العالمية الأولى والثانية واغلب الحروب الأمريكية بسبب نقض هذا المبدأ إلى أن ألغاه الاحتلال في 2001 في إطار نظام حربه الاستباقية والحرب على الإرهاب كما نقض قرارات دولية أخرى كالمعاهدة التي وقعاها فورد بمنع الحكومات وتحت أي ظرف من تمويل أو الاشتراك في عمليات الاغتيالات السياسية وان القانون الدولي حازم وجازم في هذا الأمر إلى أن ألغاه الاحتلال أيضا.

وحين وردت مفاوضات المقاومة مع الحكومة الأمريكية حول مستقبل العراق والتي عرضت إمام الناس شروط المقاومة والمطالب من الجانب الأمريكي. يجب اعتبار أن أي أساس لأية مفاوضات سياسية في أوقات النزاعات والحروب تنحصر في وقف الأعمال العسكرية وبدء حالة السلام وحينما يتم السلام تبدأ المفاوضات الدبلوماسية حول متطلبات كل طرف لعقد اتفاقية السلام بينهما.بمعنى أن الواجب اليوم هو تحقيق وقف إطلاق النار بين فصائل المقاومة والقوى المنضوية تحته وبين الجانب الأمريكي وإذا ما تم ذلك فحينئذ يتم مناقشة باقي المتطلبات.

وقف إطلاق نار وليس معاهدة سلام.

إن السعي لعقد اتفاق وقف إطلاق النار ثم تحول العراق من حالة الحرب الى حالة السلام مع وجود القوات الأمريكية في الوقت الراهن سيتيح الآتي:

نزع قرار الانسحاب للقوات الأمريكية من أيدي العسكريين الى أيدي السياسيين لان في حالة السلام ستكون المفاوضات السياسية هي الأساس لأي انسحاب بعدما قامت القوات المسلحة للمقاومة بواجبها في كسر العدوان.

هناك حقيقة تاريخية هي أن القواعد العسكرية الأمريكية لا يمكن أن تكون أو تبنى في بلد مضطرب داخليا وإنما تنشئ القواعد في البلاد المستقرة وهذا ما حصل في جميع القواعد الأمريكية في العالم ولان العراق استراتيجيا لن يستقر لعقود فان المخاوف من بقاء تلك القواعد ستزول على أيدي السياسيين.

قرار وقف إطلاق النار سيؤكد على تحييد السلاح الامريكي في معالجة أي حادث داخلي في العراق بمعنى انه سيحيد الجانب الامريكي في أي شان داخلي.

من متطلبات وقف إطلاق النار إطلاق الأسرى وفك قواعد الاشتباك والسعي بعد ذلك الى تأسيس معاهدة سلام بين الطرفين وإخراج العراق من البند السابع ومن حالة الحرب منذ عام 1991 الى حالة السلام.
تحول جميع ملفات الخاصة بجرائم الحرب والانتهاكات وحقوق الشهداء والأسرى والتعويضات الى مسائل جنائية تنظر فيها المحاكم وليس الى قضايا سياسية تخضع لابتزاز السياسيين.
إن توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين بعض فصائل المقاومة والحكومة الأمريكية معناه موافقة صريحة ومباشرة بالاعتراف بهذه الجهة المقاومة كممثل عن القوات المسلحة المقاومة في العراق ولعلنا نشير هنا الى أن توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار في خيمة صفوان بعد حرب 1991 كان معناه الاعتراف بحكومة بغداد والتخلي عن اقرب حلفائهم في الشمال والجنوب والمسار التاريخي للأحداث معروف بعد ذلك الوقت.
سيتيح وقف إطلاق النار بين الموقعين عدم مسؤولية أي طرف عما سيفعله الآخرون من حيث المعارضة والاستمرار في القتال وغير ذلك وهذا سيقود أيضا الى ضمان عدم التدخل الامريكي في الشأن الداخلي بأي حال من الأحوال.

القاعدة السياسية.

إن من القواعد الأساسية للسياسة الإسلامية قد لا تعني كما هو شائع اليوم "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" وإنما التأكيد على تأسيس أساس متين لبناء دولة وحضارة. بمعنى أن البناء الحضاري الإسلامي الجديد مقدم على أية مكتسبات مرحلية أو درء أية مفسدات آنية. ولا يتم هذا البناء الحضاري إلا على أسس محلية إسلامية وسطية مع ضمان عدم تدخل أي طرف خارجي.
وقد يكون تحرير العراق هو الهدف المنشود لدى اغلب العراقيين ولكن الحقيقة التاريخية السياسية تؤكد على البناء الحضاري للعراق هو الأهم من ذلك والسعي لذلك البناء على أساس السلم والذي سيتحقق بفضل وقف إطلاق النار والذي هو امتداد طبيعي للخطوات التي سبقته من عمليات مسلحة مقاومة تسعى لبناء بلد حر وجديد. إن العمل السياسي هو اضعف حلقة من حلقات العمل التحرري وهو ليس مكملا للعمل العسكري وإنما لكل ظرف مستحقاته وأعماله. والأمل المنشود في تحقيق وقف إطلاق النار معناه إطلاق العمل السياسي. أما إذا بقيت الأعمال المسلحة وحالة الحرب قائمة في العراق فلا السياسيين في الحكومة وحتى الإدارة الأمريكية بقادرين على إدارة البلاد لان السياسة ببساطة هي علم الإدارة وإدارة الصراعات ولها القدرة على إشعال الحروب ووقفها ومن ثم السيطرة عليها وفرض السلام على الجميع.
أما من الجانب الإقليمي فان قرار وقف إطلاق النار في العراق سيمنع العراق من الانزلاق ليكون ساحة للحرب بين إيران والولايات المتحدة. خاصة بعدما بدأت الولايات المتحدة باستخدام سياسة الحرب الباردة مع إيران في تطويقها وتطبيق ما كانت قد نجحت فيه أبان الحقبة السوفيتية.
ولعل أهم سمات هذه السياسة أنها ستمتد لسنين طويلة فهي ليست حربا تقليدية أو استنزافية وإنما حربا أدواتها الأعلام والعمليات الخاصة. ثم أن تحول المسار الحربي الأساسي الى جهة أفغانستان واسيا الوسطى بعدما تم استدراج إيران بوضع ثقلها في العراق سيؤدي بالتأكيد الى حالات من ردات الفعل الإيرانية والتي ستتمركز في العراق والخليج العربي. ولذلك سيجعل التعامل السياسي مع القواعد الأمريكية في العراق مرهونا بيد الاستراتيجيين السياسيين مع وقف كامل لاستخدام السلاح وبكافة أشكاله وعمليات القوات الخاصة بكافة أشكالها ضد الطرف الموقع لاتفاقية وقف إطلاق النار. وان السعي حول تحييد القوات المسلحة الأمريكية عن صراع المقاومة في العراق يكون من الأولويات الضرورية اليوم لتجنيب العراق ليكون ساحة جديدة لمعارك جديدة.

إن هذه الحرب الباردة الطويلة مع إيران ستكون لها واقع كاريثي على العراق إذا انتظرنا نتائج تلك الحرب وتصرفنا كردة فعل إزاء تلك النتائج وهذا ما أكدته وعنيت به في مسالة البناء الحضاري المستقل وبمعنى أن الوقت ليس بصالحنا أبدا. فبينما تريده الولايات المتحدة بأي ثمن كان. نجد أن إيران والفكر الفارسي معروف بنفسه الطويل وله من المقدرة السياسية والقوى المختلفة الأخرى من تحديد أماكن الصراع والوقت الذي تريده.

إن المسار التاريخي للأحداث في العراق يقود الى أن الاستقلال الوطني والوسطية الإسلامية هما من سيرسم مستقبله وإنما ليس هو استنساخا لتجارب عالمية سابقة فقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستنسخ تجاربها السابقة في العراق كتجاربها في فيتنام وكوريا والهند وباكستان ولبنان وأمريكيا الوسطى وتركيا والبلقان وفي أوربا الشرقية إبان الحرب الباردة ولم تنجح ولن تنجح بإذن الله وهي بالتأكيد حرب إرادة بكل وجوهها وستنتصر الإرادة الإسلامية الوطنية المخلصة لله مهما تعددت الوسائل ومهما اختلفت وجوه الأعداء.

فن السلام

تخلت واشنطن عن الدبلوماسية إلى صالح القوة العسكرية في تعاملها مع الشرق المسلم، ولم يكن ذلك من بسبب التغييرات الراهنة في بلاد الخصيب العربي وإنما جاء بعد سلسلة طويلة من إرث ممدود من العلاقات التي بنيت على أسس غير متوازنة أو من طرف واحد على اقل تقدير.

ولم تكن عودة الولايات المتحدة لصنع السلام واستعادة تقاليد سمعتها الدولية أكثر وضوحا خلال القرن الماضي إلا في حالات محدودة وفردية حكمتها المصالح المشتركة الضيقة بين الأطراف المختلفة ولم تبنى على أساس متين بين شعبي الأمتين والتي كانت على طول فترة العلاقة بينهما هما الطرف الأبعد من تلك العلاقة واستغلت واشنطن تحول الساحة الجيو- سياسية التي شهدها العالم في القرن العشرين للتفاوض على أسس السلام الأمريكي الجديد في العالم والمنطقة بشكل خاص وهذا النهج ساعد الولايات المتحدة على تحقيق مكتسباتها السياسية في المنطقة عبر تلك السنوات الطويلة ويرجع الفضل في ذلك جزئيا إلى رؤية الولايات المتحدة المختلفة للأوضاع في المنطقة إلى جانب المهارة الدبلوماسية.

وكان لانهيار الدول الحديثة والقومية منها والتي بنيت على أساس إيديولوجي قد كسر هذا النمط من السيادة العالمية للشعوب واستغرق الأمر عدة سنوات قبل أن يدرك الاستراتيجي الأمريكي أن التحول الاستراتيجي المسؤول للأمريكان الجديد هو في تأكيد القيادة والى احتواء العنف في مناطق العالم الحيوية وهنا يظهر مرة أخرى مدى ما يمكن انجازه عن طريق تسخير الدبلوماسية الفعالة لإستراتيجية واقعية. ولكن هذه الإنجازات تقف على النقيض تماما من معظم أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة منذ بداية القرن العشرين حيث كان المسؤولون الأمريكيون عموما ينبذون التعهدات الإستراتيجية الواسعة وحذروا كثيرا من تصاعد الحملات الدبلوماسية المستمرة أو مبادرات الوساطة. وبعبارة أخرى، فقد ابتعدوا عن أصول الحكم ووضعوا بدل منه نظاما فعالاً من خلال استراتيجيه جيو سياسية منفذة وكذلك من الاستخدام الذكي لجميع الأدوات الملائمة للسلطة.

فالسياسة الخارجية يجب أن تقوم على تحليل استراتيجي سائد بحسب السياسية والدبلوماسية والظروف الكامنة وتوازن القوى، وعندئذ تمارس التأثير النافذ لتشكيل الأحداث في النقاط الحاسمة. ومن خلال الدبلوماسية الخلاقة يترجم ذلك إلى عمل استراتيجي. وهنا يبرز الفن الفعال كأمر حيوي، فالولايات المتحدة ليس لها إذا أرادت أن تستعيد سمعتها واستعادة قدرتها على

القيادة العالمية إلا باستخدام القوة الذكية. إلا أن هذه القوة تلقى اهتماما اقل بكثير من التدخلات العسكرية والحروب الاختيارية التي قامت بها الولايات المتحدة طوال القرن الماضي والتي أصبحت السمة البارزة للسياسة الخارجية الأميركية على مدى ذلك القرن، وأمست فنون التفاوض والوساطة، وفنها مفيدة بشكل خاص إلى القراء فقط على مدى ذلك الزمان وليشمل كافة العلاقة مع بلاد الهلال الخصيب بشكل خاص بالرغم من أن محددات المقومات الأساسية لأصول الحكم الفعال واضحة المعالم والأهداف والسياسات والآراء داخل الحكومة؛ فهي كانت دقيقة وواقعيه في تقييم العقبات واستمكان الموارد اللازمة للتغلب عليها ؛ والاندماج المنهجي لجميع أدوات القوة والاستمرار في الجهد الدبلوماسي المكثف. وان سوء الفهم العميق للعلاقة الإستراتيجية بين القوة والدبلوماسية في صميم الأزمة الراهنة في السياسة الخارجية الأمريكية. كان قبل كل شيء، انه يتعين على الولايات المتحدة أن تكون ذكية في إيجاد سياسات واقعية ووضعها في الاقتراح والتطبيق من خلال مرونة دبلوماسية ذكية لا يستغنى فيها عن السلطة؛ وإدماجها في إستراتيجية شاملة.

إن الدبلوماسية لا تقتصر على عكس الحالة الخاطئة أو إن تكون لطيفا أمام أعداءك أو سعيدا في تبادل الحديث أو مستعدا لقبول التنازلات. وإنما هي الإمكانية التي تحول القوة الخام والقوة المادية إلى نتائج ذات مغزى سياسي. وبعبارة أخرى، فان الدبلوماسية هي الإمكانية التي تجعلك تستغني عن استخدام القوة. أوهي القدرة على إدارة المتناقضات بدل الاستفادة من التوافقات.

إلا أن الدبلوماسية ليست بديلا عن الإكراه أو غيره من إشكال السلطة ؛ وان فعاليتها تعتمد على الاستخدام الماهر للقوة وكذلك فإنها تؤكد على ضرورة التبصر. إذ لا يكفي أن يكون لك هدف وخطه. فالرجل الدولة الفعلي يجب استباق التحديات من خلال الإدخال والتعقيب على القرار السياسي. من اجل ذلك كانت من صفات الإخفاقات للسياسية الأميركية في بلاد الهلال الخصيب هي الخلط بين الأهداف، ورفض الأسلوب المتعجرف للإدارات الأمريكية، والتضليل الفكري بسبب التقييمات الخاطئة للتخطيط، وضعف تاطير القضايا وتناقض الإستراتيجية الدبلوماسية كانت قد أسفرت عن أسوأ ما كان في عالمنا العربي والإسلامي من تداعيات فكرية واقتصادية وسياسية. في جزء ما يسمى " بنهج المفاوضات الأميركية " علينا التذكر بأن المفاوضات تتطلب التكيف المتبادل، وبحث إمكانية الإقامة - حتى مع الأعداء - ودراسة ما يمكن تقديمه لحصول التغيير في الوضع المتفاوض عليه. إلا أن هذه المتطلبات عليها ألا تتعارض حسب ما يراه الجانب الأمريكي بالصورة الذاتية الاستثنائية العميقة المتأصلة في الفكر الأمريكي وهذا ما يفسر الكره الأميركي للتعامل مع الأنظمة القبيحة أو التعامل مع الأعداء ويجعله خوفا مزعجا لواشنطن بالإضافة إلى إضفاء الشرعية على أعداء الولايات المتحدة.

إن الميل للسياسة الخارجية " تبدو أن المفاهيم التي تتطلب الحد الأدنى من الدبلوماسية والتفاوض"، تعني افتراض أن الولايات المتحدة هي الأقدر من الغير أو المفاوض على التحديد لغيرها حول ماهية مصالحها الوطنية. ورغم أن الدستور الأمريكي يقوم على المبادئ والهياكل التي تتطلب باستمرار البحث عن التوافق والتكيف. خارج حدود السياسة الخارجية وسياسة الأمن القومي، إلا إن الولايات المتحدة هي عبارة عن امة تقوم على حل المشاكل والمفاوضات. ولكن النخب والجمهور على حد سواء يشعرون دائما بشيء من الحرج عندما تطبق هذه المفاهيم على السياسة الخارجية. إن الحياة الدولية هي طريق ذو اتجاهين وعلى المرء الذي يتعين عليه ان يتعاطى من اجلها. أن يجازف للتوصل إلى اتفاق، أو الاعتياد على المواجهة. ونجاح هذه المفاوضات قد تنتج من الصفقات التي لا تخدم سوى المصالح الأميركية وهو أيضا ممقوت من الأعداء. فالدبلوماسية الفعالة تتطلب الاستمرار في التكيف التي لا تحكمها مرجعيه ما. أما وسيلة العمل أو الاشتراك في ائتلاف ما فانه قد يؤدي إلى استيعاب الاحتياجات السياسية لأحد الأطراف المتفاوضة وان حسن الدبلوماسية هو ما يحتاج إليها صناع السياسة في قراءة كتب التاريخ والثقافة للمناطق التي تود أن تعمل المفاوضات لأجلها، وهذا النهج يمكن أن يتطلب

الاستماع إلى واضعي السياسات والخبراء والتعامل مع وجهات النظر المتعارضة والابتعاد عن الدعوة المباشرة إلى استخدام الدبلوماسية.

إن "المفاوضات" هي "أهم أداة من أدوات فن الحكم". وان الدبلوماسية هي المحرك الذي يضع الإستراتيجية للعمل. والدبلوماسيون هم المسؤولون عن إدماج الرسائل وتوضيح أهدافها إلى الأمة من اجل تعزيز المصلحة الوطنية. وان يكون هناك تشديد على أهمية الحصول على ترخيص لاستخدام القوة "إذا فشلت الدبلوماسية" يبدو إن إغفال حقيقة إن الإكراه هو الغالب في جوانب الدبلوماسية. لذلك كان على الولايات المتحدة أن تكون حذرة في التعامل ودعم "ما يسمى بالإسلام المعتدل"؛ وهو الذي يفضل التعامل مع الولايات المتحدة "الليبرالية، والمعتدلة والعلمانية في عناصر سياستها الخارجية" ويراها كحلفاء طبيعيين. غير أن" هذه الوصفة لإشراك العالم الإسلامي من خلال هؤلاء تكون فيها عناصر المفاجئة فيها كبيرة خاصة إذا نظرنا إلى أن الإسلاميين المتطرفين لهم الشرعية الحقيقية من خلال الواقع القائم على التقييمات الاستخبارية، والتي تتميز عن الرؤى الأخرى من تقييمات عقائدية أو إيديولوجية متنوعة. لكن على واشنطن تغيير التوازن السياسي في مصلحة المعتدلين خاصة حينما أصبحت حركات المعارضة في العالم الإسلامي تهيمن عليه بصورة متزايدة بشكل من أشكال الإسلام السياسي، من خلال انه يجب أن يكون الأمر متروك للمسلمين أنفسهم وليس الأمريكان تشويه الراديكاليين؟.... بينما يعلن أن دور السياسة الأمريكية هي أنها تهدف إلى تعزيز وتحرير التجارة وتحسين أنظمة الحكم القائمة، ودون مزيد من زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط وهو اليوم يمثل التحدي الأبرز الذي تواجهه السياسة الأمريكية.

من جانب آخر يمكن لجماعات المعارضة الإسلامية أن تجتاز اختبارا السياسية الأمريكية بشأن استخدام أو دعم العنف حينما تحاول عزل المتطرفين فهناك سجل في مناطق أخرى من العالم يشير إلى أن نجاح الضغط على المسلحين يجبرهم على التخلي عن العنف والمشاركة في الانتخابات الديمقراطية والتي تتطلب تهيئة المناخ السياسي من قبل القوة الأبرز والمهيمنة. ففي ايرلندا الشمالية وجنوب أفريقيا، ابتعد المسلحين عن العنف ودخلوا في مجرى السياسة حينما وجدوا إطار سياسي مقبول على الطاولة، وكان لتسلسل الأحداث أمر بالغ الأهمية في نجاحهم.

إن هذه الخيارات تستحق دراسة جدية وخاصة حينما يتعلق الأمر بالتعامل مع إيران في المستقبل، وسيكون من المهم بالنسبة لصانعي السياسة الأميركية تصميم استراتيجيات لطائفة واسعة من التحديات والفرص - ليس فقط تلك التي تتركز في العالم العربي والإسلامي- وإنما بخصوص الدول الفاشلة ذات الاستجابات المتعددة الأطراف وتقاسم الأعباء مع الدول المتصدرة للمساعدة في بناء قدرات الدولة وتعزيز تحسين مستويات الحكم. ومشاكل أخرى مثل الصراعات المحلية والمواجهات، وسيتطلب هندسة مستقرة للأمن الإقليمي، ولاسيما في شرق آسيا والخليج العربي. تحتاج واشنطن إلى العودة إلى صنع تقاليد السلام التي تعود إلى زمن تيودور روزفلت وجيمي كارتر. ولكن لا يكفي أن تنجح في صنع السلام لان اكبر التحديات هي التي كثيرا ما تنشأ بعد التوقيع على اتفاقيات السلام والتحولات السياسية التي تحدث بعدها. ومن المهم "بناء السلام"، و"بناء الأمة" أو"الاستقرار والتعمير بعد الصراع" والانتقال من الحرب إلى السلام وهذا الانتقال يستحق أن تكون له أولوية قصوى في الدبلوماسية. ولكن هناك عقبات خطيرة على هذا الطريق. فهي ستواجه خلافا من الإدارة العسكرية الأمريكية، وهذا الاختلال يخلق المناخ لدى كبار المسؤولين الذين يميلون أكثر من أي وقت مضى في تاريخ الولايات المتحدة إلى اللجوء إلى الخيارات العسكرية. والعقبة الأخرى هي الرؤية الثقافية. فالخطاب العام يحيط به سؤ فهم لهذه المفاهيم، عندما تتحول "الدبلوماسية" إلى مادة للسخرية. ففي الغد سيلاحظ المؤرخون أن هجمات 9 / 11 أتاحت فرصة غير مسبوقة للقادة في واشنطن لحشد البلاد لمعالجة مجموعة من التحديات التي تواجه المصالح القومية للولايات المتحدة. إلا أن هذه الفرصة قد تم تبديدها. والإدارة القادمة ستكون لها درجة أقل من حرية المناورة، وستواجه تضاؤلا في المكانة العالمية.

مستقبل حرب العراق

فلسفة الحرب الأمريكية في العراق

لم ولَنْ ترى او تدرك إدارة الاحتلال أي وعي للتناقضاتِ في السياسة المتبعة في العراق أَو في النتائجِ السلبيةِ التي أفشلت إستراتيجيةِ الاحتلال للأمن القومي رغم كل المقالات التي تؤكد على استقلالية السياسة الخارجية.

فالحالةَ في الشرق الأوسطِ أصبحت غير قابلة للحل بفضل تلك السياسة. فإيران في طريقها إلى أَنْ تُصبحَ قوة نووية. والحرب ألأهلية في العراق تُهدّدُ بالتَوسع إلى نزاع إقليمي. وأصبحت مواجهة صراع الحضارات قريبة جدا وكل تلك الأحداث كائنة في منطقة هي مسؤولة عن معظم تجهيز النفطِ العالمَي.

وربما تكون للفلسفة التي لَعبتْ بتلك الأحداث في السنوات السابقة في المنطقة دور مركزي فهي وجهت رأسمال الحرب وإدارته والفساد الذي أصبح سمة تلك الحرب وأصبحت الأفكار راسخة بشكل متعنت بسببها وربما أصبح هذا العصر المليء بالأخطاء الصفة اللازمة لكل الأحداث التي تجري والحافز لكل تلك الأفعال لتَبرير تلك السياساتِ الفاشلةِ بمُهَاجَمَة الأعداء الخاطئينِ وخَلْقُ الضحايا ألأبرياء والتي تعكس رغبتهم من جعل الاختبار يحسم في شوارع بغداد. فاستعارة الحربَ على الإرهابِ كانت خاطئة وهي التي أدّتْ إلى السياساتِ ذات النتيجة العكسيةِ والفاشلةِ. فبعد ست سَنَواتِ بعد ١١/٩، واصلتْ الحربُ الحقيقية في عِدّة جبهات العراق، غزة، لبنان، أفغانستان، الصومال في حرب قَتلتْ مئات آلافَ من المدنيين الأبرياءِ وأغضبَ الملايينَ حول العالمِ. ورغم ذلك لم تخضع القاعدة.

وربما كانت الحرب على العراق قد قُبِلتْ بشكل غير ناقد من قبل الجمهورِ الأمريكي كرَدّ فعل واضح على ١١/٩. غير انه يُعتَرفُ الآن وعلى نحو واسع بأنّ احتلال العراق كَانَ حماقة. وبقيت الحربَ على الإرهابِ الإطارَ التي يَجِبُ فيها السياسة الأمريكيةَ أَنْ تُلائمَ، وأكثر السياسيين يَشتركونَ فيها لخوفهمِ من وجود اتهام لهم على إنهم ضعفاء.

والحرب بطبيعتِها تَخْلقُ ضحايا أبرياءَ جداً. وأي حرب شَنّتْ ضدّ أي عدو تُولّدُ القتلى والإصاباتُ والإذلالُ للمدنيين وتخلق غضباً واستياء بينهم وبين عوائلهم ومجتمعهم وهي التي تَخْدم بكل تأكيد بِناء الدعمِ للأعداء المحتملين. ومن هنا جاءت الحرب على العراق ليس استثناء على تلك القاعدة فهي أفرزت كل تلك الموروثات وكانت نتائجها رهيبة على كل من الأعداء والسكان المدنيين.

كذلك ولدت هذه الحرب موروثات سياسية غريبة تجعل من الحركات السياسية تستعمل كصور واحدة من الممارسات التي ترفضها الولايات المتحدة في حربها فالقاعدة، وحماس، وحزب الله، والمقاومة السنية وجيش المهدي في العراق قواتَ مختلفةَ جداً، لكن حربَ الاحتلال العالميةِ عليهم تَمْنعُ من التَفريق بينهم والتَعاملُ معهم وفقاً لذلك. ويَمْنعُ إجراء مفاوضاتَ مطلوبة مَع إيران وسوريا لأنهم في مفهوم الولاياتَ المتحدة الداعمون لهؤلاء. ولحد اليوم أكدت هذه الحرب على العمل العسكري بينما تَتطلّبُ أكثر النزاعاتِ الإقليميةِ حلولِ سياسيةِ. مما جعل هذه الحرب تبعد المسافة بين الشرق والغرب فكل جانب يدعي بأنه ضحية بينما الأخر هو الجاني وهذا ما سيولد عداء مستديما بين أطراف النزاع مما سيجعل بأنّ هذه الحربَ لا يُمْكن أنْ ترْبَحَ بين أي من الفريقين. فهي حرب لانهائية شَنّتْ ضدّ عدو غير مرئيٍ لها من الخسائر في القوات المقاتلة الكثير وستعمل على الضرر بمصالح الأطراف المختلفة. ان هذا الانحطاط بالتأثيرِ الأمريكيِ، جر العالم الى خطرِ انزلاق إلى حلقة مفرغة مِنْ تَصعيد العنفِ والى مزيد من التَدَهْوُر. ومن المؤلم الاعتراف بأنّ مآزقنا الحالية تَجْلبُ بأوهامِنا الخاصةِ. والفلسفةَ التي تنْسبُ

إلى نجاحاتِ هذا الطرف او ذاك فإنما يُمْكِنُ أَنْ تَستعملَ لفسْح عالمكَ الخاص من الخيال الى مجال أفضل. لقد طوّرتُ هذه الفلسفة لان تلَعب دور مركزي في عملية الاكتشاف سواء في أَنْ تأخُذَ أهمية مماثلة للآخرين او تلك التي تجعل الناس يعيشون داخل فقاعة عملاقةِ. ففي السَنَوات الأخيرة كانت هذه الفقاعة تُنْسَبَ إلى الاختصار بين قيمةِ الامتلاك والحياة وفعلِ التثمينِ الذي يحدده الآخرون وهذا ما يدعى اختصارا بتأثيرَ الثروةَ. فلعدّة سَنَوات جلبت (لعنة المصدر - الثروة النفطيةِ) تأثيرا ضاراً للمنطقة وجعلتها في موقف قوي ضدّ السياسة الخارجية الأمريكيةِ، فمعارضُة الحربَ على العراق قد أساءت الفهم وجلبت نتائج عكسية. فالتوجيه لجَعْل العالمِ اكثر آمنا اقتصاديا وعسكريا أدى الى تَطْويق السيادةِ الأمريكيةِ، وجَعلتْ إدارة الاحتلال الغير مستقرةَ بشكل خطير تتسبّبُ في هبوط القوَّةِ الأمريكيةِ الأكثرَ العالميةَ.

ولتَوضيح مجرى الأحداثِ. لابد لي من ان احذر من مُوَاجَهَة الأخطارِ بالكامل من خلال الفتح والتقصي وإعادة فحصِ الإطارِ التصوريِ الذي يُستندُ الى النشاطاتَ كمستثمرين. وان نعمَلُ بتجاربنا الشخصية التي تدْعو بعيداً عنْ حالاتِ الموازنةِ والى ان نُكيّفُ فيها القواعدَ المقبولةَ مِنْ السلوك البشري ضمن إطار الشريعة

وإنّ مدى الأسبابِ الاجتماعية والسياسيةِ التي تساهمَ في رفع وجهة النظر للمَعرِفَة الإنسَانِيَّةِ والتقدّمِ قد تواجه البعض مِنْ المعضلاتِ المركزيةِ للفكرِ التحرّري في الوقت الحاضر وفي إدارة المؤسساتِ للمَعرِفَة الإنسَانِيَّةِ. لقد هدّفتْ الفلسفةُ السائدةُ تقليدياً الى ضمان مؤسسة للمعرفةِ والى ضمان المعرفة بشكل كامل ونزيه، ولكن لا توجد نظريةَ حتى اليوم يُمْكِنُ أَنْ تَدّعي احتواء الحقيقةِ النهائيةِ. غير ان ذلك لا يدعو الى رَفْض أيّ طريقة تحثّ في إتباع أي تجربةِ ماضيةِ مستعملةُ كدليل إلى المستقبلِ، كطريقة التجربة والخطأِ التي فيها قد تَنْمو المعرفةَ قبل عملية التزييفِ. وان أكثر اعتقاداتنا العقلانيةِ لَيستْ تلك التي قد حقّقتْ بالقوة، لكن تلك التي جاءت عن طريق النقدِ والتفنيدِ. هناك فلسفةِ تُدْعَى بالفلسفة الخطائية وهي في أغلب الأحيان تستخدم كتعبير عن سَكّ الذرائع، ويَعتقدُ العديد مِنْ الفلاسفةِ بأنّ تَرْك التَفْكير لا يكون السببَ بأننا لا يُمْكِنُ أَنْ نَقتربَ مِنْ الحقيقةِ والتي هي قَدْ تكُونُ أقرب إلى الشكوكيةِ في النهاية. وعلى النقيض من ذلك، هناك قبولَ قابليةِ الخطأ والصواب لكي تُسهّلُ نمو المعرفةِ وأيضاً الميزّةُ الحاسمةُ في أي مجتمع تقدمّي مفتوح هو استخدام التجربة والصواب والخطأ، والتي يُمْكِنُ أَنْ تَجْلبَ تحسين متراكم مِنْ الحياةِ الإنسانيةِ توازي نمو المعرفةِ في العِلْمِ. ولكن من المهم ان نلاحظ انه عندما نُقدّمُ إلى الشؤونِ الإنسانيةِ، ونعتقدُ، بتطبيق قابليةِ الخطأ والصواب على المجتمعات الإنسانية فلا يُمْكِنُ لنا أَنْ ما يُستَعملَ في علمِ الطبيعة يمكن استعماله في التحقيقِ الاجتماعي؛ ولا نَستطيعُ دِراسَة العالمِ الإنساني في نفس الطريقِ الذي نَدْرسُ فيه ألأجسام الطبيعيةَ. فالأجسام الاجتماعية لَيستْ مثل النجومِ أو الأحجارِ، والأجسام الاجتماعية تَخْلقُ جزئياً بالتصوّراتِ والاعتقادات الإنسانيةِ، وعندما تتغير هذه التصورات فإنها تتغير بتغير الأشخاص. وهذا ما يَجْعلُنا بدرجة أكبر عرضة للخطأ فنحن لا يُمْكِنُنا أبَداً امتلاك المعرفةِ الموضوعيةِ في المجتمعِ، لَولا اعتقاداتنا المتحرّكةَ التي تتُغيّرُ بشكل مستمر.

وهذه العلاقةِ المرنة، قد تقوّضُ نظرياتَ اقتصادية قياسيةَ. التي تؤمن بإطلاقِ الحرية وهذه النظريةِ قد تحرّفَ صورةَ الحقيقةِ الاجتماعية. التي يُمْكِنُ أَنْ تقاسَ على أساس السهولة في إتباع عملياتِ الطريقَ الطبيعيةَ. والتي هي مُجَسَّدُة في الممارساتِ الإنسانيةِ، والتي قَدْ تَتغيّرُ متى ما تُعْرَفُ بأنّ هناك محاولةَ في المقياسِ. فعندما نَتصرّفُ بناء على نظرية حول المجتمع نُخاطرُ بتَعديل الحقيقةِ دائماً. وكنتيجة لهذه الحقيقةِ يتعين الأخذ " بقابلية الخطأ الجذرية " شرط ان هناك تنسيقِ افتراضي في النماذج الاقتصادية مِنْ موازنةِ، والتي تستندُ إلى فرضيةِ المعرفةِ المثاليةِ، ولَيسَ الى إمكانية النظرية المجردة. ورغم ذلك، يَبْدو من صحيحُ الاعتقاد بان حقيقةِ هذه المرونة تَدُلُّ على تقييد أساسي في معرفتِنا للعالمِ الاجتماعي. فمثل السماتِ الأخرى للحياةِ الإنسانيةِ، من نشاط اقتصادي معقد بالاعتقادات الغير متوازنة او أفعال سياسية غير متوازنة. فإنّ هدفَ علمِ

الطبيعة يُطوّرَ النظرياتَ التي تحتوي القوانينَ العالميةَ؛ وبينما العلومَ الاجتماعية تَتعاملُ مع الأحداث التاريخية، فان نوبات الاعتقادات الإنسانيةِ لا يُمْكن أنْ تُبدي بالاعتراض على مثل هذه القوانينِ. ولَيسَ لوحدة التَفْكير هي التي تُحدّدُ ظاهرةَ المرونة في طموح علومِ الاجتماعيات. فالفلاسفة والمفكّرين يؤكدون على انّ وحّدَة المشروعَ لها تأثير مركزيَ، ففي مدرسة فينا للفلسفة الواقعيةِ المنطقيّةِ، يُمْكِنُ للتقدّمِ أَنْ يُنجَزَ في الأخلاقِ والسياسةِ باستعمال طرقِ العِلْمِ. فعندما تُثبتُ سياساتَ عامّةَ لِكي تَكُونَ غير مؤثّرةَ أَو كارثية فان السببَ يُمْكِنُ ان يكون في أنّهم يُجسّدونَ فرضياتَ مخطئةَ، وتلك الأخطاء يُمْكِنُ أَنْ تُصحّحَ بالنقدِ. هذه الفرضيةِ مركزيةُ يمكن ان تخضع لها عيوبِ إدارة الاحتلال السياسية. غير إنّ المشكلةَ من وجهةِ نظر العالمِ أنها أبدتْ في سياسات الاحتلال الخارجيةِ نقدا حول تشكيل الاعتقادات التي يُمْكِنُ أَنْ تُزيّفَ. أنّ الخطوط العامّةَ لعقيدة الاحتلال السياسية عُرِضتْ في 1997 حول مكانة الولايات المتحدة في القرنِ الأمريكي الجديدِ. فبعد نهاية القرنَ العشرينَ، كَانتْ الولايات المتّحدة القوَّةَ الأبرز في العالمَ، وقد اقترحت عدد مِنْ السياساتِ تهدّفُ لتَطْويق هذا الموقع. ونتيجة لهذه السياساتِ دَخلتْ الولايات المتّحدةَ الى مجال بعيد مِنْ تلك الموازنةِ. فهناك متوازي مُتَأَكِّد بين مسعى السيادةِ الأمريكيةِ ونمطِ الازدهار الذي يُمْكِنُ أَنْ يُلاحظ من وَقتٍ لآخَرَ بأنها على وشك الانهيار في الميادين السياسية والإستراتيجية والاقتصادية. وجاءت أحداث ١١/٩، لتستفز قوّة أمريكا وتأثيرها في العالمِ وتحديا لتلك القوة في أي وقت آخر من تأريخِها. فكانت السبب المباشر لهذا التغيير والتأثير وراء احتلال العراق، فكانت هذه المغامرة الطائشة والمُنَفذة بشكل سيئ قد قوضت السيادةَ الأمريكيةَ والتي كانت قد قصد إسنادها حيث كان هدف إدارة الاحتلال أَنْ تضْمَنَ ألأسبقية ألأمريكية في نظام عالمي مستقرّ، لكن النتيجةَ كانت خلق عالم من التناقضات والفشل لمكانة الولايات المتّحدةُ.

وجادلتْ إدارة الاحتلال بأنها ألتزمت بعقيدة بعيدة المدى. كأصوليَّة السوق، وبمباركة ألأصولية الدينية، وجاءَ مذهبَ تكريس السيادةِ الأمريكيةِ لدَعْم سياسة خارجية والتي أَكّدتَ تنافساً بين الولاياتِ بدلاً مِنْ إمكانياتِ التعاونِ الدولي.

ان النظام الحالي يتمتع بالدعمُ من المجموعاتِ المتباينةِ وتوحّداً فقط الرغبةِ للسلطة السياسيةِ والتأثيرِ. ولمُعظمِ الوقتِ ومنذ غزو العراق نرى ان هذه الإدارة تَتخبّطُ، وهي غير قادرة على التماسك أثناء التَطَوّراتِ المفجعةِ التي وربما كان من الخيال الافتراض بأنّه لم تُطبّقُ أيّ نظرية أَو إستراتيجية مبرّرة. غير ان ارتفاع الأصوليَّةِ الدينيةِ والتي كانت حتى لفترة قريبة في حافَاتِ السياسةِ العالمية، نجد انه بسبب تأثير دورِ الدينِ في إدارة الاحتلال جعل البعض مِنْ المميزّاتِ الأكثر خطورة من تلك التأثيرات تدخل إلى السياسة الخارجيةِ وجعلت مِنْ الأصوليَّةِ المسيحيةِ باعتبارها إحدى الإستراتيجياتَ للتَعَامُل مع الإرهابِ.

ان التهديداتِ الجديدة للولايات المتحدة يجب ان تُتجسّدُ في تركيزها على الإستراتيجياتُ ضدّ الإرهابُ الناجحةُ بصورة رئيسية على أسس إجراءات أمنية ومبادرات سياسية بدلاً مِنْ عملياتِ عسكريةِ تقليديةِ. هذه الإستراتيجياتِ قَدْ تَتضمّنُ عمل عسكري مُرَكَّزَ لكن حملاتَ من تلك النوعِ التي تُحاربُ الولايات المتّحدةِ فيها في العراق تَمِيلُ إلى عَزْل عام للسكان وتَرْفعُ من مستويات التفكير الأصولي.

وهذه الحرب تجسّدُ الميل للتَفكير بالنزاعِ الدولي بالشروطِ اللاهوتيةِ التي كَانتْ لمدة طويلة قد تأخرت في الحقِّ الأمريكي، مما عزّز القوَّةَ المتزايدة للمسيحيةِ وقد وصف الاحتلال في مرات عديدة وأرسل العديد مِنْ الإشاراتِ إلى ان شَنُّ الحرب في العراق كان ضدّ الشرِّ. وإذا رأينا ان المحافظين الانجليكان يمثلون القوة المؤثرة في تمويل الحزب الجمهوري وكناخبين ايضا. فليس هناك شَكَّ كبيرَ بأنهم هم الذين يُشكّلونَ الجمهورَ المقصودَ لخطاباتِ الاحتلال لتلك الإيحائيات. وان دورِ الحقِّ المسيحي في إدارة الاحتلال لَيسَ ببساطة ذلك الحليفِ الذي يجب أنْ يُراودَ ويُستَرضى فقط، وانما يُوضّحُ الصلةَ في نظرة تلك الادارة الى العالم. وتُشكّلُ ألاعتقادات حول

الألفية وتعكس تَفْكير الإدارةِ، في نمط حكومة أمريكية علمانيةِ تصبغ أفكارها استنادا على الأشكالِ الدينيةِ بشكل علني.

وإذا عدنا الى التاريخ الحديث نجد أنّ هذه الاعتقادات قد حرّكتْ مثل هذه الحركاتِ ولَمْ تُنقرضْ في الأزمنة الحديثةِ فهي سلسلة متواصلة من نمط التفكير السياسي العالمي، فنرى ان إنتاج العقائدِ الاستبدادية في القرنِ العشرينِ، قد أعيدت بطرق مختلفة، فالنازيةَ والشيوعيةَ أدعت أنها مستندة على العِلْمِ لكنهما كَانتْا في الحقيقة قد استخدمتا تلك العقائد كمجرد وسيلة او تعبير عن الأساطيرِ الإيحائيةِ. فكُلّ مُعتَقَد رئيسي في التأريخِ كَانَ على وشكَ ان يَكُونُ ممزقا لما قبله وفاتحا لعالم جديد. هذا الدورِ السياسي للاعتقادات قَدْ يبين اليوم العلاقةَ بين العقائد والسياسة مع الإشارة والتأكيد بان السياسيين يُقدّمونَ أفكارَهم مستندة على النظرياتِ الاجتماعية العلميةِ الحديثة،لا على تلك العقائد والأفكار. من هنا جاءت هذه المقولات السياسية الجديدة بان البشرِ على حافةِ مرحلة جديدة بقيادة أمريكيةِ " لثورة ديمقراطية عالمية " وان أي استبداد سَيُسقطُ إلى الأبد وانما أعمال الأمريكان اليوم إنما هي نابعة من إيمان مطلق بالنبوءة او إيحاء من الرب إليهم ولعل ذلك يكون بارزا بشكل كبير في خطاب الانجليكان الذين يَتكلّمونَ عن المعركة الفاصلةِ ووقتِ النهايةَ (نهاية التاريخ). وان يترسخ الاعتقاد بأنَّ الحريق الهائل في الشرق الأوسطِ سوف يَفتتحُ الباب أمام النظام العالمي الجديد. وان هناك الكثير من المنظرين والسياسيين يشتركون بان نظرية ((الحقّ المسيحي)) لَيسَ كفرضيةً تجريبيةً يُمْكِنُ أَنْ تُراجعَ على أساس التجربةِ. لأولئك الذين يَقْبلونَها، وانما هي كَشفَ للحقيقةً. على حد سواء، وان العالم سيُقدّرُ له تَبنّي نسخةَ أمريكيةَ مِنْ الديمقراطيةِ. فسياسة إدارة الاحتلال الخارجية إنما كانت أساسها الإيمان بدلاً مِنْ ألارتباط العقلاني بالعالمِ. ولتَفسير سجلِ ادارة السياسة الخارجيةِ الكارثيةِ لإدارة الاحتلال بعد ١١/٩ نجد سلسلة من الأخطاءِ، اعتمادا على هذا التفسير، ان المجتمع الامريكي مجتمع مفتوح وهو ألأقوى في العالمِ وان التهديد الذي جرى له إنما هو تهديد إلى السلامِ والاستقرار في العالمِ؟ وقد استغلت الادارة هذا التفسير والصدمة التي أحدثت لخَنْق نقادِ سياسة هذه الادارة وان تتحول الأحداثَ بعد ١١/٩ الى تحيّز متجذّر نحو تجربتِي النازيةِ والشيوعيةِ. في هيكلها التصوري ومستندة على تلك التجربة من حيث الأخذ بالقبول والخطأ في تكوين السياسةِ. مما سيجعل الولايات المتّحدةَ الى ان تُصبحُ نظام استبدادي ولتبقى الديمقراطية تعمل بسلطةِ قضائية مستقلةِ وحكم القانونِ.

إنّ العنصرَ المفقودَ هنا هو الدورُ السياسيُ المحوريُ للأصولية الدينية المسيحية فبعد الهجماتُ نشّطتْ اعتقادات إيحائيةَ بين المجتمع الأمريكي، وكان على ادارة الاحتلال أَنْ تُعبّئُ تلك المعتقدات لمساندةً سياساتها من خلال جعل الاحتلال يَشتركُ في تلك الاعتقادات. فوَجدتْ أنظمة كاعتقاد تفوق النوع والحقِّ المسيحي في الرؤية الى العالم وهو ما يُجسّدُ وجهة نظر التأريخِ المُؤَطَّرةُ في المفاهيمِ الأخرويةِ، وطَبقاً لأيّ قوَّةِ أمريكيةِ يمكن أن تُستَعملَ تلك الرؤى لتَخليصِ العالم من الشرِّ. وتحت تلك الشروطِ اللاهوتيةِ، والاعتقاد بان ذلك العملِ الإنساني يُمْكِنُ أَنْ يَستأصلَ الشرَّ. وان يحَكم بالمعاييرِ التجريبيةِ التي هي يُمْكِنُ فقط أَنْ تُعَيّنَ على المحاولة في فرض تلك الأفكار. وأثناء مُعظم القرنِ الأخير كان قد بَدا بأنّ أسرَ القوَّةِ بالأنظمةِ اللاعقلانيةِ مِنْ الاعتقاد يُمْكِنُ أَنْ تَحْدثَ فقط في الأنظمةِ الدكتاتوريةِ. ألمانيا النازية والإتحاد السوفيتي الستاليني وكَانتْ المجتمعات المغلقةَ التي عقائدَها الحاكمةَ لا يُمْكن أَنْ تُعرّضَ على النقد ايا كان. بينما أعطت نجاحُ الديمقراطيةِ التحرّريةِ في هَزيمة منافسيها وانتشارها في كافة أنحاء العالمِ وكَانَ سهلَ الافتراض بأنّ كان فيها رشد داخلي يَعطيها سبق وقوة على أيّ نوع من أنواع الاستبدادية. فالمجتمعات المفتوحة كَانتْ ديمقراطياتَ تحرّريةَ، تقريباً، وهي تبدو بأنّها تبعث إلى الوجود حينما تسقط الدكتاتوريةَ. من هنا نصل الى نتيجة الى ان انهيار المجتمع المغلق لا يُؤدّي إلى مجتمعِ مفتوحِ؛ وانما يُؤدّي إلى الانهيار والتفككِ المستمرِ الذي يلي فترة الهدوء أَو الاستقرار. وهكذا فان أي انقسام بسيط بين مجتمع مفتوح يهدّدَ جميع الاتجاهات: مثل الحريَّة الواسعة، التي تتحول الى فوضوية، وولايات فاشلة من ناحية؛ وفرض وانتشار العقائد الأصولية التي تؤدي الى

الأنظمة الاستبدادية من ناحية أخرى. وفي الحقيقة، حينما تَنهارُ المجتمعات المغلقة تُخفقَ في جَعْل الانتقال إلى الانفتاح، والسبب لَيْسَ في كونهم قد ضْعفوا في الفوضويةِ، أوانهم مهددون من عودة إلى الدكتاتوريةِ. الا انه قَدْ يَكُون عليهم ان يَتبنّوا بشكلَ ضيّق الأفق الأتي مِنْ الديمقراطيةِ. وان يبتعدوا عن اي شكل من أشكال التقاليدِ الديمقراطيةِ التحرّريةِ وإذا عدنا الى تجارب لوك والحرب الأهلية الإنجليزية فهناك تقليد مشابه لهذا النموذج، وكذلك مقالات روسو في الثورةِ الفرنسيةِ التي ترسخ بان الديمقراطيةَ تعبير شعبي. ومن هنا نفهم إنّ الحكومة الدينيةَ الانتخابية التي ظهرتْ في مُعظم العراق في مرحلة ما بَعْدَ صدام هي حكومة ديمقراطية في هذا المفهوم، كما الحال مع النظامُ الحاليُ في إيران؛ وكذلك حكومة حماس في فلسطين.

وتتسم هكذا ديمقراطيات بأنها تَفتقرُ إلى الحريةِ في أغلب الأحيان كحرية المعلوماتِ والتعبيرِ والقيود القانونية على القوَّةِ الحكوميةِ، والتي هي من المميزّاتَ الضروريةَ للديمقراطيةِ في تقليدها التحرّري. وهي بذلك تبتعد عن الدكتاتورياتَ. اذ ان الديمقراطيةِ، أساسها الانتخابات واستملكت القوَّةِ باسم الأغلبيةِ، ويُمكنُ أَنْ تكُونَ قمعية بشكل اكبر من حيث انتهاك الحريةِ الفرديةِ وحقوقِ الأقليات وربما في أحيان كثيرة تكون اشد من الدكتاتوريات في هذا المجال. إلى الحدّ أَنَّ تقْمع أي حريةً ثقافيةً.

بينما نجد ان ألأنظمة الاستبدادية في أحيان كثير تكون مثالية الى حد كبير من المجتمع المفتوح؛ فإنها أحيانا نجدها يُحكّمونَ العقلَ في صياغةِ سياساتِهم بثبات أكثرِ وبنجاح اكبر من الديمقراطيةِ التحرّريةِ المُؤَسَّسةِ الجيّدةِ. وهذا ما تمثل بصورة واضحة في التوسّع المستمرِ للقوَّةِ الروسيةِ بعد انهيار الاتحاد السوفييتي بحيث أصبحت لاعب رئيسي في النظامِ الدوليِ ولو جزئياً وهو ما تبين واضحا أزمةِ الطاقةِ العالميةِ، بحيث أصبحت روسيا قادرة على تَأكيد نفسها في الشؤون الدولية وتَتجاهلُ أي رفضَ غربيَ في سياساتِها الداخليةِ والتي كَانتْ فعّالةُ جداً في إنْجاز أهدافِها. وعزز ذلك وجود احتياطيات واسعةً مِنْ المصادرِ الطبيعيةِ من نفط وغاز طبيعي على إحياء روسيا كقوَّة رئيسية أيضاً، فقد استخدمت هذه المصادر على تكريس التبعيةِ الأوروبيةِ والدوليةِ على تجهيزاتِ الطاقةِ الروسيةِ وتَقدّمَ بوتين بمصالح روسيا الجغرافية والسياسية بشكل فعال. وجَعلَ من الأخطاءَ — مثل تدخّلِه في أوكرانيا — أخطاء في التقدير وليست أخطاء إستراتيجية واستطاع بفضل ذلك ان يتجاوزها بنجاح. ومثال آخر من ذلك السياسة الخارجية الصينية كنمط واقعي وبنفس الطريقة، وبينما روسيا والصين تَتقدّمُ، تعاني الولايات المتحدة من فقدانِ السلطة والتأثيرِ بسبب ما ارتكبته إدارة الاحتلال في العديد مِنْ الأخطاءِ القابلة للتجنّبِ؛ ولكن حماقتَها المركزيةَ تكمن في أنها تُطبّقَ سياسة خارجية أساسها الإيمان والاعتقاد الطوباوي بأنها مكلفة من الله بهذه الأعمال.

وفي الحقيقة، فبدلاً مِنْ معْرِفة وتَصحيح أخطائِها تَمِيلُ هذه الإدارةِ إلى تَركيب تلك الأخطاء ومن ذلك تصعيد النزاعِ الحاليِ في الشرق الأوسطِ بدقّة حيث التهديد بعمل عسكري أمريكي ضدّ إيران يُمْكِنُ أَنْ يبْدوَ مُبَرَّرا من وجهة نظر تلك الادارة. ويعزز ذلك قلقهم سببه ارتفاع إيران كقوَّة سائدة في الخليجِ العربي وتأثيرها المباشر في العراق فبعد إزالة صدام العلماني أزيلت الموازنةَ إلى قوة إيران الإقليميةِ وخَلقتْ الظروف لظهورِ نظامِ إسلاميِ سَيَكُونُ على نحو متزايد خاضع لتأثيرِ طهران. أما الضَربَات الجَويِّة الأمريكية على إيران فإنها ستعزّزُ النتائجَ السلبيةَ للحربِ. من حيث التأثير شديد على تجهيزات النفطِ العالميةِ، ومن الآثار السلبية على التجهيزات النفطية الأمريكيةَ وبالمقابل من الاستفادة من قبل التجهيزات النفطية الروسية. كذلك فان تلك الضربة ستزيد من التأثيرَ أيضاً في الخليجِ العربي وفي كافة أنحاء العالمِ الإسلاميِ من صعود الاتجاه الفكري الإيحائي لمقلدي الشيعة بالرغم من التشابه الفكري بين الادارة الأمريكية والإدارة الإيرانية من حيث الإتباع الفكر الإيحائي لرسم السياسة الخارجي لكلا البلدين وما سيترتب عليها من نتائج كارثية. غير ان النتيجة العامّة سَتَكُونُ تَعجيل هبوطِ الهيمنةِ الأمريكيةِ الذي بَدأَ باحتلال العراق. فبعد أقل مِنْ عشرين سنةِ بعد الانهيار الشيوعيِ، فان السلطات المتصاعدة في النظامِ

الدولي ستكون أنظمةَ استبدادية وهي سوف لَنْ تَتحمّلَ أية معارضةَ سياسيةَ مفتوحةَ. وان المجتمعات المغلقة ستُثبتُ أكثر أنها قادرة على تاطير وتَنفيذ الإستراتيجياتِ العقلانيةِ اكثر مِنْ مجتمعِ العالمَ المفتوحَ، فعلى مدى التأريخِ، وبعيداً عِنْ حالاتِ الموازنةِ الطبيعية. نجد ان المجتمعات المفتوحة لا يُمكنُ أَنْ تَكُونَ آمنةَ من اِضطراباتِ الإيمانِ في نفوس أبنائها بتقادم السنين وتطورات الحضارة كذلك إذا أضفنا ان أساس سياساتها الخارجية ستكون الإيمان العقائدي ذات الاعتقادات اللاعقلانيةِ وصاحب النتائج العكسية. في مراجعة للأحداث التي مرت على العراق خلال السنوات الأخيرة ومن وجهة نظر المؤرخ الدبلوماسي وإذا استخدمنا بشكل أفضل الوَصْف والتَحليل لأغلب مَدارِسِ التفسيرِ التاريخي لإعطاء فكّرة التسلسل التاريخي للأحداث نرى انه إذا أُهملتُ الحقيقة التي تؤكد على أنّ الانسحاب الأمريكيَ مِنْ مُوَازَنَة القوَّةِ في العراق فانه سيكونَ كارثة على الصعيد الامريكي. وهذه التي يجب ان يؤخذ بها على قادم الأيام. وان الذي يظن عكس ذلك فانه سيخالف اغلب عبر التاريخ ولم يستفد بشكل علمي من دروس التاريخ وأخطائه.

ان الُقياس التقليدي للجغرافيةِ، والقدرات العسكرية، وتوزيع القوَّةِ في النظامِ الدولي الحديث، يفرض على الولايات المتّحدةِ منذ ١٩٠٠ بان تكون القوة العظمى الأكثر أمنا في التأريخ. ورغم ذلك فإننا نرى ان اغلب القرن العشرين، قامت واشنطن بنشاط توسّعي مستمر وإتباع إستراتيجية للسيطرة. وان تكون العقيدة الويلسونية التحرّريةِ هي مظهرِ السياسة الخارجيةِ للولايات المتّحدةُ لإعادة بناء "أسطورة الإمبراطوريةِ. غير ان العقيدة الويلسونية الأيديولوجيةِ، تفرضُ على الولايات المتّحدةَ بأَنْ لا تَكُونَ آمنةَ فحسب وانما تعيش كذلك في عالم متكوّن من الديمقراطياتِ، وهكذا تدخل العقلية الصليبية التوسعية إلى السياسة الخارجية الأمريكيةِ، ومما دعم استمرارية تلك العقيدة نجاحات البلادَ في السياسة الخارجيةِ منذ وودرو ويلسون الى الحرب الحاليَة في العراق وربما يكون هدف إدارة الاحتلال "تَحويل" الشرق الأوسطِ الى مظهر آخر من مظاهراتِ الحقيقة بأنّ العقيدةِ التحرّريةِ الويلسونية سبب أساس للتوسّعِ الإمبراطوري الأمريكي. وإذا استعرضنا بشكل موجز تدخلات الحكومات الأمريكية في الشؤون العالمية للقرن العشرين نجد الأثر المتسلسل للتوسع التاريخي الامريكي، فقد قاومتْ الولايات المتّحدةَ توسّعَ اليابان بشكل فعال في شرق آسيا في أواخر الثلاثيناتِ، وبدلاً مِنْ ألانسحاب وترك اليابان رغم أنها لم تهدد الولايات المتحدة بشكل مباشر فان تلك السياسة توّجتْ بالهجومِ الياباني على بيل هاربور. وبالمقابل فان تلك السياسة حين اتبعت في أوربا الغربية بعد ١٩٤٥، حين قرّرتْ واشنطن بأنّ تخُلِق منظمة حلف شمال الأطلسي كان الأوربيون المتضايقينَ منها مستسلمين لتلك السياسة بسبب هزيمة مواطن السيطرة والقوة فيها وكذلك ضعف الأطراف التي خرجت منتصرة بعد الحرب، ففرضت الولايات المتّحدةَ التي احتاجت الى أَنْ تَفْرضَ هيمنتَها على أوربا الغربية بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانيةِ. وربما وَازنتْ الولاياتِ المتحدة قوتها الجذّابةِ والأقوى ضدّ الإتحاد السوفيتي المهدّد والأضعف ولكن الأكثر الا انه رغم ذلك، كان هنالك استعداد من قبل الاتحاد السوفييتي ان يقبل بالمساعدة مما جعل ذلك شرطا أساسيا لنجاح تلك السياسة وهو ما كان قد اتبعته السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية حين كانت فرنسا غير مبالية بالتهديدِ السوفيتي الخارجي ولكنها كانت مهددة بالتهديدِ الشيوعي الداخلي. واحتاجت المُوَازَنَة ضدّ الإتحاد السوفيتي، لذلك عملت النُخَبَ الفرنسيةَ على قبول المساعدة الأمريكية للتَعافي اقتصاديا، والإصلاح اجتماعيا، وبكْسبُ الاستقرار السياسيَ المحليَ والذي تَطلّبَ أبعاد الشيوعيون الفرنسيون عن القوَّةِ. أنّ النصر الأمريكي في الحرب الباردةِ لم يأت رخيصا، كذلك في كوريا وفيتنام لم تكن رخيصةَ ايضا. والدفاع عن أوربا الغربية بعد ١٩٦٠ لم يكن كذلك فقد كَانتْ خطرةَ ايضا لأنها أُلزمتْ الولايات المتّحدة لمُخَاطَرَ القيام بحربِ نوويةِ لمصلحةِ أوربا الغربية. وفَرضتْ الحرب الباردةُ تكاليف ضخمةَ على الولايات المتّحدةِ، بلغت التريليونات مِنْ الدولاراتِ أنفقتَ في الحملة الصليبيةِ العالميةِ ضدّ الشيوعيةِ وفي تكريس مسعى الهيمنةِ العالميةِ الأمريكيةِ

والتي كان يُمكنُ أنْ تُصْرَفَ لتحسين الظروف الاجتماعية الداخلية. مع كلف أخرى دفعتها الولايات المتحدة ويتمثل ذلك بتوسّعِ قوَّةِ الحكومة الاتحادية، ارتفاع الرئاسةِ الإمبراطوريةِ، وتآكل الحرياتِ المدنيةِ، والإضْعاف الطويل المدى للاقتصاد الأمريكي.

وبالرغم من أن الولايات المتّحدةِ احتوت الإتحاد السوفيتي بشكل صحيح في أوروبا فوراً بعد الحرب العالمية الثانيةِ، برغم كلفها الباهظة فان المؤرخين ما زالوا يُناقشونَ السُؤال المُهمِ فيما إذا ضيعت السياسة الأمريكية فرصة تجنب تلك الحرب الباردة من خلال تفويتها فرصة الصفقة لإعادة توحيد ألمانيا في عام ١٩٤٨ والتي كانت فرصِه لواشنطن لتَخليص الولايات المتّحدةِ مِنْ الحرب الباردةِ وكلفِها المُرافقةِ.

وبعد انهيار الإتحاد السوفيتي، وسّعي الولايات المتّحدةَ الى زيادة التزاماتها الإستراتيجيةِ وطموحاتِها الأيديولوجيةِ إنما كان بسبب سد الفراغ الأمني والاستراتيجي الذي تركه الاتحاد السوفييتي بحسب الرؤية الأمريكية وهو كذلك كانت كلفه أوسع واكبر على السياسة الأمريكية في العالم. وإذا نَظْرنا على نزاعاتِ العقدين الأخيرين، فان هناك شيء واحد واضحُ: فقد سادتْ تلك الحروب التي أدت فيها الولايات المتّحدةِ انتشارا محدودا ولكنه غير مطول في بَنما، البوسنة، وكوسوفو. وعندما لم تمكث الولايات المتّحدة فيها طويلا كانت النتيجة فشلاً واضحاً، كما في الصومال وهايتي. والحقيقة فأنّ المهمات الحالية في العراق وأفغانستان تتطلّبُ التزامات مستمرةَ وكبيرةَ مِنْ القوّات الأرضيَّةِ الأمريكيةِ لذا فان على الأمريكان ان يتوقعوا بأنّ أكثر الأزماتِ المستقبليةِ ستأتي بمتطلبات مماثلةِ. وقبل أيلولِ ١١، ٢٠٠١، تخيل منظرو السياسة الأمريكية بأنّ الارتباط الامريكي بالعالمِ سيكونَ اختياري في قبول او رفض اية مهمة يمكن ان يقوموا بها في وقتِ السلام،غير أنها اليوم تواصل الرفض لاستخدام إستراتيجية للدفاع أمام الأخطار الجديدة سوى بناء استرتيجية تقوم على الحرب الاستباقية المضادة مما سيقلل من إمكانيةَ النجاح مُستقبلاً في حل النزاعاتِ، وتَرْدُّ بشكل كافي على التهديداتِ المستقبليةِ، او تحمي شعبها بطرق اكثر واقعية. ومرارا تعلنَ الادارة الأمريكية مراراً بأنّ الأمةَ في حالة حرب، وأعلن كبار مسئولي وزارة الدفاع بأنّ هذه الحرب سَتكُونُ طويلة غير أنهم أخفقوا في اتخاذ أيّ خطوات لتَعْبِئة أمتهم وفقاً لذلك، من تَعْبِئة مصادرِها لدَعْم جنودها.

وهذا ما سيكون في الشرق العربي كذلك فالمكاسبِ السياسيةِ الأخيرةِ للشيعة قَدْ تَكُونُ فاتحة رئيسية، للانتقال في المشهد السياسي الشرق الأوسطي الأكبرِ وعلى أولئك الذين يُريدونَ فَهْم السياسةِ الأمريكية ـ الشرق الأوسطيةِ فعليهم بالتَركيز على داخلَ الإسلامِ الذي يُهملَ المجابهةَ الإسلاميةَ الطويلة الأمدَ بين السُنّةِ والشيعة. فالتأريخ العربي والذاكرة العربية تحدّدُان وتغطيان بعدهما في المشرقِ العربي. وتَتحرّكُ القصةُ مِنْ بلادِ إلى بلادِ ومن أزمة إلى أزمة، مع مُوازنُة وحدة العروبة وتنويع العديد مِنْ الحكوماتِ العربيةِ المختلفةِ والتي تَتفاعلُ مَع التدخلات الغربيةِ. والموازنة في التفسيراتِ التاريخية.لقد كَان أكثر العرب السنة وحتى النهايةِ مواليينِ للإمبراطوريةِ العُثمانيةِ. وحين قامت الثورةِ العربيةِ تحت قيادة حسين بن علي أثناء الحرب العالمية الأولى كان السنة كذلك عماد تلك الثورة، وحين بدأ الاحتلال البريطاني للعراق والمنطقة بعد الحرب العالمية الأولى بدا الضباط العرب الذين كانوا أسرى لدى القوات البريطانية بإنشاء الدولة العراقية الحديثة وكان جلهم من السنة كذلك، وانزوت الشيعة الى المرتبة الأخرى من الحكم حتى برز الصعود الأخير بعد الاحتلال الامريكي ومن قبله تجربة قيام الثورة الإسلامية في ايران. وأما العاملِ الكرديِ في التأريخ العراقي فان كردستان العراقية لم تكن يوما كيان سياسي "مُعتَبَر او مرغوب، الا ان الاحتلال الأمريكي أعطى إشارات سيئة لقيام كردستان مستقلة. والحقيقةَ بأنّ التغييرِ المثيرِ الوحيدِ الذي سيأتي هو الحرب ألأهلية، ومعناها انهيار العمليةِ السياسيةِ في العراق. وذلك سيَعْني أيضاً بأنَّ البرنامج الامريكي الحالي والإستراتيجية التي تتبعها الادارة ستكون غير مؤثّر كلياً.

الإصدارات الجديدة بشأن مشروع إدارة الدولة العراقية

وثائق جديدة عن تفاصيل الميزانيات والتنسيق بين الوكالات الحكومية الأمريكية والفريق العامل المتقدم

الأرشيف الالكتروني للأمن القومي رقم: ١٩٨-٦٢٦/٣٤٧-٨٢١٤، ٠٢/٩٩٤-٧٠٠٠ واشنطن ١ أيلول ٢٠٠٧. معلومات أساسية حول مشروع "مستقبل العراق".

محفوظات الأمن الوطني

مذكرة الحكومة العسكرية بعنوان "العراق ليس أفغانستان؛ وينبغي على الولايات المتحدة ان تبذل الالتزام نحو العراق مثلما أعطته لليابان وألمانيا".

لمحة عامة

مشروع مستقبل العراق

بعد اقل من شهر واحد من هجمات ١١ ايلول، بدأت وزارة الخارجية الأميركية في تشرين الأول ٢٠٠١ بالتخطيط والانتقال لمرحلة ما بعد صدام حسين في العراق. وتحت إشراف الموظف السابق توماس س. واريك حيث نظمت وزارة الخارجية لقاءا لأكثر من ٢٠٠ عراقي من المهندسين، والمحامين، ورجال الأعمال، والأطباء وغيرهم من الخبراء إضافة الى ١٧ فرقة مختلفة عاملة لوضع إستراتيجية بشأن المواضيع بما في ذلك الصحة العامة، والاحتياجات الإنسانية، والشفافية ومكافحة الفساد والنفط والطاقة، والسياسة الدفاعية والمؤسسات، العدالة الانتقالية، والمبادئ والإجراءات الديمقراطية، والحكومة المحلية والمجتمع المدني وبناء القدرات، والتعليم، ووسائل الإعلام الحرة، والمياه، والزراعة والبيئة والاقتصاد والبنية الأساسية.

ثلاثة وثلاثون اجتماعا تم عقدها وكان عدد من الاجتماعات في المقام الأول عقدت في واشنطن في الفترة من حزيران ٢٠٠٢ حتى أوائل نيسان ٢٠٠٣. وكجزء من المعركة البيروقراطية الداخلية من اجل السيطرة على العراق ضمن ادارة الاحتلال، تولت وزارة الدفاع ومكتب إعادة الأعمار والمساعدة الإنسانية (orha)، والذي استعيض عنه بسلطة التحالف المؤقتة في ايار ٢٠٠٣ من تحمل مسؤولية في فترة ما بعد الحرب وفقا لتخطيط دائرة الأمن القومي وبالتوجيه الرئاسي رقم ٢٤ في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣.

ووفقا لبعض الروايات الصحفية، فان وزارة الدفاع تجاهلت الى حد كبير هذا المشروع الذي بدأته وزارة الخارجية والمتكون من ١٢٠٠ صفحة والذي تضمن العديد من الحقائق، والاستراتيجيات، والتنبؤات والتحذيرات من وجود مجموعة متنوعة ومعقدة من القضايا القابلة للانفجار، بحسب واضعي التقرير، وقد بين هذا التقرير والذي همش عليه "للاستخدام الرسمي فقط ،" فئة السرية للمعلومات التي تعتبر "حساسة ولكن غير مصنفة ،" على جملة من الحقائق والتي يتكون منها وهي.

الجزء الأول- وثائق جديدة تغطي المراحل الأولى من مشروع مستقبل العراق عددها ١٢٤ وثيقة أفرجت بالكامل من مكتب شؤون الشرق الأدنى. والتي تشير إلى تشكيل ١٧ فرقة عاملة تتألف من العراقيين وخبراء دوليين، والتي اجتمعت وتدربت طوال سنة ٢٠٠٢ وأوائل ٢٠٠٣ على خطة لمرحلة ما بعد صدام حسين في العراق. في آذار ٢٠٠٢، أرسلت وزارة الخارجية إشعارا الى الكونجرس لطلب مبلغ ٥ ملايين دولار لدعم مشروع مستقبل العراق. وكان أول اجتماع للتخطيط مع العراقيين قد جرى في معهد الشرق الأوسط في واشنطن في الفترة من نيسان ٩-١٠، ٢٠٠٢. وفي هذا الاجتماع، تم الاتفاق على الأولويات الخمسة للفرق العاملة بعد الغزو وهي: الصحة العامة، والاحتياجات الإنسانية، والمياه، والزراعة والبيئة، والمالية والحسابات العامة، والعدالة الانتقالية والوصول الى الرأي العام.. وهناك وثيقة أخرى عن

الاجتماع الذي عقد في ٣٠ نيسان ٢٠٠٢ والذي تم فيه الاتفاق على السياسة الدفاعية والمؤسسات مع التوصية بوضع خطط لإعادة هيكلة القوات المسلحة العراقية لكي تلعب دورا ثانويا بمستقبل العراق وبحث الاجتماع ايضا مسالة إعادة بناء المجتمع العراقي. وبعد سنة واحدة وفي وقت لاحق، وكأحد القرارات الأولية لمدير سلطة التحالف المؤقتة في العراق، السفير بول بريمر كان حل الجيش العراقي تماما. ومن بين وثائق أخرى رسالة وجهها الى "مجموعة المعارضة العراقية" جيم راين كروكر، النائب السابق لمساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى حيث كتب: بان"حكومة الولايات المتحدة تسعى الى تقديم المشورة فيما يتعلق بأسماء العراقيين والخبراء الدوليين الذين يمكنهم المشاركة في سلسلة من مجموعات العمل التي سوف تركز على التخطيط ألان من اجل عالم "أفضل وأكثر ديمقراطية لمستقبل الشعب العراقي".

وفي هذه الوثيقة يتحدث كروكر عن الشروط بالتفصيل عن مؤتمرات واجتماعات فرق العمل، ويشير الى مجموع مصاريف قدرها ١٥٣٣٩٠٠ لإنشاء خمس مجموعات عمل أولية ولعقد "مؤتمر مصغر" في اوروبا مع حوالي ٤٠-٥٠ من العراقيين و١٠ من الخبراء الدوليين والى تقديم تقرير عن التقدم في عمل التقارير. وفيما يتعلق بمسألة التعويضات للعراقيين والذين يشاركون في هذه العملية فهناك وثيقة غير مؤرخة من مكتب شؤون الشرق الأدنى حول هذا الموضوع، تؤكد على أهمية تفادي "تصور ان يتلقى المشاركون مدفوعات سخية من حكومة الولايات المتحدة"، الأمر الذي قد تكون له عواقب وخيمة سواء بالنسبة للمشاركين ولمصالح حكومة الولايات المتحدة في عراق ما بعد صدام". وبدلا من ذلك تقترح المذكرة إحالة هؤلاء "الخبراء" المشاركين في الفريق العامل من العراقيين الى "بعض المنظمات غير الحكومية (كمؤسسة العراق). وفي حين ان وزارة الخارجية الأمريكية -- ومؤقتا على الأقل -- أخذت زمام المبادرة في هذا المشروع، فان موظفي الوزارة ابدوا تفاؤلا للغاية نظرا لضيق الوقت. كذلك فأنهم طلبوا من الوكالات الأخرى الالتزام والمساندة لهذا المشروع. فهناك رسالة مؤرخة ٢٤ كانون الأول ٢٠٠٢ من نائب مساعد وزير الخارجية السابق كروكر الى مدير وكالة حماية البيئة "كريستين تود ويتمان"، على سبيل المثال، يطلب من وكالة حماية البيئة التابعة لشعبة الخدمات الدولية تقديم "المساعدة والخبرة الى مسالة المياه، والزراعة والبيئة في العراق الى الفريق العامل لهذه المسالة، وعلى أساس عدم السداد، بالمقابل الا بعد ثلاثة الى ستة شهور. " ويطلب في هذه الرسالة ايضا ان من العراقيين الأميركيين من الذين يعملون لحساب وكالة حماية البيئة ان يكونوا على استعداد للمشاركة في هذا المشروع "مشروع مستقبل العراق" و"السماح لتكريس جزء كبير من حياتهم المهنية ومن وقتهم لهذا المشروع على مدى ثلاث إلى ستة أشهر المقبلة".

ومن المهم الإشارة الى ان هذا المشروع كان يشير مرارا الى كلمة "العراقيين" على المشاركين في مختلف دورات هذا الفريق العامل من دون ان تحديد لمذاهب وأعراق هؤلاء وعلى كونهم كرد او سنة او شيعة، غير ان الولايات المتحدة الأمريكية تعاملت مع العراقيين بعد انتهاء الحرب الأمريكية في العراق على أساس الهوية، كما ساعد المشروع على تكوين ملخصات وتقارير مرحلية لكل مجموعة من المجموعات وكذلك تقرير التوصيات التي من شأنها ان تكشف لاحقا وان تدمج في الدراسة حول "مستقبل العراق".

فعلى سبيل المثال، واستنادا الى ملخص للعدالة الانتقالية فقد دعا الاجتماع الأول للفريق العامل في تموز ٩-١٠، ٢٠٠٢ في واشنطن، والتي شملت عشر من الحقوقيين العراقيين وأربعة من الخبراء الدوليين، الى "الوحدة الفكرية العراقية وذكرت هذه المسألة كمسالة من صميم عملية الانتقال، "وكذلك دعا هذا الاجتماع الى مسالة عضوية حزب البعث الحاكم آنذاك وانه من غير الممكن المساواة بين "عضوية الحزب مع التجريم ". وفي تقريرهم النهائي كانت هناك عدة من المبادئ الديمقراطية والتي كانت من شأنها ان تجنب العراقيين الآثار الخطيرة التي نتجت عنها سياسة اجتثاث البعث والتحذير من هذه السياسة والدعوة الى إتباع سياسة إعادة إدماج البعثيين

السابقين في المجتمع. وبعد الدورة الأولى لهذا الفريق العامل في الفترة من ايلول ٤-٥ ٢٠٠٢، مع ٣٠ عراقيا دعا هؤلاء الى إقامة حكومة انتقالية تمتد من خمس الى عشر سنوات".

وتشير وثيقة مؤرخة في هذا التاريخ والتي بعنوان "مستقبل العراق : الهوية العراقية ". حيث ناقشت الخيارات المتاحة لحكومة ما بعد الحرب فى العراق، بما فى ذلك اقتراح"مجلس السيادة " والذي يتكون من ٣-٥ أشخاص تكون المهمة الأساسية المنوطة بهم هي الإشراف على "الانتقال الى الديمقراطية "وتتألف من إفراد" بأعلى درجات النزاهة، ويحظون باحترام كبير داخل العراق ". وفي نفس الوثيقة، اقترحت أسماء "كأفضل المرشحين" للجلوس على سيادة المجلس، مثل عدنان الباجه جي، وهو عراقي سني ووزير خارجية سابق، وكذلك كل من مسعود البر زاني، الرئيس الحالي لحكومة إقليم كردستان العراق، وجلال طالباني، رئيس جمهورية العراق. وتخلص الوثيقة ،الى انه من "السابق لأوانه البدء في تسمية المرشحين" وتشير الوثيقة الى وجود إطار زمني من ٢٦-٣٦ شهرا لحكومة عراقية جديدة" لتشغل هذا المنصب. الا انه في نهاية المطاف، عين بريمر ٢٥ عضوا لمجلس الحكم في تموز ١٣، ٢٠٠٣، والتي شملت الباجه جي، بارزاني وطالباني كأعضاء، جنبا الى جنب مع احمد الجلبى من المؤتمر الوطني العراقي وإياد علاوي، والذي كان أصبح رئيسا للحكومة المؤقتة للعراق عقب حل سلطة التحالف المؤقتة في ٣٠ حزيران ٢٠٠٤. أما الجزء الثاني من مشروع تقرير - مستقبل العراق: فكانت توصيات الفريق العامل المعني بدراسة مستقبل العراق فهي توصيات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل والمتعلقة بالسياسات ألأكثر بروزا والعدالة الانتقالية، والاقتصاد والبنية الأساسية والمبادئ الديمقراطية والجماعات، والصحة العامة والمساعدة الإنسانية والتعليم، ووسائل الإعلام الحرة والحكومة المحلية والمياه، والزراعة والبيئة.

وأما الفريق العامل على معالجة اللاجئين والمشردين داخليا وخارجيا فقد اجتمع لإجراء مناقشات أولية على المعضلة التي ستطول أمدها وبالتزامن مع تورط الدول المجاورة للعراق فيها بما فيها الأردن وسوريا.وفي شباط ٢١-٢٢ ٢٠٠٣ وبعد ممارسة لعبة الحرب في البنتاغون والتي نظمها جاى غارنر من جامعة الدفاع الوطني قام الكولونيل بول هيوز من مجموعة "orha "، فأوصى بإشراك "تركيا، الأردن، سوريا، ايران، السعودية، والكويت لوضع سياسات وخطط للمساعدة في تجميع السلع والخدمات" للعراق بعد الحرب إلى جانب الفعاليات الآتية:

• القانون والنظام - والعدالة الانتقالية، والذي اجتمع في تموز ٢٠٠٢، فقد أوصى الفريق العامل على هذه القضية والذي يتألف من اكثر من أربعين من القضاة العراقيين، وأساتذة القانون والخبراء القانونيين. إن تكون مهمتهم صياغة قوانين لمحاكمة صدام حسين وكبار المسؤولين عن جرائم الحرب المرتبطين بها في المحكمة العراقية، وحذر الخبراء في آذار ٢٠٠٣ وفي هذا التقرير من ان "الفترة التي ستعقب مباشرة تغيير النظام قد يقدم المجرمون للمشاركة في أعمال القتل والنهب وما الى ذلك " من تقرير "الطريق الى إعادة إرساء سيادة القانون واستعادة المجتمع المدني"- وقد ثبت بعد ذلك إن اكثر التهديدات الأمنية كانت بعد الغزو من هذا النوع والذي كان من اكثر العناصر المزعزعة للاستقرار في العراق اليوم.

• إصلاح الشرطة ومكافحة الفساد – فمع توقع الفراغ الأمني في عراق ما بعد صدام، فقد دعا الفريق العامل في هذا المجال الى "الإصلاح السريع وتدريب قوة شرطة جديدة للتعامل مع كل الأعمال الروتينية المعتادة والمحافظة على القانون وكذلك لمكافحة زيادة تطوير والعصابات الإجرامية. بصورة اكثر تحديدا، فان المؤلفين قد اقترحوا ان "العسكريين السابقين والذين ليسوا مرتبطين بالتعذيب والفساد في أنشطه الشرطة ،" يمكن ان يلعبوا دورا في تجنيد وتدريب أفراد الشرطة الجدد. الا إن الذي حدث ووفقا لدراسة استقصائية أجرتها صحيفة نيويورك تايمز في أيار ٢٢، ٢٠٠٦ ونشرتها، فان ٧٥ % من العراقيين في شمال بغداد لا يثقون في الشرطة بما فيه الكفاية ".

• اجتثاث البعث والمبادئ الديمقراطية فالفريق العامل أيد بصورة ساحقة اجتثاث البعث من "جميع جوانب الحياة العراقية" مع التحذير بأن مثل هذا البرنامج "لن يتألف من الإلغاء الكامل للإدارة الحالية وبالإضافة الى دوره في الضبط الاجتماعي وإيجاد هيكل اجتماعي مناسيب لأجل إعادتهم وإدماجهم في المجتمع، وعلى الأخص الأعضاء في الجيش العراقي، غير انه في نهاية المطاف، وبحسب خطة العمل الشاملة التي أصدرها بول بريمر يوم ١٦ حزيران ٢٠٠٣، بالقضاء وإزالة هياكل الحزب في العراق.

• تفكيك المؤسسة العسكرية – وهو جنبا الى جنب مع قضية اجتثاث البعث، فسلطة التحالف المؤقتة التي أصدرت الأمر ٢ في ٢٣ أيار ٢٠٠٣، والذي حل بموجبه ٤٠٠٠٠٠ - عضو من العسكرية العراقية. بعد سنة من إصدار تقرير مشروع "مستقبل العراق"- السياسة الدفاعية والمؤسسات العسكرية – والذي دعا الى خفض حجم الجيش تدريجيا وتحولها الى "أداة مهمة لدعم الديمقراطية" مع إضافية مهام طويلة الأجل مثل محاربة الإرهاب وتهريب المخدرات.

• البنية الأساسية الحيوية - الاقتصاد والبنية التحتية فقد شدد الفريق العامل على أهمية استعادة وإدارة الشبكة الكهربائية في العراق على الفور باعتبارها "مفتاح عمل شبكات المياه، وفرص العمل" ومؤكدا ان هذا "يمكن ان تقطع شوطا طويلا لتحييد العراقيين تجاه قوات التحالف

• آثار عقوبات الأمم المتحدة - وهي سمة التعريف الأقل من مشروع "مستقبل العراق" فالموضوع المتكرر والضار، والآثار الطويلة الأمد للأمم المتحدة والمتعددة الأطراف لعقوبات المفروضة على العراق في ١٩٩٠، وهو ما يشكل تحديا حتى لمؤلفي هذه الدراسة في وضع خطط لإعادة بناء البنية الأساسية للبلاد عقب الإطاحة بصدام حسين.

• النفط فقد أكدت الدراسة ان احتياطي النفط في العراق يشكل " من الأصول الهائلة التي يمكن استخدامها لصالح كل مواطن في البلد، بغض النظر عن انتمائهم العرقي او الانتماء الديني." "وهكذا فان معظم السياسات كانت واعدة بعد وضع السياسة النفطية الجديدة" وهذا الحماس حول هذه النقطة جعل النائب السابق لوزير الدفاع بول وولفويتز يقول للجنة الاعتماد في ٢٧ آذار، ٢٠٠٣، "نحن نتعامل مع بلد يمكن ان يمويل إعادة الأعمار الخاصة به، وبفترة قياسية ". وخلافا لتوقعات ما بعد الحرب، فالبلد ذا الصناعة والاحتياطي النفطي الهائل حافظ على أدنى مستوى من الإنتاج منذ الغزو، حيث يضخ بمتوسط ٢ مليون برميل في اليوم، او اقل بسبب تفاقم هجمات المقاومة على أطقم الصيانة، وكذلك الفساد وسوء الادارة، وفقا لصحيفة واشنطن بوست.

• الاستثمار الأجنبي - نصحت الدراسة "تشجيع النمو الاقتصادي من خلال خلق مناخ ملائم للاستثمار بالنسبة للمستثمرين الأجانب" و"إعادة استخدام السياسة المالية والنقدية عن طريق إيجاد أدوات كتنوع الأسواق والاقتصاد، وإيجاد أحدث نظام للضرائب، والبنوك السليمة ". لكن في ١٩ ايلول ٢٠٠٣، وقع بريمر قانون ٣٩، والذي نص على ان "الاستثمار الاجنبى يجري في كل أنحاء العراق" (القسم ٦.٢) وان "المبلغ من المشاركة الأجنبية في الكيانات التجارية المشكلة حديثا او الموجودة في العراق لا يجوز ان تكون محدودة مما أدى الى خصخصة ٢٠٠ شركات الدولة. جنبا الى جنب، فانه لا تزال اغلبيه عقود إعادة أعمار العراق قد منحت لكبرى الشركات الأمريكية، بما فيها KBR، وهي هيئة فرعية للهاليبرتون، التي تلقت في ٢٠٠٣ مبلغ ٤،٢ بليون دولار لمحاولة إعادة البناء الجيش.

• الدين والدولة - المبادئ الديمقراطية التي أثارها الفريق العامل هي ماهية العلاقة التي يجب ان تقوم بين الدولة العراقية الجديدة والدين، وعلى وجه التحديد مكانة دين الأغلبية الساحقة من العراقيين وهو الإسلام؟ فبدلا من الاستجابة، لتلك المسالة اقر واضعو الدراسة بشكل أساسي باستعصاء هذه المسالة، وأعلنوا بان "هذه مسألة هامة وهي في نهاية المطاف لن يكون سوى شعب العراق من يقرر أثناء مداولاتهم خلال الفترة الانتقالية. واليوم، فان العديد من المراقبين يرون هذه المسالة عالقة بدون حل الى حد كبير وان العلاقة بين العامل الديني في البلد وبين هياكل الادارة المركزية ستكون في محور مسائل العراق السياسية في الأجل الطويل.إن

مشروع "مستقبل العراق" لم يكن عالميا وانما كان بوصفه مخططا لإعادة أعمار العراق. وكان من بين منتقديه ديفيد كاي، كبير المفتشين السابقين لفريق المسح العراقي، والذي قال عنه "انه لم يكن خطة على يد فرقة عمل تقول' اذهب ونفذ.
أما الكولونيل المتقاعد بول هيوز، والذي خدم كرئيس لمكتب المبادرات الخاصة ل orha وبحسب مدير مكتب السياسات ألاستراتيجيه لخطة العمل الشاملة فان هذا التقرير رغم "انه أنتج بعض المعلومات الأساسية المفيدة الا انه ليس لديه أية فرصة للتأثير على مرحلة ما بعد صدام من الحرب ". وفي ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٣ نشرت نيويورك تايمز، وعلى لسان احد مسئولي الدفاع بأن هذا المشروع قد تم "تجاهل معظمه" وأضاف ان "الدولة والأفكار الجيدة في الساحة السياسية، لم تطبق بشكل كامل من قبل جنرالات الحرب بقدر ما تم الأمر بالنسبة الى الدعم اللوجستى رغم أنهم بحاجة لكليهما" ورغم ان الادارة الأمريكية لم تحصل على الفوز ببعض الإتباع عقب الغزو للعراق. الا ان خطة سقوط بغداد، وعلى لسان احد اكبر واضعي خطة العمل الشاملة الرسمية تعتبر "أنها قادمة من أصل الكتاب المقدس ونحن عملنا لتطبيقها".

من خسر العراق؟

في أعقاب الكوارث السياسية، يميل الناس بصورة طبيعية إلى البحث عن تفسير على أساس الفشل. وهذا التعليل غالبا ما يساعد في وضع السياسات التالية. فالدروس المستخلصة من الحرب العالمية الأولى أدت إلى إقناع الولايات المتحدة لتبني سياسة أوروبا الانعزالية والاسترضاء، وكلا السياستين ساهمتا في اندلاع الحرب العالمية الثانية. وكان الدرس الكبير من تلك الحرب للأميركيين انه لا وجه لمعارضة هتلر عاجلا. ثم أصبحت هذه السياسة لها مبررات قوية لدى الولايات المتحدة في حرب فيتنام في الستينات.
وبينما كانت عمليات مكافحة "التمرد" قد فشلت وأعاقت إلى حد كبير الأداء العسكري الامريكي في العراق لاعتمادها سياسات خاطئة. كذلك فإذا كان النقاش الدائر حاليا في الولايات المتحدة حول الفشل في العراق قد يعطي نتائج بناءة، إلا إنه سيكون قد تجاوز كل الاستنتاجات التي كانت تدفع باتجاه تعزيز الديمقراطية، أو في بناء الأمة. وكان أول هدف للنقد بالنسبة للأفراد دون السياسات الاحتلال، وأيضا ديك تشيني ؛ دونالد رامسفيلد، والقائد السابق للقيادة المركزية الأميركي العامة تومي فرانس؛ وبول ولفوويتز، النائب السابق لوزير الدفاع ؛ ودوجلاس فيث، الوكيل السابق لوزارة الدفاع عن السياسة الخارجية ؛ وبول بريمر، رئيس سلطة الائتلاف المؤقتة؛ وتينيت، مدير المخابرات المركزية السابق، والآمر الثالث العام في العراق، وأعلى دبلوماسي هناك واغلب هؤلاء تغيروا والتي جاءت هذه التغييرات كانعكاس على تدهور الوضع في العراق. وهذا يدل على ان مصدر المشاكل بعضها على الأقل هي السياسة في الولايات المتحدة وان الصعوبات في العراق يتجاوز سببها الشخصيات خاصة.
على صعيد آخر، كان البيت الأبيض والكونغرس، ووزارة الخارجية، ووزارة الدفاع، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد تورطت في إلقاء اللوم المستمر على العراق. فالاحتلال والكونغرس اتهم المخابرات المضللة عن العراق حول أسلحة الدمار الشامل. بينما اتهم تينيت أن الإدارة قد استجابت إلى تأثير كبار صناع السياسة ولم تناقش بجدية قرار الذهاب الى الحرب.
بينما رامسفيلد يقول إنه لم يطلب نصيحته بشأن هذه المسالة. ووزير الخارجية كولن باول كان يقول انه قدم للرئيس آراءه بشأن الحكمة من الحرب غير إنه لم يسأل عن أي تأثير للحرب. وهناك ضباط المخابرات السابقين ادعوا بأن وزارة الدفاع والبيت الأبيض تلاعبوا بالأدلة وبالغوا فيها وصنعت التقييمات الاستخبارية لدعم قرار الذهاب الى الحرب. وبينما بريمر يقول انه لم يعلم بعد قضائه عدة اشهر في العراق، ان البنتاغون لم يتقاسم تقاريره مع البيت الأبيض أو مع

وزارة الخارجية. وأصر تينيت على إن وكالة المخابرات المركزية حذرت الادارة من الصعوبات التي تواجه الاحتلال (وهناك تقارير صحفية نقلا عن وكالة المخابرات المركزية المذكرات تثبت ذلك). خلال حرب فيتنام، كان عدم الرضا عن الصراع الأولي اتضح في أسفل الهرم العسكري، ونقد الأداء العسكري الأمريكي الأعلى وفي كثير من الأحيان كانت الرتب الدنيا من المجندين الرماة قد زادوا من التململ، واستهلاك الكحول واستعمال المخدرات وزادت الحرب شراسة وتصاعدت الخسائر بين الأمريكيين. مما كانت النتائج مثلما كتب التاريخ عنها. واليوم فان الأوضاع في العراق تنبأ بفشل في السياسات والتخطيط وحتى في واقع الأرض التي تسير إلى اتجاه جديد نحو التدهور شبيه مما سبق.

العراق وتطور الإستراتيجية الأميركية

خطة القيادة الموحدة

الوثيقة الإستراتيجية التي نشرتها وزارة الدفاع الأمريكية

في ١٧ كانون الأول ٢٠٠٨.

خطة القيادة الموحدة

نشرت وزارة الدفاع خطة لتحديث القيادة الموحدة (الأعراف والممارسات الموحدة)، وهي الوثيقة الإستراتيجية التي تحدد المهام والمسؤوليات، والمناطق الجغرافية والمسؤولية عن السيطرة القتالية. والأهم من ذلك، الأعراف والممارسات الموحدة لعام ٢٠٠٨، والذي وقعه الاحتلال في ١٧ كانون الأول ٢٠٠٨.

ويقضي القانون باستعراض المهام والمسؤوليات، والحدود الجغرافية لكل مقاتل في القيادة العسكرية الأمريكية، والتغييرات التي من الممكن تكون ضرورية لعام ٢٠٠٨ والتي شملت عملية الاستعراض للمقاتلين والقادة، وقادة الجيش، وقيادة وزارة الدفاع. والتغييرات الهامة لهذه الممارسات الموحدة لعام ٢٠٠٨ ما يلي :

-- تعيين قيادة USAFRICOM والبعثات المحددة، والمسؤوليات، والحدود الجغرافية ؛ وقيادة العمليات التي أصبحت مكتملة تماما في ١ تشرين الأول عام ٢٠٠٨.

-- استكمال "عمليات الفضاء الإلكتروني" والمسؤوليات المسندة إلى القيادة الإستراتيجية الأميركية.

-- منح جميع المقاتلين والقادة المسؤولية عن التخطيط وتقديم الدعم العسكري والاستقرار، والأمن، والانتقال، وعمليات إعادة الأعمار والمساعدة الإنسانية، والإغاثة في حالات الكوارث.

-- إعادة تنظيم USNORTHCOM والقيادة الجنوبية الأمريكية ومجالات المسؤولية في (منطقة المحيط الأطلسي) وجزر البهاما، وبورتوريكو، وجزر فيرجن، وجزر تركس وكايكوس في منطقة المحيط الأطلسي.

العراق وتطور الإستراتيجية الأميركية

تطور الإستراتيجية الأميركية يبحث في السبل التي مكنت حرب الخليج ومواجهة أسلحة الدمار الشامل، والحرب على العراق، واستمرار الاحتلال وطرد أوسع التغييرات في سياسة الأمن القومي للولايات المتحدة والإستراتيجية العسكرية. الجيش الامريكي اليوم لديه قوات متحركة أكثر، ويركز على الاستجابة السريعة ضد قوى أصغر من أي وقت مضى. يمكن القول

إن حرب الخليج وبعد الحرب مع صدام حسين سارعت القوات الأمريكية بما يلزم لإعادة تقييم التحول العسكري والاستراتيجي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. ولكن الانشغال أيضا في مستنقع العراق والولايات المتحدة في الشرق الأوسط أدى إلى الاحتلال الدموي.

على ماذا ستبدو الإستراتيجية الأمريكية بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق؟

1. كيف كان الصراع مع العراق، والذي أدى إلى تشكيل أوسع حملة تغييرات في الأمن القومي والإستراتيجية العسكرية؟

2. صناع القرار والقادة العسكريين في تفسير الصراع بشكل صحيح وأنجع الردود؟

3. ماذا تقول لنا هذه العملية وعن عملية التغيير في تطور إستراتيجية الثقافة الوطنية والإستراتيجية الأمنية والعسكرية في أميركا ؟

الولايات المتحدة واتفاقات الأمن مع العراق

الإطار القانوني لاتفاق تمركز القوات الأمريكية في العراق ضمن الإطار الاستراتيجي

المقدمة

الولايات المتحدة تستعد اليوم لعملية الانتقال الرئاسي إلى المنتخب الاحتلال في الولاية الأولى، وقد سبقت ذلك إدارة الاحتلال بوضع اللمسات الأخيرة على اتفاقات طويلة الأجل مع الحكومة العراقية تعتزم فيها تشكيل العلاقات القانونية والاقتصادية والثقافية والأمنية بين البلدين.

القوات الأمريكية وقوات التحالف في العراق منذ عام ٢٠٠٣. وعلى الرغم من مجلس الأمن الدولي لم يأذن صراحة بالغزو، ولم يوافق المجلس على وجود القوات الأجنبية في تجديده السنوي حسب القرار الذي اعتمد أول مرة في تشرين الأول ٢٠٠٣. لأن الحكومة العراقية طلبت من مجلس الأمن أن يجدد الولاية عند الانتهاء في نهاية عام ٢٠٠٨، كان مسئولون أميركيون يضغطون لتسريع المفاوضات بشأن تفصيلي لإيجاد إطار قانوني للوجود الأمريكي في العراق. الاتفاقيتين هما اتفاق وضع القوات المتوقفة والتي تتعلق بمسألة الحصانة القانونية للقوات الأمريكية ومواعيد الانسحاب الكامل، واتفاق إطار استراتيجي أوسع وافق عليها البرلمان العراقي في أواخر تشرين الثاني ٢٠٠٨.

تبلور الاتفاقات

تفاصيل مشروع الاتفاقات بدأت بالتسرب في أوائل عام ٢٠٠٨، عندما أعلن عنها السفير الأمريكي لدى العراق رايان كروكر في شهادة أمام الكونغرس، حيث أكد على وجود اتفاقات منفصلة على الطاولة. الأول، اتفاق تمركز القوات، واتفاق تمركز القوات، من شأنه تدوين الحماية القانونية لأفراد وممتلكات الجيش الامريكي في العراق. هذه الاتفاقات التي سبق أن حكمت بسلوك الجيش الأمريكي في مناطق أخرى من مناطق الانتشار بما في ذلك في ألمانيا، واليابان، وكوريا الجنوبية.

واتسمت المحادثات من قبل الإدارة لاتفاق تمركز القوات في العراق باعتبارها خطوة نحو الاستقرار. وتظهر النسخة النهائية تنازلات كبيرة من الجانب الامريكي. فعلى سبيل المثال إن إدارة الاحتلال وافقت على الانسحاب الكامل للقوات الأمريكية من العراق بحلول نهاية عام

٢٠١١. والصيغ النهائية للمشروع كما دعا لمزيد من القيود على كيفية إجراء مهام القوات الأمريكية، والمطلوب الانسحاب من المدن العراقية بحلول تموز ٢٠٠٩.

الاتفاق الثاني، المشار إليه باسم "اتفاق الإطار الاستراتيجي" ويهدف على نطاق واسع إلى معالجة القضايا التي لا يشملها اتفاق تمركز القوات، بما في ذلك تلك الواردة في "إعلان المبادئ" وهي الوثيقة التي وقعها الاحتلال ونوري المالكي في تشرين الثاني ٢٠٠٧.

ومن بين هذه القضايا دور الولايات المتحدة في الدفاع عن العراق من التهديدات الداخلية والخارجية؛ وجهود الولايات المتحدة لدعم المصالحة السياسية، والجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لمواجهة الجماعات المسلحة. ولكن الصيغة النهائية للإطار الاستراتيجي تركز في المقام الأول على صياغة مستقبل التعاون على الأصعدة الثقافية، والطاقة، والاقتصاد، والبيئة، وغيرها من القضايا ذات الاهتمام المشترك. وإن اتخاذ تدابير السيطرة من قبل إدارة الاحتلال تهدف إلى تقييد يدي المقبل والاستيلاء على السيادة العراقية.

قانون العلم

من الناحية التاريخية، فإن اتفاق تمركز القوات هو الإطار القانوني الذي يحدد كيفية عمل الجيوش ألأجنبية في البلد المضيف. وعادة ما توضع كاتفاقية تنفيذية، فليس هناك موقف موحد أو شكل موحد لهذه الوثيقة، التي يمكن أن تتفاوت في طولها وخصوصيتها.

مثل هذا الاتفاق الذي صيغ كان قد أبرمته في عام ٢٠٠٢ الولايات المتحدة مع تيمور الشرقية، على سبيل المثال، وكان أقل من ثلاث صفحات. في المقابل كان هناك اتفاق وضع القوات لعام ١٩٦٦ مع كوريا الجنوبية وكان يتصدر في ١٥٠ صفحة ويضم أكثر من ثلاثين من المرفقات.

في حين أن معظم اتفاقات SOFAS متاحة للجمهور والبعض الآخر لا يزال سري؛ والمسئولين الأمريكيين لا يوافقون على الطريقة نفسها في جميع الدول وإنما لكل دولة خصوصيتها.

وخلال إفادة أمام الكونجرس في نيسان ٢٠٠٨، شهد كروكر إن الولايات المتحدة لها ما يقرب من ثمانين معاهدة SOFAS في جميع أنحاء العالم. وقال في الواشنطن بوست في شباط ٢٠٠٨ في مقال شارك في وضعه مع وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس ووزير الدفاع روبرت غيتس. بعض أعضاء الكونغرس يعتبرون إن على إدارة الاحتلال بحاجة إلى إرسال اتفاق تمركز القوات في العراق إلى الكونجرس للتصديق عليه، وهو موقف جادل المنتخب الاحتلال خلال حملته الانتخابية عليه. غير أن مسئولي البيت الأبيض قاوموا ذلك باعتبار أن اتفاق وضع القوات " يقتصر على إعطاء أفراد القوات الأمريكية والأجنبية الإعفاء من القانون والحصانة، ويجوز توقيع اتفاقية دون موافقة الكونجرس".

الإطار القانوني

اتفاقيات تمركز القوات تستخدم لتحديد حقوق وواجبات القوات العسكرية التي تعمل على أرض أجنبية، مع تفصيل كل شيء بدءا من كيفية ارتداء الجنود لزيهم العسكري وحمل السلاح إلى كيفية تسليم البريد. ولكن الأكثر شيوعا وإعلاما هو في تناول المسألة القانونية للولاية القضائية على القوات الأجنبية، فالحماية القانونية ذات أهمية خاصة بالنسبة للجيش الأمريكي. وفقا لما جاء في توجيه وزارة الدفاع في تشرين الثاني ٢٠٠٣ حيث حدد البنتاغون تمركز القوات الولايات المتحدة SOFAS من التدخل لحماية "الموظفين الذين قد يكونون عرضة للمحاكمة الجنائية أمام محاكم أجنبية وسجنهم في سجون في الخارج".

إذ انه بعد منح الحصانة لأفراد الجيش فلن يكون ذلك مصدرا للاحتكاك للبلدان المضيفة حين تنفذ SOFAS. فالاتفاق مع تيمور الشرقية على سبيل المثال أثار موجة من الانتقادات في الصحافة المحلية. كما سلط الضوء على المزاعم المتعلقة بسوء السلوك خارج الخدمة من قبل جنود أميركيين على جزيرة اوكيناوا اليابانية إلى أهمية توفير الضمانات لكل القوات الأمريكية

المتمركزة في الخارج. إذن فان SOFAS هي معاهدة تدخل لحماية موظفي الولايات المتحدة الذين قد يكونون عرضة للمحاكمة الجنائية أمام محاكم أجنبية وسجنهم في سجون في الخارج".

اتفاق تمركز القوات في العراق

المفاوضات من أجل التوصل إلى اتفاق تمركز القوات مع العراق بدأت ليحل محل تفويض الأمم المتحدة الذي يفوض القوات الأجنبية والتي من المقرر أن تنتهي في نهاية عام ٢٠٠٨. فبعد عدة أشهر من قيادة الولايات المتحدة لإسقاط حكومة صدام حسين في عام ٢٠٠٣ وافق مجلس الأمن الدولي على القرار ١٥١١، كاعتراف رسمي بسلطة الائتلاف المؤقتة، ويسمح بتشكيل قوة متعددة الجنسيات لتحقيق الاستقرار في البلاد. ولكن في هذا القرار شرط أن يعاد النظر في كل عام من تنفيذه. وكل سنة قامت الأمم المتحدة بتمديد الولاية بناء على طلب من الحكومة العراقية. ولكن في أواخر عام ٢٠٠٧ طلب المالكي من مجلس الأمن تمديد الولاية "للمرة الأخيرة". وبانتهاء هذه الولاية سوف ينهى رسميا تسمية العراق باعتباره تهديدا للسلم والأمن الدوليين.

مذكرة ٢٠٠٣

سياسة البنتاغون والقوات المتعددة الجنسيات حاليا، تسير نحو إن الخبراء الاستشاريين الدوليين والعاملين من الولايات المتحدة هم في مأمن من الإجراءات القانونية العراقية. فقانون سلطة الائتلاف المؤقتة بالرقم: ١٧، والذي منح الحصانة، لا يمكن تعديله أو إلغاؤه من قبل الحكومة العراقية بعد أن تم حلها. وهذا يعني أن القوات الأمريكية قد لا تكون بالضرورة مضطرة إلى الخروج عند انتهاء تفويض الأمم المتحدة. لكن إدارة الاحتلال أرادت استغلال أية فرصة متاحة لاكتساب شرعية احتلالها للعراق سواء كانت داخلية أم دولية. ففي تشرين الثاني ٢٠٠٧، ووقع الاحتلال والمالكي اتفاقا يحدد المجالات السياسية والاقتصادية والقضايا الأمنية التي تهدف إلى رسم إطار العلاقات بين البلدين واستبعدا من جديد أية اتفاقات أمنية ومع ذلك فإن الحماية القانونية للأفراد غير العسكريين كانت من أهم الأسباب التي دعت إلى توقيع المعاهدة.

جدل الوفاق

قادة المعارضة في العراق، وعلماء القانون في الولايات المتحدة قد انتقدوا الطريقة التي اتسمت بها اتفاقية تمركز القوات مع واشنطن، وبعض المتشددين في العراق واصلوا معارضتهم بعد التصويت في البرلمان في تشرين الثاني ٢٠٠٨. مقتدى الصدر المناهض للولايات المتحدة دعا أتباعه الشيعة إلى الاحتجاج على الاتفاق، وندد بموافقة مجلس الوزراء، ودعا أنصاره إلى حمل السلاح ضد الأميركيين. ولكن غيره من المعارضين للاتفاقية يبدو أنهم خففوا من موقفهم. ونجح المالكي في بناء الدعم للاتفاق بين الزعماء الشيعة والأكراد. أما رجل الدين الشيعي آية الله علي السيستاني، الذي اعترض على النسخ السابقة من الاتفاق، فلم يعارض علنا الصيغة التي وافق عليها مجلس الوزراء.

لكن التساؤلات هنا حول ما إذا كان الجانب الامريكي قد تخل عما يمكن إغلاقه. فاتفاق تمركز القوات، كما نوقش علنا، يبدو أنه يتجاوز الاتفاقات المتفاوض بشأنها مع الحلفاء في الماضي. "فاتفاق وضع القوات" هو تسمية خاطئة هنا، انه "اتفاق تمركز القوات"، بالإضافة إلى أنه "حجر الزاوية" وهو"السلطة القانونية لإجراء مهمات عسكرية بعد انتهاء تفويض الأمم المتحدة ". فهو يتطلب توفير الحماية للقوات الأمريكية عند مغادرة المدن العراقية بحلول صيف ٢٠٠٩ والتي يمكن أن تجعلها عاجزة عن احتواء العنف في المستقبل.

ومن بين أكثر النقاشات التغيرات التي حددها الاتفاق الأمني بالإضافة إلى الانسحاب من المدن بحلول منتصف عام ٢٠٠٩ والانسحاب الكامل بحلول نهاية عام ٢٠١١ هي متطلبات البعثات التنسيقية للقوات الأمريكية المقاتلة مع الحكومة العراقية؛ كذلك تسليم السجناء العراقيين إلى السلطات المحلية والتخلي عن السيطرة على المنطقة الخضراء، ومنح السلطات العراقية زمام المبادرة في مراقبة المجال الجوي العراقي. كما يسمح الاتفاق للمقاولين غير العسكريين

ليكونوا خاضعين للقانون العراقي، وتغيير التعاقد معهم على شروط إطلاق النار مما سيقود المدنيين إلى المحاكمة المحلية. ديفيد ساترفيلد، وهو كبير مستشاري السياسة في العراق ومهندس هذه الاتفاقية قال في آذار ٢٠٠٨. أن هذا الاتفاق لن يقيد أيدي الإدارة القادمة. والاتفاقية "لن تقيم قواعد دائمة في العراق، ولن تحدد بأي شكل عدد القوات الأمريكية المتمركزة هناك ".

اتفاق الإطار الاستراتيجي

بالإضافة إلى اتفاقية وضع القوات، فان إدارة الاحتلال تفاوضت على ما يسمى " اتفاقية الإطار الاستراتيجي" مع بغداد، وتحديد العلاقات الاقتصادية، والثقافية، وفي مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والصحة والتجارة. وشكك الخبراء بهذا الاتفاق أن يكون المسؤولون العراقيون والأمريكيون، قد وافقوا على ما يتضمن اتفاق نهائي بهذا المجال.

ولكن مسئولي الإدارة الأمريكية في إطار المحافظة على النطاق الواسع الذي من شأنه معالجة المسائل الواردة في اتفاق تشرين الثاني ٢٠٠٧ بين الاحتلال والمالكي. جعلت البنود السياسية والاقتصادية التي تشكل الجزء الأكبر من الإطار الاستراتيجي، بما يتعهد تعزيز السلام في المنطقة وتشجيع التعاون في المجالات الثقافية، والتعليم، والتبادل العلمي، وتشجيع المزيد من الاستثمارات الأجنبية المباشرة. ويبدو أن العراق في إطار اتفاقية تشبه اتفاقية تأكيد وقعتها الولايات المتحدة مع أفغانستان في عام ٢٠٠٥. لكن من بين أكثر القضايا المثيرة للجدل في العراق في الإطار الاستراتيجي هو ما إذا كانت هذه المبادئ ستكون ملزمة، أو إذا كانت من شأنها أن تلتزم واشنطن بالدفاع عن سيادة العراق.

نظام العدالة الجنائية في العراق المضطرب

قانون العقوبات العراقي يشابه إلى حد كبير القانون الجنائي الغربي: فالمشتبه فيهم لهم الحق في محاكمة عادلة، والحق في الحصول على محام، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته.

ولكن في الممارسة العملية فان العدالة في العراق هو عمل روتيني فالتأخير في المحاكمة طويلة والادعاءات المتكررة بالاعترافات قسرا، كما يقول الخبراء. هذه العيوب يتوقع أن تصبح أكثر وضوحا في عام ٢٠٠٩، عندما تتولى السلطات العراقية السيطرة على جميع المعتقلين في الحجز من قبل القوات العراقية والأميركية (بموجب الاتفاق الموقع بين واشنطن وبغداد في كانون الأول ٢٠٠٨).

البحوث الميدانية لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان "هيومن رايتس ووتش" عن نظام العدالة في العراق، تقول على الرغم من تسليم المسؤولية القانونية للولاية القضائية، فان النظام القانوني في العراق لا يزال محاصرا من قبل "المشاكل العامة والهيكلية الكبرى". فالاحتجاز المطول قبل المحاكمة؛ والمفرطة في علاقتها أو نظام ألأدلة السرية للمعلومات؛ وادعاءات سوء المعاملة، وعدم كفاية فرص الحصول على وكلاء الدفاع تستوطن الإخفاقات التي ستستغرق وقتا لتحسينها.

والنتائج التي توصل إليها بالتفصيل في تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان والذي أفرج عنه في كانون الأول ٢٠٠٨. انه على الرغم من تسليم المسؤولية القانونية في ١ كانون الثاني ٢٠٠٩، فان القوات الأمريكية من المحتمل أن تواصل إبقاء سجناء عراقيين قيد الاحتجاز لان مرافق الاحتجاز في العراق ليست لديها القدرة على استيعابهم في الأجل القصير، وهذا الترتيب يمكن أن يصبح في المستقبل مصدرا للخلاف الذي سينشأ بين واشنطن وبغداد في حال الخلافات حول التعامل مع السجناء محددة.

كيف سيترك استقرار وبناء العراق

على مدى العام الماضي ونصف كان هناك تقدم في العراق وتحسن في الأمن، وتغيير في الديناميكيات السياسية، فقوات الأمن العراقية أقوى جعلت هناك التكهن أكثر إشراقا مما كانت عليه في سنوات السابقة. ومع بعض الصبر والحق في إستراتيجية الخروج من هناك فيمكن للولايات المتحدة البناء على وجود نمط من التغيير للمتطلبات البيئية وإنها ستكون فرصة لسحب

القوات في وقت قريب، وربما إلى حلول النصف من عام ٢٠١١، دون التخلي عن الأمل في استمرار الاستقرار.

بداية نهاية اللعبة في العراق

عندما قبل وزير الدفاع روبرت غيتس دعوة الاحتلال ليبقى في منصب رئيس وزارة الدفاع، أشارة إلى المدى الذي سيحدده توقيع الاتفاقية الأمنية مع العراق والتأثير على قراره بتاريخ المغادرة من العراق أن أكملت لتوها اتفاق تمركز القوات، والإطار الاستراتيجي المرفق بهذه المعاهدة. والنقاش اليوم في العراق والولايات المتحدة لم يعد متى الانسحاب وإنما كيفية الجدول الزمني له حين قال غيتس للصحفيين يوم ٢ كانون الأول ٢٠٠٨ "السؤال هو، كيف لنا أن نفعل ذلك بطريقة مسئولة "؟.

الموافقة على الاتفاقيات قد رحب بها من بغداد إلى واشنطن، واعتبرها بعض الخبراء على أنها بداية النهاية للحرب في العراق. ويقول محللون إن إستراتيجية الخروج للولايات المتحدة قد لا تكون واضحة اليوم مثلما كانت عليه قبل تمرير اتفاق تمركز القوات. "والتحدي هو أنه مع الجديد هناك اتفاق تمركز القوات... وسيكون هناك عدد أقل من الموارد المخصصة للعراق وهناك درجة أقل من السلطة". وبعد أن تم توقيع اتفاقيات أمنية، حذر قائد القوات الأمريكية في العراق، الجنرال ريموند أوديرنو من أن الاتفاقية "سوف تتطلب تحولا دقيقا في كيفية تخطيط وتنسيق وتنفيذ المهام في جميع أنحاء العراق". وتوجيهات بكيفية هذه التغيرات التي سوف تنفذ ولم يتم نقلها إلى القوات الأمريكية.

وهناك أيضا تساؤلات حول طول عمر الاتفاقية الأمنية القانوني. والثغرات واحتمال إعادة التفاوض على جدول زمني للانسحاب كما تدعو القراءة المطلوبة لحرب العراق، وزارة الدفاع الأمريكية تريد اليوم "أن تتحمل الحكومة العراقية تكاليف الحرب، إن طلبت من الأمريكيين ذلك إلى ما بعد عام ٢٠١١ مع ما تبقى من قوة للمدربين، والقدرات لمكافحة الإرهاب، واللوجستيات، والقوة الجوية". من بين أكثر التغيرات التي حددتها النقاشات الصفقات ومتطلبات القوات الأمريكية المقاتلة في حال مغادرة "المدن والقرى والبلدات العراقية " في ٣٠ حزيران ٢٠٠٩ ؛ وتنسيق البعثات مع الحكومة العراقية؛ وتسليم الأسرى إلى السلطات العراقية، والتخلي عن سيطرتها من المنطقة الخضراء.

ثم إن تغيير الولاية القضائية لأكثر من مائة ألف مقاول على المتعاقدين في العراق يعطي أفضلية مهمة للولايات المتحدة في العراق، كتوفير الخدمات للأمن الغذائي والخدمات الأخرى. فواشنطن لا يمكن أن تقوم بعملها دون مساعدة المدنيين. "وحكومة الولايات المتحدة لا تزال تبقي على بعض الموظفين ضمن الحماية (بموجب اتفاق تمركز القوات) بدعم المدنيين "، فالتقديرات تشير إلى أن ١٦٠٠٠٠ من المقاولين المدنيين العاملين لدى وزارة الدفاع يعملون في العراق والسؤال هو"إلى أي مدى سيصل نظام العقوبات القانوني العراقي بعد سقوط نظام صدام إلى المعايير الدولية". ومن الأسباب الأخرى للتشكيك في هذا الاتفاق الذي تأخر كثيرا، هو مستقبل الدور الأمريكي في العراق. فمع ضراوة الخصم من مقتدى الصدر للاتفاقية، فان هذا الاتفاق مليء بالثغرات التي يمكن أن تسمح بالتغيير الكامل. فإدراج النواب السنة في التشريع لمثل هذا النوع من الاتفاقيات الدعوة إلى إجراء استفتاء في هذا الصيف سيعطي فرصة أساسا للشعب العراقي بنبذ الاتفاقية. إلى جانب الخلافات السياسية الداخلية، كما أظهرت الاتفاقات التي تم التفاوض بشأنها، وخاصة بين الأحزاب الشيعية التي ترتبط ارتباطا وثيقا مع إيران والتي تعارض اتفاقات طويلة. في النهاية فان الفائز الحقيقي قد يكون نوري المالكي الذي سيكون له اليد العليا على حساب النفوذ الأميركي.

على الرغم من التحسينات الأمنية، لا يزال العراق 'البلد المضطرب جدا'

تخشى وتشعر أكثر فأكثر المؤسسة السياسية العامة في الولايات المتحدة من أن يكون العراق يتجه نحو الانتصار" على الرغم من أن العراق لا يزال البلد المضطرب جدا. حيث

أعربت عن هذه المخاوف في أن خفض نفوذ الولايات المتحدة نتيجة للاتفاقية الأمنية الأمريكية الجديدة في العراق قد يجعل من الصعب إبعاد السياسيين العراقيين الذين يحاولون ويبذلون قصارى جهدهم لتخريب نظام المصالح الضيقة الخاصة بالولايات المتحدة أو أولئك السياسيين الذين يسعون إلى بناء مصالح خاصة بهم وبالتوافق مع مصالح معادية للولايات المتحدة كما تسعى إلى ذلك إيران. ومع أن للولايات المتحدة في العراق اتفاقا لتمركز القوات، فالذي يبدو الآن أن الرأي العام في الولايات المتحدة بشكل عام وصل إلى استنتاج أن الحرب في العراق قد انتهت وان القوات الأمريكية ستعود إلى أمريكا بعد عامين. وهذا هو ملخص السطحية أو الرؤية المرتجلة للأحداث في المنظور الأمريكي الجديد؟ وهذا التبسيط المفرط للوضع في العراق هو في الواقع في غاية المشاكل الحقيقية التي ما زالت في العراق. فبالتأكيد هناك كميات هائلة من التقدم هناك، وليس هناك شك في أن الأمن هو من حيث الحجم على نحو أفضل مما كانت عليه في عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦. نتيجة لذلك نرى تغييرات كبيرة في السياسة العراقية، وأيضا البداية لإعادة إحياء اقتصاد العراق. ولكن ما نحن أمامه وللأسف، هو أن العراق ليس دولة مستقرة بعد. فهناك العشرات من المشاكل تبقى هناك يمكن أن تدفع العراق إلى حرب أهلية أو إلى غيرها من الحالات الغير مستقرة جدا. والرأي العام الأميركي وبسبب أن المؤسسة السياسية تعتقد وتشعر وبشكل متزايد بأن العراق يتجه نحو النصر رغم أن العراق لا يزال يشكل البلد المضطرب، وان الاضطراب قد يذهب إلى الجنون بسرعة كبيرة. رغم التركيز على أن العراق على الرغم من كل شيء لا يمكن السماح له بالانزلاق إلى هاوية الفوضى والحرب الأهلية. فالخلافات بين السنة والشيعة هي بالتأكيد مهمة جدا لكنها ليست أهم المشاكل السياسية في العراق، فمن نواح عديدة هناك المشكلة الأكبر وهي عدم النضج للنظام السياسي في العراق والصراع على السلطة الذي قد يحدث. فنوري المالكي، ، يريد زيادة مركزية السلطة بيديه. ولا أحد يعلم ما هي دوافعه. وهناك أناس يعتقدون أنه عمد إلى تقديم نفسه دكتاتورا. وهناك آخرون يعتقدون أن هذا ليس بالضرورة إظهارا عن نيته، ولكن مع ذلك، فإن الإجراءات التي اتخذها جعلته في هذا الاتجاه، وهذا وضع خطير جدا، لأن الحقيقة هي أن المالكي ليس لديه ما يلزم لجعل نفسه دكتاتورا. وحتى لو كان لديه ما يلزم فانه يضع نفسه في السلطة لفترة وجيزة من الزمن، ونحتاج إلى أن نتذكر أن الديكتاتوريات في العراق ليست مستقرة. فالدكتاتور الوحيد الذي كان قادرا على السيطرة على العراق لفترة طويلة من الزمن كان العراقي السابق صدام حسين، حين بقي في السلطة ثلاثين سنة. وكان كل ديكتاتور آخر يبقى لأربع أو خمس سنوات.

والأبعد من ذلك، فانه لديك الآن قوة عسكرية قوية جدا وتزايد شعورا بالثقة بالنفس، وتتطلع نحو أن تكون قوية وقادرة كغيرها من المؤسسات السياسية. وهذا النوع من هذا الوضع في السنوات السابقة في الشرق الأوسط، بما في ذلك العراق، قد أدى إلى الانقلابات العسكرية. وذلك لن يكون جيدا لان الجيش العراقي لا يزال متماسكا بما فيه الكفاية لحد ألان. لكن الفرص متاحة إذا حاول، أو إذا حاول بعض العامة ذلك ويجب الا ننسى أن بدايات الحرب الأهلية في لبنان كان الجيش سببها.

واتفاق تمركز القوات الأمريكية الجديد، سيحد من السلطة الأمريكية ومع ألازمة الاقتصادية الواسعة النطاق في الداخل الأمريكي، والاتجاه الأمريكي الجديد السائد وبشكل متزايد نحو التركيز على الموارد والمشاكل الداخلية الأمريكية، فستكون الموارد المخصصة للعراق قليلة إلى جانب تحديد السلطة هناك. وكما هو الحال في الشرق الأوسط، وكما هو الحال دائما في العراق، فإن الوضع في غاية التعقيد. فبعد أن دفعت قوات مقتدى الصدر وجيش المهدي من جنوب العراق، فان تحالف المالكي معهم قد يتبدل الآن. وهناك اتجاه هو في إقامة تحالف جديد بين حزب الدعوة ومقتدى الصدر، وهناك حزب شيعي كبير، هو المجلس الإسلامي الأعلى في العراق "ISCI"، الخائف جدا، والذي سيدفع إلى التحالف مع الأكراد. وكل من هذه الفصائل تتنافس على النفوذ بين القبائل الشيعية وكلهم يسعون ألان لمعرفة كيفية التعامل مع السنة. فهذا

سيطلق الجدال بين الجماعات الشيعية في محاولة عمل صفقات كبيرة مع السنة أو أنها تحاول تجاهل السنة؟ لذا فهم شديدو التقلب. ومن جانب آخر من عناصر عدم الاستقرار في العراق هو بسبب أكبر الميليشيات، لواء بدر، التابع إلى "ISCI" فان عدد كبير من أفراده قد تم دمجهم في القوات المسلحة العراقية. وهناك مخاوف حقيقية في كثير من أذهان الناس أنه إذا كان المالكي والصدر سيحاولان طرد ISCI، ورجال الميليشيات في الجيش فسوف تستخدم مواقعهم لمحاولة تخريب استجابة القوات المسلحة العراقية . في الوقت الراهن، شهدنا بعض التحركات، وعلى وجه الخصوص بين ISCI والسنة، ولكن السنة لن يفرزوا الأمور بأنفسهم. فالسنة قاطعوا انتخابات عام ٢٠٠٥، والأحزاب الثلاثة في البرلمان التي تمثل السنة فقط اسميا لها ولا تمثل ما يريد السنة، ومعظم السنة لا يرون بأنهم ممثلون في أحزابهم. ومجالس الصحوة، في الانبار، وفي بغداد وأماكن أخرى في العراق، التي تمثل جزءا كبيرا من سكان المناطق الريفية السنية يحاولون الآن أن ينظموا أنفسهم بأنفسهم في أحزاب سياسية.

ولكن ما هو قائم اليوم أن النظرة اليوم لهؤلاء من رجال القبائل أنهم عملاء وليسوا سياسيين، وأنهم لا يعلمون كيفية تنظيم الأحزاب السياسية، وحتى أنهم يجدون صعوبة في الاتصال بعضهم البعض أوفي الانفصال عن قبيلته لينضم مع بعض من هذه الأحزاب القائمة، والتي تعتبر حتى الآن غير شرعية في نظر الكثيرين. لذا فمن الصعب الحديث أو معرفة الفرز السياسي على الجانب السني. ويبقى دمج أبناء العراق (الميليشيات السنية الأمنية المحلية) إلى قوات الجيش والشرطة؟ كعملية بطيئة جدا، رغم الاتفاق على أن تتولى الحكومة السيطرة على أبناء العراق، الا أن الحكومة العراقية لا تزال تعدهم من المأجورين، والشوفينيين.

ينبغي الا يغيب عن بالنا هو أن العراق لا يزال البلد المضطرب جدا، وان الولايات المتحدة الأمريكية قد فشلت فيه ولم تنجح هناك، وان الوضع قد يذهب إلى الجنون بسرعة كبيرة. لذلك فان السنة المقبلة أو الثمانية عشر شهرا ستكون في غاية الأهمية لتطوير السياسة العراقية. حيث أن الولايات المتحدة ستغير تركيزها والاحتلال يريد التحرك بسرعة أكبر بكثير في إرسال القوات إلى أفغانستان. إن المسألة الأهم هي ما إذا كنا قادرين على معرفة حقيقة شعبنا العراقي والأبعاد التي يمكن أن يصلها الساسة العراقيين المأجورين في كثير من الطرق وهو نوع من أنواع التناقض الكبير في العراق، في هذه اللحظة تراجع نفوذ الولايات المتحدة ومواردها في العراق، ونحن الآن أمام ظهور أهم عامل في العراق والذي يبحث تجاه العراق على المدى كتعبير جديد في ما هو في مصلحة الشعب العراقي وهو الاتجاه الوطني العراقي. فبالتأكيد لدى الولايات المتحدة فرصة لمغادرة العراق أفضل بكثير مما كانت منذ عام ٢٠٠٣، أو حتى مما كان من الممكن التفكير به في أسوأ يوم من عام ٢٠٠٦. ولكن هذا سيتطلب الحفاظ على التفكير في ما هو أفضل في العراق على المدى الطويل، ودفع الفائدة مرة أخرى عن السياسيين العراقيين الذين يحاولون ويبذلون قصارى جهدهم لتعزيز النظام الخاص الضيق بهم.

الوضع السياسي في العراق هو بيت من ورق

على الرغم من المكاسب الأمنية في العراق، فان الحالة السياسية غير مستقرة، وهناك مخاوف من أنه قد يكون هناك تقدم سريع الزوال. " ففي الوقت الراهن العراق هو بيت سياسي من ورق". فهناك الكثير من المسائل التي لم تحل، وهذا خطر الانهيار للبيت الذي من ورق إذا أن من المسلمات أن نوري المالكي غير قادر على ترسيخ المكاسب السياسية، وبعض ضباط الجيش تحت إغراء الدولة الغنية بالنفط، قد يحاولون القيام بانقلاب. فمنذ حوالي عام، ومعظم الناس ينظرون إلى نوري المالكي بأنه ضعيف سياسيا.

والآن، فجأة، يبدو أنه أصبح شخصية سياسية كبيرة مع بعض السلطة؟. فربما كان له موقف سياسي أقوى من أي وقت مضى عندما أمر بحملة عسكرية في البصرة للقضاء على الفوضى في المنطقة، ولكن ظهر للمرة الأولى أنه سيكون كارثة وأنها ليس مستعدا تماما لذلك، لأنه لم ينسق مع الولايات المتحدة، ولكن مع دعم الولايات المتحدة والوساطة الإيرانية تمكن من

إنقاذ البصرة وهذه الخطوة تبين أنها أكسبته شعبية كبيرة بين العراقيين.ثم تابع بعد ذلك في بغداد، وشن عمليات عسكرية في مدينة الصدر (في بغداد) وفي عدد من المحافظات الأخرى.

وكثير من هذه الحملات من أجل أن تكون أكثر مما تظهر في الواقع مواجهة عسكرية حقيقية. ففي معظم هذه الحالات، قدم الكثير من الإنذارات المسبقة، مما أعطى الوقت لإمكانات فيما يبدو من المعارضين إما الخروج من المدينة أو للاختباء. وسمحت له أن يولد سلسلة من النجاحات والعلاقات العامة وساهم في خلق صورة له من القوة. غير أن قراره بالدخول إلى مدينة الصدر كان لها أهم انجاز في جعل عدد من الجماعات السنية سعيدة. وأعطت في هذا الجزء الأخير من ذلك، فائدة في المفاوضات مع الولايات المتحدة للتوصل إلى اتفاق لإعطاء أساس قانوني للوجود الأمريكي في العراق. وفي حين يبدو أن المالكي في وضع قوي للغاية كما يعتقد، إلا إن التحالف السياسي أصبحت على وشك الانهيار على الأرجح إذ انه لم يعد يتمتع بأغلبية في مجلس النواب. وهناك الكثير من التوتر بين الشيعة والأكراد من الائتلاف الحاكم. فهناك بوادر انهيار في الكتلة الشيعية إذ إن هناك بوادر صراع بين حزب الدعوة الذي يرأسه المالكي والمجلس الإسلامي الأعلى في العراق" ISCI" (والذي كان يعرف سابقا باسم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) وهو الأكبر في الائتلاف الحكومي. وله موقفا سياسيا فعليا هش جدا، وربما أفضل من يدرك ذلك الأمريكيين إذ أن معظمهم يدركون دورهم في طبيعة التحسينات الأمنية، في غضون ذلك نجد المالكي غريب فهناك مزيج من القوة والضعف في الوقت الراهن، واعتقد إن هذا ما يفسر سلوكه.

وربما تفضل أن ترى الولايات المتحدة المالكي قويا مع وجود ما يقرب من ١٤٠٠٠٠ من القوات الأمريكية ومثلهم من المتعاقدين الخاصين مما سيعطي حكومة المالكي القدرة على متابعة السياسات التي تفعلها. وذلك يعني انه يمكن اتخاذ قرارات سياسية محفوفة بالمخاطر إلى حد ما من دون أن تهتم بالعواقب. فطالما أن لديه الولايات المتحدة، فهم لن يسمحوا له بالفشل، وحتى انه يستطيع أن يأخذ المخاطرة والأفعال التي لا تقلق عواقبها. وعلى الجانب الآخر، فهناك توافق في الآراء على نطاق واسع في جميع أنحاء النظام السياسي العراقي التي ترغب في أن ترى نوعا من الاحترام لسيادة العراق ونوعا من الإطار الزمني لانسحاب القوات الأمريكية.

ولأنه كان ضعيفا نوعا ما في الموقف السياسي، فهذا ما دفع به نحو محاولة الاستيلاء على أنه زعيم الموقف الوطني، رغم أنها في بعض وسائل ضد المصلحة الذاتية بل انه دعا أكثر من ذلك في مطالبته بإعادة كتابة الدستور والذي كان هو نفسه رائدا في كتابته.والذي يزيد الوضع سوءا ويجعله الآن في العراق كبيت سياسي من ورق.

أن هناك الكثير من المسائل التي لم تحل، وهذا خطر لانهيار هذا البيت الذي بنته الولايات المتحدة الأمريكية من ورق. فقد تحدثنا عن الانتخابات في المحافظات، وعن أبناء العراق، وأشياء من هذا القبيل، ولكن هناك أيضا ستكون مسائل موجودة مهددة لهذا الوضع القائم كالبطالة والاقتصاد الممزق وهناك خمسة ملايين من اللاجئين والمشردين الذين تم تجاهلهم بالكامل تقريبا في جميع المناقشات السياسية في العراق. فهناك مليونين خارج البلاد، وبين اثنين إلى ثلاثة ملايين من المشردين داخل البلاد، والذين هم في الواقع يعانون من النقص في الخدمات والدعم من الحكومة العراقية. ومن المرجح أن يكونوا جميعا هم من المحرومين في هذه الانتخابات المقبلة. فاللاجئ خارج البلاد لن يسمح له من التصويت، والمشرد داخليا سوف يسمح له بالتصويت، ولكن هناك عقبات بيروقراطية كثيرة لدرجة أن معظمهم قد لا يصوتون.

وهناك الكثير من الأشياء داخل العراق في الوقت الراهن والتي لا تتلاءم مع أي نوع من أنواع إعلان النصر، فعندما نتطلع إلى مستقبل العراق وما يمكن أن يحدث، نرى اثنين من السيناريوهات المحتملة، وكلتاهما صعبة بشكل خاص. أولهما: نوع واحد من الانهيار فيها جميع من مختلف القضايا التي قد ذكرت حيث تتداعي الأمور إلى أن تصل إلى حالة حرجة غير قابلة للحل. والأمر الآخر في بعض الوسائل سيكون أكثر قبولا، والذي سيكون على الأمريكان بحاجة

إلى التفكير به بجدية، وهو قيام نظام حكم يكون إلى حد ما فيه نوع من أنواع النظام الاستبدادي في العراق، كما في باقي الدول العربية. فالحكومة النفطية الغنية ستغذيها وستكون متطورة وضخمة ومدعومة من الجيش، في وقت الذي فيه كل المؤسسات ألأخرى في المجتمع المدني ستكون في حالة من الخراب.

وإذا كان المالكي لا يستطيع أن يقدم نفسه في هذا الدور، فإنه ببساطة لن يدعو ذلك إلى أن هناك من الضباط العراقيين الذين يعتقدون أنهم كذلك. واحتمال وقوع أعمال عنف مع المقاتلين السنة في حال عدم انتقالهم إلى وظائف حكومية دائمة يمكن اعتبارها شرا لا بد منه. والصياغة الإستراتيجية المحلية لوقف إطلاق النار قد لا تكون أفضل إستراتيجية عسكرية. ولكن في ضوء البدائل ولتحقيق الاستقرار من القاعدة إلى القمة، قد يكون هذا الخيار الأقل سوءا. أما المكاسب الأمنية التي حققها تحول القبائل على العصابات الإجرامية، وغيرها من الجماعات كتنظيم القاعدة في العراق في الأجل القصير فلا يمكن المبالغة فيها كذلك العمل على جهود الحكومة الأمريكية في العراق وتسريح الميليشيات والتسليم لتحديات دمج المقاتلين من أبناء العراق على المدى الطويل لهيكل حكومي أو إعادة دمجهم في المجتمع سيكون من أهم التحديات.

الحرب الأهلية العراقية

والأمر ابعد من ذلك حيث إن السياسة الأمريكية ستبنى على فرضيتين هما إما سيكون لها تأثير ما على الأوضاع في العراق أم أنها ستكون كأحد المشتركين في هذه اللعبة السياسية أوفي الترتيبات العامة وهل الخروج من هذه الحرب الأهلية في العراق ستكون انجازا بحد ذاته وما هي إستراتيجية واشنطون التي يجب إن تتبع؟.

تعد شرارة العنف الأخيرة حول بغداد الهدية الأخيرة التي منحتها ألإدارة الأمريكية إلى العراقيين والتي وجدت نفسها أخيرا أنها متورطة بشكل مكثف وكبير فيها ومع الصحافة الأمريكية حول تعقيدات الموقف العراقي وهل هي في وسط ما يوصف بحرب أهلية عراقية. وليس من الصعب الفهم لماذا قاومت الإدارة الأمريكية هذا المفهوم بسبب إن الأعلام الأمريكي غير شرح مواقف البيت الأبيض حول هذه المسائل وحول العلاقات بشكل عام من معرفية تغيير الآمال السياسية الفاشلة كذلك فأن الإدارة خشيت من إن الرأي العام الأمريكي حينما يرى العنف في العراق فأنه سيعتقد انه في وسط حرب أهلية وسوف يقلل من الدعم للقوات الأمريكية من التورط وسطها وحينها سيفكر ان كانت هناك حرب أهلية فما الذي يمكن للقوات الأمريكية فعله سوى الانضمام الى احد الأطراف ضد الأخر

والأمر ابعد من ذلك حيث إن السياسة الأمريكية ستبنى على فرضيتين هما إما سيكون لها تأثير ما على الأوضاع في العراق أم أنها ستكون كأحد المشتركين في هذه اللعبة السياسية أوفي الترتيبات العامة وهل الخروج من هذه الحرب الأهلية في العراق ستكون انجازا بحد ذاته وما هي إستراتيجية واشنطون التي يجب إن تتبع؟.

في البداية لابد من التأكيد أن هناك حرب أهلية في العراق ومن المهم القبول بأن الحرب الأهلية الأخرى التي اندلعت في الولايات والمستعمرات السابقة قامت مع مواقف سياسية ضعيفة كانت قد استخدمت مع تلك المستعمرات وهذه القضايا تقضي إدارة الاحتلال الحلول السياسية التي يجب إن تتخذ في العراق في خلق الاستقرار والسلام مع ما يسمى بنظام ديمقراطي قادر على مساعدة قوات الولايات المتحدة في الحركة ويضمن سلامة العملية السياسية ولا يشكل تهديدا للإستراتيجية العسكرية في المضي قدما نحو تحقيق أهدافها. لأنه حتى إذا ازدادت عدد القوات الأمريكية الموجودة هناك فأنها سوف لن توقف العنف في بغداد ولن تعطي قوة في

المفاوضات كذلك فأنها ليست سببا جيدا للاعتقاد بأنها ستكون مفيدة ضد المقاومة العراقية أو في تغيير ميزان القوى حيث إن الحرب الأهلية تنتهي عندما تتوازن القوى وتتشارك بالاتفاقيات.

ولكي يتحقق ذلك فأنها تحتاج لعدة سنين من القتال والى مستوى عال من التكتيكات والوضع اليوم في العراق الحاضر هو عبارة عن مجاميع متداخلة بين الشيعة والسنة وقريبة بعضها من البعض الأخر كما في الصومال وتظهر المجموعات المسلحة بين الطرفين والاعتقاد بأن السياسة الخاطئة للحكومة الأمريكية ستجبرها على الانسحاب أو الاعتقاد انه إذا لم تغير وبسرعة بزيادة عدد القوات الأمريكية فأنها ستبقى كذلك. وحتى لو نظفت مجتمعات بغداد الأثينية فأن ضعف السيطرة الشيعية الحكومية ستصبح سببا أخر لحرب أهلية مفتوحة بين شيعة العرب والسنة ونتيجة لتصرفات إدارة الاحتلال في خلق نجاح مفروض لحكومة معينة سوف يكرس إشارات التأييد والدعم للشيعة وهذا الموقف سيخلق أو سيؤثر ليس على مصالح الولايات المتحدة فحسب وإنما على السلام الإقليمي والاستقرار فيه. إن الإصرار على التأكيد على النصر العسكري من خلال سيطرة الحكومة الشيعية غير ممكن في إي وقت وسيعطي ظروفا مفضلة للمقاومة لمواصلة القتال من خلال السيطرة السنية للعراق وأكثر من ذلك فأن هذا السبب سيشجع الوطنيين السنة على دعم القاعدة في العراق ضد الميلشيا الشيعية والجيش العراقي كذلك فأنه سيضعف موقف واشنطون مع طهران ضد السيطرة السنية للولايات التي في الغرب العراقي. وعلى طول بقاء إدارة الاحتلال من المراهنة على الحكومة العراقية بصورة متشابهة حتى تحقيق النجاح إلا إن الحكومة الأمريكية سوف يكون لها معدل محدود لدعم هؤلاء الجماعة من خلال بقاء القوات خارج مركز تأثير الساحة مع تركيزها على الدبلوماسية وعلى دعم محدود من القوة مع العمل بصورة فورية على إنهاء الحرب الأهلية والتي ستمضي لبعض الوقت ولكن بقاء الولايات المتحدة اللعب لتوازن المعادلة بين الأطراف المختلفة ولمدة طويلة سيضر بمصالح الأطراف السنية والشيعية والكردية غير إن على العراقيين إن يعلموا إن بقائهم بمشاركة القوى مع بعضهم البعض وتحت شروط السياسة الأمريكية سيكون بالنسبة لهم أفضل من الاستمرار بحرب أهلية وبكل الأحوال.

يوميات الحرب

إن تعقيدات العنف في الحرب الأهلية في بلد القتال فيه من خلال مجموعات منظمة هدفها إن تكون لها القوة على السيطرة على المركز أو المنطقة أو تغيير سياسات الحكومة وفي كل يوم يستخدم اصطلاح الحرب الأهلية وهو غير مرتبط بالضرورة مع ازدياد العنف أو بتعقيدات الحرب أو بالإرهاب او بقلة أو عدم نجاح الحلول السياسية غير إن الأساس ما تشير إليه العلوم السياسية والتي تشير إلى إن قتل أكثر من ١٠٠٠ شخص شهريا معناه إن التعقيدات قد بدأت وبذلك فأن هناك أكثر من ١٢٥ حرب أهلية قد اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية وان هناك أكثر من ٢٠ حرب تجري الآن وإذا أبقينا على هذا المعدل بمقتل أكثر من إلف شخص سنويا فأن هناك أكثر من ٩٠ حرب أهلية منذ عام ١٩٤٥ إلى ١٩٩٠ غير أن معدل القتل في العراق هو ٦٠٠٠٠ سنويا خلال الأربع سنوات الماضية وهو أعلى من معدلات الحرب في كثير من البلدان كالجزائر وكولومبيا وبيرو و سيريلانكا غير أن هذا المعدل يجعل حربه في المرتبة التاسعة من الحروب التي جرت في السنوات السابقة . أن السبب الذي يجعل الحروب الأهلية بهذه القسوة ولمدة طويلة هي صعوبة الوصول غالى نهاية لها.ومعدلاتها لتلك الحروب هي ١٠ سنوات لكل حرب ونصفها ٧ سنوات وهناك بالطبع أكثر من ذلك

بدأت الحرب الأهلية في العراق عام ٢٠٠٤ بعد إشعالها من قبل المتمردين السنة بأمل أن يقود ذلك إلى أخراج الولايات المتحدة من العراق وإعادة القوة إلى السنة ولقد واجهه ذلك المليشيا الشيعية التي تطلعت إلى محاربة السنة من خلال القضاء على المقاومة السنية والدفع نحو التطهير الطائفي والوصول إلى اتفاق يتيح لهم التحكم بالعنف. هذا المثال من الحرب الأهلية المعقدة التي من مميزاتها كذلك أنها أقل الحروب مفاوضات وحوارا مفيدا بين أطرافها لتقليل

ألعنف والتعقيد فيها كانت مشابهة للحرب الأهلية التركية التي حدثت بين عامي ١٩٧٧-١٩٨٠ حيث كانت المليشيا والتي تمثل اليسار واليمين تقل حوالي ٢٠ شخصا يوميا من خلال الهجمات والاغتيالات والموت الجماعي وكما في العراق اليوم فأن حجم الخلاف عالي بين الأطراف خاصة من جهة إن القتال يقوم به مجموعات محلية منظمة وبين المليشيا والتي لها غطاء من قبل أحزاب سياسية حاكمة من خلال انتخابات ديمقراطية وأسست لها برلمان وهذا بالضبط ما حدث في تركيا ويحدث الآن في العراق وهو أنشاء أحزاب مليشياوية سياسية تعتقد بمشاركة بعضهم لبعض في قيادة تركيا سياسيا من خلال عملية سياسية وبرلمانية وإنشاء نظام ديمقراطي يقود إلى إنهاء العنف واليوم أكثر من ذلك يحدث في العراق فالعملية السياسية سيطرت على القدرة على إحراق المدن والخوف أصبح أقل من عودة الجيش من أن يصبحوا ذا تأثير على العنف في المجتمع والقادة العسكريون بعد ذلك أخذوا المبادرة وأقاموا انقلابا على اليسار واليمين على المليشيا والمجموعات المنظمة وأصبح ثمن الحكم العسكري هو إنهاء الحرب والتمرد المدني وإذا انسحبت الولايات المتحدة اليوم من العراق فأنه سيتيح عودة الحكم العسكري مرة أخرى إلى العراق ويعود الجيش العراقي قائدا وحاكما على الحكومة المنتخبة التي سوف لن تعد تعمل بقوة ضرورية لتنفيذ أوامرها وإبراز نتائجها ومن سوء الحظ إن النظام العسكري في العراق سيكون قادرا على إتباع المثال التركي في بداية الثمانينيات حيث إن المؤسسة العسكرية التركية هي المؤسسة الوحيدة الوطنية التي تدين بالولاء للنظام العلماني الوطني والمستقل وعلى العموم كان الجيش التركي هو المفضل من قبل اليمين أكثر من اليسار والمواطنون الأتراك رأوا اختلافا واسعا بينهم بعد سيطرة الجيش من خلال العنف

وبالمقارنة فأن الجيش العراقي وحتى قوات الشرطة يظهران أقل تأثيرا من خلال المجتمع والسياسيين العراقيين فالشرطة تظهر عبارة عن مليشيا بشكل مختلف حيث أن القوات الأمريكية تدربها ولكن أفرادها وتنظيمها عبارة عن مليشيا أما الجيش فهو أكثر مؤسساتية ومهنية غير إن الشيعة مسيطرون عليه ألا أن هناك مستوى عال من عدم الانضباط بينهم بسبب دورهم بالتطهير الطائفي لذلك فان هذا الاحتمال من سيطرة الجيش على مقدرات الأمور سيجعل من الشيعة يعودون من جديد لحكم البلاد

كذلك ما حدث في لبنان في عام ١٩٧٥ يعطي مؤشرا ما سيكون في العراق فأعمال العنف بين المليشيا المسيحية والمنظمات والفلسطينيين واللبنانيين والتي بدأت عام ١٩٧٥ وجدنا ان قادة الجيش كانوا بعيدا عن مجرى الصراع والتأكيد على أن الجيش سوف لن يتدخل لمصلحة أي من الأطراف ولكن الصراع حينما توسع تدخل لكسر أحد الأطراف وحين ذاك دخل لبنان في مرحلة طويلة من العنف من الأطراف المقاتلة من السنة والشيعة والمسيحيين ومنظمة التحرير الفلسطينية والتدخل السوري والإسرائيلي ومع تبادل للأدوار بينهم على مدى سنوات الحرب ويمكن لهذا السيناريو أن يكون مشابها له في العراق اليوم فبغض النظر عن بقاء أو رحيل الولايات المتحدة عنها فأن مناطق جنوب كردستان ستكون مشابهة الى حد كبير بمثل ما جرى في لبنان طوال الحرب الأهلية حيث التغيرات السياسية ستؤثر على المنطقة والمدن وحتى الجيران فبعد مرحلة التطهير الطائفي سيتغير خط العنف حيث أن مستوى العنف سيكون أقل مستوى وستزداد التدخلات الخارجية والقوى الخارجية المالية منها والعسكرية وأما العنف والى الأنفجارات فستكون أسوأ بشكل عام وكبير وكذلك ستتدخل مليشيا خارجية إلى جانب تنظيمات تحمل على عاتقها التطهير الطائفي وسيتركز القتال بين أنفسهم حول السيطرة على المناطق المحلية للدول المجاورة وخاصة إيران ولكن من غير الضرورة إن تحمل معها إستراتيجية للتدخل إلى البلاد ومن غير المحتمل ألا تشترك الولايات المتحدة في ترتيبها.

حين تنتهي الحرب الأهلية تنتهي بانتصار عسكري لأحد الأطراف ،فمنذ عام ١٩٥٥ انتهت ٥٥ حرب أهلية بسيطرة الحكومة المركزية على تلك الحروب.وهناك ٧٥% من تلك الحروب انتهت بنصر واضح لأحد الأطراف ،وهناك ٤٠% من ٥٥ حالة حرب كانت بين الحكومات

والمتمردين كان الانتصار فيها ل٣٥% للمتمردين على المركز. وكان تقاسم القوى والاتفاق بين الحكومة والمتمردين هي أقل النسب في تلك الحروب حيث شكلت ٩ من بين ٥٥ حالة حرب وهو ما يشكل ١٦% منها كما في السلفادور ١٩٩٢ وجنوب أفريقيا ١٩٩٤ ،طاجاكستان ١٩٩٧. والوصول إلى أتفاق تقاسم القوى من خلال الحرب الأهلية هو تعبير عن الخشية من الطرف الأخر وهذه الخشية لا تعبر ألاعن طريق استخدام السلاح بين الأطراف المتقاتلة فإذا كانت أحدى المليشيات تخاف من الأخرى فأنها تلجأ الى استخدام السلاح لفوز السيطرة على المنطقة أو المدينة أو حتى الجيش وهذا ما يعطي للمليشيا الأخرى سببا رئيسيا لمواجهة المليشيا الأخرى. هنا يظهر الاتفاق على انه المشاركة بالسيطرة على الدوائر السياسية والعسكرية وحتى واردات النفط وهذا ما سيستدعي دخول شريك ثالث ليعطي الضمانات لطرفي النزاع وهنا تكون الولايات المتحدة هي الراعي أو الشريك الثالث في تلك المفاوضات. لقد حاولت أدارة الاحتلال المساعدة في أيجاد أرضية مشتركة بين ألأطراف المتنازعة من الأكراد والشيعة والسنة ولكن هذا لم يمنع من حدوث الحرب الأهلية وتقترح الدلائل التاريخية إلى أن ضمان الأمن من خلال تورط القوى المختلفة بالأحداث يساعد الحكومة على الوقوف والانتصار بدون تدخل قوى ثالثة مثل التدخل الأمريكي في العراق والذي يؤتي بنتائج عكسية بالنسبة إلى الحكومة العراقية ولسوء الحظ أن الحكومة قد تنجو بهذا الوضع أكثر ١٠ أشهر أو١٠سنوات. ويمكن للعراق أن يكون أحد الحالات الناجحة التي يمكن أن تتوصل وبنجاح إلى نهاية الحرب الأهلية من خلال مؤشرين أثنين يمكن من خلالهما تقاسم السلطة الأول أتفاق متوازن يمكن الوصول اليه بعد فترة من الامتناع وأنه لا يمكن حل المشاكل بالطريقة العسكرية بين الأطراف المختلفة حيث كل واحد منهم يجب أن يقتنع أنه لن يحصل على كل ما يريد أو أنه يستطيع تحقيق ما يريده عن طريق العنف فعلى سبيل المثال كان أتفاق دايتون حيث وافقت القوى من خلال أحزابها على إنهاء حرب البوسنة قد وقع ليس بسبب تدخل الناتو في أيجاد القوى المشتركة للجلوس للمفاوضات ولكن بعد أدارك أنه لا يمكن تحقيق شئ بعد ثلاث سنوات من الحرب. أما الثاني أتفاق تقاسم القوى يهدف إلى أقامة تعايش بين الأطراف المختلفة أي القبول بالأخر ولكن من دون الاستحواذ على السيطرة على كل البلاد وهذا ما وقع في بوروندي عند الهوتو والتوتسي وفي الصومال أيضا.وبعكس هذه الشروط وإذا لم تتحقق في العراق فأن هناك بعض الأحداث المهمة التي ستحدث منها أن السنة ومجموعاتهم يعتقدون أنه بخروج قوات الولايات المتحدة يمكن إن يعودوا للحكم في بغداد وفي المناطق الأخرى من العراق وهناك أعداد من الشيعة وبعض من المجاميع الشيعية تعتقد أن مجموعات الأغلبية سوف تستطيع أن تبقى في السيطرة السياسية على البلاد ومنهم جماعة مقتدى الصدر التي تعتقد بأنهم يمكن أدارة البلاد بدون مساعدة الولايات المتحدة. وفي الحقيقة أنه بانسحاب الولايات المتحدة فسوف تقوم المليشيات الشيعية بالقتال بعضها ضد البعض الأخر وبشكل أوسع مما هو اليوم.

وهذه الحرب المفتوحة بينهم سيكون المستفيد الأكبر منها المقاومة السنية والتي ستكون قادرة على التحكم بالقوى في البلد وأدارتها والسيطرة عليها. والأمر الأخر فأن، كلا من السنة والشيعة سينقسمون إلى مجموعات كثيرة وبمستوى السياسة الوطنية وان المليشيا من دول الجوار العراقي والمجموعات المسلحة منهم سوف تنظم إلى المنظمات الشيعية الأربعة مثل حزب الدعوة والذي ينقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسة منها جماعة الصدر المناوئة للاحتلال الأمريكي وهي أكبر مليشيا شيعية في البلاد وهي غير واضحة إذا كانت تستطيع السيطرة على الحركات الأخرى. أما العراقيون السنة والذين لهم امتدادات قبلية خارج بغداد وكذلك غير المنظمات الإسلامية فأنهم سيواجهون صعوبات في النمو. لذلك فأن مزيدا من الحرب يمكن أن تكون الطريق الوحيد للوصول إلى تقاسم مراكز القوى وتصبح الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات مع الحكومة العراقية هو يمكن بهذه الوسيلة الوصل الى النصر لطرف دون الطرف الأخر أو تمكن لأحد الأطراف من

القدرة على المفاوضات والتي ستكون في النهاية الوسيلة الفضلى لحل مشاكل الخلاف بين المجموعات المتصارعة في العراق.

ميزان التأثير

كان من المؤمل أن الانتخابات السياسية ستنجح من خلال دعم الجيش العراقي والدعم الأمريكي وان تتطور قابلية التأثير ضد المقاومة العراقية والمليشيات الشيعية جنبنا الى جنب غير أن هذا السيناريو إذ فشل فسيؤدي إلى الاستمرار الحرب الأهلية واشتدادها. واذا افترضنا أن التطهير العرقي سيستمر في بغداد ومجموعات المقاومة السنية والمليشية الشيعية ستستمران في مقاتلة بعضهم القوات الأمريكية وبعضهم ضد المدنيين وإذا استمرت أدارة الاحتلال في البقاء حتى تحقيق النصر وكما تقول فسيكون الخيار الأصعب والأخير هو الدعم ألا محدود للشيعة في حربها ضد السنة وقد تلعب القوات الأمريكية في بعض القوانين المتعلقة بحقوق الإنسان من خلال دفع وحدات من الجيش العراقي لسحق التمرد والتطهير العرقي. وستبقى الولايات المتحدة تحاول خلق نجاح أي نجاح للحكومة العراقية الى أن تقود الى الانسحاب وليس الى الهزيمة مما سيعطي للحكومة العراقية الحالية القيام والقدرة لتحقيق هذا الانتصار على فعل الحرب القذرة ضد مناوئيها وبخاصة ضد البيئة السنية والتي هي داعمة للمقاومة الوطنية هذه السياسة هي صعبة التحقيق على الأرض وأن كانت ضد المصالح الوطنية فحتى الشيعة ومناصروهم في الحكومة قد ينجحون في إبادة سنة بغداد ولكنهم غير قادرين على مقاومة المقاومة السنية حيث الأغلبية السنية غرب البلاد أو حتى في صد هجومهم في بغداد أو أي مكان أخر يعيش فيه الشيعة وبعبارة أخرى إن السياسة الأمريكية سوف لن تقود إلى أي نصر عسكري واضح في المستقبل القريب وحتى لو فعلته فهل تريد واشنطون ذلك أن صعود النظرية الطائفية وبخاصة سيطرة الشيعة على حكومة بغداد يعزز كثيرا وسيحمي بشكل أوسع النفوذ الإيراني في المنطقة كقوة دينية إقليمية..

غير أن الولايات المتحدة عليها من الصعوبة بمكان أن تعطي الحكومة للسنة العراقيين ولا تعطي بعد ذلك أي سبب في منع البلاد المسيطر عليها من قبل السنة أي سبب لعدم دعم القاعدة في العراق من خلال رفض أي من هذه الدول دعم قوة سنية لقتالهم الحكومة الشيعية.وللوصول إلى خيارات سياسية ذا تأثير يجب أولا الاعتقاد بأن أي خطط سياسية يجب إلا تكون مدعومة بدعم عسكري مفتوح للحكومة الشيعية والتي ساعدتها بالقوة لتكون في بغداد الا أنها في الوقت نفسه أن هذه الحكومة التي لها كل الدعم العسكري والدبلوماسي هي الحزب الوحيد الذي ينفذ جميع السياسات الأمريكية في البلاد والمنطقة وأن بهذا الدعم قيادة حركة السياسة الشيعية في المنطقة والتي ارتبطت بالدعم الأمريكي قد ولد اتجاه معاكسا من المعارضين السنة في الحكومة وهو ما دفع الشيعة إلى اللجوء إلى المليشيا لحماية نفسها

كما أن القوات الأمريكية التي واجهت المقاومة السنية بدأت ترى أن الولايات المتحدة أصبحت أكثر مرونة مع الفرس وأقل تشددا إزاء المساعدات السرية العسكرية والمالية للشيعة من إيران في الوقت الذي بدأت فيه باتهام إيران وسورية بسبب فشلها بعدم تأمين الاستقرار في بغداد وألا نبار وبسبب تعارض مصالح تلك الدولتين مع المصالح الأمريكية في العراق. غير أن كل تلك الحقائق سوف لن تنهي الحرب الأهلية في العراق والتي بدأت في وقت ما أنها لم تتأثر أو تبدأ بأحد تلك الأسباب غير أن الولايات المتحدة أرادت من خلال الدفع بالحرب الأهلية الى موازنة القوى في العراق وأن تعطي حلول للاستقرار بعيد المدى بالنسبة الى مصالح الشيعة والسنة والأكراد مجتمعه في حكومة واحدة. هنالك أمل من أن العراقيين لهم القدرة من خلال برامج سياسية من حل مشاكلهم مع بعضهم البعض ولكن في الحقيقة أنه ممكن أن ينتهي التعاون بين قادة الشيعة والسنة والأكراد من خلال خلافهم مع الدستور وبعد ما فقدوا أهمية عامل الوقت في قتالهم فأساس الدولة العراقية هو المصلحة المترابطة لكل الأطراف والأحزاب وخاصة في مسألة عندما يتعلق الأمر بالقانون الخاص بمصادر النفط العراقية. واستمرار الحرب الأهلية

ستؤدي إلى عدم تمتع القادة الشيعة بمنافع النفط وأن السيطرة السياسية بدون المشاركة من قبل جماعات السنة والذين يمكن أن يقللوا من عملياتهم كذلك فأن الحرب الأهلية يمكن إن ترجع السنة إلى السيطرة والشيعة إلى التبعية وهذا ممكن الحدوث وبذلك يخشى الأكراد على مصالحهم والتي قد يحموها بسيطرتهم على الأنبوب المار عبر أراضيهم.

وهنالك بالطبع عدة سيناريوهات ممكن حدوثها إذا استمرت الحرب الأهلية في العراق ومن ضمنها انفصال أجزاء العراق الثلاثة وبإمكان الولايات المتحدة التأثير في حدوث هذا الاحتمال وهو ما أشارت إليه مجموعة دراسة العراق والتي دعت إلى نوع من الانفصال حتى يخف حدة القتل اليومي غير أن حدود هذه المقاطعات غير معروفة واختلاف موارد الأجزاء الثلاث غير متساوية وأداء السكان في هذا المجال متفاوتة ألا أن على الجميع أن يكونوا مسالمين في العراق الجديد إذا أصبح التقسيم أمرا واقعا وأن الحرب الأهلية ممكن أن تقود في يوم ما إلى تجميع العراق المشتت ولكن من المهم أن تكون المناقشات عراقية داخلية أكثر مما تكون خارجية حول مستقبل البلاد. ومعظم الحروب الأهلية تنتهي بنصر عسكري غير حاسم وهذا النصر إضافة إلى التوجه السياسي لبعض السنة أو المجموعات الشيعية هو أقل من المقبول بالنسبة للسياسة الأمريكية وأن الانتصار غير الحاسم لسيطرة الشيعة هو بالتأكيد المفضل بالنسبة للقاعدة وإيران أما انتصار السنة الغير حاسم بالنسبة للمقاومة فهو سيعيد شئ من النظام وهو السبب من التعدد المختلف.

فهنالك على الأقل أثنين من المؤشرات يمكن أن تكون أفضل بالنسبة إلى العراقيين إلى الاستقرار والسلام الإقليمي وكذلك للمصالح الأمريكية في المنطقة الأول هو أتفاق بمشاركة القوى بين عدد من ممثلي العراق ممن هم بالقوات المسلحة أومن المسيطرين في المحافظات لإقامة ما يسمى عملية إنقاذ وطني والثانية هو صعود السيطرة العسكرية حيث لدى قادتها القدرة على إخماد أي ثورة أو تمرد أو عصيان من قبل الجماعات الأخرى وإلا تكون مرتبطة بصورة مباشرة بالقوات الأمريكية وإنما لها الدعم المطلوب منها لتحقيق تلك السياسة فعلى الولايات المتحدة أن تضغط باتجاه سياسة متوازنة باستعمال الدبلوماسية والأموال وبعض الأدوات العسكرية لتشجيع المشاركة بين الأطراف المختلفة والتي تتقاسم الثروة والقوة السياسة المتوازنة يمكن أن تقود غالى تشكيل تحالفات جديدة والتي من المحتمل أن تؤدي إلى أعادة انتشار للقوات الأمريكية في العراق أو العودة إلى القواعد أو حتى غلقها.

وهذه العملية تعتمد استغلال أمثل للدبلوماسية والسياسة والتقنيات العسكرية ومن المهم الإشارة أن بعض من موازنة القوى تلك يمكن أن تدعم النصر من جانب واحد دون جانب أخر ولكن الأحداث للأسف تشير إلى أن النصر لم يعد قريبا بالنسبة إلى الجانب الأمريكي. وحتى لو أتى هذا التغيير في السياسية فأن القوات الأمريكية سوف لن تستطيع أن توقف معدل القتلى المتصاعد في بغداد فهناك القليل من الإشارات التاريخية أو بعض الحقائق التي يمكن أن تقترح بأن القوات الأمريكية لا يمكن لها أن تبقى معلقة أو متورطة في إلى أجل غير مسمى والبقاء في مواجهة هجمات الجهاديين والوطنيين لمدى مفتوح. والسيناريو الأكثر تفاؤلا هوأن تنجح الادارة الحالية في تحالفها مع الحكومة العراقية الحالية في وقف أعمال التطهير العرقي والوقوف أمام أسباب استمرار الحرب الأهلية بأكثر الأمور مهنية ومحايدة وهذا الأمر مشكوك فيه النجاح.

العراق الموحد ذهب إلى غير رجعة، بعد أن كتب الأمريكيون شهادة وفاته، ويبقى عليهم الآن الاعتراف بخطيئتهم الكبرى واستخراج شهادات الميلاد الخاصة بدويلاته الثلاث.

الجريمة "الكاملة" التي ارتكبتها الإدارة الأمريكية في العراق وكيف أن الإستراتيجية التي أعدها ونفذها سياسيون بعضهم غير متمرس وبعضهم فاسد أسندت إليهم المهمة فقط لولائهم لصقور الاحتلال من المحافظين الجدد - فشلت في الحفاظ على نسيج الوحدة الهش في هذا البلد وما يتعين عليها عمله الآن ثلاث دويلات عبارة عن دولة كردية في الشمال موالية للغرب، ودولة شيعية موالية لإيران في الجنوب، وثالثة تعمها الفوضى من العرب السنة في الوسط تحدد هويتها فيما بعد ثمن فاحش لخطايا السياسة الأمريكية والتي جعلت هذا البلد ينجرف لنزيف دماء ولا يتوقف ليفتح الطريق أمام حرب أهلية لم يشهد العالم لها مثيلاً من قبل.

وإذا كان ثمن توحيد العراق وجود ديكتاتورية أخرى فإن هذا سيكون ثمناً باهظاً فاحش الغلاء. فالأمريكيين يخوضون الآن في العراق حرباً مفتوحة يمكن أن تستمر مائة عام، وإن سياساتهم التي أعقبت غزوهم واحتلالهم لهذا البلد قد مزقته إرباً، وإنه لم يعد بمقدور الأمريكيين ولا غيرهم إعادة تجميعه، وإن حرباً أهلية مدمرة ستكون عنواناً للسنوات المقبلة، حتى تستقر عملية التقسيم، ويتم الانتهاء من ترسيم حدود هذه الدويلات، وكتابة شهادات ميلاد العراق الجديد.

إن الولايات المتحدة التي غزت واحتلت العراق بهدف معلن هو تحويله لبلد ديمقراطي كنموذج يمكن تعميمه في الشرق الأوسط قد دمرته تماماً ودفعته بسياساتها المجرمة نحو تقسيم لا مفر منه، رغم أنه كان مؤهلاً له، إلى ثلاث دويلات كردية في الشمال موالية للغرب وشيعية في الجنوب موالية لإيران وسنية في الوسط بلا هوية تعمها الفوضى .

"لا شيء سيعيد توحيد العراق، وستنتهي سريعا من ترسيم الحدود الجديدة وتحديد من الذي سيحكم طبيعة العلاقات بين هذه الدويلات".

وأن معالم الدولة في العراق قد تلاشت في العراق رويداً رويداً منذ الغزو ليس بسبب الإطاحة بالنظام ولكن بتفتيت جميع مؤسسات الدولة وأن التقسيم هو المخرج الوحيد لأمريكا من العراق. هكذا يرى الساسة الأمريكان اليوم

تصحيح الإستراتيجية الحالية في محاولة بناء مؤسسات وطنية أو قومية في بلد دمرت فيه كل أسس ومقومات الدولة ليس سوى جهد ضائع. ولا يؤدي إلى أي شيء سوى الإبقاء على الولايات المتحدة في حرب بلا نهاية ولمجرد الحرب.

إدارة بوش حين جرت أمريكا للحرب من أجل الحرب فقط كانت لديها رغبة محمومة لتكرار تجربة أفغانستان، وكان الدور على العراق كهدف قالت هي نفسها إنه في غاية السهولة.

منذ سقوط التمثال لصدام يحلو للمسؤولين في إدارة الاحتلال أن يرددوا دائماً عبارتهم الشهيرة: "لكل مشكلة عندنا حل "ولكن ما فعلوه بالعراق يؤكد أنهم يخلقون المشاكل، ولا يجدون لها الحلول، والعراق الآن بلا صدام، الذي كان نظامه البعثي، ومعه نظام حكم بول بوت في كمبوديا، أسوأ الأنظمة الدموية في النصف الثاني من القرن العشرين، فماذا فعلت هذه الإدارة العبقرية؟

إنه "منذ أن أسقط المارينز تمثال صدام حسين بميدان الفردوس ببغداد سارت الأمور مع أمريكا في العراق من سيئ إلى أسوأ، وانهارت طموحاتها المعلنة لإقامة نموذج ديمقراطي يمكن تعميمه في الشرق الأوسط. وتبدو أمريكا الآن وكأنها ستبقى في حرب مفتوحة بالعراق إلى مالا نهاية وسط تصاعد ضغط الطوائف الذين نفذ صبرها بالفعل وباتت الحرب الأهلية هي العنوان الوحيد لعراق ما بعد صدام.

وكان يمكن تفادي ما حدث لو كانت إدارة الاحتلال قد وضعت سياسة حكيمة في تفادي الفوضى التي عمت العراق بسبب ترك الأمريكيين الحبل على الغارب منذ أول أيام الاحتلال لنهب وتدمير المؤسسات في بغداد. ان مسئولي الاحتلال كانوا سعداء بهذا المشهد وكأنه جزء من الانتصار.وإدارة الاحتلال بارتكابها أخطاء قاتلة في عراق ما بعد صدام وتبني استراتيجيات تؤكد عدم إدراكها لطبيعة العراق كبلد متعدد الطوائف الأعراق وكذلك العوامل التي تحكم العلاقات بين هذه الطوائف وأن هذه الأخطاء تحول دون نجاح عمليات الأعمار أو إقامة أي حكومة مركزية قوية في المستقبل.

إن المأزق الذي وضعت إدارة الاحتلال العراق فيه هو دفعها للأمور في طريق يمكن أن يطالب فيه البعض بإقامة ديكتاتورية لاستعادة الأمن والدولة الموحدة".

ومنذ غزو العراق حدث ما يلي: سقط الآلاف العراقيين بين قتلى وجرحى نتيجة انتشار أعمال العنف الدموي في العراق والتطهير العرقي والمذهبي خاصة في بغداد بعد فشل سياسات الاحتلال الأمنية، كما سقطت أعداد كبيرة من الجنود الأمريكيين ما بين قتلى وجرحى أيضاً بسبب هذه السياسات التي لا توفر أي نوع من الأمن، لا للأمريكيين ولا لشركائهم في التحالف ولا للعراقيين.

ودفعت سياسات الاحتلال في العراق إلى ظهور جماعات إرهابية تمكنت منذ اللحظة الأولى من السيطرة على العراق وانتزاع زمام المبادرة من سلطة الاحتلال وكذلك من الحكومات المحلية المتعاقبة ومازالت حتى يومنا هذا.

وقد ظهر هذا بوضوح عندما اغتيل رئيس بعثة الأمم المتحدة سيرجي دي ميللو ثم اغتيال بعد ذلك السياسي الشيعي البارز آية الله باقر الحكيم، ومئات الشخصيات العراقية ناهيك عن مسلسل قطع رؤوس الأجانب.

ان السماح للأمريكيين بأعمال النهب في بداية دخولهم العراق كلف العراق مليارات الدولارات، كما أدى سماحهم بتدمير المؤسسات العراقية إلى خسائر فادحة، وسيتعين على الأمريكيين إذا ما استمروا في البلاد إعادة البناء وتعويض الخسائر من جيب دافع الضرائب الأمريكي وقد أنفق الأمريكيون أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في حربهم على العراق على عكس ما حدث في حرب الخليج الأولى عندما عادت عليهم هذه الحرب ببعض المكاسب المالية نتيجة لمساهمات دول أخرى في تكلفة الحرب.

ومع تصاعد موجات التمرد والثورة على الاحتلال الأمريكي في الجنوب الشيعي أو المثلث السني، وحاولت واشنطن تشكيل أجهزة أمنية من العراقيين كدرع واق يتلقى الضربات بدلاً من جنودها إلا أن الأمر لم ولن ينجح وما حدث هو انضمام أعداد كبيرة من الشرطة العراقية التي جهزتها أمريكا إلى الجماعات التي تقاوم الاحتلال أو إلى الجماعات تمارس القتل.

ولم تستطع إدارة الاحتلال الاحتفاظ بحلفائها في حربها على العراق وجاءت الانتخابات الإسبانية وذهب أزنار الحليف وجاء زاباتيرو الناقم على الحرب وسحب قواته والآن هناك خطط لمعظم حكومات القوات المشاركة للانسحاب.إدارة الاحتلال تائهة وإن الصورة الآن تؤكد أن الولايات المتحدة وإدارة الاحتلال على وجه التحديد لا تعرف ما تفعله في العراق، وكذلك لا تعرف ما ستفعله فيما بعد، وتبدو عاجزة لا حيلة لها في مواجهة الأوضاع هناك.

وهناك حكمة قديمة تقول إن تقسيم العراق لن يزيده إلا جراحاً بل وسيؤدي إلى المزيد من عدم استقراره، الأمر الذي يجب تفاديه مهما كلف الأمر، غير أن مراجعة سريعة لتاريخ العراق تؤكد أن العراق كان في الأصل بلداً مقسماً إلى ثلاث ولايات وظل كذلك حتى العهد العثماني قبل أن توحده بريطانيا وتنصب عليه ملكاً في أواخر الحرب العالمية الأولى فالأمر إذن لصالح العراق وليس لعدم استقراره. إن أمريكا قد كسبت الحرب في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣، ولكنها قد خسرتها في نفس اليوم. حيث غزت الطائفية وهي تتحدث عن عراق موحد قصة غير

محبوكة وقد كان من الممكن تفادى ما وصلت إليه الأمور لولا أن القصة من قبل الغزو كانت غير محبوكة.

أن "إدارة الاحتلال فشلت في جمع جميع أطياف الشعب العراقي على أي شيء واحد وأن أزمة وضع الدستور العراقي الجديد كانت خير دليل على ذلك. وأن الإستراتيجية الأمريكية التي ترتكز على إقامة حكومة مركزية قوية لم تحقق أي نجاح حتى الآن إلا على الورق فقط.

إن الولايات المتحدة يجب أن تركز الآن ليس على استعادة العراق الموحد الذي دمره سياسيو الاحتلال غير المتمرسين والحمقى ولا على فبركة وحدة مزيفة وكاذبة لهذا البلد ولكن تركز على منع انتشار الحرب الأهلية المدمرة والمميتة. ويتعين عليها قبول الحقيقة الماثلة الآن للأعين، وهي أن العراق تمزق، وأن تعمل مع الشيعة والعرب السنة والأكراد لتعزيز المناطق شبه المستقلة أصلاً.

وإذا تم استقلال هذه المناطق فإنه سيكون عليها هي توفير الأمن لسكانها الذين ينتمون لعرق أو طائفة واحدة. فأكراد العراق لا يقلون عن الفلسطينيين أو الليتوانيين أو الكروات من حيث استحقاقهم للاستقلال، وإذا كان من الشيعة الذين يشكلون الأغلبية يريدون إدارة شؤونهم بأنفسهم أو حتى إقامة دولتهم فعلى أي أساس يمكن أن تنكر الولايات المتحدة عليهم هذا الحق.

لا يمكن اعتبار العراق الآن - كما كان الحال عليه في يوغوسلافيا - دولة موحدة تتفق مكوناتها على مصالح عليا وطنية وإنما مقسمة وكل طائفة فيها لها ولاء خارجي مع دولة ما، ولا تجتمع هذه المكونات السكانية، أو هذه الجماعات الطائفية على شيء، كما أنها ليست مستعدة للتعايش معاً تحت علم واحد ولماذا يغزو الاحتلال أو أي شخص يفهم دروس التاريخ أراضي دولة بهذه التركيبة بهدف إقامة حكومة ديمقراطية موحدة؟! يتساءل المفكرون الأمريكان اليوم؟

بالنسبة للعراق كان الاحتلال يحلم بما هو غير قابل للتحقيق، وبقيت إستراتيجيته عند حدود الأمنيات فقط لإرضاء الغرور. إن غزو العراق كان عملية حمقاء تمت لإرضاء غرور صقور المحافظين الجدد وحلم قديم، حيث كانت بداية الكارثة على يد وزير دفاع الاحتلال رامسفيلد في عام ٢٠٠١ عندما عقد اجتماعاً في مقر وزارته لبحث "الغزو الأمريكي التالي لأفغانستان " وكأن أمريكا قد تفرغت كلية للحروب الخارجية. وفي الاجتماع فوجئ معظم الحاضرين بأن الأمر كان بالفعل مخططاً له، حيث نهض الجنرال جريج نيوبولد نائب رئيس هيئة الأركان الأمريكية للعمليات ليشرح الخطة ب ١٠٠٣-٩٨ ".. خطة غزو العراق.

لقد كانت خطة عرجاء لم تحسن تقدير الموقف والعواقب. وحدث في هذا الاجتماع خلاف كبير بين رئيس الأركان الجنرال ريتشارد مايرز ونائبيه نيوبولد من ناحية، رامسفيلد من ناحية أخرى حول حجم القوات المطلوبة لتنفيذ الخطة، فقد رفض رامسفيلد الانصياع لرأي رئيس أركانه ونائبه بأن الخطة تتطلب ٥٠٠ ألف جندي لتنفيذها، حيث أصر على أنها لا تحتاج أكثر من ١٢٥ ألف جندي، وأن حتى هذا العدد يعتبر كبيراً جداً، وكان رامسفيلد في هذا الاجتماع لديه رغبة محمومة في غزو العراق وهذه الرغبة قديمة. ولن يستمع رامسفيلد لمستشاريه الذين أكدوا له أن غزو العراق بهذا العدد الذي يريده سيكون كارثة على القوات الأمريكية .

نفس الخلاف الذي نشب بين رامسفيلد وجنرالاته هو نفسه الذي نشب بينه وبين كبار مسئولي وزارة الخارجية الأمريكية وفي مقدمتهم وزير الخارجية السابق كولين باول حول سياسة أمريكا في العراق في فترة ما بعد الحرب وخاصة فيما يتعلق بمسألة أعمار العراق وطريقة تصريف الأموال المخصصة لذلك. وأن إدارة الاحتلال ذهبت للحرب في العراق وهي مدفوعة برغبة محمومة في احتلاله دون أن يكون لديها خطة أو مشروع مستقبلي لعراق ما بعد الحرب .

لقد فشلت أمريكا في بناء عراق موحد وديمقراطي. وأن التقسيم مأساة يجب الإقرار بها. كما يجب الإقرار بأنه ليس في الإمكان ما يمكن فعله لإيقافه، وما من أمل يرجى كذلك من استمرار الوجود الأمريكي في حرب مفتوحة بلا نهاية في العراق.

دعمت حكومة الولايات المتحدة قواتها المؤلفة من القتلة والمرتزقة المفسدين والذين يعيدون اليوم الجرائم الأمريكية في فيتنام وغيرها والتي ظهرت على شكل رأس الكتلة الجليديةَ في مذابح اصغر شانا وأكثر دموية من القتل العشوائي والذي ينفذ بواسطة الكتائب المنظمة من قبل القوات المحتلة وفي بعض المناطق المسيطر عليها. وهذا المنطق ظهر واضحا أثناء وبعد معركة الفلوجة الثانية حيث عد أي هجوم عسكري ضد القوات الأمريكية تمردا وهو ما يعطي الحق بقتل المدنيين،سواء في نقاط التفتيش من قبل الجنود القتلة أم من خلال، استعمال أسلحةِ مثل القنابلِ ٢٠٠٠ رطلِ على أماكن متوقعة من المقاومة ،هذه اللامبالاةَ للحياةِ العراقيةِ جعل حتى من الجمهور أمريكي غير حساس وغير قادر على فَهْم فداحةِ الجريمةِ، فالقصف الهائل، وخراب النظام البيئي، والدمار المنظّم للحياةِ في بَعْض المناطق الريفية البعيدةِ ومن ثم تدريب جنود عراقيين ومن سواهم على القتل المنظم والمنهجي في قطع الرؤوس واغتيال الكفاءات والمثقفين ما اعتبروه من الأعداء المحتملين جعلت صعود هذه الحالة أللأخلاقية وهذا العهر الوحشي للحرب السمة الأساس لوجه الحرب في العراق.

على الرغم مِنْ استمرار احتلال العراق والذي يعد بالعمل الوحشي بكل المقاييس فان هذه الأعمال الوحشية ارتكبت من قبل تلك القوات الأمريكيةِ ،والتي تُسبّبُت بموتَ مئاتِ الآلاف، وان عشرات آلاف منهم قتلِ بنفسها، والذي أدى إلى إن يُزعزعُ البلادَ بشكل دائم، ومستوي، من حينِ لآخر، ومن خلال قُتلُ المدنيين بتعمد، يجب إن نَأْخذُ الدرسَ الوحيدَ الذي يَكُونُ بأنّنا يَجِبُ أَنْ لاَ نَتْركَ هذه الوحشيةَ الأمريكية ألا تُلوّثُنا، وألا تُحطّمُ هياكل العراق الاجتماعية

لقد سادت في بلادنا السادية الأمريكية والتي تقول في أناشيدها الوطنية وفي تدريباتها العسكرية" مثل القتلِ القتل! أقتل! أقتل! يَجْعلُ الدمُّ العشبَ يَنْمو." هذا النظام المتطور والمصمم بشكل مُحدّد للتَغَلُّب على الكرهِ الإنساني الطبيعيِ لقَتْل الإنسانِ الآخر وليس لحِماية مصالح السكان المدنيين أو تحقيق العدالة والتنمية وإنما لإرساء السلام الأمريكي والحرية والديمقراطية بنسختها الغربية الانكلو-سكسونية.

إن هذا التمييز العنصري والتخمير الغريب للقوميةِ، إشارة على نزعةِ القوات الأمريكيةِ لاستعمال النارِ الهائلةِ في المناطقِ المدنيةِ،جعل من حياة للعراقيين العاديينِ إن تُصبحَ أكثر صعوبةً وفزع ويأس في كُلّ يوم. وأكثر من ٣٠٠٠٠ عراقي قتلوا في شهر واحد في سنة ٢٠٠٥ نتيجة لأعمال وتدريب القوات الأمريكية في البلاد وأكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص هَربوا من بيوتِهم في بغداد ..." والآلاف من المعتقلين في السجون الأمريكية وما صاحبها من حالات التعذيب والمعالجة اللاإنسانية والتي كانت "واسعة الانتشار" في معسكراتِ ألاعتقال

كل تلك النتائج جاءت على قواعد ضعيفة وأسباب تافهة ولكن بمنطق القوة والربح والهزيمة كانت لها أسبابها:

١. فالجيش الأمريكي لَيْسَ لهُ حقٌّ بان يَكُونُ في العراق. فكانت جريمة حربَ العراق خطأ مطلقاً، ولذا فان هذا الخطأ لا يُمْكن أنْ يُستَمرَّ.

٢. الولايات المتّحدة لم تَجْلبُ الديمقراطيةَ إلى العراق. الديمقراطية المنتشرة ما كان لها إن تكون لها علاقة بهذه الحربِ ولكن جاءت لسبب بسيط هو إذا سيطرَ ناسُ عاديون على مواردِ الطاقة في المنطقةَ، وهم قَدْ يُوْضَعونَ نحو التنمية الاقتصادية المحليّةِ والحاجاتِ الاجتماعية، بدلاً مِنْ أشخاص معروفين بانتمائهم للنزعة الغربية سَيُثيرُ الشكوك حول مصالح وأرباح شركاتِ النفط الغربيةِ."

٣. الولايات المتّحدة لا تَجْعلُ العالمَ مكان أكثر أماناً باحتلال العراق. في الحقيقة، جَعلتْ هذه الحربِ السلامةَ العالميةَ أقل بكثيرَ.

٤. الولايات المتّحدة لا تَمْنعُ حرب أهليةَ في العراق. بل ستغذيها وتساعد على انتشارها وهذه نفس الأسطورةِ التي استند عليها الانتشار البريطانيِ في ١٩٢٠،

٥. الولايات المتّحدة لا تُواجهُ إرهابَ بالبَقاء في العراق. فالقاعدةُ وَصلتْ إلى العراق بعد الإحتلال.
٦. الولايات المتّحدة لا تُعيدُ بناء العراق. Halliburton وK B R Bechtel، لا يُصلّحُان سوى في ترسيخ الحالة الإمبريالية والعقلية العنصرية.
٧. الولايات المتّحدة لا تُنجزُ التزامها إلى الشعب العراقي بسبب الأذى الذي تَعاني منه.
كذلك بدأت كتابات تظهر بشكل مطرد وباتت تشكل الرأي السائد اليوم في الفشل الثقافي الفكري بانهزام مروجوا ثقافة التزاوج بين الثقافات وربما كانت أبو غريب وحديثة وقبلهما وبعدهما مفتاح لذلك الانهزام الفكري.
هل يمكن أن تكون حديثة هي باب القبر الجماعي فقط ؟ الجثث التي شاهدناها، والأطفال الموتى؛ هل يمكن أن تكون هذه بضعة فقط من الكثير؟ هل إن ما فعله جيش أمريكا في الأحياء الفقيرة يذهب أبعد من ذلك ؟ أتذكّر بشكل واضح الشكوك الأولى التي تولدت لدي في فترة اعتقالي بان ذلك القتل الفظيع قد يحدث باسم الولايات المتحدة في العراق.
كلّ جيوش الاحتلال فاسدة. وجميعهم عدو ومجرمي حرب؟ الجزائريون ما زالوا يكتشفون القبور الجماعية التي خلفها المظليون الفرنسيون الذين محوا قرى بأكملها ،وكذلك المغتصبين القتلة من الجيش الروسي في الشّيشان.
وكذلك الأحد الدامي .عندما جلس الإسرائيليون يراقبون ميليشياتهم اللبنانية العميلة التي ذبحت نحو١,٧٠٠ فلسطيني. وأيضا عن ماي لاي ومن قبلهم النازيون الذين كانوا أسوأ بكثير. واليابانيون. والستاشي الكرواتيين. وأخيرا وليس آخرا جاء هؤلاء الجنود الصغار الذين يمثلون جيش الولايات المتحدة الأمريكية في العراق والذين تلطخت أيديهم بدم الأبرياء.
اعتقد إن جزء من المشكلة هو عدم اكتراثنا بالعراقيين الذين سقطوا من مختلف المذاهب مطلقا، قبل اندلاع المقاومة. وعندما هاجم العراقيون جيش الاحتلال بقنابلهم على الطريق وبالسيارات الانتحارية، أصبحوا بوجهة النظر الأمريكية أننا الأشرار، أنصاف البشر وكما عرفوهم الأمريكان في فيتنام.
ولكن تناسى الأمريكان إن هؤلاء كما كانوا في المقاومة يمكن إن يكونوا مسلمين وباستطاعتهم جميعا أن يصبحوا محمد عطا أخر.
أعتقد إن هذا النوع من الأفعال أصبح سلوكا. فالرعب في أبو غريب نحي جانبا. فهي كانت إساءة، لا تعذيب. وبعد ذلك تأتي بعض الأحداث الصغيرة، ضابط صغير في الولايات المتحدة اتهم بقتل جنرال في الجيش العراقي بحشوه في كيس نوم بالمقلوب وجلس على صدره. وثانية، نحصل على بعض العناوين البارزة .من يهتمّ إذا ملأ التراب فم عراقي آخر؟(الم يحاولون قتل أولادنا الذين يحاربون الإرهاب هناك).
وصف جنود أمريكيون خدموا في العراق ما أسموه ثقافة العنف، والتحيز والاحتقار للثقافة العراقية التي يحملها الجنود معهم، مما جعل قتل العراقيين الأبرياء أمرا عاديا ومعروفا في وحدات الجيش الأمريكي. وجاء الحديث في معرض التحقيقات التي فتحت في مجزرة حديثة في تشرين الثاني ٢٠٠٥ والتي قتل فيها ٢٤ من العراقيين الأبرياء.
حتى ألان أعلن عن ثلاثة تحقيقات في حوادث مختلفة، الأول تحقيق في مقتل ١١ عراقيا في بلدة الاسحاقي ومن بين القتلى ٥ أطفال، أما الثاني فهو قيام جنود المارينز بقتل مدني عراقي قرب العاصمة بغداد، ويعتقد أن المدني قد جر من بيته وأطلق الرصاص عليه، واخفي المارينز جريمتهم بوضع فأس إلى جانبه لكي يظهر وكأنه احد رجال المقاومة، أما التحقيق الثالث فهو في مجزرة حديثة. وقالت صحيفة اوبزيرفر البريطانية أن جنودا حاربوا في العراق تحدثوا عن ثقافة لا تهتم بالحفاظ علي حياة المدنيين.حيث قال جندي خدم مدة قصيرة في العراق لا اشك قط بحدوث مثل هذه الممارسات في العراق. بسبب صعوبة خوض حرب عصابات ومدن ضد مسلحين. كما تحدث الجندي عن مظاهر من الاحتقار والتحيز ضد العراقيين، حيث يشير

الأمريكيون لأي عراقي بكلمة حاجي، وهي نفس الطريقة التي أشار فيها الأمريكيون للفيتناميين بكلمة تشارلي .

وصف الجندي كيف فتح جنود كانوا قرب مسجد في سامراء النار علي سيارة رفضت التوقف، وتبين فيما بعد أن القتلى سبعة مدنيين، ولم يعثر الجنود علي أسلحة أو متفجرات. وقالت الصحيفة أن بعض الجنود حاولوا الدفاع عن ممارسات الجنود، حيث قالوا أنهم يعملون في ظروف صعبة وهذه هي المرة الثالثة التي يرسلون فيها للعراق. ولكن الصحيفة تقول أن أساس المشكلة هو رفض الجنود أو حتى استعدادهم للتمييز بين المدني والمقاتل والتي بدأت منذ أن دخلت القوات الأمريكية إلي العراق عبر الكويت.

وفـي كل العمليات التــــي قام بها العسكريون الأمريكيون من عمــــليات القتل قرب الناصرية إلى إطلاق النار واغتيال المدنيــين في العملية المعروفة العاصفة لم يتم الالتفات إلى المدنيين.

هذه الثقافة ظهرت بشكل واضح عندما أطلقت الوحدة المدرعة ٨٢ النار علي طلاب مدرسة في مدينة الفلوجة في الأيام الأولي للغزو مع أن المدينة لم تقاوم دخول القوات إليها بعد انهيار النظام العراقي ،وقال الجنود انه مع تصاعد المقاومة وتزايد أعداد القتلى من الجيش الأمريكي بدأ الجنود يتصرفون وكأنهم لا يتعرضون لرقابة أو محاسبة .

ويقول جندي أخر كان يعمل في الموصل أن سيارته تعرضت لقنبلة مصنعة محليا وانه خرج منها وكل ما في ذهنه هو البحث عن عراقيين وقتلهم. وكشفت الصحيفة أنها حصلت علي معلومات وتفاصيل عن قتل مدنيين في غير حديثة، مثل بلدة القائم عند الحدود السورية، حيث قامت قوات المارينز بقصف حفل زفاف، وقال قائد وحدة المارينز الأولي أن الاقتراحات بقيام جنوده بقصف حفل زفاف لا قيمة لها مؤكدا أن جنوده قصفوا موقعا للمقاتلين العرب أو الأجانب.

ولكن مجزرة حديثة فتحت الباب أمام روايات عن تصرفات الجنود والتعامل معها بنوع من المصداقية أو إمكانية التحقق منها.

وترى تعليقات صحافية بريطانية وأمريكية أن صدمة مجزرة حديثة ستؤثر تأثيرا كبيرا علي مواقف الأمريكيين من الحرب وكما حدث في فضيحة أبو غريب حيث أثرت علي مواقف الأمريكيين من الأحداث في العراق. ولكن التحقيقات في حديثة ربما ستترك أثرا اكبر من أبو غريب، لان الأخيرة لم يحدث فيها قتل وعن سبق إصرار كما حدث في حديثة..

ويقول مقاتل سابق، يقوم ألان بمحاضرات ويشارك في اجتماعات جماعات ضد الحرب أن هناك أشكالا من التصرفات للجنود الأمريكيين وما لم يتم الاعتراف بها فالمشكلة ستبقى.

ويقول الجندي انه شاهد حراس سجن أمريكيين في أبو غريب وهم يفاخرون بأعمالهم ضد السجناء العزل ويشير إلى ثقافة أخرى استشرت في الجيش وهي محاولات التغطية على الجرائم قائلا انه لولا قيام عراقيين أو جنود أنفسهم بالتقاط صور المجازر لما علم بها المسئولون العسكريون .وقالت صحيفة صاندي تايمز أن مجزرة حديثة قد تؤدي الى نقطة تحول في الطريقة التي يتعامل فيها الأمريكيون مع الحرب.وقالت أن المحاربين في فيتنام لا زالوا يتذكرون عبارات قتلة الأطفال ومذبحة ماي لاي. وقالت ان المقارنة بين المجزرتين لا تستقيم ولكن الجنود ألان أكثر تدريبا وأكثر استعدادا. ولكن مجزرة حديثة تؤكد كما قال احد المسئولين ان قوات المارينز تعاني من انهيار المعنويات والقيادة.

من قدر المرء إن يرى بحسب ما تتحمل طاقته ولا يتكلف إلا بما يطيق. وليس من صفحات التاريخ للذين صنعوه من اختيار إلا بالذي قد قدموه لامتهم ولأنفسهم وليس بما كتب القدر بحسب ما كتب ذلك المؤرخون.

فالناس في ذلك منازل فيما لقوه فمنهم من لم يكن بيده حيلة إلا بما جادت به عينه وقرا التاريخ الذي قد كتب أو سمع من أسلافه بما قد حدث ،ومنهم من كان أشجع من أولئك واستطاع إن يكتب وان يخوض بحار علم تدوين ما يرى وما يسمع. وأما أولئك الذين صنعوا تاريخهم فلم

يكن منهم إلا بما قدموه لأنفسهم إلا الخروج من ضيق الحاضر إلى سعة التاريخ ومن فرش البيوت إلى كفن اللحود.

من هنا أود الدخول إلى إن مصارع الناس في العراق مستوفية لسنن الأمم ولحركات تاريخ الشعوب فحين لم يرضى الناس بالحرب أول الأمر واعتقدوا إن جاء مخلصهم ومحررهم وهاديهم واعتقد البعض من إن سيئات أعدائهم هي خير من حسنات جلادهم جاءتهم حسنات ذلك العدو بان جعلت الدماء انهار والتشريد سبلا والموت راحة. ذلك لأنهم لم يعتقدوا إن الحروب في صورها قذرة خبيثة لا تعرف من قائدها ولا سجانها ولا جنودها أو أعدائها الا بقدر ما تعرف وقودها وسعرها وطولها.

ولا اقصد في ذلك إن الناس تتحمل فيما يجري مسؤولية أخطائهم أو أخطاء قادتهم أو سوء تقدير من كانوا عند حسن ظنهم أو شراسة أعدائهم أو مكر خصومهم ونجاح مآربهم وإنما يعود ذلك الأمر كله إلى قبولهم بالضعف ورضاهم بالمهانة والتمتع بما يقذفهم به أعدائهم من فتات موائدهم والسعي إلى الرضا من الأعداء والخصوم والاستبسال أمام الشريد والعاجز والقبول بالقيود التي كبلهم بها من كانوا يوما اضعف منهم ودونهم في الأمر والمشورة.

إن ممن ميزة الأعداء اليوم إن يكونوا قد سبقوك في مواطن كثيرة فيما يبتغون من بلادك وأحلامك ومن ذلك أنهم قد سلبوك حقك في الحياة والعيش والتمتع بالخيرات والثروات ومنها النفط.والنفط في العراق هذه قصته:

يمتلك العراق الاحتياطيات النفطية المثبتة الأكبر الثّانية في العالم. طبقا لخبراء صناعة النفط، والاستكشافات الجديدة سترفع احتياطيات العراق من المحتمل إلى أكثر من ٢٠٠ بليون برميل من النفط الخامّ العالي الدرجة، والرخيص جدا في كلفة الإنتاج. والشركات العملاقة الأربع واقعة في الولايات المتّحدة والمملكة المتحدة كانتا جادة للعودة إلى العراق، بعد أن استثنوا بتأميم النفط ١٩٧٢. ومنذ الاحتلال للعراق في ٢٠٠٣، تغيّر كلّ شيء. فأصبحت واشنطون تدير المعروض من النفط وكانت للشركات الصديقة إن تجني الكسب الأغلى لصفقات النفط والذي أتاح لها الدستور العراقي الجديد ٢٠٠٥ ذلك، والذي تأثّر بنصائح المستشارين الأمريكيين كثيرا، بان حوى على لغة التي تضمن على دور رئيسي للشركات الأجنبية الأمريكية والصديقة. ويتمنّى فيها المفاوضون قريبا أن يكملوا الصفقات التي تشرف على الإنتاج الذي يغطي في هذه الاتفاقيات احتكار وحيازة وامتلاك والسيطرة من قبل هذه الشركات على العشرات الحقول، ويشمل ذلك حقل مجنون العملاق والأسطوري، وان هذه العقود يمكن أن توقّع بعد تشكيل الحكومة الجديدة.

وهذا ما سيؤدي إلى تقليص سيطرة الحكومة المركزية على النفط والذي كان مسيطرا عليه من قبل شركة النفط الوطنية وبالتالي فان مستقبل العراق السياسي سيكون رهينة بالنفط والذي يعتبر المحرك الأساس والمركزي للمشهد السياسي.

الوثائق المبرزة والتي تبرز التصاميم المفصلة لسرقة ثروة العراق النفطية، تؤكّد على إن الشركات الأمريكية والبريطانية الكبيرة عندها اهتمام هائل في حقول نفط العراق العملاقة الغير مستغلّة. وتؤكد بشكل واضح على إن هذه الشركات تميل للسيطرة على تلك الحقول الآن، وتحت ظل الاحتلال، وعند تحليل مصادر القوّة والتأثير لشركات النفط الأمريكية والبريطانية في البلاد لابد لنا إن نفهم ونناقش مدة قرن كامل من الاهتمام بالنفط العراقي والإمكانية المتاحة التي تبيح تلك السيطرة على احتياطيات العراق النفطية الضخمة والتي قادت إلى سبعة حروب في القرن الماضي، بضمن ذلك نزاع ٢٠٠٣. وعندما نحلّل تأثير نفط العراق على سياسة عقوبات الأمم المتّحدة. وراء الحرب والاحتلال على العراق، نرى إن هنالك دافع أمريكي ل"الدخول المجاني" إلى النفط العراقي وإباحة ذلك في السيطرة للشركات الأمريكية والبريطانية على ثروات العراق الواسعة في مصادر الغاز والنفط.

إن شركات النفط الدولية تبغي الربح من السيطرة على تجهيز النفط العراقي العالي النوعية والوفير واحتياطيات الغاز المربحة. وهذا ما يعط الدافع إلى سيطرة الولايات المتّحدة على

العراق ويدعم إدّعاءات شركات النفط الأمريكية والبريطانية على نفط العراق ويجعله قلب الأزمة. وإذا حسبنا مدى التخمينات القصيرة الأجل والمحتملة فان أرباح شركات النفط الخاصّة في العراق. باستعمال التخمينات المختلفة لأربعة متغيّرات رئيسية، بضمن ذلك السعر والشركة والحكومة والبيع للنفط فقد تتراوح تخمينات الربح الكلي تقريبا من ٦٠٠$ بليون إلى ٩$ تريليون. وبأرباح سنوية من الإنتاج العراق ٩٥$ بليون بالسّنة ل٥٠ سنة، ويتمثل ذلك بما يساوي نسبة ثلاث مرات لأعظم من أرباح سنة ٢٠٠٢ من الشركات الدولية الأكبر الخمس في العالم.

من أفدح الأخطاء إن تنتظر إلى أين تقود الأمور وان تنظر إلى ما تصير وأنت تلعب لعبتك السياسية لعبة الدم والقتل والفواجع. وعلى طول المسارات التاريخية للشعوب العراقية والعربية الحديثة والمعاصرة نجد أنها لا تستطيع من بلوغ مأربها وتطلعاتها إلا من خلال تميزها الوطني والقومي الذي يعتبر سمتها الفكرية الصحيحة لتلك التطلعات والآمال وبغض النظر عن نتائج تلك الإعمال في نجاحها أو فشلها. وليس إن تعقد أمالك على فشل وانحدار سياسة الآخرين من الأعداء الغازين أم الخصوم المجاورين أم من المحيطين الطامعين.

فحين تريد إن تبني بلادا راسخة وعلى أصول قوية وثابتة ومستمرة غير منقطعة بأهلها ولديها ديمومة التواصل والعيش والنمو الصاعد على وتائر عديدة نجد إن من الأساس إن تتميز تلك الحضارة القائمة على سمات فريدة من تلك التي سبقتها سواء كانت سمات فكرية أو اقتصادية أو ايديلوجية أو حتى مجددة دينية.

ارتبط مصير العراق بالتطورات النفطية العالمية حيث كان النفط محط أنظار الأمريكيين في وقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية أعظم مجهز للنفط في العالم وكان امن الولايات المتحدة الأمريكية القومي يعتمد على ضمان الولايات المتحدة الأمريكية لموارد النفط كل هذا ولد شعورا لدى الأمريكان حول ضرورة ضمان موارد النفط بأي وسيلة كانت بما في ذلك العمل في المساهمة في احتكارات إقليمية في العراق. وكانت الحكومة الأمريكية تؤيد في ذلك تأييدا عمليا وشجعت على احتكار مرافق النفط في العراق وتحديد إنتاجه واقتسام أسواقه واليوم بالاستحواذ عليه وجعله جزاء من الاحتياطي النفطي الاستراتيجي الأمريكي في العالم وكان هذا أهم أسباب التدخل الأمريكي في العراق. فالسياسة التجارية الأمريكية قامت على أن كل البلدان يجب أن تكون فيها التجارة حرة ومفتوحة والفرص التجارية والاقتصادية يجب أن تكون متساوية في تنمية الثروات فيها. ولقد دعت هذه السياسة في أن تتحد الأفكار الانكلو-أمريكية في الوصول إلى مشاركة المصالح الأمريكية إلى مركز كبير في حقول النفط في العراق.وجعل الفرص متساوية في امتلاك ثروات هذا البلد. لذلك جعلت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها مكانا له الحق في إن تشارك في أية محادثات تتعلق بألاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي كل مجالات بناء الدولة الجديدة التي تريد أقامتها فيه.

ومنذ وقت مبكر كانت للعراق مكانة متميزة على الصعيد الإقليمي والدولي وتأثيره البارز في السياسة العالمية وهذا يعكس بوضوح الاهتمام الأمريكي بهذا البلد ودوره الكبير في التأثير على المصالح الأمريكية في المنطقة ومن هنا نفهم حجم الاحتلال الذي يتعرض لها بلدنا اليوم من استعبادا وسلبا لمكانته العالية ونهوضه الشامخ وإرادته العظيمة.

إن دخول ونمو النموذج الأمريكي في العراق في استكمال أبعاد تلك العلاقة فقد دخل العراق بفضل ذلك إلى مرحلة الاحتكار الاقتصادي والسياسي والصناعي وبخاصة النفطي إلى جانب التركيز الرأسمالي منذ وقت مبكر من دخولهم العراق مما صاحب ذلك نمو واستقطاب اجتماعي خطير تمثل في تحول المجتمع العراقي في هذه الفترة إلى ما يشبه المجتمعات الرأسمالية الاحتكارية حيث استحوذت الأقلية العددية من سكان العراق لوحدهم على معظم المناقصات التجارية للبلاد. وهذا ما انعكس على واقع الأحداث السياسية في العراق، فهذه الحركة الجديدة في المجتمع العراقي عجزت بدورها بتأسيس واقع جديد فيه نوع من الرفاهية الاجتماعية بل فشلت في ذلك وهيأت الأذهان أكبر في تقبل الحركات الثورية والدينية والقومية وحتى

العنصرية والطائفية مما كشف بصورة واضحة حقيقية الأزمة السياسية التي يعيشها العراق.منذ اكتشاف النفط في الشرق الأوسط في ١٩٠٨، أرادت قوى غربية الهيمنة على مصادر النفط في المنطقة تأثيرا غربيا في صناعة نفط العراق، ومنذ تأسيس شركة النفط التركية في ١٩١١ من خلال المملكة المتحدة، هولندا وألمانيا ثم في دخول عمالقة النفط الأمريكيين بعد الحرب العالمية الأولى إلى هذا (المنتدى السياسي العالمي)، حيث دمجت السلطات الدولية من قوة عسكرية وضغط خاصّ وحكومي للسيطرة على نفط العراق.

إن تأريخ نفط العراق والمنافسات الدولية للسيطرة عليه. يتيح لنا بشكل خاصّ المعلومات الكافية على نوع السيطرة على نفط العراق في عصر الحرب العالمية الأولى وما تلاها، ويوضح بامتياز دور الشركات الدولية في تشكيل دولة بحدود العراق الحالية والشرق الأوسط، والنزاعات التي تلتها والانقلابات وما أدى ذلك إلى تغيرات كثيرة كان من أهمها تأميم نفط العراق في ١٩٧٢. في كانون الثّاني ٢٠٠٥، جرت ألانتخابات لتعيين حكومة عراقية جديدة، وفي الوقت عينه وافق صندوق النقد الدولي (آي إم إف) على إلغاء ٣٠ % من دين العراق كبديل للالتزام العراقي بشروط صندوق النقد الدولي والتي منها تكيّف سياسات اقتصادية. ومنها تشريع قانون نفط عند نهاية ٢٠٠٦ ويسمح لصندوق النقد الدولي المساعدة على صياغة القانون. وبالإشراف أو المناقشة العامّة، وبدأت وزارة نفط العراق بالتفاوض بشركات النفط الدوليّة، وقد يوقّع قانون لإنتاج طويل المدى قريبا يشترك في الاتفاقيات كجزء من نظام نقدي دولي يكون الإنتاج فيه من قبل تخويل مباشر من قبل الصندوق.

وتشير الدراسات بأنّ العراق يمكن أن يخسر لصالح الولايات المتّحدة ٢٠٠ بليون $ من الدخل نتيجة تلك الصفقات، ولحماية ذلك قد تدفع الولايات المتّحدة إلى إبقاء القواعد العسكرية في العراق من خلال إبقاء تواجد عسكري طويل المدى في العراق. لتسويّة المخاوف الأمنية النفطية، وعلى حد قول الجنرال أبي زيد بان نفط عراق يبرر إقامة قواعد دائمة وأنّ "ازدهار الولايات المتّحدة" وكلّ شخص آخر في العالم يعتمد على التدفق المجّاني من السلع والمصادر من العراق. (رويتر) من خطاب سلّم في مؤتمر السلام العالمي (١١ كانون الثّاني، ٢٠٠٦).

في مقابلة مع نيوزويك، يناقش نعوم تشو مسكي العلاقة بين النفط العراقي والاحتلال الأمريكي. بان الولايات المتّحدة ما كانت ل"تحرّر" العراق، إذا كانت منتجات العراق المخللات والخس بدلا من النفط. وإنما أرادت الولايات المتّحدة السيطرة على النفط والاستحواذ على مكاسب العراقيين.nوالقلة من العراقيين يعتقدون بأنه قد يكون النفط المفتاح إلى الوحدة العراقية. فقد ألزمت المادة ١٠٩ من الدستور العراقي بأنّ النفط يعود إلى " كلّ الشعب العراقي في كلّ المناطق والمحافظات. على الرغم من النقاش الصاخب على مسوّدة دستور العراق، إلا انه تجنب بشكل عام إلى مصادر نفط العراق.

ورغم إنّ الحكومة المؤقتة تمضي مع خطة تكون فيها شركة نفط العراق المملوكة للدولة الوطنية (آي إن أوسي) والتي لها الحق في إن تطوّر حقول النفط فقط التي في الإنتاج. وان تطوير كلّ حقول النفط الأخرى، فان الدستور يحدّد، يجب أن يتبع "التقنيات العصرية" و" مبادئ سوق" ، بالنسبة للإنتاج وان يتشارك باتفاقيات مع الشركات مثلPB، وExxon Mobil. في مستويات الاحتياطي المخمّنة، وذلك يترك ٦٤ % من نفط العراق المفتوح إلى الشركات الأجنبية، وهذا ما يترك ظلالا على السيادة وقابلية نمو العراق الاقتصادي.

أدى التنسيق السيّئ بين المسؤولين الحكوميين الأمريكيين والعراقيين وKBR، وشركة Halliburton التابعة لها والتي أعطيت لها عقود إعادة الأعمار ومنها النفط بعد الحرب، إلى فشل حالات إعادة بناء النفط العديدة. وكلّفت هذه الأخطاء والقيادة السيّئة مئات العراق من ملايين الدولارات في إنتاج النفط المفقود، بينما يهدّد مستقبل بعض حقول النفط من خلال سوء الإنتاج.

وعلى الرغم من جهود أمريكية لحماية بناء نفط العراق لكي تكون في الآمال بأنّ الإيرادات النفطية تدفع ثمن الحرب والاحتلال، جاءت المقاومة العراقية في تخريب خطوط الأنابيب

والمصافي. بالإضافة إلى فساد دائم في وزارة النفط والتوتّرات الطائفية على التخصيص المستقبلي للإيرادات النفطية والذي يهدّد معدل إنتاج نفط العراق الطويل المدى.وهذا ما أعطى للاحتلال مبررا جديد للوجود الأمريكي في العراق لأجل "حماية حقول نفط واسعة في العراق".
وأمام هذه الفوضى يطالب الأكراد العراقيون رأيا على حقول النفط الشمالية طبقا لوزير التخطيط العراقي الكردي، وبان يجب على الحكومات الإقليمية أن تستخدم سيطرة أكثر على حقول نفط مناطقهم. وان ألأكراد يعملون من أجل تثبيت ذلك من قبل لجنة الصياغة الدستورية العراقية لهذا التفويض، الذي يسمح للمحافظات لتعامل مباشرة بشركات النفط الأجنبية، ويعطي قوّة أكثر إلى الزعماء الإقليميين الأكراد والشيعة. لذلك قام الحزب الديمقراطي الكردستاني على توقيع اتفاقية مع شركة النفط النرويجية دي إن أو على الاستكشاف وحفر آبار للنفط جديدة في المنطقة نصف المستقلة ذاتيا الكردية في العراق.
وهذه الاتفاقية، هي الأولى من نوعها منذ الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة في ٢٠٠٣، وبدون تدخّل حكومة العراق المركزية. وبذلك زيدت توتّرات العراق الطائفية ،وأبرزت هذه الصفقة الخلافات المحتملة بين الحكومات الإقليمية والمركزية على سيطرة النفط وسياسة الطاقة. والأخطر من ذلك قامت شركة نفط تراث، وهي شركة كندية، بالدخول في مفاوضات مع حكومة كردستان من اجل القيام باستكشافات ميدانية قرب حقل نفط Taq Taq في شمال العراق. وهذا الترتيب الحالي، قد يؤدّي إلى اتفاقية خاصة بإنتاج النفط ،وبذلك تصبح تراث شركة النفط الخاصّة الأولى لإنتاج النفط في العراق منذ السبعينات. ويعتبر المدير التنفيذي لشركة نفط تراث Michael Gulbenkian، حفيد أخ Calouste Gulbenkian، مؤسس الشركة الذي سيطر على صناعة نفط العراق لأكثر من نصف القرن الماضي. ونتيجة لهذه التطورات قد يتحول العراق إلى" ساحة حرب رئيسية " ضدّ توسّع شركات النفط الغربية. مع إمكانية دستور يسمح لخصخصة النفط، العراقي ويضيع حماية مصادر البلاد الثمينة. وعلى الرغم من حالة الأمن المتدهورة في العراق، فان إدارة الاحتلال لم تعد النظر في هدف سياستها الأساسي البعيد المدى في الشرق الأوسط خاصة بعد انسحاب مخططي وداعمي قرار أمريكيا دخول الحرب.
الاحتلال ربما وضع السياسة، لكنّ رامسفيلد هو الذي وجّه تطبيقه وأمتص معظم النقد العامّ عندما فشلت الأفكار والأعمال ودعوا المشرّعون الديمقراطيون والجمهوريون إلى طرد رامسفيلد، فهو غير محترم على نحو واسع داخل الجيش..وربما تكون الولايات المتحدة قد تعلمت الدرس حول عملها السياسي المستقبلي في المنطقة وربما سيكون الهدف الإستراتيجي القادم سيكون إيران. "الإدارة المدنية في وزارة الدفاع الأمريكية تبحث عن تهديد جدي موثوق آخر ومن خلال عمل عسكري ضد ايران خاصة إن الحكومة الإسرائيلية تدفع إلى ذلك إلا إن هناك العديد من الخبراء العسكريين والدبلوماسيين الذين يعارضون الفكرة لذلك العمل العسكري، وان خيار العمل العسكري إسرائيلي أو أمريكي جيد في إيران.
فمن وجهة النظر الإسرائيلية هذه مشكلة دولية. وهذه الإدارة تجري مهمات الاستطلاع السرية داخل إيران على الأقل منذ الصيف الماضي. ومعظم الاستخبارات تستهدف المعلومات على النشاطات النووية الإيرانية، والمواد الكيماوية، ومواقع صواريخ، وان مثل هذه الأهداف التي يمكن أن تحطّم بالضربات الدقيقة وهجمات الصاعقة القصيرة الأمد. وهذا بالتأكيد ما يريده المدنيون في وزارة الدفاع الأمريكية من دخولهم إيران وان يحطّموا أكبر قدر من البناء التحتي العسكري.

الخسران الحربِي في العراق

الحلقة المفقودةَ للمقاومةُ المُسلَّحةُ السنيّةُ المحليةُ للاحتلال الأمريكيِ، والتي تتمتّعُ بالدعمِ القويِ من قبل السنة والزعماءِ العشائريينِ في الجزء الأوسط من العراق ان بعض زعماء العشائر كَانَ في حالة حرب مَع المجاهدين الأجانبِ التابعين للقاعدةِ لعدّة شهور خلت. وطبقاً لتقرير مِن قِبل مُحلّلي الأمنِ البارزينِ فان المقاتلين ألأجانب يُمثّلونُ فقط ٤ إلى ١٠ % من حوالي ٣٠,٠٠٠ مقاوم مُسلّح في العراق. وتجبرُ اختفاء المقاومةِ السنيّةِ مِنْ تغطيةِ الصُحُفِ العالمية على ان تَعْكسُ وجهةَ النظر التي قدّمتْ من قبل الجيشِ الأمريكي للشهور الماضية، والذي أهملَ بشكل منظّم الى الدرجة التي ما أصبحت، في الواقع، القوة الثالثة في الحربِ في العراق وهي المقاومة السنيّة إلى جانب كلا من الاحتلال الامريكي وإيران.

تلك القوةِ الثالثةِ التي ظَهرتْ خلال سنوات المقاومة من خارج مجموعات المناوئة للاحتلالِ في الوسطِ السني وظهرت بشكل بارز أبان الاستفتاء العامِ الدستوريِ وانتخابات كانون الأولِ البرلمانيِ. فقد هدّدتْ القاعدة في العراق على ان أي واحد في محافظةِ الانبار سيشارك في الاستفتاء العامِ سيكون مصيره الموتِ، لكن المجموعات المُسَلَّحةَ السنيّةَ كسرت تهديدات القاعدةِ ودَعمتْ اشتراكا كاملاً مِن قِبلِ السُنّةِ للهَزيمة في الاستفتاء العامِ.

ثمّ بَدأتْ المقاومة السنيّة تتُجمّعُ لمُهَاجَمَة قواتِ القاعدةِ في الرمادي، وحصيبة، وبلدات أخرى في الانبار. وفي وقت مبكر من عام ٢٠٠٦، أَسرتْ هذه المجموعات المُسَلَّحةِ ٢٧٠ متسلّلاِ أجانبِيا، وطبقاً لصحيفة الحياةِ التي مقرّها لندنِ. أَكّدَ ناطق بلسانُ القيادة العسكريةِ الأمريكيِ اللواءَ ريك لنتش علناً في كانون الثّاني بان المتمرّدين قَتلَوا ستّة "زعماء رئيسيون" من القاعدةِ في الرماديِ. ومِنْ أواخر شهر تشرين الثاني ٢٠٠٥ إلى شباطِ ٢٠٠٦، جَعلَ ناطق بلسانَ القيادةِ ألأمريكية النزاع الأساسي بين المتمرّدين والقاعدةِ السنيّةِ كموضوع رئيسي مِنْ مجموع توصياته. فقد أخبرَ المراسلون، بان "المتمرّدين المحليّين أَصْبَحوا جزءَ الحَلِّ."

لكن الحَلَّ السنيَ يتَضمّنَ عدة مطالبَ منها مطالبة القوات الأمريكيةَ بوضع تاريخ لجدولة الانسحاب مُقابل إنهائهم المقاومة وبتعاونُ مع الحكومةِ العراقيةِ ضدّ القاعدةِ. وفي الفترةِ المؤقتةِ قبل ألانسحاب نهائي، أرادَ السُنّةَ انسحاب القوات الأمريكيةِ مِنْ الانبار، سويّة مع وحداتِ الجيشِ الشيعيّةِ التي أرسلت بشكل كبير للسَيْطَرَة على مدنهم.

وفي اجتماع في قاعدة أمريكية في رمادي في كانون الأولِ ٢٠٠٥، ونشرته الصّنداي تايمزِ في لندن بين جنرال عراقي سابق، هو صعب الراوي، والذي يُمثّلُ المقاومين السنّةَ العراقيينَ في المحافظةِ، والجنرالَ كايسي، القائد الأمريكي الكبير في العراق، دعا الأول لانسحاب القوات الأمريكيةِ مِنْ الرمادي واستبدالهم مِن قِبل لواء من الجنود السابقينِ في المنطقةِ.

لكن كايسي رَفضَ بغضب حسب الصحيفة، واتهم الراوي بأنه يريد انسحاب أمريكي حتى يُمْكِنُ للمتمرّدين أَنْ يُسيطروا على المدينةِ. وذكر الجنرال العراقيَ بأنّ قواتَه حَمتْ المدينةَ لستّة شهورِ بعد سقوطِ نظامِ صدام. وقال له "أنت لم تحمي هذه المدينةِ ولا يُمْكِنُكَ أبَداً عَمَل ذلك".

غير ان الحكومة العراقية ذات الغالبية الشيعية المسيطرة كَانتْ مناورة أكثرَ إلى الالتماس السنيِ. وصرح موفق الربيعي لصحيفة لوس أنجلس تايمزُ في Jan 29 بأنّ بأنّ منظماتَ المقاومةِ السنيّةِ كَانتْ في نزاعِ متناقضِ مع القاعدةِ حيث أعلنَ بأننا "نحن نَتحدّثُ عن عقيدتين".

لكن الذي حَدثَ، عَكستْ القيادة العسكريةَ الأمريكيةَ خَطَّها قريباً على المنظماتِ المُسلَّحةِ السنيّةِ. بدلاً مِنْ أنْ تجعلهم كحل مهم للمشكلةِ المتمثلة بالقاعدةَ، وبَدأَت القيادة العسكريةُ الأمريكية تبدو بالفِعْل أنها ليست بِحاجةٍ إلى منظماتِ مُسلَّحةِ سنيّةِ مطلقاً.

ففي لقاءِ توصياته في ٩ آذار، أسقطَ لنتش الامتياز بين المنظماتِ المُسلَّحةِ السنية وبين القاعدةِ. وأعلنَ "بان الشعب العراقي يَتّحدونَ ضدّ التمرّدِ، وأضافَ، "علينا ان نتذكّرُ، بان الديمقراطيةَ تَساوي فشل التمرّدِ". وخلال مراجعة لتوصيات القيادةِ الأمريكيةِ منذ ذلك الحين تَكْشفُ بأنّ الناطق بلسانَ القيادةَ تَفادى أيّ تعليق بشكل منظّم يقترحُ بأنّ هناك بديل ثالث في سيطرةِ القاعدةِ على الانبار واحتلالها بالقوَّاتِ الأمريكيةِ والشيعيّةِ.

وبالمقارنة مع الخَطِّ العسكري الرسمي، أقتبس في نيسان الماضي برقيةَ من لندن للضابط الأمريكي الكبير في الرمادي، العقيد جون Gronski، بقوله بأنّه كُلّ القتال ضدّ قوّاتِ التحالف في قطاعِه يكون مِن قِبل العراقيين، وذلك، في الشهورِ الخمسة السابقةِ، ولَيسَ فيهم أجنبي واحد في او حول الرمادي. وأعترف Gronski أيضاً بأنّ المتمرّدين السنّةَ عِنْدَهُمْ دعمُ السكان المحليين وبأنّ الزعماءِ العشائريينِ المحليّينِ اعتبروا المقاومةَ "شرعية." وبعد ان شُكّلتْ الحكومةِ الجديدةِ بزعامة المالكي في أيار ٢٠٠٦، أبدى ممثلين من المقاومةِ السنيّةِ رغبتهم في محادثاتِ مع الحكومةِ العراقيةِ. وأبلغتْ الولايات المتحدة في ٤ تموزِ بأنّ الحكومةَ تدرس طلب مِنْ بَعْض الزعماءِ المتمرّدينِ المحليّينِ لتَجهيزهم بالأسلحةِ حتى يمكنهم مقاتلة المقاتلين الأجانبَ المُسلَّحينَ بشدّة والذين كانوا حلفائَهم سابقا."

لكن واشنطن واصلتْ مُعَارَضَة مثل هذه المخططاتِ، طبقاً لأياد السامرائي، المسؤول الأعلى الثاني للحزبِ الإسلامي. ففي تقرير نَشرَ في ١٣أيلولَ، اقتبست صحيفة التايمز الصادرة في لندن قول السامرائي أنهم عملوا في محافظةِ الانبار على عِدّة اقتراحات قدمت إلى الولايات المتّحدةِ منها بناء "جيش وقوّة شرطة أصلية" في المحافظةِ، ولكن كانت تلك الاقتراحات كانت بلا جدوى. كان ذلك ما دعا المقاومة العراقية الى الاعتقاد بان الولايات المتحدة الأمريكية من خلال رفضها تَسْليح السُنّةِ في الانبار، بان ذلك يُساعدُ القاعدةَ بتعمد ولأنها فضّلتْ الفوضى هناك. الا ان المقاومة السنيّة والقاعدة يُمثّلانِ إحراجَ حادَّ إلى الجيشِ الأمريكي والاحتلال الشيعي وإدارةِ الاحتلال. وربما تَحتاجُ واشنطن الى مساعدة المقاومةِ السنيّةِ ضدّ القاعدةِ، ولكن للحُصُول عليها، يَجِبُ أَنْ تعترفَ بأنّه لا تستطيعُ إنْجاز العمل بنفسها. لذا أصبح ذلك الخيارِ غير مقبولُ.

وأمست الحاجةِ لاستكشاف مخرج دبلوماسي محتمل او البقاء في فوضى يائسةِ في العراق او الحاجة الى سياسية محلية لإبْقاء الديمقراطيين في موقع الدفاع، بان يَلْعبُ الاحتلال لعبة مزدوجة على قضيةِ جدولة مواعيد للانسحاب.

ولعدّة شهور، هاجم الاحتلال بَعْض الديمقراطيين في الكونجرسِ الذين يدعون إلى جدولة المواعيد لانسحاب القوّاتِ مِنْ العراق. وأدان تشيني مثل هذه الاقتراحات في ٢٢ حزيران ٢٠٠٦ في مقابلةِ مع سي إن إنِ حيث أشار بان "أسوأ شيءِ محتملِ الذي يُمْكِنُ أَنْ نَعمَله هو جدولة الانسحاب من العراقُ، وتصوير النظريةَ بأنّ الأمريكان لا يَمتلكونَ القدرة على تحمّل هذه المعركةِ". لكن بعد ذلك تابعُت إدارة الاحتلال مفاوضاتَ السلامِ سرّاً مَع المتمرّدين السنّةِ، والذي تم فيه القَبولَ من حيث المبدأ وبشكل واضح بأنّ اتفاقية السلام النهائيةَ سَتَتضمّنُ جدولا لمواعيد الانسحاب الأمريكي. بَدأتْ هذه اللعبة المزدوجةُ عندما أعلنَ السفيرَ الأمريكيَ في تشرين الثاني ٢٠٠٦ بأنّه قد هُيّأَ لفَتْح المفاوضاتِ مَع المتمرّدين السنّةِ، الذين باتوا يعرفوا "بالوطنيين". وذلك كَانَ بعد أيام قليلة فقط من إعلان الناطقِ للقيادة العسكريةِ الأمريكيةِ في العراق والذي قال بان هدف القوات الأمريكية لن يكون هَزيمة المتمرّدين، كتمييز عن الجماعات المسلحة الأجنبيةِ.

جاءت "خطة المصالحةِ الوطنيةِ" لتدَخلَ الصورةَ المسوَّدة الأولى مِنْ الخطةِ، التي وُزّعتْ إلى أعضاء العراقيِ البرلمانِ في ١٨حزيرانِ ، تدعو الى دَمجَ العناصرَ المركزيةَ لأسس السلامَ التي كَانتْ قَدْ نوقشتْ في المفاوضاتِ الثلاثيةِ. فمن بين هذه كَانتْ اتفاقية على وضع جدولِ مواعيد واضحِ لانسحاب القوّاتِ الذي يَأْخذُ في الحسبان إكمالَ العمليةِ لتدريب قوّاتِ الأمن العراقيةِ وأَنْ تَكُونَ مدعومة من قبل قرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدةِ.". الا ان الجملة

حول الحاجةِ الى جدول مواعيد انسحاب أُزيلتْ مِنْ النسخةِ النهائيةِ للوثيقةِ التي أصبحتْ علنيّة في ٢٥حزيران ، أو خفّفتْ الى ما بعد بسبب المعارضةِ مِن قِبل زعماءِ الأحزاب الشيعةِ.
وعلى الرغم من هذا، فان كبار مسئولي الولايات المتّحدة في بغداد تحدثوا بتلميحاتَ واضحةَ بأنَّ الولايات المتّحدة تَدْعمُ مفاوضاتَ حول اتفاقية سلام مستندة على النقاطِ التي كَانتْ قَدْ أُسقطتْ مِنْ المُسوّدةِ الأصليةِ.
كَشفَ خليل زاد في مقابلة مع الواشنطن بوست في ٢٨ حزيرانَ ٢٠٠٦ بان الجنرالِ كايسي، القائد العسكري الأمريكي في العراق، كَانَ عَلى وَشَكِ أَنْ يَجتمعَ بالمالكي لتَشكيل لجنة عراقية أمريكية مشتركة للتَقْرير حول "انسحاب القوات الأمريكيةِ والشروطِ التي تتَعلّق بخارطة لانسحاب نهائي للقوات الأمريكيةِ". وان اللغة في مسوَّدة المالكي الأولى، والتي كان المسؤولون أمريكان بأنفسهم ساعدوا على كتابتها والتَفَاوُض بشأنها، تبْدو فقط كنوع من أرضية مشتركةِ بين السفير الامريكي خليل زاد وبين كبير القادة الأمريكان في العراق وهو الجنرال كايسي.
وقد يَكُون بان كلا من خليل زاد وكايسي يهدفانِ الى مجرّد إبقاء المتمرّدين الذين اهتموا باتفاقية سلام بينما يَبقونَ مثل هذه الاتفاقية فقط بعيدة المنال. لكن المؤشرات تشير بأنّ الاحتلال وافقَ على وَضْع الإدارةِ لاتفاقية سلام نهائيةِ مَع المتمرّدين إذا ظَهرُ ذلك ضروريا لتَفادي كارثة في العراق. ومهما كان الحساب وراء القبولَ الدبلوماسيَ لجدول مواعيد الانسحاب، فان الاحتلال كان مصمّم على مُوَاصَلَة هجومِه بشكل واضح على الديمقراطيين الذين يَدْعونَ إلى جدولة مواعيد للانسحاب كواَقْع خصوصاً باقتراب انتخابات الكونجرس.
لعبة الاحتلال المزدوجة تعمل على ان الديمقراطيين أخفقوا في إثارة النقطةِ في جدول مواعيد الانسحاب والتي لا غنى عنهاُ وهي إبقاء بلاد متوحدة مَع السُنّةِ، وان الاحتلال يَتصرّفُ وفق قاعدةِ حول تلك الحقيقةِ. وإنّ السببَ لذلك الفشلِ البارزِ بأنّ زعماء السياسة الخارجيةِ للديمقراطيين لم يجدوا الضرورة لحَلّ دبلوماسي ووقف الحربِ المركزيةِ من موقعِهم. والذي يَظْهرُ ضعف جدّي ليس فقط على السياسةِ الجوهريةِ ولكن على سياسةِ الأمن القومي.
لم يكن صدام حسين الزعيمَ العالميَ الوحيدَ الذي يمتلك أسلحة الدمار الشاملِ. فهناك الكثير مِنْ البلدانِ التي تمتلك الأسلحةِ النوويةِ القاتلةِ لدرجة أكبر والتي تَتضمّنُ الأمريكيون، روسي، أوكرانيا، الصين، فرنسا، بريطانيا، جنوب أفريقيا، الهند، وباكستان. وبشكل خاص، تَعهّدتْ إسرائيل أيضاً على امتلاك برنامج نووي وهم لديهم ترسانة صغيرة من القذائفِ القادرة على وُصُول الى العراق. وهم قد اعترفوا الى ان تطويرُهم للأسلحةِ الذرّيةِ صعّدَ الموقف في سباقِ تسلح الشرق الأوسطَ وساعدَ على إثارة تطويرِ صدام حسين للمادة الكيماوية والأسلحة البيولوجية. بَدأَ صدام حسين وقاتلَ لمدة طويلة، في حرب مَع إيران، قبل غَزْو الكويت ودْفعُ الى حربَ بقيادة الولايات المتحدةَ في الخليج العربي في ١٩٩١. لكن أعمالَ صدام حسين وحركاته حُفّزتْ بالحالةِ الجغرافية والسياسيةِ والاقتصادية للعراق وبالخصوماتِ الإقليميةِ التاريخية. وجاءت الحربين الداميَتين واللتان أخفقتَا في طَرْده، في الحقيقة الى ان يقَوّى قبضتَه على القوَّةِ، مما خلق سلام حقيقي للعراق، والشرق الأوسط.
ولكن هذه الحقيقة يُمكنُ أَنْ تَكُونَ غير مناسبةَ، او يمكِنُ أَنْ تقفَ في طريق السياسيين المشغولين بالخداعِ والكذب. الاحتلال وإدارته لَهُم من السَنَواتِ ليروّجوا لقضائهم وقدرِهم في العراق كالجبهة المركزية في "الحرب على الإرهابِ." وعلى حد قوله ((نحن يَجِبُ أَنْ نُحاربَهم هناك لمَنْعهم من مُحَارَبَتنا هنا،)). غير ان احتلال العراق أدّى إلى ارتفاع في التشدد والراديكاليةِ الإسلاميةِ التي زادتْ التهديدَ بشكّلَ لم يسبق مِن قِبل. وأَصْبَحَ "نزاع العراق 'القضية المشهورةَ' والقصة المحببة للمجاهدين وأعطت زخما لتربية استياء عميق مِنْ التدخّلِ الأمريكيِ في العالم الاسلامي وزْرعُت المؤيدين لحركةِ المجاهدين العالمية."

أنَّ احتلال العراق أساء أكثر مما أفاد فقد خلق النزاعِ الطائفيِ الذي وصل إلى العنفِ والفوضى المنتشرةِ، وأضاع حاجة الشعب العراقي الى السيادةِ وهناك مخاوفَ من حرب العراق الأهليةِ التي ستَبْقى عاليةً في المناطقِ السنيّةِ والمُخْتَلَطةِ.

وفي تصريح لرامسفيلد في مؤتمر صحفي في وزارة الدفاع الأمريكيةِ. "ان هناك عراقيون جدّد يَنضمّونَ إلى الحربِ كُلّ يوم والعديد منهم، في الحقيقة،لا نَعْرفُ مِنْ أين جاءوا كما لو أنَّهم خَرجوا فجأة". وازداد المجال وكثافة المعركةِ في العراق. وقد دعا رامسفيلد بكلماتُ قاسيةُ بال "معارضة جبانة وضيّقة الأفق" ويدعو الحاجة إلى بقاء التدخّلِ الأمريكي في العراق. ومن سخرية الأمور ان في وقت كتابة هذه الكلمات سمعت نائب العراقي طارق الهاشمي في تصريح صحفي له في عمان في تشرين الأول ١٨ ٢٠٠٦ يدعو فيه المقاومة العراقية الى ان يفتحوا آفاق تفكيرهم والجلوس الى المفاوضات من جديد.

وإذ أخذنا على حد قول رامسفيلد ضد نقّاد هذه الحربِ الذين قالوا بأنّنا لا نَستطيعُ أَنْ نُلهمَ الشعب العراقي النُهُوض والكفاح من أجل أنفسهم والذي أثبتوا بأنهم خاطئون، " ويضيف الى ان ((هناك خريطة التي تَعْرضُ نزاعاً عبر كامل الأمةِ ولقد كان هناك الفهمُ العتيد الذي يعد تحيتنا كمحررين، غير ان العراقيين لم يكن لهم من معركة معنا لذلك فمن لا يَستطيعُ أَنْ يُدافعَ عن مصالحِه عملياً فقد يوجب لحضورنا على تربتِهم)).غير ان تحليل وزارة الدفاع أعطىَ علاماتَ حول مستوى المقاتلين العراقيين العالي والروح المعنويةِ التي يحملونها، من إصرار، وتماسك ووحدةِ و"تحسين بارز " في التصنيع المتفجّر والمُرتَجَل، وإخفاء القنابل في الطرقات، وقَنْص، ومُهاجمةُ نقاط التفتيش ،وكمائن على طراز الفدائيين. هذا التمرّدَ الغير مركزيَ يَفْسحُ المجال الى نوع مِنْ عنفِ طائفيِ الذي اكبر بكثيرُ خطورة. وهناك خطورة بان العراق سَيَكُونُ لبناننا القادمَ: حرب أهلية تدمي وعتيدة على ما يبدو وتَدُومُ لعقودَ، بسبب الخطاباتِ الخاطئةِ للمثاليةِ البعيدةِ.

استعمال المحرمات ضد المقاومة السنية.

اعترفت وزارة الدفاع الأمريكية بأنّها استعملت الفسفور ألأبيض كسلاح كيميائي اضطراري incendiary ضد هجماتُ المتمرّدين في الفلوجة تشرين الثاني ٢٠٠٤. , وشوهد استعمال هذا السلاحَ من قبل فريقِ وثائقيِ إيطالي. وادعت بَعْض نشرات الأخبار بأنّ القوات الأمريكيةِ استعملت قذائفَ فسفورية "غير شرعيةَ" في الفلوجة. والقذائف الفسفورية لَمْ تُمْنَعُ. ولكن القوات الأمريكية استعملتها بشكل مقتصد جداً في الفلوجة، لأغراضِ الإضاءةِ. او لأنهم أُطلقوا النار على الهواءِ لإنارة مواقع العدو في الليل، ولم يطلقوها تجاه مقاتلي العدو.

في تشرين ١٠ الثّاني، ٢٠٠٥ لوحظ من خلال بعض المعلوماتِ بان القذائف الفسفورية البيضاء، التي تُنتجُ الدخانَ، استعملت في الفلوجة لَيستْ للإضاءةِ لكن لفحص الأغراضِ، وبمعنى آخر: حَجْب حركاتِ القوّاتِ، وطبقاً لمقالةِ، "معركة الفلوجة" ، في آذار ٢٠٠٥ في مجلةِ مدفعيةِ الميدان، ان استخدام هذا " كسلاح نفسي فعّال ضدّ المتمرّدين في خطوطِ الخنادقِ وفتحاتِ التجسس" وتُصرّحُ المقالةَ بأنّ القوات الأمريكيةِ استعملت دوراتَ فسفورية بيضاءَ ((لتَنظيف مقاتلي العدو لكي يُمْكِنُهم قتلهم بدوراتِ المتفجر القوي). غير ان تأريخ الفسفور الأبيضِ كسلاح كان قد حرم دوليا فقد وقّع ثمانون بلدُا البندَ الثّالث مِنْ اتفاقية ١٩٨٠ على الأسلحةِ التقليديةِ، والتي تَمْنعُ استعمالها كسلاح اضطراري incendiary ضدّ السكانِ المدنيين. غير ان الولايات المتّحدة رَفضتْ التوقيع على المعاهدةِ ذلك لان هذا السلاح هو عبارة عن مادة كيماوية وهي كسلاح (يُحرقُ اللحمَ بشكل مرعب جداً)، وهو لَمْ يُعتَبرْ تقنياً " كسلاح كيميائي. من جانب آخر خَرجتْ القصص مِنْ سجن ابو غريب وقد أعطتْ دفعا إلى التمرّدِ العراقيِ، فهو برهان على وحشيةِ المحتلين الأمريكانِ الذي يُمْكِنُ أَنْ يُستَعرضَ عبر شاشاتِ الجزيرة. وقد عرضت بشكل مفصل الى أغراض التعذيبِ الحقيقة وألاساسية الكثيرة والتي تشير عادة الى: الانتقام، والوَحْشيَّة والإذلالَ. في كُلّ يوم تقريباً، يموت عدد من جنود البحرية ألأمريكية في العراق، وبدرجة أكبر أعداد من الجرحى وهذا يدعو في عدّة أشكالِ الى ممارسة أنواع كثيرة من ممارسة التعذيب

الوحشي ضد المدنيين او مما يعتقد من المشتبه بهم بتهمة الإرهاب. ورغم ما أثارت تلك الممارسات من ردود أفعال الا ان المؤسسات الأمريكية كالجيش والكونجرس يَعْرفانِ مدى الضجّةَ وحجم الذي يُحشّدَ الى ما يمكن من الاحتجاجات التي قد تَنفجرُ. وتأثير ذلك في المدى القريبَ سَيَكُونُ إجراءاتَ أكثر إهمالاً على الأرضِ، كما وأيضاً قد يدفع بِضْعَة جنود الى ان يُخفّفوا أيضاً من سلوكهم طرقاً مختصرة قد تؤديَ إلى الوفيّاتِ الغير ضروريةِ والى أعمال وحشية أكثرِ في السجونِ. نشرت الواشنطن بوستِ، بان ادارة الاحتلال تُواجهُ موجة من الإدعاءاتِ الجديدةِ التي تنحصر في سوءِ معاملة المحجوزين الأجانبِ في المؤسسة العسكريةِ الأمريكيةِ وأنها كَانتْ واسعة الانتشار بأكثر كثير مما نشر لحد ألان، وقد تَفاوتتَ في السَنَوات الثلاث الماضية في وزارة الدّفاعِ حجم تلك الانتهاكات والتي بقيت لمدة طويلة. وقد فضح ألاتحاد الامريكي للحقوق المدنيةِ المدىَ الذي وصل إليه التعذيبِ الأمريكيِ في العراق. لقد رأينا اليوم المدى الذي وصلت إليه تآكلِ القِيَمِ الأمريكيةِ على ساحاتِ معركة في ما يسمى ” الحرب على الإرهابِ. ” وأصبح من السّهلِ جداً رُؤية كَمْ وصلت إليه الحريات الأمريكية لِكي يكُونَوا قادرين على القيام بالأعمال الوحشية الإنسانيةِ التي تباهى بها الغرب بعد أحداث نيسان ٢٠٠٣. وقد يعكس الرقم الهائل لعدد القتلى في العراق، منذ الاجتياح الأميركي البريطاني للبلاد، والذي قدمه تقرير مجلة «لانست» الطبية البريطانية، والذي يخفي عجزا كبيرا من جانب وسائل الإعلام المحلية والأجنبية على حد سواء، وعجزا مماثلا من جانب الهيئات الحكومية وتلك الإنسانية الناشطة في البلاد في ما يشبه التواطؤ؟ وهو سؤال يطرحه أي متتبع للأحداث في العراق بعدما فاق العدد الذي قدمته دراسة «لانست» (٦٥٥ الف قتيل). ويمكن ان نخلص في هذا التقرير الى استنتاجات عدة منها الى ان من المتوسط ان هناك الف عراقي قتلوا في أعمال عنف كل يوم خاصة في النصف الأول من عام ٢٠٠٦، وان اقل من عشرة من هؤلاء يتم الإخبار عن وفاتهم عبر آلية معروفة. وبناء على ذلك يقدر باحثوا الدراسة وجود ١٥٠ حالة وفاة بأعمال عنف يوميا لم يتم الإبلاغ عنها، او نقلها عبر أي آلية معترف بها. ذلك لأنها عائدة الى أعمال قتل سرية، تتمثل بالخطف او الإعدامات الجماعية وفي المناطق البعيدة عن العاصمة او التي لا يمكن الوصول إليها، والتي من المرجح ان تبقى بهذا المستوى او بازدياد حاد في المستقبل المنظور.
كذلك تخلص الدراسة الى ان ثلث هذا العدد من القتلى جاء عن طريق القتل المباشر من قبل القوات الأمريكية في العراق في أعمالها الحربية في المناطق الوسطى من العراق وهذا ما يدعونا الى الاستنتاج الى ان العدد الهائل من القتلى هو محصور في المناطق الوسطى من العراق وليس في المناطق الشمالية الكردية والتي تشهد استقرارا ملحوظا او بنسبة اقل في المناطق الجنوبية.
مما يعني ان نسبة القتلى وأضعافهم من الجرحى ودونهم من المعتقلين في سجون الاحتلال او سجون الحكومة العراقية بالنسبة الى أعداد سكان المناطق الوسطى من العراق ربما يتجاوز اكثر من ٢٠% من عدد السكان وليس ٢.٥% كما أشيع وغالبيتهم من السنة العراقيين إذا أخذنا بنظر الاعتبار الى ان الغالبية المطلقة من المعتقلين هم من السنة وكذلك الى ان اغلب الأعمال الحربية جرت وتجري في مناطق المعادية للاحتلال. كذلك، ان نتائج دراسة «لانست»، تعني ان نصف مليون شهادة وفاة تتلقاها عائلات عراقية لا يسجل إصدارها رسميا، في حين انه حتى (حزيران) ٢٠٠٦، بلغت أرقام الوفيات، التي قدمتها وزارة الصحة العراقية ومشرحة بغداد، ما يقارب الخمسين الف وفاة. مما يعني ان هناك جهدا للتغطية على هذه الوفيات الكثيرة والوثائق المرتبطة بها. وبحسب دراسة «لانست»، التي أعدها فريق من الباحثين العراقيين والأميركيين من جامعتي المستنصرية في بغداد وجون هوبكنز في الولايات المتحدة، فان قوات التحالف قتلت عددا اكبر من العراقيين في العام الأخير منها في الأعوام الأولى للغزو، وما شهده من هجمات ضخمة.
ولكن هذه الاستنتاجات، التي توصلت إليها دراسة «لانست» الجدلية في حال تبين أنها صحيحة فإنها تكشف عدم كفاءة او تزوير على مستوى واسع من جانب الهيئات العراقية، من المستشفيات الى الوزارات، في جهد منسق منذ بداية من قبل الاحتلال.

متى ستنتهي الحرب في العراق ؟.... ومن سينتصر

حينما تدرك المقاومة العراقية إن المعركة في بلادها هي معركة ذات إرادة إيديولوجية واقتصادية ومن ثم سياسية وان أساس انتصارها في هذه الحرب تكون باستمرارية إيديولوجيتها المتمثلة بتحرير بلادها وبتوسيع قاعدتها الداخلية قبل أن تكون خارجية فحين ذاك يمكن للحرب أن تنتهي. من جانب آخر إن أدرك الأمريكان إن النجاح في الحرب على العراق يعني أن النصر لن يتحقق إلا حينما تنجح واشنطن في تشويه سمعة المقاومة 'الإيديولوجية وتقويض دعمها. وبالتالي القبول بان التهديد المقاوم لا يمكن أبدا استئصاله تماما، وإنما يمكن فقط الحد من خطره أو المنع من جعله أكثر سوءا. حينذاك فقط يمكن القول إن النصر في الحرب على العراق ممكنا بالمفهوم الامريكي وبالتالي تنتهي الحرب.

بعد اقل من ١٢ ساعة من هجمات ٩ / ١١ أعلن الاحتلال بدء الحرب العالمية على الأصولية الإسلامية في العالم بشكل عام وعلى العراق بشكل خاص وان لم يعلن عنه بشكل صريح آنذاك. ومنذ ذلك الوقت كانت هناك مناقشات حول كيفية النصر عليه. فالاحتلال وأنصاره، شددوا على الحاجة إلى الذهاب نحو الهجوم ضد العراقيين، ونشر القوة العسكرية الأميركية هناك، وتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط. فتولى الامريكي صلاحيات القائد الواسعة في زمن الحرب. إما النقاد لأصحاب فكرة "الحرب على العراق " فكانت أفكارهم تتركز على ضرورة محاربته بشكل مختلف. فمعظم قيادة الديمقراطيين تقبلوا الحاجة إلى استعمال القوة لكن في بعض الحالات فقط.

لكن النهج الذي اتبعه الاحتلال في الحرب على العراق قد أوجد المزيد من العراقيين المقاومين أكثر مما كانت تهدف تلك الحرب في القضاء عليهم وإنها – أي تلك الحرب - ستواصل القيام بذلك ما لم تتخذ الولايات المتحدة تغييرات جذرية في رؤيتها لتلك الحرب.

ويكاد يكون مفقودا كليا من هذه المناقشة مفهوم كيفية "الانتصار" في الحرب على العراق. فالفكرة التقليدية لكسب الحرب هي واضحة تماما: هزيمة عدو على ارض المعركة وإجباره على الاستسلام من الناحية السياسية والعسكرية. ولكن ماذا يعني النصر – أو الهزيمة - في الحرب على العراق ؟ وماذا سيكون هذا النوع من الحرب؟ وهل ستنتهي قبل أن تبدأ؟ وكيف سيكون النصر؟.

ومن الضروري أن يبدأ التفكير بجدية حول هذه الأسس، لأنه يستحيل أن تكسب الحرب دون أن تعرف ما هو هدفها. وبالنظر إلى النتائج المحتملة للحرب على العراق يتضح انه يمكن الفوز فيها، ولكن فقط مع الاعتراف بأن هذا نوع مختلف وجديد من الحرب. فالهزيمة عند الأمريكان تعني إن هذه الحرب ستقود التغيرات السياسية في نهاية المطاف إلى دعم لأيديولوجية وإستراتيجية لأولئك الذين صمموا على تدمير قوة الولايات المتحدة في العراق.

ولكن حينما تأتي واشنطن وحلفاؤها في قتل أو اعتقال جميع العراقيين المقاومين أو العراقيين المحتملين بانضوائهم للمقاومة وحينما تتبنى هي إيديولوجية العراقيين في الدعاية، وعندما ينظر إلى أساليبها أنها قد فشلت، فان ذلك سيعني انه لا يمكن القضاء التام على أي تهديد

عراقي ممكن وان السعي وراء ذلك الهدف يكاد أو أنه سيؤدي بالتأكيد إلى المزيد من الخسائر في العراق.

قلة من التنبؤات التي يمكن إبداؤها حول الحرب على العراق مع بعض الثقة هو إن جميع الحروب في نهاية المطاف تنتهي، وهذه الملاحظة فيها نقطة خطيرة وراء ذلك: إن العوامل التي تحرك السياسة الدولية تكون عديدة بحيث أن النظام السياسي أو أن الصراع لا يمكن أن يدوم إلى الأبد. وهكذا تنتهي بعض الحروب بسرعة كحرب (الانكلو- زنجبار في ١٨٩٦ استغرقت ٤٥ دقيقة)، وآخرون عانوا من مائة سنة حرب وأخرى استمرت ١١٦ عاما. وان بعض الحروب كانت نهايتها جيدة نسبيا كالحرب العالمية الثانية التي وضعت الأساس لسلام وازدهار دائم، وأخرى أدت إلى مزيد من الكوارث كالحرب العالمية الأولى. ولكنها جميعا وصلت إلى الغاية من تلك الحروب، بطريقة أو بأخرى.

غير أن الحرب على العراق وهي المعنية في هذا المجال مختلفة عن تلك الحروب، فأكثر الدروس فائدة تلك التي يمكن استخلاصها من تجربة الحرب الباردة، شأنها في ذلك شأن الحرب على العراق، وهي أنها ليست في الحقيقة حرب على الإطلاق. ورغم أن التحدي الراهن ليس مطابق على الحرب الباردة، إلا أن أوجه الشبه متعدد منها أنها ذات اجل طويل، والصراع متعدد الأبعاد منها الخفي ومنها سلمي ضد الإيديولوجيات، وهناك الكثير مما يمكن تعلمه من هذه الأخيرة، في نجاح التجربة. فتماما كما انتهت الحرب الباردة حينما أعلن احد الطرفين عن إفلاسه الإيديولوجي انتهت تلك الحرب.

والمعركة ضد العراق ستتوقف فقط حينما يفقد المقاومون الأساس الإيديولوجي الذي يستندون إليه. فكما الحرب الباردة انتهت ليس مع دخول القوات الأمريكية المحتلة الكرملين ولكن فقط عندما تخلى الكرملين عن الكفاح؛ حينما حكم الشعب بان يتوقف عن الاعتقاد في العقيدة التي كانت أساسا لقتاله.

فالحرب الباردة هي أيضا مثالا ممتازا للحرب فهي انتهت في وقت كان معظم الناس الذين يعيشونها قد عجزوا عن التنبؤ بنهايتها أوفي كيفية الانتصار فيها أو حتى قد توقفوا عن محاولة التنبؤ. ففي العقد الأول من تلك الحرب كان الناس يتكلمون باحتمال النصر، والهزيمة، أو حتى الحرب النووية، وركز على العقول كيف يمكن أن تكون نهاية الحرب الباردة، وبحلول منتصف الستينات تقريبا كان الجميع، من قادة أو جمهور على حد سواء، قد بدأت تغيب عن بالهم إمكانية احد تلك الاحتمالات. وبدلا من ذلك، وعلى مضض بدأ التركيز على ما أصبح يعرف باسم ((التعايش السلمي)).

وكانت سياسة الانفراج التي بدأت في الستينات وما تبعها طوال السبعينات، قد أشرت وبأثر رجعي على تصوير إستراتيجية مختلفة لنهاية الحرب الباردة. ولكن الانفراج في الواقع كان أكثر دلالة على تحمل الحرب الباردة من المتوقع أكثر من طريقة بديلة لإبرامها. فكان الهدف هو أن أصبح في جعل الحرب الباردة اقل خطورة، لا لأجل وضع نهاية لها. وفي نهاية المطاف، أدى هذا الانفراج إلى تخفيف صورة الغرب في عيون السوفييت، ومع رفع الحضر على القادة السوفيت من خلال التفاعل الدبلوماسي، والذي أدى بعد ذلك إلى حوار مع موسكو حول حقوق الإنسان كان ذلك من شأنه إلى إن ينتهي إلى تقويض شرعيتها، ورغم أن تلك ألأمور كلها لم تسهم في نهاية الحرب الباردة. إلا أنها لم تكن كذلك هي الهدف في الإستراتيجية.

ثم جاء الانفراج مفاجئا كما اشتعلت الحرب بشكل مفاجئ أيضا. فرغم تصاريح الأمريكي آنذاك ريغان، عن هزيمة الشيوعية مرة والى الأبد. إلا انه لم يكن لديه الرؤية لكيفية دفن الشيوعية ولم يكن ذلك عنده سوى "خطة وأمل للمدى البعيد ،" كما قال ذلك في البرلمان البريطاني في ١٩٨٢. وحين اعترف ريغان نفسه بأنه عندما أعلن غورباتشوف، عن هدم جدار برلين في حزيران ١٩٨٧، قال انه لم يكن يحلم بذلك أبدا، وعلاوة على ذلك، لم يشهد الاتحاد

السوفيتي في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات حالة بوصفها إمبراطورية في مراحلها النهائية، ولكن بوصفها القوة العظمى التي تهدد التوسع لكل من كان يدرسها.

وعندما بدأت تظهر علامات الانهيار في الاتحاد السوفييتي على الصعيد الداخلي والخارجي بحلول نهاية الثمانينات، لم يكن احد يتوقع نهاية الحرب الباردة يحدث أمام أعينهم. رغم توقع أن يقوم الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف بإجراء الإصلاحات التي من شأنها أن تؤدي إلى نهاية المواجهة مع الولايات المتحدة، والأميركيين كغيرهم أصبحوا يستخدمون الحرب الباردة كأسلوب للحياة بعد " لأكثر من جيلين " وأصبحت الأمور ببساطة غير قابلة للتفكير في الطريقة التي يمكن بها إنهاء او العودة الى تلك النقطة، وهي (كيف نود ان تكون النهاية).

في أواخر نيسان ١٩٨٩، كانت مهمة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، هو تحديد الاتجاهات الجغرافية - والسياسية، "بالنسبة للمستقبل المنظور، بالنسبة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية حيث كان لا يزال متوقع انه سوف يظل العدو ي للغرب، وهو رأي شاركه فيه الرأي العام الأميركي. فعندما سئل الرأي العام الأميركي من قبل منظمي استطلاعات الرأي في تشرين الثاني ١٩٨٩ وبعد ان سقط جدار برلين هل تعتقدون ان الحرب الباردة قد انتهت، أجاب فقط ١٨ % من المجيبين نعم، في حين ان ٧٣% قالت لا. فقد كانت الغالبية العظمى من الأمريكيين قد تخلت عن فكرة وقبل أي وقت مضى رؤية نهاية الحرب الباردة او إنها قد وصلت الى نهايتها.

فهل من الممكن أن نعمل أي توقع على نحو أفضل كيف ومتى يمكن ان ينتهي الحرب في العراق؟ إن الحرب في العراق سوف تستمر لربما أيضا قدرا كبيرا من الوقت. ولكن على افتراض انه لن تستمر الى الأبد، فماذا ستكون نهاية تلك الحرب؟ وماذا يعني إجراء تقييم واقعي للانتصار في الحرب على العراق؟ وهي قد تبدو كمن يقول عن الطريقة التي ينبغي ان يحارب فيها هناك.

فكما كان في وقت من الأوقات التصور انه من الممكن ان يكسب الاتحاد السوفيتي الحرب الباردة، وهي إحدى الإمكانيات التي سينظر إليها اليوم وهو انتصار المقاومة العراقية. وهذه قد لا تكون متفق عليها في الولايات المتحدة، في (نظرية النصر او الطريق الى بلوغه)، ولكن مجموعات المقاومة مؤمنة بذلك بالتأكيد. وهو هدفها، وان الطريق الى هذا الهدف، هو"الاستفزاز والطعم والاستنزاف" وجر الولايات المتحدة الى "نزيف الحروب" على أراضي المسلمين. حيث ان الأميركيين، لم يعدوا العدة لقتال دموي طويل مما سيجبرهم لترك الشرق الأوسط لمصيره. وربما كان انهيار الاتحاد السوفيتي بعد هزيمته أمام المجاهدين في أفغانستان ابرز مثال على ذلك.

ورغم ان الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ليست كالاتحاد السوفييتي أيام خروجه من أفغانستان فاقتصادها لازال القوة الاقتصادية الأكبر في العالم من حيث الإنتاج والاستهلاك ورأس المال الا ان عدم التقدير لحرب طويلة الأجل وبهذه القوة والقدرة على التكيف مع المجتمع الأمريكي، يمكن ان تجعل هذه التصورات تستحق الدراسة وواضعين في الاعتبار ان أعداء العراق لا يقدرون رؤية كيف ستنتهي الحرب في العراق، وهذا هو الخطأ الذي أدى بالولايات المتحدة الى موقفها الذي لا تحسد عليه اليوم في العراق .

في المدى الطويل، فان الولايات المتحدة وحلفائها يعتقدون أنهم الأكثر احتمالا للانتصار في هذه الحرب من المقاومة، ليس لان الحرية هي في نهاية المطاف الأكثر جاذبية من الوطنية والاستقلال والشعارات القومية والإسلامية، وإنما لتعلم الولايات المتحدة من الأخطاء الماضية والحالية. ورغم ذلك فالانتصار الأمريكي في الحرب على العراق ان حدث فانه لا يعني نهاية العراق او نهاية المقاومة العراقية إذ سوف يتزايد جهودها، فجهود التحرير لن تتوقف مثلها مثل حركات الألوية الحمراء، او منظمة التحرير الفلسطينية، او الجيش الجمهوري الايرلندي، او

نمور التاميل، وغيرها ذلك لان التكتيك المستخدم لإنتاج التغيير السياسي أصبح في العراق ضعيفا، ولكن لا يمكن القضاء عليه كليا في الوقت عينه.

لكن الخطر العراقي سيتعاظم وسينتصر إذا استمرت الولايات المتحدة بتطبيق سياستها الحالية وهي - كما اسماها ريتشارد بيرل في كتابه نهاية الشر - النزول الى "النصر او المحرقة". إذ ان السعي الى هذا الهدف بهذا السبيل، سيكون من شأنه ان تدفع بتكاليف هائلة تفوق الفوائد التي تبتغيها للوصول الى ذلك الهدف، وان التفكير في هذه الشروط من شأنها ان تؤدي بالولايات المتحدة الى خوض سلسلة من الحروب، والإساءات، لإدامة الحرب على العراق.

ولكن إذا سارت الحرب بطريق مختلف عن التي تسير عليها اليوم ومع نفس النوع من الصبر، والقوة، والتي ساعدت في حسم النصر في الحرب الباردة ومع سياسات ترمي الى توفير البديل للآمال والأهداف التي يبتغيها المقاومون وبتقليص الإمكانات التي يمتلكونها فحين ذاك أيضا سوف تنتهي حرب الولايات المتحدة وحلفاءها. والعامل الأهم الذي سينهي تلك الحرب أيضا ربما سيكون انهيار الإيديولوجية فمع مرور الوقت والانجازات التي ستحققها قوات التحالف وحلفائهم من العراقيين سينظر إلى أهداف وإيديولوجيات المقاومة وعلى مختلف اتجاهاتها على إنها فاشلة.

والفشل الإيديولوجي لا يعني هنا أنها قد تم تدميرها من قبل السلطة العسكرية الأمريكية، ولكن بوصفها الإيديولوجية غير المنظمة وغير القادرة على الإلهام وجذب العدد الأكبر من الأنصار والإتباع مما سيتم تفكيكها بشكل فعال، ونبذها.

إن العراق ما بعد الحرب سيكون له العديد من الخصائص الأخرى فالمجتمع العراقي، سيكون أقدر على تجاوز تلك الحرب حاله كحال المجتمعات الأخرى التي مرت بحروب مماثلة فالنموذج الذي حدث المملكة المتحدة وايرلندا في دورتهما بالحرب الطويلة ضد الجيش الجمهوري الايرلندي وكيف أن الناس كانوا يذهبون إلى الحياة ويتجهون نحو أعمالهم اليومية دون خوف مفرط.

كذلك فان العراقيين ربما سيسامون من تلك الحرب ولا يرون إي نتيجة لأي هجوم يقوم به المقاومون وليس مبالغا إذا وصل الأمر انه ربما يعتقدون إن أي عمل مقاوم هو نوع من الاستفزاز غير المبرر وربما سيكون له استجابة عكسية. خاصة إذا سعت الولايات المتحدة والنظام القانوني الذي بنته بعد الحرب والإجراءات القانونية المعمول بها اليوم، ستؤدي الى تحويل المقاومين البواسل الذين يريدون حرية بلدهم الى مجرمين مطاردين من قبل القانون وبالتالي ومع مرور الوقت، ستقل مخاطر الهجمات في العراق وبذلك يحقق التحالف الغرض المقصود منه.

وخاصة إذا وصل الأمر وكما يزعم الى ذلك د. مارك سيكمان الطبيب النفسي في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية السابق الذي درس حالة الحركات المقاومة في العراق "إن الدعم للمقاومين في العراق إذا تآكل في نهاية المطاف كما فعلت في السابق جماعات إرهابية، مثل الفوضويين في القرن التاسع عشر في أوروبا. على المدى الطويل فانه سيدفع الظرف هؤلاء الى ارتكاب المزيد من الأعمال الوحشية الى درجة ان الحلم لن يكون جذابا للشباب". أما محلل العراق بيتر بيرغن فانه يعتقد أن العنف الذي يقتل غيره من المسلمين لن يكون في النهاية إلا "إشكالية مضاعفة لتنظيمات المقاومة"

إلا إن هذا النوع من النتائج في الحرب على العراق قد لا يأتي الا في فترات طويلة. فعلى الجدول الزمني للحرب الباردة، التي بدأت في ١٩٤٧، فانه بعد خمس سنوات من بدايتها لم يكن احد يتصور الكثير من النكسات، المآسي، والأخطاء، والمخاطر التي كانت ستقع على مسيرة تلك الحرب وبالمقابل وبعد خمس سنوات من حرب العراق فلا يزال أمامنا الكثير من التصورات لنهاية هذه الحرب ولكن يمكننا القول إن النجاح الذي ستحرزه الولايات المتحدة الأمريكية في هذه

الحرب سيأتي إذا اعتمدته من خلال تجديد نداء الولايات المتحدة 'للسلطة الأخلاقية والإيديولوجية، واتخاذ إجراءات أكثر ذكاء ودبلوماسية، مع تكثيف التعاون مع الحلفاء يين.
وان تخيل نقطة نهاية الحرب على العراق لا يعني إنها باتت وشيكة ولكن يبقى الاعتبار في الأهداف حتى يمكن للقادة الأمريكان اعتماد سياسات لتحقيق تلك الأهداف. فان بقي هؤلاء القادة فريسة لوهم إن هذه هي الحرب العالمية الثالثة فإنهم سيواجهون خطر إطالة أمد الصراع رغم انه لا يمكن كسب مثل هذه الحرب بصورة تقليدية.
وحتى لو كان الأميركيون على استعداد بطريقة ما أن يفعلوا كما في الحرب العالمية الثانية، الى تعبئة ١٦ مليون جندي، وإنفاق ٤٠% من الناتج المحلي الإجمالي على الدفاع، وغزو واحتلال عدة بلدان كبرى، فأن هذا الجهد من شأنه ان يرجح ويخلق مزيد من العراقيين المليئين بالكراهية ضد الولايات المتحدة. ومن شأن ذلك أيضا توحيد 'أعداء الولايات المتحدة، الى جانب تبديد الموارد، وتقوض القيم التي هي الأداة الأساسية في هذا القتال. وبالتأكيد فإن تجربة الولايات المتحدة في العراق لحد ألان تشير إلى الأخطار من محاولة كسب الحرب في العراق من خلال تطبيق القوة العسكرية الغاشمة.
من ناحية أخرى، يقبل الأميركيون إن الانتصار في الحرب على العراق لن يتحقق لهم الا حينما يواجهون إيديولوجية فقدت الدعم والإمكانات ووقفت أمام إتباع بدائل قابلة للاستمرار لذلك فانه سوف يتعين على الولايات المتحدة أن تعتمد مسارا مختلفا جدا يظهر الثقة في قيمها ومجتمعها والتصميم على الحفاظ عليه على حد سواء. والتي قد تضررت بشدة في السنوات الخمس الأخيرة.
وعليها أن تزيد من جهودها الرامية الى تعزيز التعليم والتغير السياسي والاقتصادي في الشرق الأوسط بشكل عام، وتعطي الشعور أنها في المدى الطويل سوف تساعد تلك المنطقة في التغلب على اليأس والإذلال وأنها ستبدأ برنامجا رئيسيا للحد من استيراد النفط العربي عامة وإعطاء الشعور بأنها لم تغزو العراق من اجل نفطه وإنما جاءت لكي تعيد التوازن في توزيع ثرواته، وخلق فرص عمل لمواطنيه وإنها ستسعى الى وضع حد لمحاربة الوجود الأمريكي الكبير في العراق، من خلال سحب قواتها منه. كل هذه الأمور ستساعد في وجهة نظر الأمريكان بالتعجيل لنهاية الحرب في العراق والانتصار فيها.
ولكن بقي العامل الأهم في تلك المسالة والذي له التأثير الاشمل على هذا الصراع وهو ميزان المقاومة العراقية في قبولها بنتائج الحرب التي وصلت إليها أم استمرارها بالمقاومة الى حين خروج الاحتلال وتحرير العراق.

حرب العراق والفشل ألاستخباري

إنّ إعادة فحصِ البيانات العامةِ للاستخبارات الأمريكية قَبْلَ الحرب تعتبر جزء ضروري لفَهْم العمليةِ الذي أدّت إلى حربِ العراق. ولكي تضيّقُ البؤرةً على التفاصيلِ البلاغيةِ التي تَمِيلُ إلى الإشْراف حول المشاكلِ الأكثرِ أساسية في علاقةِ السياسةِ بالاستخبارات فإننا نورد في هذا التقرير حول الفشل ألاستخباراتي التي منيت به الإدارة الأمريكية في حربها ضد العراق أو نقولها بشكل آخر الاستعمال السياسي للمعلومات لغرض تبرير الحرب وما صاحب تلك الحرب خلال السنوات الماضية.

يبدو أن أكبر مشكلة خطيرةِ تواجه الإدارة الأمريكيةِ اليوم في أعقاب حربِ العراق هي علاقتِها بعمليةِ حفظ الأمن فبعد أن كسَرتُ القوة العسكرية الأمريكية الجهاز الأمني العراقي السابق، وبعد أن أَصْبَحَ ذلك واضحا من تحليلِ الاستخبارات الرسمي فان تلك الاستخبارات أسأتْ استعمال المعلومات المخابراتية علناً لتَبرير القراراتِ التي مكنت بأن تتطوّر بين صُنّاعِ السياسة وضبّاطِ المخابرات، والتي سمحت لضابط المخابرات والمسئولين عن الشرق الأوسطِ بتسييسها بين عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٠ والتي شَهدتُ كُلّ تلك التَطَوّرات.

إن المُناقشة العامّة لعمل الاستخبارات قَبْلَ الحربَ على العراق ركّزتْ على الأخطاءِ التي كانت في تَقييم برامجِ أسلحةِ صدام حسين غير المألوفة. وقد شكلت لجنة رأسها القاضي لورنس سليبرمان والسّيناتور السابق تشارلز روب ووثّقا أخطاءَ المخابرات بشكل مفيد في تقرير قوي وشامل صدرَ في آذار ٢٠٠٥.

في نفس الوقت، اندلعت مناقشة حادة وحزبية حول معالجةْ إدارة الاحتلال في أسأءة استعمال الاستخبارات في عَمَل الحربِ. ودافعتْ الإدارةُ عن نفسها بالإشارة الى إنها ما كَانتْ لوحدها بوجهةِ نظرها تلك بان صدام كَانَ لديه أسلحة الدمار الشاملُ وبرامج أسلحةِ نشيطةِ، ولهذا فان إدارة الاحتلال كَانتْ قد فهمت عنْ سعةِ أسلحةِ صدام من أطراف كَانَت مشتركة مع إدارة كلينتون ومن ديمقراطيين في الكونجرس، ومن الحكوماتِ الغربيةِ الأخرى ودوائرِ المخابرات.

وإذا كان تقرير تحليلِ الاستخبارات الرسمي حول العراق هو نتيجةً سياسيةِ، فهو بعكس ما كَانَ متوقعا بأَنْ يَتفادى الحربَ أو أي حربِ كَانتَ مُنْطَلَقة، للاستعداد لكن تقريرِ المخابرات ألأمريكية قبل الحرب على العراق جاءت أهميته لَيس لأنّه قد فُهِمْ ألأشياء خطأً وبذلك ضلّلْ صُنّاعَ السياسة فحسب وانما هو ما لَعبه من دورَ خطير جداً في أحد أهم قراراتِ السياسة الأمريكيةِ في العقود الأخيرة.

العلاقة الصحيحة بين جمع معلومات المخابراتِ وحفظ الأمن يَفْصلانِ الوظيفتين بحدّة فالمخابرات ينحصر عملها في جمع المعلومات، وحول تُقيِيّمُ مصداقيتَها، وتَدْمجُها بالمعلوماتِ الأخرى للمُسَاعَدَة بفَهْم الحالاتِ في الخارج والتي يُمْكِنُ أَنْ تُؤثّرَ على المصالح الأمريكيةِ. ويُقرّرُ ضبّاطُ المخابرات بان أَيّة مواضيعُ يحصلون عليها من مصادرهم سيكون تحليلها طبقاً لأحكامهم الخاصة ولا تتأثر بمخاوف صُنّاع السياسة. وعملياً، هذا الامتياز يُشوّهُ في أغلب الأحيان، خصوصاً لأن التقديراتَ التحليليةَ لَرُبَّما لَها نتائجُ سياسيةِ وهذا الامتياز ما زالَ مهماً. وحالة العراق بالكاد مثال فريد على كَمْ من التصوّرات المماثلة ويبين مدى التهديد التي يُمْكِنُ أَنْ يَقُودَ الناسَ لإيصال الردودِ السياسةِ المختلفةِ.

ووفقاً لذلك، فان حرجُ المخابرات بأنها لا تَهتم بالسياسةِ، فهي تعمَلُ، على أن لا تَفْقدُ مصداقيتِها وإدّعاءاتِها بالموضوعيةِ. وعندما يُناقشُ محلّلوا الاستخبارات عملَ أحدهما الآخرِ، يَستعملونَ العبارةَ "سياسة تقادمية". لكن استعمال إدارة الاحتلال الاستخبارات لهذا النموذج على

العراق لَمْ يُشوّهُ فقط هذا الامتياز؛ بل قَلَبَ كامل النموذج رأساً على عقب. واستعملت الإدارةُ الاستخبارات سببا لاتّخاذ القراراتَ، ولتَبرير قرار دَخولَ الحرب بدون طَلَب من احد ومن الواضح بدون أَنْ يُتأَثَّرَ به أيّ من التقديرات الاستخباراتية الإستراتيجية المستوية حول إمكانات العراق. والاستخبارات الرسمية على برامجِ الأسلحةِ العراقيةِ حتى بعيوبِها قد فشلت ولم تكن تؤدي إلى الحربِ. وقبل الحرب اعتبرتْ المخابرات التحديات التي تواجه الولايات المتحدة بأنَّ على أيّ سلطة تتخذ قرار الحرب في العراق أن تَكُونُ مستعدة للمُوَاجَهَة المحتملة التي ستنطلق بعد الاحتلال.

وهي بذلك تقدّمَ صورة الثقافة السياسية للديمقراطيةِ والتي ليس لديها أرضَ خصبةَ ستنبت عليها لمدة طويلة، وانما ستكون بانتقال صعب وعاصف. وربما يمكن أن يسلّطَ الضوء على جُهد مارشال كنوع وجزء من خطة يَكُونُ مطلوب فيها إعادة الاقتصاد العراقيِ، على الرغم مِنْ مصادرِ نفطِ العراق الوفيرة.

وهذه التحليلات تَوقّعتْ أن المجتمع العراقي منقسم بشدّة، فمَع السُنّةِ المستائين على خسارةِ موقعِهم المهيمنِ وبين شيعتهم الذين يُريدونَ قوَّةَ متعادلةَ بالنسبة الى منزلةِ أغلبيتِهم، فستكون هناك فرصة هامّة بأنَّ تلك المجموعات يمكن ان تسير وبعنف في نزاعِ عَنيفِ ما لم تكون هناك قوّة محتلة تمَنعها. وتَوقّعتْ بأنَّ تلك القوة المحتلة الأجنبية نفسها يمكن ان تَكُونُ هدفَ للاستياء وان تُهاجمُ عن طريق حربِ العصابات إذا لم تؤسس وَضعا آمنا للعراق تضعه على طريقِ الازدهار في الأسابيع القليلة أَو شهور الأولى بعد سقوطِ صدام.

بالإضافة الى ذلك، عَرضتْ المخابرات تقييمِها للنتائجِ الإقليميةِ المحتملةِ لطَرْد صدام. وجادلَت بأنَّ أيّ قيمة للعراق ربَّمَا يمكن أن يَكُون كنموذج ديمقراطي والمدى الذي سيَعتمدُ على استقرار حكومة عراقية جديدة في تَطوير الديمقراطية في العراق يجب ان يضمن داخليا بدلاً مِنْ أَنْ يُفْرَض بقوة خارجيةِ. وعلى الأرجح، فان الحرب والاحتلال سيَرْفعانِ الإسلام السياسيَ ويَزيدانِ العطف لأهدافِ المتشددين وسيصبح العراق مناطق جذب للمتطرّفين في أي مكان آخر في الشرق الأوسطِ.

الا ان إدارة الاحتلال انحرفت عنْ المعيارِ المحترفِ لَيسَ فقط في استعمال السياسةِ لقيَاْدَة الاستخبارات، وانما في استعمال ألاستخبارات لربْح دعم الرأي العامِ لتأييد القرارِ للدُخُول في الحرب. وهذا يعَنى أن تنتقي الحكومة البياناتَ بشكل انتقائي بدلاً مِنْ استخدام أحكامِ المخابرات الخاصةَ التحليليةَ.

في العلاقةِ المقلوبةِ بين الاستخبارات والسياسةِ التي سادتَا في حالة العراق، اختارت الحكومة الأمريكية أجزاء من تقارير الاستخبارات للاستعمال في حالتِها العامّةِ للحربِ، وأفضل مثالِ معروفِ كَانَ الزعمَ مِن قِبل الاحتلال في خطاب حالة الإتحادَ ٢٠٠٣ بان العراق كَانَ يَشتري خامَ اليورانيومِ من أفريقيا. واستجوب محللو المخابرات الأمريكيةِ بمصداقيةَ التقريرِ الذي صنع هذا الإدّعاءِ، ونَصحَوا البيت الأبيضَ أَنْ لا يَستعملَه علناً. لكن الحكومة وَضعتْ هذا الإدّعاءَ في الخطابِ، بالإشارة إليه كمعلومات مِنْ المصادرِ البريطانيةِ لكي تُثيرَ النقطةَ بدون شكل واضح كَفشَل للاستخبارات.

المشكلة الأخرى في العراق، التناقضَ الأعظمَ بين بيانات الحكومة العامةِ وأحكامَ المخابرات التي تتعلق لَيس بأسلحة الدمار الشاملَ فحسب ولكن بالعلاقةَ بين صدام والقاعدة. وتكرّسَ الانتباه الهائلُ إلى هذا الموضوعِ بأنه لَمْ يَعْكسْ أيّ حكم مِن قِبل مسئولي المخابرات بان يُحتملُ أن يكون هناك شيء مثل هذا "التَحالفِ" مثلما قالتْ الحكومة أنها مَوْجُودةً. والسبب في ذلك الربط بين حرب العراق و"الحرب على الإرهابِ" والذي سيبقي الجمهور الأمريكي خَائفا من ذلك التهديد، وبذلك تستفيدُ الحكومة من مزاج الذي ساد الولايات المتحدة بعد أحداث ١١/٩.

ان قضية الروابطِ المحتملةِ بين صدام والقاعدة كَانَ بشكل خاص عرضة للاستعمال الانتقائي من قبل الاستخبارات لتبرير حالة الحربِ. وفي هذا العالمِ الغامضِ للإرهابِ الدولي، فانه تقريباً

يُمْكِنُ لأي واحد أَنْ "يُرْبَطَ" تقريباً أي شخص مع آخر متهم به. فكان التقديم الذي تقدم به وزير الخارجية باول في الأممِ المتّحدةِ يقود بشكل واضح الى التأكيّد بتلك العلاقة التعاونية بين صدام والقاعدة. وهذا التقديمَ قُصِدَ به لإعطاء الانطباع بشكل واضح بأنه مَوْجُود والذي تَبنّى الأوهامَ العامّةَ على نقيض أحكام المخابرات الخاصةَ.

في تقريرِ لجنة مجلس الشيوخَ حول المخابراتِ قَبْل الحربَ التي تتعلّق بأسلحة الدمار الشاملِ العراقيةِ، قالتْ المخابرات بأنّها لم تجد أي دليلِ الا ان المُحلّلين عدّلوا أَو شكّلوا أحكامَهم ردّاً على الضغطِ السياسي. وتوصلتْ لجنةُ سليبرمان روب الى نفس الخاتمةِ، وبالرغم من اعتراف المُحلّلين بأنّهم عَملوا في "بيئةِ" أَثّرتْ عليها اهتمام صانعوا السياسة.

يَحْدثُ التسييسُ الفعليُ للاستخبارات بشكل منظم ويُمْكِنُ أَنْ يَتّخذَ أشكال عديدة. فالسياق مهم جداً. قبل آذار ٢٠٠٣، عَرفَ محلّلي الاستخبارات ومدرائهم بأنّ الولايات المتّحدةَ كَانتْ تَتوجّهُ إلى الحربِ مَع العراق. وهي كَانتْ واضحةَ بأنَّ إدارة الاحتلال ستُهملُ تحليلاً الذي شكّكَ في قرار دُخُول حرب وسترحب بالتحليل الذي يدَعمَ مثل هذا القرار.

وعلى قضيةِ أسلحة الدمار الشاملِ العراقيةِ، فالعشرات من المُحلّلين في كافة أنحاء المخابرات كَانتْ ستجعلُ العديد مِنْ الأحكامِ على العديد مِنْ القضايا المختلفةِ مستندة على دليلِ متجزئ وغامض. والاختلافات بين تحليلِ الاستخبارات الصحيح (والذي يَأْخذُ في الاعتبار الفجواتَ في المعلوماتِ) والتحليل الخاطئ الذي قد أُنتجَ لا بُدَّ أَنْ يَعمَلُ بشكل رئيسي بأمورِ التحذيرِ، فهناك فرق دقيق، في اختيار الكلمات وفرص التحيّزِ العديدة.

وهناك شكل آخر من أشكال التسييسِ هي في إخفاء الرسائل غير المستساغةَ. ففي الغالب يكون التحليل حول المشاكلِ التي من المحتمل أن تُصادفَ في العراق ما بعد الحرب لذلك جاءت بَعْض الملاحظاتِ التي عَملتْ للترغيب في الاحتلال، على أمل أَنَّ لا يهملوا صُنّاعَ السياسة التقاريرَ المباشرة في هذه العمليةِ.

كذلك الذي حَدث مع إدارة الاحتلال أنها دَعتْ المخابرات مراراً وتكراراً لكَشْف معلومات أكثرِ لكي تُساهمُ في اندلاع الحربِ. وأقترب فريقُ الاحتلال مِنْ محللي الوكالة مراراً وتكراراً ودَفعَوهم للقول بشكل واضح بشان العلاقةِ المُفتَرَضة بين القاعدةِ وصدام وَدْعت المُحلّلين في أَنْ تستلم معلومات عراقيةَ إضافيةَ من خلال عملائها المفترضين من أمثال احمد الجلبي، وكذلك حَجبَ بعض المعلومات التي ستؤثر على بشكل مباشر على قرار الحرب.

هذه العمليةِ مثّلتْ تحولا جذريا للنموذجِ المنهجيِ في العلاقةِ بين الاستخبارات والسياسةِ، والتي فيها ردّت دائرة المخابرات على صانعِ السياسة لكي يَهتمُّ ببَعْض المواضيعِ (مثل "تهديدات ألأمن مِنْ قبل العراق "أَو" مؤيدوا القاعدةِ") وتَستكشفُ ذلك الدليل في أي اتجاه يَقُودُ. وهذه العملية لَمْ تُتضمّنْ عملَ المخابرات الذي صممّ لإيجاد الأخطارِ التي لم تكتشف بعد وليس بعد صنع القرارات بحيث يتضمن عمل الاستخبارات البحثَ لإيجاد الدليلِ لمساندةَ خَطّ سياسي معيّن مِنْ الدليل-- بان صدام كَانَ يَتعاونُ مع القاعدةِ -- والذي تباعاً سيُستَعملُ لتَبرير قرار سياسي معيّنِ. وفي لحظة ما أصبحتْ هذه القضية مضيعة للوقتَ برأي الإدارة الأمريكية وبدرجة أكبر في النزاع بين مسئولي المخابرات وصُنّاعِ السياسة وتَصاعد هذا الخلاف إلى درجة المعركة بينهما، فالمخابرات تكافحُ من أجل إبْقاء موضوعيتِها حتى إذا ضَغطَ صُنّاعَ السياسة عليها حول إيجاد دليل بان هناك اتصال بين القاعدةِ وصدام. وأصبحَ رفضُ الإدارة لأحكام المخابرات واضحَا خصوصاً بعد تشكيلِ وحدة خاصّة في وزارة الدفاع الأمريكيةِ، لتقييمِ مكافحة الإرهابِ السياسي. وأنيطت قيادة هذه الوحدة، الى وكيلَ وزارة دفاع دوغلاس فيث، وكُرّستْ لإيجاد كُلّ علاقة محتملة بين صدام والقاعدة، وأضافت توصياتها بان اتهمت المخابرات بالتحليلِ المعيبِ والمؤدي للإخْفاق في رُؤية التحالفِ المُفتَرَض.

وبالرغم من أن حربِ العراق زوّرتْ بالكامل خصوصاً في إيضاح مشاكلِ العلاقةِ بين السياسةِ والاستخبارات، إلا إن مثل هذه المشاكلِ لَمْ تُنحَصرْ في هذه القضيةِ أَوفي هذه الإدارةِ

المعيّنةِ. فقبل أربعة عقود، كان سوء استعمال الاستخبارات حول لقاءِ غامضٍ في خليج تونكين اعتقدَ بوضوح في تبريرِ إدارة جونسنَ لتَصعيد الجُهدِ العسكريِ في فيتنام. وقَبل ذلك كان سوء استخدام معلومات المخابرات سببا أساسيا في استمرار الحرب الكورية. وتَحتاجُ حالةُ العراق فحصاً وانعكاسا آخرً لوحدها. لكن المُناقشةَ العامّةَ كَيفَ تَتبنّى مثل هذه العلاقة ألأفضل بين مسئولي المخابرات وصُنّاع السياسة وكَيفَ سيضمنون استعمال أفضلَ للاستخبارات على القضايا المستقبليةِ الضروريةُ أيضاً.

تُؤثّرُ الاستخبارات على مصالحِ الأمةَ من خلال تأثيرها على السياسةِ. وحينما تكون عملية جمع معلومات المخابراتِ ثابتةُ، والتغييرات تَعمَلُ بشكل جيّد كلما انحصر دورِ الاستخبارات في عملية الحفاظ على الأمن أيضاً. لذلك كان هذا المأزق واضحا في المشكلةِ الذي ظَهرت في حالة العراق.

وفي هذه النقطةِ، على الولايات المتّحدة أَنْ تَحاكي المملكة المتّحدةَ، في مُناقشة هذه القضيةِ والتي كَانتْ أكثرَ مباشرة، بالإعلان وبشكل نهائي بأنّ دوائرَ المخابرات لا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ جزءَ من سياساتِ الدفاعِ العامِّ.

ففي المملكة المتّحدةِ، قَبلَ توني بلير استنتاجات لجنةِ التحقيق بأنّ الاستخبارات والسياسةِ كَانتا قَدْ مُزجتَا بشكل غير صحيح في هذه الممارسات من خلال نشر " ملف " الورقة البيضاءِ العراقيةَ والتهديد من أسلحة الدمار الشاملِ ضد الولايات المتّحدةَ، والذي يَجِبُ في المستقبلِ أَنْ يَكُونَ هناك توضّيحُ وتصويراً بين الاستخبارات والسياسةِ. والإعلان الامريكي يَجِبُ أَنْ يكون على شكلَ قرار من الكونجرس. وان مثل هذه البيانِ سيُعيقُ الإداراتَ المستقبليةَ مِنْ المُحَاوَلَة في سَحْب المخابرات إلى السياسةِ الدفاعِية. وهو سيَعطي بَعْض قوةِ الضغط أيضاً إلى ضبّاطِ المخابرات في مُقَاوَمَة أيّ من هذه المحاولاتِ المستقبليةِ.

المسالة الأخرى من عمل الاستخبارات كان في معرفة الأسباب التي أوصلت هذه الأمور في العراق الى هذا الحد؟؟ فهل هي المؤامرة أم التخطيط المسبق ام الخيانة ام عدم القدرة على المواجهة ام سوء الإدارة ام سنن الأقدار في تمكين الأمم وانهزام الضعيف.

كان الفشل ألاستخباراتي أيضا من الجانب العراقي في الحرب سببا أساسيا في نتيجة الأحداث التي وقعت بعد ذلك في العراق ففي كل تلك الأسباب تجد انك تستطيع أن تجد لها دليلا في الوثائق الرسمية والروايات من الشهود والقارئين او حتى في تسلسل الأحداث، وان زعمنا إننا نتجرد من كل تلك المسببات ونرى الأمور بطريقة وسطية من خلال كل تلك المصادر فإننا قد نصل الى نتائج قد لا ترضي البعض او هي مجانبة للحقيقة التي لا يعلمها الى الله.

في نيسانِ ٢٠٠٣ فتحت أوراق ووثائق أحد أكثر الحكوماتِ السرّيةِ في التأريخ الى دائرة الضوء للمرة الأولى منذ نهايةِ الحرب العالمية الثانيةِ، وكَانَ لِزاماً على المُحلّلين ألأمريكان أَنْ يَحْسبوا ما حَدث على الجانبِ الآخرِ من النزاع حيث أمرت القوات المشتركة الأمريكية (Usjfcom) بدراسة شاملة لسلوكِ نظامِ صدام حسين مستندة على مصادر أساسية كانت صعبة الوصولِ إليها سابقاً. من خلال قراءة وثائقَ " العدو المَهْزُومِ" ويَستوجبونَ شخصياته البارزةَ للاستفادة إلى أبعد الحدود مِنْ هذه الفرصةِ الفريدةِ، والتحقيق مع القادة السياسيين ومع القادة الكبار المأسورين من الجيشِ العراقي ومئاتِ آلاف من الوثائقِ العراقيةِ الرسميةِ.

ووفقا الى دراسة وضعتها وزارة الدفاع الأمريكية في ٢٤ آذار ٢٠٠٦: وأصدرتْ فيها تقريرا من ٢٣٠ صفحةً وسمي "بمشروع العراق المنظوري" (آي بي بي) سماه الأمريكان "بأوهام صدام" هي التي كانت السبب في نتيجة الحرب.

فعبر سنوات مِنْ السلامِ الخارجيِ النسبيِ للعراق بعد عملية عاصفة الصحراءِ، في ١٩٩١، واصلَ صدام حسين استلام وتصديقِ التقديراتِ المتفائلةِ في فرصِ بقاء نظامِه مِن قِبل ضبّاطِه العسكريينِ الكبارِ. حيث وَصفَ نائب طارق عزيز بأنه كان واثقَ "جداً" بأنَّ الولايات المتّحدة لا تتجاسرَ لمُهَاجَمَة العراق، وإذا فعلت ذلك فإنها سوف تُهْزَمُ. فماذا كَانَ مصدر ثقةِ صدام؟

إن هذا الحُكْم جاء مِنْ بياناتِه الخاصّةِ، والعنصر الأكثر أهميةً والوحيد في حساب صدام الإستراتيجي كَانَ إيمانَه بأنَّ فرنسا وروسيا يمكن ان يَمْنعا احتلال الولايات المتّحدةِ للعراق. وطبقاً لعزيز، فان ثقة صدام كَانتْ متجذِّرة بحزم في اعتقاده بالرابطةِ بين المصالح الاقتصادية لفرنسا وروسيا وأهدافه الإستراتيجية الخاصة:

رئيس هيئة أركان القوّات المُسَلَّحةِ للجيش العراقي، ادعى بأنّ صدام اعتقد بأنّ حتى إذا فَشل مؤيديه الدوليينِ وانطلقت الولايات المتّحدةِ في هجوم أرضي، فان واشنطن ستَنحني للضغطِ الدولي بسرعة لإيقاْف الحربِ. وطبقاً لمترجمِه الشخصي، فان صدام اعتقد بان قواته "المتفوّقة" يمكن ان تشكل مقاومة بطولية وان توقع الخسائر الهائلةَ بالأمريكان وأنَّهم سوف يُوقفونَ تقدّمَهم. وبَقى صدام مقتنعَا في كلماتِه الخاصةِ بأنّ العراق سوف لَنْ يَكُونُ مثل أفغانستان. وسوف لَنْ تُصبحُ الحربَ نزهة للأمريكيين أو الجنود البريطانيينِ ولن يكون لهم طريق للعودة.

وعندما جاءَ الهجوم الائتلافي، تَعلّقَ صدام بعناد بالاعتقاد بأنَّ الأمريكان سيَكُونُون راضين عن أية نتيجةِ سوى تغييرِ النظامِ. ولم يعتقد أي من الزعماءَ العراقيينَ بان قوّاتَ التحالف ستَصِلُ الى بغداد. وانصب اهتمام صدام بأنَّ نظامه سيَنْجو من الحربِ وكَانَ هذا السببَ الأساسيَ لمقاومته وأعتقد بِأَنَّ هذه الحربِ سوف لن تنتهي.

وأدركَ صدام بأنّه حتى الدباباتِ الأمريكيةِ إذا عبرت الحدودَ العراقيةَ، فلن تشكل الخطر الأعظم بقدر إشعال ثورةَ داخليةَ والتي بقيت خوفَ صدام الأكبر. ولكي يَقْمعَ أيّ ثورة ما بعد الحرب، فهو يَحتاجُ الى الجسورَ لبَقاء الأرضِ سليمةِ في الجنوبِ وغير مصابة بالفيضانِ وعلى هذه القاعدةِ، خطّطَ صدام حركاته.

بَعْض الضبّاطِ العسكريينِ العراقيينِ الكبارِ لَمْ يُشتركوا في فرضياتِ زعيمِهم وأَخْذوا وجهة النظر ألأكثر تشاؤماً. فمدير الاستخبارات العسكريةِ، زهير طالبِ عبد الستّار النقيب، علّقَ بأنّ ماعدا صدام والدائرة الداخلية، أعتقد العراقيون ألأكثر معرفةَ سرّاً بأنَّ الحرب ستَستمرُّ الى طول الطّريق وستؤدي إلى احتلال.

وأعترف قائد فرقة الحرس الجمهوري الأولى، بان لم يكن هناك أي شيءُ كان يُمكنُ أنْ يُعْمَلَ لوَقَّف الأمريكان بَعْدَ أَنْ بدؤوا بالغزو ويذكر سلطان هاشم أحمد وزير الدفاع بأنّ المحترفين العسكرييِن العراقيين لم يكونوا مندهشين للأعمالِ الأمريكيةِ مطلقاً. ولقد عرف ما تطلبه التحضيراتَ، ويؤكد حتى إذا كَانَ هناك دفاع حقيقي، فنحن سيدفع العراقيون ثمنا باهضا في سبيل وقف الأمريكان.

وحتى نهايةِ آذارِ ٢٠٠٣، كان صدام يعتقد بان الحربَ يمكن ان تَذْهبُ الى الطريقَ الذي تَوقّعهَ. وان العراق سيَرْبحُها في الحقيقة، فعلى سبيل المثال، أثناء الأيامِ الأولى العشَر مِنْ الحربِ، سَألَ العراق روسيا، فرنسا، والصين بأَنْ لا تَدْعمَ مبادراتَ وقف إطلاق النارِ لأن صدام اعتقد بان مثل هذه الحركاتِ ستُشرّعُ من وجود التَحَالُفَ في العراق. وحتى وقت متأخّر من ٣٠ آذار، اعتقد صدام بأنّ إستراتيجيتَه كَانتْ تُعملُ وستؤدي الى وقف الهجومُ الائتلافي. وفي ذلك اليومِ، وجّهَ عبد حمود محمود، سكرتير صدام وزيرَ الخارجية العراقيَ لإخْبار الحكوماتِ الفرنسيةِ والروسيةِ بأنَّ بغداد ستَقْبلُ فقط "بانسحاب غير مشروط" مِنْ القوات الأمريكيةِ لأن" العراق يَرْبحُ الآن وان الولايات المتّحدة غَرقتْ في طينِ الهزيمةِ". وفي تلك اللحظة، كَانتْ الدبابات ألأمريكية تبعد مائة ميل جنوب بغداد، وتقوم بالتَزْود بالوقود وإعادة التسليح للاندفاع النهائي.

بحلول الـ٢٠٠٣، كَانَ الجيش العراقي بعد ١٣ سنةِ مِنْ المواجهة المستمرةِ تقريباً مع القوات الجويةِ الأمريكية والبريطانيةِ، الى جانب تأثيرات العقوباتِ، ساعدتْ هذه الضغوطِ قيَاْدَة الجيشِ العراقيِ للوصول إلى حالة من الهبوطِ المُزمنِ. فمهمّة الجيشِ العراقيِ كَانتْ أَنْ تَضْمنَ الأمنَ الداخليَ وكُلّ شيءِ ماعدا قتال الجيوش.

وأفضل مثالٍ لهذه المسالة قَبْلَ الحربَ هي أن القوة الجويةِ العراقيةِ، التي لَمْ تُطلقْ غارة واحدة ضدّ التَحَالُفِ أثناء الحصار الاقتصادي والجوي الذي استمر اثني عشر عاما ،وقد أشارت بعض التقارير لو أن صدام اسقط عدد من طائرات التحالف وان كانت على عدد الأصابع لما قامت الحرب. وكذلك وطبقاً لقائدِ القوة الجويةِ والدِفاع الجَوّي، فان صدام قرّر قبل الحربِ بشهرين بأنَّ القوة الجوية عليها أن لا تُشاركَ في الحرب فنوعية وكمية أجهزةِ القوة الجويةِ العراقيةِ ستكون عديمة الفائدةِ ضدّ القوات الجويةِ الائتلافية. ولذلك قرّرَ تَوفير القوة الجويةِ للحاجاتِ المستقبليةِ وأمرَ قادتَه بإخفاء طائرتِهم. وهذا القرار كَانَ إشارةً أخرى بأنَّ صدام لَمْ يُعتقدْ بان قوّات أرضيَّةَ ائتلافية ستصِلُ إلى قلبِ العراق وهو ما كَانَ متأكّدَا من ان نظامَه سيَبْقى مهما كان حجم الضربات التي سيتلقاها.

ولتَطبيق قرارِ صدام لإبْقاء القوة الجويةِ حرّك العراقيون أغلب طائرتِهم بعيداً عن المطاراتِ لإخْفائها عن رصد القوات الجويةِ الائتلافية، وموّهوا الطائراتَ في بساتينِ النخيل أَو دَفنوها في الرمالِ، والتي قامت قوّات التحالف بحَفرها بعد الحربِ. ورفض صدام استعمال القوة الجويةِ العراقيةِ.

وهنا لابد لنا من الإشارة الى تعليق مهم وهو ما جرى بعد الحرب واستغل بشكل مختلف كليا وهي مسالة اغتيال وقتل الطيارين العراقيين من قبل مليشيات مرتبطة بالقوات الأمريكية وان ادعت التصاريح من ان إيران أرادت الثأر من الطيارين العراقيين أثناء الحرب مع العراق في الثمانينات وأنها تريد الانتقام منهم عن طريق إتباعها الذين وصلوا العراق بعد الاحتلال أجد ان القوات الأمريكية وجدت ان الطيارين العراقيين يشكلون خطرا مهما وبالذات لأنهم يعرفون بشكل جيد الإحداثيات في العراق مما يشكل ذلك خطرا جديا على وجودهم وقواعدهم في العراق فبدؤوا بالتصفية تحت ذريعة الثأر ألصفوي وان كان في بعض صوره صحيحا.

يُفسّرُ هذا العديد مِنْ حساباتِ صدام الخاطئة على القضايا السياسيةِ والإستراتيجيةِ والتي جَعلتْ عنده إحساسَ مثالي وطبقاً لعزيز "فالناس في التصنيع العسكري كَانوا كذابين فهم كَذبوا على صدام. هم كَانوا يَقُولونَ دائماً بأنّهم كَانوا يُنتجونَ أَو يُحصّلونَ أسلحةَ خاصّةَ لكي يمكن لهم أَنْ ينالوا من حسنات صدام من مال، وسيارات، وكُلّ شيء ولَكنَّهم كَانوا كذابين".

غير ان أعضاء التصنيع العسكري لم يكَونوا الكذابين الوحيدينَ وانما كان في الحقيقةِ انه كَانَ شائعا بين الأعضاء الأكثر ائتمانا مِنْ دائرةِ صدام الداخلية وطبقاً لمسئول سابقِ في حزب البعثِ فان "صدام كَانَ لديهُ فكرةُ حول قابلياتِ العراق التقليدية والمحتملة الغير مألوفة، لكن لم يقم بتحقيق دقيقُ واحد بسبب الكذب الشاملِ الذي حْدثُ في تلك المنطقةِ. فالعديد مِنْ التقاريرِ زُيّفتْ وحاول الوزراء صنع منظور إيجابي من خلال التقاريرِ التي أرسلت إلى سكرتيرِ صدام، والذي يقدمها تباعاً إلى صدام".

من سخرية القدر، يَظْهرُ الآن ان البعض مِنْ الأعمالِ قد نتجتُ مِنْ سياسةِ صدام ساعدتْ على تَقْوِية حالةِ التَحَالُفَ في الحربِ. فقد حَصلتَ دوائرُ المخابرات الغربية على العديد مِنْ الاتصالات العراقيةِ الداخليةِ، والتي من بينها انه في عام 1996 كانت هناك مذكّرة مِنْ مديرِ دائرةِ المخابرات العراقيةِ تُوجّهُ كُلّ المنتسبين بتدمير أية أجهزة، مواد بحث، دِراسات، أو كُتُب تتَعلّق بتصنيع الأسلحةِ الممنوعةِ (مادة كيماوية، نووية حيوية، وقذائف) في المواقعِ الرسمية" وعندما ذَهب مفتشو الأمم المتّحدةِ إلى هؤلاء ليَبْحثوا في مواقعِ الخزنِ، اكتشفوا دليلَ طويل الأمدَ مِنْ البرامجِ متعلقة بأسلحة الدمار الشاملَ.

والعاملُ الآخرُ الذي خفّضَ من تأثيرُ العراق العسكري كانت العقوبات الاقتصادية. فلأكثر مِنْ اثنتي عشر سَنَة، جَعْلت عقوبات الأممِ المتّحدةَ الجيشِ العراقيِ بوضع صعب جدا فلا يمكن لبغداد ان تشتري المعدات الجديدةِ، او ان تُحصّلُ على قطعَ الغيار، أوان يُموّلُ بالتدريب الكافيَ. وبذلت المحاولات للتَغَلُّب على تأثيراتَ العقوباتِ وقادَ صدام الى خَلْق التصنيع العسكري والتي وَعدتْ بقابليات جديدةَ وبثبات أَنْ تُعادلَ تأثيراتَ التدريب السيّئ، والروح المعنوية السيّئة لدى

الجيش. وإثر حرب ١٩٩١، قام الجيشَ العراقيَ بجُهودَ شاملةَ "للتَعَلّم" مِنْ تجاربِه أثناء عاصفة الصحراءِ. وهذه المحاولاتِ أُعيقتْ باتهام من قبل صدام والتي أدّتْ قوّاته الأرضيَّةَ بلاء حَسناً في القتال آنذاك.

ولكن أيّ مِنْ الجنرالاتِ العراقيينِ غيرِ المُسَيَّسين لم يفْهَمَوا الفوائدَ من القدرات، والسرعة، والقيادة والسيطرة، أَو التدريب التي تَمتّعتْ بها القوات الأمريكيةَ. ففي الوقت الذي كَانَ الجيش جاهزَ لإطْلاع صدام على دروسِ حربِ الخليج العربي، الا أنهم فَهموا خطرَ تَقديم معلوماتهم بالكامل ما عدا تلك التي يعتقدَها هو.

وكان من الصعب معرفة تقدير التأثيراتِ التي أحدثتها الثورات الشيعيةِ والكرديةِ في ١٩٩١ وأثرها على وجهةِ نظر صدام. فقد، بَقيت تهديدَ الثورات الأخرى تخوّفه الأمني الأعلى بثبات. وكانت إحدى الإجراءات الوقائية التي اتخذت لمَنْع، او قْمعُ أي اضطراب مستقبلي كَانَ هو أَنْ يَخْلقَ جيوشَ خاصّةَ كَوّنتْ من قوَّاتِ موثوقةِ سياسياً: وعلى هذا الأساس أسست مجموعات فدائيي صدام، جيش القدس، ومقاومة حزب البعثَ الشعبية.

وقد جادلَ أكثر المُحلّلين الغربيينِ بأنّ صدام صنع هذه الجيوش الشعبية للمُسَاعَدَة على الدِفَاع عن العراق مِنْ الهجومِ الخارجي. وأشارت الوثائقُ التي حصل عليها بعد الاحتلال بأنّ الغرض الأصليَ مِنْ القواتِ الشبه عسكريةِ بان كَانَ لديها الشيء الكثير الذي يمكن عمله بحِماية العراق مِنْ الاحتلال.

الجيوش الشعبية في الحقيقة قبلت بتلك المهمّةِ ويمكن فهمها مؤخراً بأَنْ أصبحَ صدام مقتنعا بنجاحِ الانتفاضة الفلسطينيّةِ وبالتجربةِ الأمريكيةِ في الصومال. وان الغرض الأصلي مِنْ المجموعاتِ الشبه عسكريةِ كَانَ الدفاع عن العراق مِنْ الأعداء الداخليينِ، لَيسَ الخارجيين.

تُلخّصُ خاتمةُ الحالة العراقيةِ موقفِ النظامَ والقوَّة العسكرية والصعوباتِ التي أصبحت خطيرة، وتَزايدُ الكوارث والتصميمِ الأيديولوجيِ والذي يُقيّمُ المبادئ، لكُلّ المؤسسات العسكرية.

تعتقد المؤسسات الأمريكية الرسمية ومن خلال وثائقها واستجواباتها للمعتقلين انه ما كان هناك خطةَ وطنيةَ لبَدْء حرب عصابات في حالة الهزيمة العسكرية.

ببطء عَلِمِ صدام وأولئك الذين من حوله أخيراً بأنّهم كَانوا يَعانونَ من هزيمة عسكرية هائلة. وإنهم يعيشون في أيامِ النظامَ النهائيةَ، والأعمال الحاسمة الوحيدة تلك في القمةِ بَدتْ قادرة على ان تُحاولُ استئصال تدفقِ الأخبارِ السيئةِ. فعلى سبيل المثال، أَرّختْ مذكّرةَ وزارة الدفاع في ٦ نيسانَ بان على الوحداتَ الملحقةَ المُخبَرةَ، ان تذكر كُلّ ضباط الأركان" بتجنّبُ المُبَالَغَة من قدراتِ العدو". وبتلك النقطةِ، انهارت قوات العراق العسكريةَ أَو كَادتْ تَنهارُ. وحطّمتْ الهجماتُ الائتلافية تقريباً كُلّ مقرات وهيئات الأركان والقيادة والسيطرة، وبالرغم من أن البعضِ من الوحداتَ العراقيةَ قد عَزلت الا أنها واصلتْ القتال حتى النهاية، رغم أنهم كَانوا لَمْ يَعُودوا مُرتَبِطين بأي وحدة عسكرية متماسكة.

وطبقاً لعزيز، فانه في ذلك الوقت اعترف صدام أخيراً بأنّ النهايةَ كَانتْ قُرْبت. ففي ذلك اليومِ، دَعا الى اجتماع القيادةِ العراقيةِ في بيت في وسط بغداد. وأثناء الاجتماع، كانت نغمة صدام لرجل قد فَقد إرادتهَ بالمُقَاوَمَة وعَرف بان النظامَ سيَنتهي.

ثم جاء الاحتلال وكانت من أولوياته الانتقام من صدام ومساعديه وعقدت من اجل ذلك محكمة الجنايات العراقية، لتَسْمع الاتهامات ضدّ صدام حسين ومُساعديه الكبار. وليُواجهُ تهمُ الإبادة الجماعيةِ والجرائمِ ضدّ الإنسانيةِ وكانت إدارة هذه المحكمة مِن قِبل العراقيين تحت القانونِ الإجراميِ العراقي، ولَيسَ مِن قِبل القضاة الدوليينِ تحت القانونِ الدولي.

تَقُولُ وثائقُ المحكمةِ بان صدام يُواجهُ تهمَ الإبادة الجماعيةِ، جرائم ضدّ الإنسانيةِ، وجرائم حرب أخرى التي تَتضمّنُ الإبادة الجماعيةُ أي الإزالةَ المتعمّدةَ أَو المنظّمةَ لمجموعة من الناسِ بسبب جنسِهم، أو مذهبهم، أَو انتمائهم العرقي.

وينظر العديد مِنْ العراقيين، بالإضافة إلى المسلمين في الشرق الأوسطِ، بان المحكمةَ هي بقيادة الولايات المتحدة وستبقى مُلَوَّثة على مدى جلساتها وانه سيبقى ظِلّها طويل الأمد في الزوايا، على إنها أمريكية الصنع.

ونتيجة لذلك الفشل ألاستخباري العراقي والأمريكي على حد سواء من حيث عدم مهنية الاستخبارات الأمريكية وتسييسها لأغراض سياسية أو من حيث الفشل العسكري في العراق من حيث عدم تقدير حجم الغزو الامريكي وأهدافه الأساسية لهذا الغزو يجعلنا أن نعمق من البحث التاريخي لأصول هذا الغزو والأسباب الحقيقية التي صنعت هذا الاحتلال ومن يقف ورائه والجهات الإقليمية والمحلية التي أيدت وساندت هذا الاحتلال وبالتالي سيجعلنا قادرين على أن نستشرف قليلا من مستقبل بلادنا بغير أمنيات أو أحلام.

لقد نشرت الحكومة الكويتية وثائق " المقاومة الكويتية ضد الاحتلال العراقي" في أربعة مجلدات منشورة والذي يقرأ تلك المجلدات سوف لن يندهش بما حدث في العراق أيام الغزو والاحتلال الامريكي وما تبعه من أحداث حتى بومنا هذا ومن هنا تبدأ القصة.

لكن الذي يعنينا بالمقام الأول بالنسبة لنا نحن العراقيين هي بوادر وبدايات هذا الغزو والتحضير له منذ عام ١٩٩١ في مؤتمر عرف "بمؤتمر لندن" والترجمة النصية للمؤتمر هي كما يلي:

مؤتمر عام ١٩٩١
نص الترجمة الحرفية للوثيقة
مجلس العموم لندن :
الجمعة ٢١/حزيران / ١٩٩١ الساعة ١١.٣٠
وثيقة بواسطة الدعاة البريطانيين للمجلس العالمي لتحرير العراق
أن كلويد، عضو برلمان
ديفيد هوول، عضو برلمان
د. ديفيد وون، عضو برلمان
السيد دثفثد ستيل، عضو برلمان

نحن، وبكل سرور، متفقين على أن نكون دعاة المجلس العالمي لتحرير العراق (ICFI) وندعم بكل قوة الأهداف المعلن عنها في هذا الإعلان التأسيسي، كسياسيين من مختلف الأحزاب البريطانية نشارك بامتياز في العمل في النظام الديمقراطي، مع احترام أن الاختلافات السياسية يمكن أن تحل بالاختيار الحر للأغلبية، مع الأخذ بنظر الاعتبار احترام حق الأقلية. نحن نرحب بطموح العراقيين من مختلف الهويات القومية والدينية لحكم أنفسهم، وحل خلافاتهم تحت نظام ديمقراطي مشابه. ونستحسن وعدهم أمام المجلس العالمي لحرية العراق، لانتخابات حرة، محاكم عادلة، واحترام لحقوق الإنسان.

بينما نرحب بعودة السيادة للكويت، نعتبر أن انتصار الأمم المتحدة في الحرب الأخيرة، يظل عملا ناقصا مادام النظام العدواني المتعطش للدماء، الذي سبب الحرب، مستمر في حكم العراق بينما نحن نتطلع لرؤية نهاية الدكتاتورية، وشعب عراقي حر.

في المستقبل القريب، نحن معنيون بحماية خير وصالح العراقيين في كلا من الشمال والجنوب، الذين شاركوا في التمرد المسلح الذي تبع تحرير الكويت، أو أولئك الذين اعتبروا من قبل النظام كمؤيدين لهذا التمرد نحن نناشد حكومات الولايات المتحدة، والحكومة البريطانية وشركائنا الأوربيين لعدم سحب قواتهم من شمال العراق حتى يتحقق أمن السكان الأكراد لمستوى ما يطمحون به. حتى إذا قررت الولايات المتحدة تجاهل هذا النداء، فنحن نستحث الحكومة البريطانية وبقية الحكومات الأوربية من اجل إبقاء قواتهم في شمال العراق، وإجراء التوسع أو الانتشار الضروري لملئ الفراغ الذي سيتركه الانسحاب الأميركي.

ونستحث كذلك سكرتاريا الأمم المتحدة لزيادة جهودها لمراقبة مصير السكان المدنيين العراقيين، اللذين يتأثرون بقمع السلطة العراقية في أي أو جميع أجزاء القطر، واعتبارها منطقة محمية أو تحت الانتداب، وفقا لقرار مجلس الأمن ٦٨٨، وإعطاء اهتمام خاص للبحث في حالة اللاجئين الشيعة، اللذين يعتقد أن رقمهم وصل من ٤٠٠ الف – ١ مليون، ممن دفعوا الى المستنقعات في شمال البصرة.

كما نستحث كافة أعضاء الأمم المتحدة للمساهمة في تكاليف العمليات الإنسانية، ليكن واضحا لحكام بغداد أن اللجوء الى أي عمل جديد أو إضافي يؤخذ، ضد شعبه، باستخدام الأسلحة الكيماوية أو أي من أسلحة الدمار الشامل سيتم مواجهته وتدميره.

نحن الموقعون أدناه عراقيون وغير عراقيين نريد بهذه الوثيقة أن نؤكد :

- أن اعتقادنا إن الشعب العراقي مهد الحضارات الإنسانية يحتاج ويستحق حكومة مدنية
- كما إن الدكتاتورية لا يمكن أن تنتج سلام أو استقرار للشعب العراقي وجيرانه.
- أن حكم القانون، وحماية حقوق الإنسان والحريات المدنية في العراق، هما ضرورة مطلقة لأمن مواطني العراق والدول المجاورة.
- وان هذه الأهداف يمكن أن تتحقق على صورة أفضل لو اتفق العراقيون فيما بينهم من خلال ممثليهم المنتخبين بحرية، وبطريقة ديمقراطية، وغير طائفية، على تشكيل حكومة تحافظ على وحدة القطر ضمن حدوده الحالية، وتسمح بالتعبير الكامل وبتمثيل فعال للهويات المختلفة التي تتعايش ضمن هذه الحدود.، ويمكن أن يكون هذا التعايش سلميا على أساس المنافع المتبادلة والمشتركة.
- لمتابعة هذه الأهداف، نحن نشكل من أنفسنا، وبهذه الوثيقة، المجلس العالمي لحرية العراق. الذي تحدد أهدافه لتعزيز جميع الوسائل الضرورية من اجل تأسيس حكم القانون، وحماية الحريات المدنية والإنسانية للأفراد والمجاميع في العراق.

يعتقد المجلس أن من الضروري لحماية ورفاهية جميع العراقيين، ويجب أن تنتهي الدكتاتورية بأقرب وقت ممكن. واستبدالها بحكومة تشاركنا الأهداف المعرفة أعلاه.

والى أن يتحقق ذلك فالمجلس ينشد تعزيز المؤسسات المؤثرة في العراق، والجماعات المستقلة المحمية بالقانون، مع حماية حرية التعبير والتنظيم، وسيادة الحرية والانتخابات النزيهة، والمحاكمة لأي شخص كان سببا لهذه العمليات أو أي شخص يتهم بالمسؤولية في ارتكاب الجرائم التي حصلت من قبل النظام الحالي، بهذه الطريقة يمكن تفادي حالات الانتقام الجماعي الاعتباطي.

-المجلس سيبقى وحدة عمل ناشطة حتى يأتي الوقت الذي يعم فيه حكم القانون بشكل مرضي، وحماية حقوق الإنسان والحريات المدنية في العراق، ويتحقق ذلك بشكل أمين، ومتين.

-المجلس شُكل بواسطة أعضائه العراقيين، والدعاة العالميين اللذين يشاركونهم نفس الاعتقادات والأهداف، ممن لم يمسك موقعا استثنائيا في الحكومة.

العراقيون :

إبراهيم احمد، عبد الأمير علاوي، محمد بحر العلوم، فائق بطي، احمد الجلبي (منسق)، صالح دكلة، حسن العيد، صاحب الحكيم، ماجد الحاج حمود، سعد جبر، أديب الجادر، فخري كريم، سمير الخليل، ليث كبة، محمد مكية، حسن النقيب، لطيف رشيد، موفق الربيعي، حسين الصدر، طالب شبيب، صلاح الشيخلي، محمود عثمان، عبد الكريم الازري، مبدر الويس، محمد الطاهر، هوشيار زيباري، سامي زبيدة.

الدعاة العالميين :

١. حسن عامر، نائب رئيس تحرير الجماهيرية، القاهرة، مصر

٢. آنا كلويد، عضو برلمان، وزيرة ظل للتنمية الخارجية، المملكة المتحدة.
٣. علاء الدين هلال الدسوقي، بروفسور، جامعة القاهرة، مصر.
٤. جون فوران، الإنقاذ الطبي العالمي، المملكة المتحدة.
٥. مايكل جيلسينان، بروفسور، جامعة اوكسفورد، المملكة المتحدة.
٦. هيلكا كراهام، كاتبة بشؤون الشرق الأوسط، الأوبزيرفر، المملكة المتحدة.
٧. فريد هوليداي، بروفسور، مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية، المملكة المتحدة
٨. أسامة غزالي حرب، مرشح لمنصب مدير معهد الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، مصر.
٩. ريتا هوسر، محامية عالمية، نيويورك، الولايات المتحدة.
١٠. ديفيد هوول، نائب برلمان ،وزير سابق، رئيس مجلس الشؤون الخارجية في مجلس العموم، المملكة المتحدة.
١١. سعد الدين إبراهيم، مدير مركز ابن خلدون، بروفسور في الجامعة الأميركية في القاهرة، مصر.
١٢. شبلي مالات محاضر في القانون الاسلامي، سوس، لندن، المملكة المتحدة (منسق)
١٣. اجور مورتايمر صاحب عمود رئيسي في الفاينناشل تايمز، لندن، المملكة المتحدة (منسق)
١٤. ريتشارد مورفي، مساعد سابق لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي، نيويورك، الولايات المتحدة.
١٥. ديفيد اون، عضو برلمان، وزير خارجية سابق، المملكة المتحدة.
١٦. كليبورن بيل، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي، الولايات المتحدة.
١٧. روجر سكروتون، بروفسور، بيربك كولج، المملكة المتحدة.
١٨. اسرئيل شاحاك رئيس الجامعة الإسرائيلية للحقوق المدنية والإنسانية، إسرائيل.
١٩. ستيفن سولار، عضو لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس، الولايات المتحدة.
٢٠. ديفيد ستيل، عضو برلمان، الناطق الرسمي للبراليين الديمقراطيين في الشؤون الخارجية، المملكة المتحدة.
٢١. جون ووتر بري، بروفسور، جامعة برنكتون، الولايات المتحدة.

أولا: الحضور في الاجتماع هم ثلاثون شخصا من جنسيات مختلفة، أميركية، إسرائيلية، بريطانية، ومصرية. عدا ال٢٦ شخصية عراقية.

إضافة للدكتور سامي زبيدة، يهودي من اصل عراقي حاصل على الجنسية الإسرائيلية، يقيم في بريطانيا، يبدو أنه كان متواجدا لأداء مهمات مخابراتية خاصة بالكيان الصهيوني، فهو ليس عراقيا، إلا أنهم أضافوا اسمه مع مجموعات العراقيين.

ومهمة زبيدة على ما يبدو هي مهمة القناص الذي يختار بعض الطلاب العراقيين ليسهل لهم دخولهم في كليات جامعة لندن، ليتلقوا علومهم الأكاديمية في الغالب تحت إشرافه.

وهذا ما حصل مع الكاتب العراقي، الشيوعي السابق، فالح عبد الجبار، الذي لولا زبيدة ما كان له لا أن يكمل شهادة الدكتوراه ولا أن يتبوأ المراكز العلمية التي تبوئها بعد تخرجه مباشرة، وآخرها تكليفه من قبل الموساد (الغطاء الظاهر السي، آي، ايه)، ببناء اكبر مركز للدراسات الإستراتيجية في الشرق العربي، وتم شراء بناية كاملة لإقامة هذا المعهد في لبنان على البحر، بكلفة يقال إنها تجاوزت الخمسة ملايين دولار كما يعترف فالح عبد الجبار.

وذلك ليأخذ دور سعد الدين إبراهيم في مصر، وسعد الدين إبراهيم معروف بعلاقاته بالمخابرات الأميركية، وقد ثبت عليه هذا قانونيا عندما وصلت نشاطاته الى الحد الذي لا يمكن

السكوت عليه، فتم محاكمته وسجنه بتهمة التخابر مع جهات أجنبية واستلام مبالغ من المال من جهات مخابراتية تحت عنوان الدعم لمركز ابن خلدون للدراسات الإستراتيجية.

بالرغم من إن سعد الدين إبراهيم هو احد الحاضرين في المؤتمر موضوع الحديث وهو وجود لا يثير الاستغراب بقدر ما يؤشر على طبيعة المؤتمر.

مع إن من يعرف فالح عبد الجبار في سوريا، كان صحفيا مغمورا من الشيوعيين، يعيش عيشة فقيرة بسيطة، ويعتمد على المساعدات التي يقدمها الحزب، وعندما قطع الحزب مساعداته وأصدر أوامره لأعضائه بالهجرة الى بلدان اللجوء، بعد توقف الحرب العراقية – الإيرانية في عام ١٩٨٨، هاجر الى لندن، بتذكرة سفر جمعها من تبرعات الأصدقاء.

وهو ليس لديه أية كتابات أو دراسة تؤشر الى فكر أو فطنة غير عادية تؤهله لمثل هذه المراكز، سوى انه يحفظ على ظهر قلب كتاب حنا بطاطو عن "الطبقات الاجتماعية في العراق"، وهو الكتاب الذي ألفه بطاطو بتكليف مباشر من وزارة الدفاع الأمريكية في عام ١٩٨٢ وبإشراف شخصي من دونالد رامسفيلد وكان ثمرة زيارة رامسفيلد الى بغداد في ذلك الوقت موافقة الحكومة العراقية بفتح ملفاتها التاريخية أمام بطاطو ليكتب كتابه هذا وبالتالي يصبح هذا الكتاب الإنجيل الذي حفظه الجيش الامريكي في احتلال العراق.

التقى عبد الجبار بزبيدة في إحدى الندوات الثقافية التي أقيمت في كلية سوس، ومن هناك التقطه زبيدة. وقدمه للموساد والسي، آي، ايه كمفكر واعد كما سهل له الحصول على الجنسية البريطانية، وزيارة إسرائيل.

يمارس فالح عبد الجبار (الماركسي – اللينيني)، الآن ادوار زبيدة كقناص للكفاءات العراقية والعربية تحت غطاء البحث العلمي والدراسات الإستراتيجية يكون نموذجا آخر لفالح يدعي انه أنهى دراسته بإشراف ومساعدة زبيدة، ويتخرج مباشرة مع معهد دراسات، رغم انه لم يمارس أي عمل أي انه يعتاش على المساعدات التي تقدمها البلدية للعاطلين عن العمل، ويشغل زوجته كنادلة ليسد حاجته.

ثانيا: إن أهم الأشخاص الحاضرين، والمنسق الحقيقي للجلسة هو ستيفن سولار، احد أهم أعضاء اللوبي المساند لإسرائيل في الولايات المتحدة.

وهو الذي خلق شخصية احمد الجلبي وقدمها للوبي الصهيوني في أميركا على انه أكثر الشخصيات قدرة على خدمة المشروع الصهيوني في العراق، وهذا اللوبي هو من عزز مركز الجلبي في الدوائر والمؤسسات المعنية بالشأن العراقي في أميركا.

هنا نجد إن من بين الحضور اثنين من المواطنين الاسرائليين، إسرائيل شحاك وسامي زبيدة، وأميركي من أهم زعماء اللوبي الصهيوني في أميركا، "ستيفن سولار"، مع ثلاث يهود آخرين من جنسيات بريطانية وأميركية. والملاحظ إن اغلب المسؤولين الاميركين الحاضرين هم من المسؤولين عن صناعة السياسة الخارجية الأميركية في الكونغرس ومجلس الشيوخ.

ثالثا: هذا التواجد اليهودي – الصهيوني، المكثف لحضور مؤتمر الغاية منه لا تتوقف عند مناقشة القضية العراقية بل يهدف لتشكيل "المجلس الدولي لحرية العراق "، والذي تطور في اتجاهين:

الأول: تشكيل المؤتمر الوطني العراقي، كتنظيم تابع للمخابرات المركزية الأميركية الذي كان طعما لجر جميع القوى السياسية العراقية للعمل في خدمة المشروع الأميركي – الصهيوني في العراق.

الثاني: صدور قانون تحرير العراق، الذي أصدرته إدارة كلينتون والتي دفعت بموجبه مبلغ ٩٨ مليون دولار علنا للجلبي لمتابعة تآمره، إضافة للمخصصات السرية الأخرى التي يتقاضاها من السي، اي، ايه مباشرة.

يؤشر هذا الوجود اليهودي – الصهيوني، مدى اهتمام أصحاب القرار في الكيان الصهيوني بالشأن العراقي والمؤتمر ليس حلقة دراسية، أو ندوة حول الدكتاتورية وحقوق الإنسان، بل هو مؤتمر تنفيذي، الغاية منه تحديد أهداف وخطة عمل للتدخل في الشأن العراقي

رابعا: قد يكون هذا الصحفي أو ذاك تمت دعوته تحت غطاء محاربة الدكتاتورية، والدفاع عن حقوق الإنسان، لتغطية الأهداف الحقيقية للمؤتمر إلا إن عددهم قليل جدا ولا يتجاوز عددهم الثلاث.

خامسا: أن معايير الخيانة والوطنية في كل من الولايات المتحدة الأميركية والبريطانية والكيان الصهيوني تحسب على أساس الالتزام أو الإخلال بعناصر المصلحة الوطنية والأمن الوطني للبلد المعني، أي الحفاظ على استقلاله وسيادته، ووحدة أراضيه وأمنه ورفاهية مواطنيه. بينما الأمن الوطني يعني كل الإجراءات التي تتخذها الدولة للدفاع عن مصالحها الوطنية، والحفاظ على كل المعلومات المتعلقة بهذه الإجراءات. لذلك فان مجرد مناقشة مثل هذه الأمور أو السماح لأي أجنبي للتدخل في هذه العناصر والشؤون الداخلية للبلد هو موقف خياني بما لا يقبل الشك (وفقا للمعايير البريطانية والأميركية والصهيونية). وتتخذ الخيانة معناها الواضح، بما لا يقبل الشك، عندما يكون البلد في حالة حرب مع الجهة الأجنبية التي تتحرك للتدخل بالشأن الداخلي. وفترة انعقاد المؤتمر تؤشر الى انه تم بعد حرب الكويت والعدوان على العراق بأشهر قليلة، أي أن كل من أميركا بريطانيا كانت بحالة حرب مع العراق، ومازالت قواتهما تحتل أجزاء واسعة من شمال العراق. أما إسرائيل فهي في حالة حرب مع العراق منذ عام ١٩٤٨، فالعراق لم يوقع على اتفاقية الهدنة مع الكيان الصهيوني وبالتالي فهو وفقا للقوانين الدولية في حالة حرب قائمة منذ ذلك الوقت. يعرف الحاضرون في المؤتمر من العراقيين هذه المعاني جيدا ورغم أن جميعهم كما تبين فيما بعد على معرفة كاملة بالأدوار الخيانية التي ساروا في طريقها الى حد المساهمة بتدمير البلد، وتسهيل احتلاله من قبل قوات أجنبية معتدية أي إنهم نخبة التخريب والخيانة.

سادسا: مبدر الويس، المعروف بصفات الغباء منذ مرحلة مبكرة من عمره حيث كان في وقت ما ملازما بالجيش ومعروف موقفه ضد كل القوميين العرب معروفة أيضا، فهو كان يعترض على أي شخصية تدعي الانتساب للخط القومي الناصري. ووظيفته خلال كل فترة وجوده في الخارج منذ سبعينات القرن الماضي هو تلفيق القصص لتشويه القوميين العرب، واتهامهم بمختلف التهم.

سابعا: أديب الجادر، الشخصية القومية، هو مثقف من خريجي مدرسة لندن للدراسات الاقتصادية والسياسية، وهي من اشهر الكليات في العالم، تابعة لجامعة لندن، لكنها قائمة بنفسها كأهم صرح جامعي في الشؤون السياسية والاقتصادية وما يتعلق بهما من علوم أخرى. وقد تورط أديب الجادر مبكرا بلعبة حقوق الإنسان، التي يعرف العالم كيف إن الإدارة الأميركية وحلفائها الغربيين يستخدمونها غطاء للتدخل في شؤون الدول الصغيرة لقتل الإنسان، وإذلاله، ونهب خيراته. لذلك لم يكن حضوره المؤتمر هو البداية، بل متابعة لمسيرة خيانية طويلة.

ثامنا: يلاحظ هنا تواجد موفق الربيعي بين المجموعة العراقية، وهو في ذلك الوقت ما زال عضوا مهما بقيادة حزب الدعوة، قبل أن تعلن لعبة فصله من الحزب بسبب رفضه تسليم مبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار، استلمها من المملكة العربية السعودية، ورفض تسليمها للحزب بحجة إن الهدية قدمت له بصفته الشخصية لا الحزبية. وموفق هذا كان من الناشطين قبل الاحتلال للترويج للتقسيم الطائفي ،حتى انه كتب ما يعرف بإعلان الشيعة، الذي كشف لعبة طرده من حزب الدعوة، فكان الجعفري، وحسين الشامي من أول الموقعين على هذا الإعلان البغيض.وهناك اعتقاد إن إعلان طرده من الحزب تم لمواصلة اتصالات الحزب بالحركة الصهيونية والاميركان من خلال موفق هذا، والتنصل عنها أمام الناس وأعضاء الحزب الآخرين. إن وجود موفق هذا يؤشر لجذور وبدايات اتصالات قيادة حزب الدعوة في لندن بالحركة الصهيونية، والتعاون معها

لتأسيس للحرب الطائفية في العراق. تاسعا: بعد هذا اللقاء الذي عقد من اجل الدفاع عن مظلومية الشيعة، تحرك ليث كبة بدوره للعمل على تحقيق ما يعرف بمؤتمر فينا. والعودة للمؤتمر المذكور ونتائجه، يكتشف أن الأمور التي تم الاتفاق عليها في هذا اللقاء موضوع الوثيقة، وكانت هي الأساس للنتائج التي توصل لها مؤتمر فينا. هذا التحرك لهذا النموذج من المتعاونين أعطى صورة واضحة لمستقبل الاحتلال الامريكي للعراق مع أمور مساعدة أخرى ومن تلك العوامل انه بعد انتصار بوش بالانتخابات الرئاسية الثانية دَعمَ مُستشاروه للأمن القومي باتجاه السيطرة على الجيشِ والمخابرات الإستراتيجيةِ والعمليات العسكرية السريّةِ إلى درجة فريدة لم يسبق لها مثيلا إلا منذ ارتفاع دولة الأمن القومي ما بَعْدَ الحرب العالمية الثانيةَ.

ولان لديه طموحا لإعمال عدوانيةُ وطموحًا لاستعمال تلك السيطرةِ فانه جعل جميع المؤسسات والوكالات لأجل اسَتَخْدامهاُ على نحو متزايد، كمستشار حكومي واحد وذات صلات وثيقةِ إلى وزارة الدفاع الأمريكيةِ وتكون "مقدمات" للسياسةِ التي تَنبثقُ مِن ومن نائبِه.

ولقد حاولت وزارة الدفاع الأمريكية العَمَل على النشاطاتِ السريةِ قبل ذلك. في أوائل الثمانينات حينما بُدِأتْ وخُوّلتْ وحدات سريةِ من الجيشِ بالعمل على الإشراف والتنفيذ في الخارج وكانت النَتائِج كارثية. فبرنامج العملياتِ الخاصّةِ المعروف بدعم نشاط الاستخبارات، أَوسي أي أي أُديرت مِنْ قاعدة قُرب واشنطن وكانت مسئولة عن الإنقاذِ الفاشلِ، في نيسان١٩٨٠ عن الرهائنِ الأمريكانِ في إيران، وبَقيت الوحدة طيّ الكتمان مِنْ العديد مِنْ الجنرالاتِ الكبارِ والزعماءِ المدنيينِ في وزارة الدفاع الأمريكيةِ، وكذلك عن العديد مِنْ أعضاء الكونجرسِ. بعدما نُشِرت حربِ إدارة ريغانَ ضدّ حكومةِ ساندنيستا في نيكاراغوا. حين كَانَت مُلتَزِمة أيضا بدَعْم رجال الكونترا. وكذلك الحال في أفغانستان حيث دعمت قوات المجاهدين وكانت النتيجة ازدياد اتجاهات التطرف في المنطقة. وقد عادت تلك الوحدات إلى الخدمة في العراق بعد إن أصبحت الحرب على الإرهاب في المفهوم الأمريكي ذات طبيعة إنسانية منفردة وليست على نطاق دولي ومؤسساتي يتطلب مثل تلك الوحدات للعمل وبما تنتجه من كوارث وفشل.

المقامر

أحمد الجلبي العراقي سيء السمعة والذي دفع أمريكا لإسقاط صدام حسين وأخيرا بعد فترة طويلة سيصبح له دور رسمي في الحكومة العراقية. فبعد سبع سنوات من تطبيل أصابعه في أعقاب الغزو الأمريكي للعراق، وعلى الرغم من الأداء الضعيف في انتخابات ٧ آذار سوف يحصل الجلبي على مقعد في البرلمان العراقي الجديد على الرغم من الدلائل على أن العراقيين يشعرون بالإحباط من السياسة الطائفية، فلا تزال أصوات الناخبين اندلعت حادة على طول الخطوط الطائفية.

فما هو سر نجاح المقامر أحمد الجلبي في العراق؟

يقول البعض بسبب علاقاته العائلية القريبة من البنوك الرائدة في دولة قطر. وعلى الرغم انه لا يكاد يوجد في أي دائرة انتخابية في العراق، لكن مهارته تكمن باعتباره يتدخل في التأثير كبائع سياسي متجول. فهولا يزال يمارس السلطة بصفته رئيسا للجنة المساءلة والعدالة (الاسم الجديد للجنة اجتثاث البعث القديمة، التي أنشئت بعد وقت قصير من الغزو الأمريكي للعراق). كما واعترف مسئولون أميركيون أن لديه علاقات وثيقة مع الحرس الثوري الإيراني.

لكن وفقا لرجال الأعمال العراقيين وعدد من المسئولين الأميركيين، هنالك مفتاح آخر لتأثير الجلبي دون أن يلقى اهتماما من كثير من وسائل الإعلام وهو صلته بالقطاع المصرفي في العراق. فقد تلقى الرجل عبر منظمته، المؤتمر الوطني العراقي، عشرات الملايين الدولارات من دافعي الضرائب في الولايات المتحدة في الفترة التي سبقت الحرب على العراق على الرغم من إدانة الرجل في قضية احتيال مصرفي ضخمة في الأردن عرفت بفضيحة بنك البتراء لكنه اليوم لديه تأثير هائل على الأعمال المصرفية في العراق.

المركز الأول للبحث عن اتصال الجلبي هو مصرف التجارة العراقي، الذي يتعامل مع تقريبا جميع المشتريات الدولية المبذولة من قبل الحكومة العراقية.
بحلول عام ٢٠٠٨ ، كان البنك يحوي على ١٠ مليار دولار. وعلى الرغم من تملكه من قبل الحكومة العراقية، لكن البنك يعمل بشكل مستقل كبنك تجاري.
أحمد الجلبي اختار رئيسه والمدير التنفيذي له في عام ٢٠٠٣، ورشح ابن الأخت له، حسين الازري، الذي كان قد قضى سنوات في مختلف الشركات العائلية للجلبي. ثم أكد ذلك الترشيح بول بريمر عن الولايات المتحدة وبقي الازري في مكانه بعناد خلال فترة ثلاثة من رؤساء الوزراء. وللوصول إلى مدى أهمية هذه الأسرة في الشرق الأوسط يقول المسئولون الأميركيون انه يعتقد على نطاق واسع أن الجلبي لديه على الأقل بعض التأثير على البنك. "ويمكن استنتاج السيطرة".
الرجل الذي يدير المصرف التجاري العراقي يتمتع بنفوذ قوي على وزارات الحكومة العراقية لأن البنك لديه احتكارا على إصدار خطابات الائتمان للحكومة (فيما عدا البنود العسكرية). وهذا هو المكان الوحيد الذي تذهب إليه أي وزارة عراقية تحتاج إلى شراء السلع من الخارج: القمح، والمولدات، والصابون، والأسمدة أو الأدوية. وهذا يعني أن البنك إذا رغب في أن يطلب على امتيازات سياسية مقابل تسهيلات الصرف فسيصبح من السهولة الحصول على ذلك بحسب خبراء البنوك ورجال الأعمال. وخلافا لمعظم البنوك التي تصدر خطابات الائتمان، فالمصرف التجاري العراقي يطلب من زبائنه -- الوزارات المختلفة في العراق -- إيداع كامل قيمة الطلبية في البنك. وأن ودائع تبقى هناك حتى تتم نهاية الصفقة. إلى جانب ذلك فالجزء الكبير من عائدات النفط العراقي يجب أن تمر عن طريق هذا البنك.
ولكن حينما لا تستخدم خطابات الاعتماد، فليس من الواضح أن الوزارات العراقية ستحصل على السيولة النقدية بسبب رد البنك. وشكك فريق لمراقبة عائدات النفط العراقي، وهو"المجلس الدولي للمشورة والمراقبة" ما إذا كانت هناك محاسبة كافية لجميع الأموال المودعة من قبل الوزارات العراقية لدى المصرف التجاري العراقي، مشيرا إلى "ضعف التنسيق" وعدم وجود "تسويات مناسبة".
مصرف التجارة العراقي يقول إذا كانت هناك أوجه القصور في النظام في الماضي فسيجري تصحيحها. ويقول المتحدث باسم مصرف التجارة العراقي أن الصلات العائلية للأزري هي غير ذات صلة بالمصرف. وفي الماضي جعل الوضع الأمني من المستحيل تنفيذ إجراءات دقيقة تماما في بعض جوانب عملية المراجعة، ولكن تقريرنا السنوي الأخير كان واضحا"، "ومع عودة الحياة الطبيعية فالإجراءات لدينا هي أن تصل تدريجيا إلى أفضل المعايير الدولية".
التقارير السنوية لمصرف التجارة العراقي توضح فيه الرسوم البيانية للبنك والنمو الفلكي له خلال سنوات الاحتلال السابقة بما يساوي ثلاث وعشرين ألف بالمائة فالزيادة في الأصول من عام ٢٠٠٤ حتى ٢٠٠٨ ، كان من ٤١٤ مليون دولار إلى ١٠ مليار دولار. أي زيادة بنسبة ٢٣،٠٠٠ في المائة في الودائع في تلك السنوات نفسها. مراجعو الحسابات في إرنست ويونغ أشاروا إلى "نقاط الضعف" في الضوابط الداخلية، ومئات الملايين من الدولارات في حسابات لم تتم تسويتها في البنك على أساس عدم التوازن بين وثائق البنك.
هناك شيء آخر الذي يميز مصرف التجارة العراقي عن البنوك الأخرى في العراق: أن له شراكة قوية مع مجموعة ضغط في الولايات المتحدة، وهي مجموعة باتون بوجز، والتي وظفت له بدفع جدول أعماله في " الكونغرس الأمريكي".. وقد دفعت بالتأكيد لأحمد الجلبي عبر تاريخ طويل من ممارسة الضغط على الكونغرس، ومنذ عام ٢٠٠٨ ، فإن البنك الذي يديره ابن الأخت للجلبي قد دفع أكثر من ربع مليون دولار لباتون بوجز. (باتون بوجز تعمل اليوم في الشؤون الخارجية وفي العام الماضي تم استخدامها نيابة عن متعهد الدفاع الأفغانية للضغط على الولايات المتحدة من أجل مزيد من المشاركة الأميركية في أفغانستان).

إن شركة الضغط هذه لم تشرح تفاصيل ما تقوم به عن مصرف التجارة العراقي، ما عدا تقديم أعمالها إلى كاتب مجلس الشيوخ " فالمسائل المتصلة بدور بنك التجارة العراقي هو في إقامة نظام مالي مستقر في العراق وضمان تدفق رأس المال ".

وفي الوقت نفسه افتتح بنك البلاد الإسلامي في عام ٢٠٠٦ وبرئاسة عصام الازري والد حسين الازري، وتقول المصادر انه يعتقد أن الجلبي سيكون صاحب التأثير فيه أيضا. كمشارك ما لا يقل عن واحد أكثر من أقاربه فيه. ومما يثير الاهتمام والفضول في هذا الأمر مساهم آخر في البنك الرجل الذي كان يدير العملية التي من خلالها استطاع الجلبي من تمرير المعلومات الاستخبارية والدعاية الزائفة التي تغذي الاندفاع لغزو العراق، والتي مولتها الولايات المتحدة لجمع المعلومات لبرنامج المؤتمر الوطني العراقي وهذا المساهم هو مساعد الجلبي واسمه أراس حبيب كريم والذي كان لفترة طويلة يشتبه كعميل مزدوج للمخابرات الإيرانية.

في بلاد الشام بنك البلاد الإسلامي نما بشكل استثنائي أيضا فالمسئولين في الحكومة العراقية والولايات المتحدة يقولون انه قريب جدا من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (حركة المجلس الأعلى). والذي يتبع تدفق الأموال إلى لبنان، من خلال البنك، من إيران. "شركة بنك البلاد" بحسب مسئول مصرفي أميركي "هو بجميع المظاهر بنك للجلبي. أنشئ كبديل عن مصرف التجارة العراقي لأنه في نهاية المطاف سيكون هنالك شخص ما سيشكو مما كان يحدث في مصرف التجارة العراقي". ويبدو واضحا أن الازري الابن والأب وكلاهما مرتبط بأحمد الجلبي حافظوا على العلاقة بينهما في مجال الخدمات المصرفية. وفي الواقع كانت العلاقات بين البنوك يحتفل بها في مجلة التجارة والتي أعطت لبنك البلاد الإسلامي جائزة "صفقة العام" في عام ٢٠٠٨ عن تحالفها مع مصرف التجارة العراقي.

وقد قدم مصرف التجارة العراقي، البنك المملوك للدولة والذي يديره حسين الازري وبنك البلاد الإسلامي والذي مديره والد آل الازري رسالة من ١٠٠ مليون دولار كصفقة إعادة إصدار ائتمان للحكومة العراقية.

وفي حين قال المتحدث باسم مصرف التجارة العراقي أن شركة البلاد "لم تحصل على معاملة خاصة" للحصول على هذا الامتياز. رفض الجلبي الطلبات المتكررة للحصول على تعليق من خلال المنتسبين له منذ فترة طويلة وكذلك من مسئولي بنك البلاد لم يدلوا بأي رد.

في النهاية ما إذا كان الجلبي سيحصل على مقعد في البرلمان، فستجري العادة بأنه أفضل طريقة لفهم ما سيحدث في العراق وفهم ما سيحصل فيه هو من خلال متابعة المال. واليوم تجري الأمور على نحو تدرجي ووفقا لتناسق ونتائج سلسلة التعثرات والغباء الانكلو- ساكسوني في البلاد ومنذ ٢٠٠٣ تتجه الحرب على نحو طائفي وعنصري بعد إن كان إنجيلهم في دخولهم للبلاد معتمدا على أسس ودراسات بدأت من موسوعة بطاطو وانتهاءا إلى التنظير الايديلوجي المتشدد للكارتل الخماسي من منظري المحافظين الجدد في التفوق البيوريتاني البروتستانتي على العالم وما تبع ذلك من نظريات من أمثال صراع الحضارات وسواها. إن انحياز الأطراف السياسية الى الحلول المسلحة بشكل عام نحو هذه الحرب وما عقد من تحالفات بين الأطراف المختلفة للوصول إلى غايتها من هذا الهجوم ودون النظر إلى المستقبل في بناء الدولة العراقية المستقلة تدعو إلى ذلك التوجه المجنون نحو هذه الحرب، ولربما كانت لدولة الاحتلال اليد الطولى في غض النظر إلى وقف تلك المذبحة إلا إن انه لابد إن تأخذ الأمور إن تأخذ هذا المنحى ويصعد مؤشر العنف القاتل إلى المستوى الأعلى قبل إن يعود من جديد إلى الاستقرار. ان راجعنا الأطراف المشاركة والمتهيئة لهذه الحرب نجد إن الجيش الأمريكي يريد إن ينجز انتصاره التاريخي في البلاد ويستمر في بناء ونشر أسس السلام الأمريكي في العالم والتوسع الكوني الذي يبشر به ويمحو التعثرات التي واجهها في السابق، وكذلك تنفيذ كافة الطموحات والمصالح والتي كانت السبب الحاضر بشكل كبير في تكوين وبناء هذه الحملة العسكرية. أما المقاومة المسلحة بكافة أشكالها وأمالها وآلامها ونتائجها وإيديولوجياتها المختلفة فتريد إن تحقق نتائج ملموسة على

الأرض وان اختلفت تسمياتهم وتوجهاتهم. إلا إن الهدف هو كسر الإرادة وقصم الوجود الأمريكي في البلاد ودون النظر إلى المستقبل بشيء من التخطيط لذلك قد تجتمع اغلب القوى المسلحة في الاتفاق على الهجوم المحتمل الجديد على بغداد، ولعل ما يجري اليوم ومن كافة القوى المسلحة في بغداد هي تجري في هذا المنال لأنها قد تكون المعركة الأخيرة لجميع الأطراف بدون استثناء لإثبات القيادة المستقبلية للعراق. وكان كل الوقت في ما سبق يجري لصالح المقاومة وبكل المقاييس لأنهم أصحاب الأرض والتاريخ غير إن الأعداء قد فهموا هذا بشكل جيد ووظفوه اليوم لكي يكسبوا هذا العامل لديهم وان كان ما يجري على الأراضي العراقية من قتل وتنكيل وتطهير عرقي ومذهبي وتهجير كان له مشابه في تاريخ الأمم المعاصرة في الجزائر وفيتنام وأمريكا الوسطى والبوسنة لأنهم قد يشتركون معنا في قواسم مشتركة بيننا ويأمل الأعداء إن تؤدي النتائج إلى ما آلت إليه من نتائج في البلاد. وحينما سقطت سيادة الدولة العراقية في ٩ نيسان ٢٠٠٣ أصبح أهم الواجبات على المقاومة العراقية بناء الدولة الكاملة السيادة والتي تتولى حكومتها إدارة شؤونها الداخلية والخارجية من دون إن تخضع في هذا الأمر إلى أي تدخل خارجي والذي يتيح لأبناء الدولة حق المساواة أمام القانون وفي الحقوق والواجبات وبمعنى أخر تحقيق الدولة ذات الكاملة السيادة أو الدولة المستقلة. جاءت أحداث العراق في فرض النظام بالقوة المسلحة ودخول ثقافة العنف السياسي فيه من قبل الأحزاب والحكومة العراقية والمرتزقة ليواجه العراق مشكلة بنيوية كبيرة منها توجيهه بالقوة التي تخيف وهي لا تؤدي بالضرورة إلى النتائج المرجوة، وانتقل عنف الدولة إلى المجتمع في وجوه أخرى منها عدم استطاعة الحكومة استغلال الموارد المتاحة أو السعي إلى توافق الانقسامات الاجتماعية والدينية والعرقية أو إلى شراء الولآآت للأقليات إلى جانب استخدامها القوة مع الصفوة المتعلمة والمثقفة في البلاد الأخرى.

هذا التغير في التعامل مع المجتمع العراقي جاء بعد ما أحس الأمريكيون بلذة النصر السريع الذي أحدثوه في العراق وأرادوا إن يؤكدوا على ضمان الحقوق والامتيازات لمواطني ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية ورعاياها في العراق، وجاء إقرار هذه السياسة تجاه العراقيين بان تكون ثابتة وليس قابلة للتغيير ويمكن العمل بها من خلال التعامل مع رؤساء العشائر أو مع المنفيين والمنشقين وأصحاب الأطماع، أو مع أصحاب الاتجاه الديني والذين تتمركز أهدافهم بصورة واضحة مع المعتقد الديني وليس مع بناء الدولة، ولم يتم التعامل مع أبناء المدن المثقفين ذو المستوى الثقافي العالي، وقد ساعدت تلك السياسة على زيادة الهوة بين أبناء العشائر وبين أبناء المدن أو بين أبناء المجتمع المتماسك وأدى ذلك إلى الحد الذي فضلت فيه بعض العشائر العراقية الحكم العسكري الأمريكي الأجنبي المباشر على حكم ابن المدينة الوطني.

فأصبحت السياسة الأمريكية قادرة على أن تدير المتناقضات السياسية وليس كسب التوافقات وأصبحت العلاقات العراقية المحلية في السياسة الأمريكية تقوم على معرفة الصراعات ونشأتها وإدارتها ثم حلها وفقاً لمصالحها الخاصة. ولم تجعل لتاريخ شعب العراق التي تعاملت معه أي اثر في تلك العلاقات فهي في نظرها تصنع التاريخ وتعرف كيف تسير إلى المستقبل وبذلك خالفت المبادئ الأساسية للعلاقات الدولية في حقوق السيادة والمواطنة والسلوك المحلي للدولة وحتى تغير مفهوم توازن القوى واستخدام القوة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ألأخرى لصالح مفهوم التدخل الإنساني العالمي في الحرية والديمقراطية والسلام الأمريكي. وكانت هذه السياسة قائمة على إرساء دعائم صراع طويل داخلي وإقليمي وخارجي حول العراق واستطاعت بفضل دبلوماسيها وقناصلها المعتمدين في العراق من إنشاء أنواع مختلفة من الصراعات، ثم وبفضل قوتها العسكرية والإستراتيجية العالمية والتي تتمتع بها تمكنت من إدارة تلك الصراعات وبالتالي حلها أو تركها أو حتى إشعالها من جديد وبوجوه أخرى وبحسب مصالحها القومية.

وكان على هذه القوة العظيمة أن تأخذ بنظر الاعتبار وهي تنشئ هذه الدولة العراقية الحديثة وبالمصاف الأول المصلحة القومية لدولتها ضمن صفات محدودة تتمثل بالحدود والهوية والحدود السياسية والعرق ألاثني إلى جانب خلق البيئة الملائمة لمحيط هذه الدولة مع التركيز على بناء

النموذج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع وضمن الدائرة الرأسمالية الكبرى خصوصاً وبالنظام العالمي بشكل عام. إذ أن معارضة خارجية قوية لإنشاء الدولة المستحدثة أو إرادة شعبية لا تريد مثل تلك الدولة قد يؤدي إلى فشل فرض نجاح قيام مثل هذه الدولة. ثم إن تلك المعايير بعد ذلك اختلفت لتجعل من تطلعات الشعب المعينة في الحرية والاستقلال أمراً جوهرياً وقانونياً مهماً في انتشار الدول فأصبح الاستقلال وتقرير المصير والإرادة الوطنية وهو حقاً من حقوق الشعوب في القانون الدولي ودخل ذلك في حسابات المستعمر من جديد.

ان معركة الإرادة التي نمت بين صفوف الشعب في البقاء والقتال في الوطن ربما يكون أصعب ما يمر به الإنسان وان اختيار الوطن لا بل البعد عنه والمعرفة بأنه سوف لن يعود إليه من أسوأ ما يكون. اختيار صعب بين هذا وبين اختيار الموت في سبيل ذلك ولعل الإحداث التي تعصف بالبلاد أشبه ما تسير الأمور إلى ذلك الخيار وان الصبر على التسليم بذلك قد يكون أمر تلك الأمور. إن اتخاذ القرار في السياسة الدولية وان كان خاطئا في اغلب الأحوال خير من عدم اتخاذ أي قرار ذلك إن الأخطاء يمكن إن تصلح أو تعدل أو إن تغير أو حتى إن تؤجل بعكس الأمر الأخر من عدم اتخاذ القرار فان العدو أو الخصم يكون قد سبقك بأكثر مما تتصور وعندئذ لا يمكن تدارك الأحوال والأخبار.

ثمن "إستراتيجية زيادة القوات" التعجيل بزوال الإستراتيجية الأمريكية في العراق

في كانون الثاني ٢٠٠٧ أعلن الاحتلال إتباع نهج جديد بشأن الحرب في العراق. في ذلك الوقت، كان العنف الطائفي والمقاومة العراقية في تصاعد وكادت تخرج عن نطاق السيطرة، والديمقراطيين في واشنطن -- المسيطرين على مجلسي الكونغرس -- طالبوا الادارة بان تبدأ بنهاية الحرب.

وكان الاحتلال يعلم انه بحاجة الى تغيير المسار، لكنه رفض، حسب تعبيره، عن مقولة "التخلي عن هدف النصر" وذلك بدلا من الإذعان للدعوة الى الانسحاب، فقد قال انه قرر متابعة الطريق الموصل الى الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة من خلال الزيادة في القوات كتأكيد جديد على إستراتيجية مكافحة المقاومة العراقية، وكذلك من خلال قيادة جديدة للإشراف على تلك الإستراتيجية التي ستدوم بحسب نظر الاحتلال الى اكثر من عام.

وتنامت الحكمة التقليدية الأمريكية للذهاب الى القول ان "إستراتيجية زيادة القوات" قد آتت أكلها حين انخفضت الإصابات في قوات الولايات المتحدة الى حد كبير عن الذروة التي بلغتها في منتصف ٢٠٠٧ وان مستوى العنف في العراق أصبح أقل مما كان منذ عام ٢٠٠٥، وبغداد تبدو ألان اسلم منذ سقوط نظام صدام حسين قبل خمس سنوات. حتى ذهب بعض من مؤيدي "إستراتيجية زيادة القوات" الى القول بأن نصر واشنطن بات وشيكا -- طالما ان الولايات المتحدة لديها الإرادة نظرا لجهودها الحالية للانتهاء منها.

بينما الحقيقة التي أسيئ فيها فهم أسباب الانخفاض الأخير في أعمال العنف والتي هي الأهم من ذلك هو التجاهل القاتل في ان هذه الإستراتيجية "إستراتيجية زيادة القوات" لم تغير الوضع في حد ذاته ولكن في الاشتراك مع عدة تطورات أخرى والتي منها النجاحات التي آلت إليها عمليات التطهير العرقي، والسكون التكتيكي من الميليشيات الشيعية، وعقد سلسلة من الصفقات

بين القوات الأمريكية والعشائر السنية والتي تشكلت بموجبها قوات سميت بقوات الصحوة لتنهج منهج التهدئة في العراق.

والمشكلة هي ان هذه الإستراتيجية للحد من العنف لا تمت بصلة الى اي خطة مستدامة لبناء دولة قابلة للحياة في العراق. بل أنها جعلت هذه النتيجة اقل احتمالا عن طريق إذكاء الانفصال عند العشائر العربية السنية ومنها التحريض ضد الحكومة المركزية. وبعبارة أخرى تم تحقيق في الآونة الأخيرة مكاسب قصيرة الأجل جاءت على حساب الهدف الطويل الأجل لمجتمع مستقر ووحدوي في العراق.

وعلى الرغم من الهدوء الحالي في العنف ستحتاج واشنطن الى التحول من جانب واحد من أسفل الى أعلى في "إستراتيجية زيادة القوات" الإستراتيجية لتشجع سياسة تماسك العراق بدلا من ان تضعفه، وذلك يعني إنشاء نظام فعال متعدد الأطراف لتحريك عملية المصالحة السياسية من أعلى الى أسفل بين الفصائل العراقية ية. وهذا بدوره سيعني بوضوح ان معظم القوات الأميركية ستنسحب من العراق في غضون عامين او ثلاثة أعوام. وعلى خلاف ذلك فان الإستراتيجية المعتمدة بقرب الأجل ميزة تشعر بالإحباط من جانب الادارة ولن تؤدي الا الى زيادة احتمال كارثة طويلة الأجل.

"إستراتيجية زيادة القوات" البداية الخاطئة:

بعد شباط ٢٠٠٦ وبعد تفجير سامراء، بدأ البيت الأبيض يشعر بقلق متزايد من أن هناك عدد قليل جدا من القوات الأمريكية في العراق. وفي تشرين الثاني ٢٠٠٦ في انتخابات الكونغرس والذي سيطر عليه الديمقراطيين أضاف شعورا بأنه يجب وضع إستراتيجية جديدة أمر ضروري. في كانون الأول 2006 أشارت مذكرة الى الاحتلال من مستشاره للأمن القومي ستيفن هادلي، إلى ضرورة قيام الولايات المتحدة بسد الفجوة في بغداد من قبل قوات التحالف وليس على القوات العراقية. وفي ١٣ كانون الأول ٢٠٠٦ اجتمع الاحتلال مع هيئة رؤساء الأركان المشتركة في البنتاغون لإقناعهم بتخصيص مزيد من القوات الى العراق ولم يكن من السهل جعل القوات البرية الأمريكية ان يتم تهيئتها لمكافحة مثل هذا النوع من الحرب الطويلة.

وقد أوضح رئيس هيئة رؤساء الأركان المشتركة عن قلقه إزاء وضع الجيش آنذاك من حيث الإجهاد وعجز الوحدات الاحتياطية من سد هذا الفراغ وفي غضون ذلك، تصاعدت كلف الحرب وكان هناك خطر متزايد أن العسكريين قد يجدون أنفسهم غير قادرين على مواجهة التحديات الإستراتيجية الأخرى، سواء في أفغانستان، او ايران أوفي أي مكان آخر في العالم. وحاول الاحتلال تبديد هذه المخاوف من خلال الإعلان عن التبرعات او زيادة حجم قوات الجيش الامريكي وسلاح البحرية، وزيادة الإنفاق على الدفاع. ولكن زعماء الأركان المشتركة اشترطوا ايضا دعم مشروط لإستراتيجية زيادة القوات على وعد من نوري المالكي وإقدامه على المصالحة السياسية.

وعندما كشف الاحتلال عن "إستراتيجية زيادة القوات" في كانون الثاني ٢٠٠٧ بنشر ٢١٥٠٠ جندي إضافي خلال ايلول ٢٠٠٧ من اجل تحقيق هدف عسكري محدد هو من اجل استعادة بغداد ولأجل ضمان ان تكون للحكومة العراقية لديها الفرصة لالتقاط الأنفاس التي تحتاجها لإحراز التقدم في المجالات الحيوية الأخرى. ذلك لان معظم العراقيين من السنة والشيعة يريدون العيش معا في سلام وان تقليص العنف في بغداد سيساعد بجعل المصالحة ممكنة. ونقلت وكالات الأنباء عن الاحتلال والمالكي وعدا بأن الخطة الأمنية لبغداد "لن توفر ملاذا آمنا لأي من الخارجين على القانون، بغض النظر عن الانتماء الطائفي او السياسي". وحتى ذلك الحين كانت الادارة الأمريكية آنذاك تشك بان المالكي على استعداد لمواصلة المصالحة، كمحددات رئيسية للاستقرار طويل الأمد في العراق.

وزار هادلي العراق آنذاك لتقييم احتمالات قيام التقارب للطائفية السياسية وعاد وقال انه غير متأكد من موقف المالكي. وتساءل هادلي في مذكرة قدمها في كانون الأول ٢٠٠٦ "هل نحن مع

المالكي " "بأننا نتقاسم نفس الرؤية للعراق؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل هو قادر على كبح جماح أولئك الذين يسعون الى إعادة تأكيد السلطة والهيمنة الشيعية او السنية ؟ وكانت الإجابة على هذه الأسئلة في تحديد ما إذا كانت لدينا الإستراتيجية السليمة في العراق". واقترح هادلي عدة طرق لاختبار نوايا المالكي ودعمه وعزمه بما في ذلك المبادرات الرامية الى تقديم الدعم البرلماني لتحرير المالكي من سيطرة قاعدته الشيعية المرتبطة بمقتدى الصدر وتمكينه من اتخاذ الخطوات في اتجاه تصالحي مع السنة. ولكن الولايات المتحدة كانت تفتقر الى التأثير اللازم لوضع هذا النهج موضع التنفيذ قبل مضي وقت طويل والأحداث في العراق كشفت الإجابات على أسئلة هادلي: وفي كلتا الحالتين تم نشر خمسة ألوية جديدة في بغداد على النحو المخطط له.

ولكن ومنذ البداية كان هناك القليل من التقدم المحرز نحو أهداف أوسع من "إستراتيجية زيادة القوات" وبخاصة المصالحة إذا ما قيست الحكومة العراقية بعدم القدرة على تلبية المعايير فلجنة إعادة النظر في الدستور والتي كانت مكلفة بتصحيح المظالم السنية لم تحرز تقدما يذكر بينما كان هنالك تقدم ضعيف في مسالة اجتثاث البعث وفي الإصلاح والعفو العام وانتخابات مجالس المحافظات او تنفيذ التشريعات النفطية.

بالمقابل انسحبت الكتلة السنية والوطنية العلمانية العراقية من الحكومة وأدعو بان حكومة المالكي غير فعالة كذلك فان اللجان التي أنشئت لدعم الخطة الأمنية في بغداد تركت شاغرة وثلاثة ألوية عراقية اللازمة للمساعدة على تنفيذ العمليات الأمنية وصلت في وقت متأخر وأخفقت الجهود الدبلوماسية للحصول على تأييد من قبل جيران العراق للمشاركة في هذه العملية.

لاحظ الاحتلال في كلمته عن "إستراتيجية زيادة القوات" الى ان السنة تحدت وجود تنظيم القاعدة في العراق وفي شباط ٢٠٠٧ أوصت تقديرات الاستخبارات الوطنية حول العراق الى ان "الانتداب وتوفير الموارد والعمل بشكل مباشر مع جماعات الصحوة وإنشاء لجان المصالحة لمساعدة إصلاح العلاقات بين العشائر والجماعات الدينية التي عبئت في حرب الطوائف على مدى السنوات الثلاث الماضية.

وبعد اشهر قليلة أشار بوش الى التحول في الإستراتيجية ففي كلمة ألقاها في كلية الحرب البحرية "لتقييم كيفية تحسين الحياة للعراقيين" الى انه "لا يمكننا ان ننظر الى العراق الا من أعلى الى أسفل فنحن بحاجة الى ان نتجاوز المنطقة الخضراء وننظر الى العراق من أسفل الى أعلى". وما كان اقتراح الاحتلال كان تحولا في النهج الأميركي لمكافحة المقاومة العراقية. من الناحية النظرية فان ذلك من شأنه ان يساعد في تفكيك البنية التحتية للمقاومة وخلق جزر من الاستقرار من شأنها في نهاية المطاف ان تصل بالانضمام الى ما يشبه من استقرار لما يشبه "البقع النفطية" بعد الغزو الامريكي، وستذهب الجماعات السنية التي كانت تساند المقاومة العراقية الى وقف التعاون مع الجهاديين الأجانب والمحليين الذين يشكلون القاعدة في العراق . وهما هدف مشترك على عكس انتصار الشيعة والسنة.

ومن الأمور المهمة في هذا الجانب الإشارة الى استغلال الإستراتيجية الأمريكية الجديدة للتنافس على الاستيلاء على منصب القيادة داخل المقاومة العراقية وبالتالي عرقلة ترتيبات تقاسم السلطة بين بغداد السنية والقوميين، وهذا ترتيب يترتب عليه استبعاد القاعدة من السنة. فالعراقيين السنة هم اليوم قد فترت حماستهم لفكرة التحالف ضد محاولة القاعدة بشكل متزايد لتأكيد قيادتها.

الا ان المقاومة القومية ذات التوجهات الإسلامية المعتدلة وجدت ان الموافقة على إعلان دولة منفصلة وترك القيادة الى القاعدة لا معنى لها. ومن شأن ذلك ان يغذي العملية اللامركزية للمقاومة، ويتجرأ بذلك الأكراد والشيعة والذين يسعون الى إحراز إقطاعيات خاصة بهم الى إبعاد أهل السنة في نهاية المطاف من الوصول الى عائدات العراق النفط الضخمة المحتملة في شمال وجنوب العراق.

وعلاوة على ذلك وعلى الرغم من ان النجاح الذي نسب الى تنظيم القاعدة، ومن القوميين السنة الذين قدموا العمود الفقري للمقاومة فان بعض العشائر قد نمت ايضا استياء متزايد لجهود تنظيم القاعدة للاستيلاء على السيطرة على الموارد. فقبائل الدليم على سبيل المثال، فقدت السيطرة على أجزاء من الطريق من بغداد الى عمان وتقوضت قدرتها على زيادة الإيرادات عن طريق فرض ضرائب او ابتزاز التجار والمسافرين. وبعد قتل بعض من أبناء تلك العشائر من قبل القاعدة تجمعت مجموعة صغيرة من الشخصيات القبلية (مع مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة) تحت لواء مجلس إنقاذ الانبار لدحر نفوذ القاعدة وقد نجحوا في ذلك بشكل بارز. الا ان هذه إلاستراتيجية قد تكون غطت الانشقاق وتركت جماعات المقاومة مع خيارين لا ثالث لهما: أما مكافحة القاعدة والتفاوض مع الأميركيين او القتال ضد الأميركيين والانضمام الى الدولة الإسلامية في العراق، والذي بالتالي سيقسم العراق وبعد معركة بغداد التي جرت طوال عام ٢٠٠٧ -- والتي كانت محصنة بفضل قوة الصدر وجيش المهدي الشيعي مع وصول القوات الأميركية الإضافية -- ذهب العراقيون السنة بحسم مع الخيار الأول، والذي سمي بداية بجماعات الصحوة السنية.

من جانبها كان للولايات المتحدة الحافز للتعاون مع هؤلاء المقاتلين ففي حزيران ٢٠٠٧ ومع مقتل ١٢٦ من القوات الأمريكية والذي كان ثاني أسوأ شهر للعسكرية الأميركية في العراق، واجه الجنرال ديفيد بترايوس القائد الامريكي في الميدان ضغوطا للحد من الإصابات بسرعة. وكانت أنجع وسيلة لتحقيق ذلك هي في وقف النشاط ضد المقاومة وعقد الصفقات التي تمت بوساطة زعماء العشائر وتألفت من المدفوعات بقيمة ٣٦٠ دولارا في الشهر لكل مقاتل في مقابل الولاء والتعاون.

في البداية كان المشار إليهم من قبل الولايات المتحدة بأنهم "المعنيون من المواطنين المحليين" والمقاومون السابقين والذين باتوا يعرفون الآن باسم "أبناء العراق". وأضحى العدد الإجمالي في جميع أنحاء العراق بما يقدر بأكثر من ٩٠٠٠٠ -١٢٠٠٠٠ مقاتل. ورغم ان المقاومين تحولوا الى حلفاء عموما وهم مسلحون تسليحا جيدا الا ان احد ابرز زعمائهم وهو أبو العبد قائد احد فصائل الجيش الاسلامي في العراق والذي يسيطر على الأحياء السنية في بغداد قال انه يتلقى أسلحة فضلا عن الدعم اللوجستي من الوحدات الأمريكية. ووافق صاحب هذا الترتيب في تشرين الثاني ٢٠٠٧ على ثلاثة اشهر من الميثاق بينهم وبين القوات الأمريكية مفتوحة التمديد.

أدت هذه إلاستراتيجية الى جانب التطورات الأخرى وبخاصة حقيقة ان الكثير من التطهير العرقي قد حدث بالفعل وان العنف في الحروب الأهلية بدا يميل الى الانحسار بعد التدفق، كما ان الجانبين المتضاربين بدآ يعملان على تجديد وترسيخ المكاسب والخسائر جعلت الأحداث الراهنة تتجه الى انخفاض العنف. في غضون ذلك استنزفت"إستراتيجية زيادة القوات" الولايات المتحدة من الميزانية ١٥٠ مليون دولار كدفعات الى المجموعات القبلية السنية لهذه السنة فقط، الى جانب نسبة ٢٠ ٪ التي تدفع الى رؤساء وشيوخ هؤلاء المجموعات الأمر الذي دفع واشنطن الى الضغط على بغداد في نهاية المطاف لإدماج معظم المقاومين السابقين في أجهزة الأمن في الدولة العراقية الا ان هناك من الأسباب ما تدعو الى القلق إذ ان زعماء العشائر السنية لن يتخلوا عن طيب خاطر عما أصبحت هذه الترتيبات مربحة للغاية .

"إستراتيجية زيادة القوات" حققت نجاحات عابرة بعد هجمات شباط ٢٠٠٦ كإشارة الى الانخفاض في العنف ولكنه فعل ذلك عن طريق إذكاء القوات الثلاث التي كانت تقليديا قد هددت الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط الدول عبر التاريخ المعاصر: وهي القبلية، وأمراء الحرب، والطائفية. وإذا ما فشلت الدول في السيطرة على هذه القوات فقد تصبح في نهاية المطاف صعبة الانقياد، وهذا هو المصير لـ"إستراتيجية زيادة القوات" التي ستستعيد العراق.

ان هذه إلاستراتيجية كانت تهدف الى تخفيض الإصابات في المدى القصير الا أنها ستكون عاملا حاسما في إضعاف احتمالات تماسك العراق على المدى الطويل. فمنذ منتصف القرن التاسع عشر، والقوى الحاكمة في الشرق الأوسط كانت الحكومات تعمل شيئا فشيئا لإحلال ودمج القبلية الى رحاب الوطن، ومع نجاحات مختلفة في بعض البلدان ظلت العشائر والقبلية قوية بينما لا تزال الدولة ضعيفة

حاول العثمانيون الإدماج القسري للقبائل وإضعاف للسلطات القبلية وعرقلة أنماط الاستيطان والاستعاضة عن شيوخ العشائر بكوادر اصغر من الزعماء الذين اثروا وأصبحوا قنوات للرعاية. بينما واجهت الدول الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى مشكلة مختلفة تتمثل بالتهديد القومي من النخب الحضرية والتي كانت تعارض الحكم الأجنبي. وفي محاولة لمواجهة التحدي الذي قاده هؤلاء في المناطق الحضرية في العراق، جعلت سلطة العشائر الريفية على الهامش في المناطق الحضرية أي المدن وسلحت بريطانيا العشائر والمشايخ حتى يمكن الحفاظ على النظام في المناطق الريفية، لتحقيق التوازن بين القدرات الاسمية للحكومات المحلية والتي كانت تعمل في إطار ولايات عصبة الأمم.

وهكذا فإن النظام القبلي الذي كان سائدا في الحكم العثماني كان يسعى الى تفكيك تنشيط سياسة الإمبراطورية البريطانية، ويبطل منهج السلطة الاسمية للحكومة العراقية. في عام ١٩٢١ ورث الملك فيصل العراق وفي تلك المملكة وكان هناك اكثر من ١٠٠٠٠٠ بندقية، في حين امتلكت الحكومة ١٥٠٠٠ بندقية فقط. الا ان العشائر فقدت بعض السلطة على مدى العقود اللاحقة وكان في جزء منها كنتيجة مباشرة لزيادة المشاركة البريطانية في أنشطة مثل إنفاذ القوانين وحيازة الأراضي وتوزيع المياه وفي جزء كبير كان نتيجة التحضر. فالعراقيين انتقلوا من البادية الى المدينة، وانتقل انتماؤهم من القبيلة الى المؤسسات والتي هي أساسا هياكل الدولة والمسجد. وحينما استولى البعثيون على السلطة في ١٩٦٨ رفضوا صراحة "الدينية والطائفية والعنصرية وجعلوا القبلية من بقايا الاستعمار". الا ان العشائر كانت في أذهانهم أمر لا مفر منه كمنافس لتمركز الدولة. ولكن بعد ان تولى صدام زمام السيطرة في عام ١٩٧٩ كان متكأ على شبكات العشائر السنية كموظفي له للأجهزة الأمنية وقيادة الجيش والبيروقراطية، وحاول كبح جماح العشائر عن طريق تشتيت البعث في جميع أنحاء المناطق الغير مركزية لكنه ومع ذلك اعتمد على العشائر كنظام لتعويض أوجه القصور في الدولة في أصعب الأوقات. وخلال الحرب بين ايران والعراق تقدم الشيعة للدفاع عن مناطق العشائر بالقرب من الحدود الإيرانية، واستعاد بعض زعماء العشائر في أماكن أخرى بعضا من السلطة التقليدية على اعتبار ان الحرب أجبرت نقل البعثي المسؤول الى الجبهة. ووسط المصاعب التي أوجدها الصراع انكمش تدفق الموارد من المركز، مما أدى الى مزيد من الاعتماد على الذات في المناطق القبلية وهنا برزت الأهمية المتجددة لزعماء العشائر.

في حرب الخليج وطحن العقوبات الدولية التي أعقبت ذلك تسارعت هذه الاتجاهات وفي عام ١٩٩٦ أنشئ المجلس الأعلى لزعماء العشائر ومنح الامتيازات السياسية والأسلحة والأرض. وسمح لنخبة من زعماء العشائر لإثراء أنفسهم بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت عادلة او خاطئة، مقابل العودة المتوقعة للدفاع عن النظام أيام الأزمات. وفي الواقع تبنى صدام عملية العشائرية العربية في العراق مشابها لما متبعا لجيران العراق وخاصة في الأردن والمملكة العربية السعودية للفوز بالاستقرار الدائم عن طريق حبس العشائر من خلال الجمع بين المكافأة والعقاب.

في الاردن ساعدت بريطانيا الملك عبد الله الأول لمواجهة -- المجاعة واثأر الكساد الكبير-- وواجه العشائر المتمردة عسكريا ومن ثم المضمونة في ولائهم مع تدفق مستمر للموارد من الدولة الناشئة. وفي الآونة الأخيرة وفي الأردن الهاشمية الملكية اليوم أصبحت المحافظة على

ولاء العشائر من خلال تأمين المناصب المرموقة في الحكومة والجيش لهم ومنهم من لعب دورا ضد الفلسطينيين.
في المملكة العربية السعودية وسلالة آل سعود الموحدة للدولة أخضعت العشائر المتمردة عن طريق تحدي الإخوان ومن ثم وهب لهم مركز ودور عسكري. ووطدت إستراتيجية الزيجات بين أسرة آل سعود والعشائر لهذه العلاقات. وبالرغم من هذه الجهود الا ان هذه العلاقة تعثرت أحيانا، الا ان القوة الدافعة للسياسة كان واضحا دائما في إخضاع العشائر الى الدولة.
وفي بلدان أخرى في المنطقة مثل اليمن ونتيجة للسماح للقبائل لمسابقة سلطة الدولة كان واضحا مما عرض البلد الى الاختلال والى نوبات من العنف الداخلي الخطير. كما يمكن لهذا العنف ان ينتشر عبر الحدود لا سيما إذا كانت الدول المجاورة مستعدة لاستخدام العشائر على هذا النحو الخاص بها. وتوفر باكستان خاصة في هذا المجال من الأمثلة المشؤومة على ذلك الاختلال فتخلفها عن استيعاب السكان الباشتون قد يهدد بقاء الدولة الباكستانية واستمرار تغذية النزعة القبلية في العراق في طريقه الى ان يديم المعارضة في العشائر للحكومة المركزية بدلا من ضمهم إليها، وسوف تسفر الدولة العراقية التي تعاني من عدم الاستقرار والعنف على نفس النحو اليمن وباكستان.
واليوم فان إستراتيجية الولايات المتحدة المتبعة حاليا في العراق هي في تبنيها لهذا المبدأ عن طريق تعزيز مبدأ القبلية او العشائرية في جميع أنحاء العراق مرة أخرى، والمسؤولين الأمريكيين في العراق قد أحيطوا علما بكيفية النهج الحالي في الولايات المتحدة والذي أدى الى تفاقم مخاطر العشائرية. ففي الشهر الماضي قرر أحد كبار المستشارين العسكريين الأمريكيين "بأننا نفكر بالتحريض لمزيد من الفساد وإدامة السلطة القبلية". وفي كانون الأول ٢٠٠٧ حذر دبلوماسي أمريكي من ان "عدم وجود الحكومة في الكثير من المجالات وقد سمح لآخرين في التحرك سواء كانت ميليشيات او غيرها مما ساعد على تفتيت البلد بدلا من إقامته موحدا. وان الجبهة القومية السنية وبعد ان استعادت ثقتها فإنها ستكون مستعدة للتعامل معنا في بناء بغداد.
ان نمو أمراء الحرب هي آخر نتيجة "الإستراتيجية زيادة القوات" من خلال تمكين العشائر وغيرها من الشبكات ومن دون تنظم علاقتهم بالدولة فان الولايات المتحدة قد تمكنهم من ان يتنافسوا فيما بينها للسيطرة المحلية وغالبا على الإيرادات. ومن الجدير بالذكر ان أمراء الحرب ليسوا مجرد ظاهرة للزاحف السني.
وإستراتيجية الولايات المتحدة القديمة التي أدت الى تفاقم الطائفية بالنسبة لكثير من أهل السنة أما إلاستراتيجية الجديدة والتي تعرف بالإستراتيجية "من أسفل الى أعلى" فإنها وسيلة لاستعادة المصالحة ولإدراجها في ترتيبات تقاسم السلطة واستعادة السيطرة على الدولة. وبدلا من تثبيط هذا التفكير فانه يجب ان يطور وتوجه هذه العملية ويكون مصدق عليها، لتعزز الانطباع بأن واشنطن قد اعترفت في الماضي ان مصالحها إلاستراتيجية تكمن مع السنة. وكما نرى ان إلاستراتيجية الأمريكية الراهنة هي سياسة لتنظيم وتسليح من السنة وتدريب من لهم التحدي على التفوق الشيعي.
الا ان الأكراد والشيعة هم كذلك بارعون في استغلال الوضع الأمني الراهن لمصلحتهم. وفي الواقع يبدو ان أمراء الحرب سيكونون سببا لتغيير أشكال الانقسام الطائفي. ففي النجف حيث نشبت حرب العصابات في اكثر من مناسبة من قبل أنصار الصدر انخرط جيش المهدي في معارك الشوارع مع أعضاء من منظمة بدر على الرغم من أنهم جماعات شيعية.
في كانون الأول ٢٠٠٧ كلفت لجنة من أعضاء البرلمان البريطاني بدراسة الوضع الأمني في البصرة حيث بدأ سحب القوات البريطانية وخلص الى ان أمراء الحرب والعصابات الإجرامية قد اتخذوا مراكز لهم خارج المدينة". وعلى الرغم من ان عدد الهجمات على قوات المملكة المتحدة لا يمكن الا ان يكون موضع ترحيب " الا ان تقرير اللجنة يخلص الى "ان هذا وحده لا يمكن ان يكون مقياسا للنجاح" فالأولوية من الهدف لقوات المملكة المتحدة في جنوب

وشرق العراق هو إرساء الأمن الضروري لتنمية المؤسسات السياسية وإعادة البناء الاقتصادي.... وهذا الهدف لم يتحقق بعد".

والشيعة والأكراد بالطبع لهما مفاهيم مختلفة في ما يعني بالمصالحة. فالأكراد تعني لهم المصالحة احترام مطالباتهم بالحكم الذاتي فضلا عن إمكانياتهم من اجل تحقيق مكاسب إقليمية. ويميل الشيعة الى التأكيد على ضرورة العدالة قبل المصالحة والتي تراها أنها تقتضي ان يتم تعويضهم عن معاناتهم في ظل الأنظمة السابقة (وليس فقط في زمن صدام) وهذا في رأيهم يستوجب إخضاع الطائفة السكانية السنية في العراق الى الطائفة الشيعية. الا ان بعض قادة الشيعة قد استعصوا لمثل هذا التفكير كآية الله علي السيستاني ولكن الصدر قد أوضح انه سيستخدم العنف لتأمين هيمنة شيعته، وحكومة المالكي لم تبد أي استعداد لتكون بعيدة عن الصدر والجماعات الشيعية المتشابهة الا ما ظهر منها مؤخرا في أحداث البصرة وبغداد وهو أمر محدود فيما يبدو. وفي الواقع فان الحالات المعقدة المشابهة كثيرا ما تؤسس المصالحة على عدم رغبة الضحايا بالاستسلام في مطالباتهم الى العدالة.

وقد بدأت الولايات المتحدة بالاعتراف بأن بعض أهل السنة ليس لديهم نية للاستعادة السيادة. وبالإدراك بأن الوظيفة المدنية والتدريب المهني يشكلون ٨٠% من المقاومين السابقين والذين كانوا من منتسبي الجيش العراقي – الذي يعتبره القادة الشيعة ان السيطرة على الجيش هو من اجل استخدامه بمثابة صك أمان بالنسبة لهم– وعلى حد قول احد المتطوعين الجدد بان "أهل السنة كانوا دائما قادة البلاد فهل يعقل أنهم يتحولون الى عاملين في مجال الخدمات وجامعي القمامة؟... نحن لم نتوقع هذا من القوات الأميركية ونحن لن نقبل ذلك". وحتى عند المقاومين السنة السابقين فانه لم يعد يعتقدون أن واشنطن سوف تعيد لهم الهيمنة، غير ان في وضعها الراهن سيستمر الأمريكيون بصرف الرواتب مرة أخرى الى شرائح كبيرة من السنة بدلا من الدولة العراقية وستستمر بتمويلها ضمن ميزانية "إستراتيجية زيادة قوات الولايات المتحدة" وستبقى خارج نطاق سيطرة أما بغداد او واشنطن. كما أنها لن تكون في وضع يمكنها من إقامة علاقات مع دول الجوار. وكل هذا قد يعجل بزوال الزخم الذي صنعته إستراتيجية زيادة القوات.

وعند انسحابها من العراق فان الولايات المتحدة ستغادر بلدا اكثر انقساما مما كان هو قبيل اجتياحه بفضل الإستراتيجية التي تتغذى بشكل منهجي من المنافسات المحلية من أجل الحفاظ على وجود الاستقرار وهمي على المدى القصير. وهذا يمكن ان يعني ان العراق سيبقى أساسا غير قابل لإعادة بنائه. فسلطة الدولة سوف تنخفض كثيرا، وستظل قدرة الولايات المتحدة على التأثير في الأحداث محدودا وهي كذلك أصلا، بل ستصبح أشد ضعفا. والعراق سيصبح عرضة لظهور وتنامي الأزمات المتلاحقة داخل البلاد وعلى حدوده وسيشغل واشنطن عن الأولويات الأخرى لبرنامج التكيف الهيكلي وقدرته على تطبيع العلاقات مع ايران.

ومن اجل العراقيين فالسلامة والأمن والنهوض الاقتصادي سيكون أمرا غير مؤكد. والذين تمكنوا من مغادرته سيكون من الصعب ان يحافظوا على زخم اهتمامهم به بفعل انحسار احتمال الاستقرار. وفي ظل هذه الاضطرابات سيكون من الضروري ظهور نظام عالمي مدرب ومجهز للجيش العراقي، وستكون الحاجة ماسة وبشكل متزايد ومفتوحة الى الضباط السابقين العسكريين، بوصفهم قوة فاعلة في السياسة العراقية كي يتمتع بالمهارة وروح الجيش والانضباط. أما الضباط الموجودين حاليا فإنهم ينظرون الى أنفسهم على أنهم انتقلوا من دوامة الميليشيات غير المنظمة والضعيفة وغير المسؤولة الى مسئولين حكوميين.

والعشائر ستتجرأ على الدولة شاعرة بالمرارة من قبل الولايات المتحدة والحكومة، ولكن درجات الانسحاب الامريكي سيكون متفاوت والتأكيدات الأمريكية بالسيطرة يمكن ان تتحول الى داخل العاصمة وكما فعلت الادارة البريطانية من قبل وتحت حكم صدام. فقد تبنوا موقف التفوق على السياسيين، ونفاد الصبر مع زعماء العشائر حديثوا النعمة والسلبية ـ العدوانية تجاه الولايات المتحدة ثم رعاة الحكومة المدنية والسيطرة على الدولة. هذه النتيجة قد تكون اقل مأساوية من

إتمام الانهيار طويل الأجل الى درجة ان يحتاج العراق الى وساطة الوجود العسكري من اجل المحافظة على السلام الهش وهذا الدور يمكن ان يكون من الأفضل في نهاية المطاف يخدمه هوية عسكرية لها الشراكة السياسية لكن ليس من قبل القوات الأمريكية. ولكن لا يزال أمام الولايات المتحدة مواجهة قوية بتركيز دولة مركزية تحكمها نخبة عسكرية من شأنها ان تشبه النظام البعثي التي أطاح بها واشنطن في ٢٠٠٣. فبدلا من الوضع الفوضوي ستواجه الولايات المتحدة وستحتمل النزعة القومية العدوانية وغير المتعاطفة مع النظام الأولويات الإقليمية الأمريكية.

في هذه المرحلة لا تملك الولايات المتحدة خيارا جيدا في العراق. ولكن العيوب والأخطار الحالية تصاعد الطلب على تغيير المسار والبديل الوحيد كانت العودة الى القمة من القاعدة الإستراتيجية ولتكون اكثر فعالية في هذه المرة عادت واشنطن الى نوع من الدبلوماسية بعد ان أهملتها ادارة الاحتلال الى حد كبير حتى مع ١٦٠٠٠٠ جندي في العراق وافتقرت واشنطن الى النفوذ على أرضه لدفع حكومة المالكي لاتخاذ خطوات ذات مغزى لاستيعاب الاهتمامات لأهل السنة وبالتالي تمكين المعتدلين السنة.

الصفقة التشريعية لقانون اجتثاث البعث وإصلاح هذا قانون صدر في وقت سابق من هذا العام كانت معيبة وفعل المزيد لتحفيز السنة بشان "القلق من تصحيح مظالمها" وهو الأمر الذي لا يمكن للولايات المتحدة القيام به من جانب واحد ويجب ان تحاول فعله مع الآخرين، بما فيها دول الجوار والحلفاء الأوروبيين والأمم المتحدة. ومن اجل تحقيق ذلك النوع من التعاون فيجب ان تبذل واشنطن التزاما علنيا بانسحاب تدريجي. غير ان التعاون مع البلدان المجاورة والشركاء الأوروبيين من المستبعد ان يتم دون ان يقابل ذلك استعداد الولايات المتحدة للتنازل عن درجات من السيطرة على الأحداث في العراق. وحاليا فالوجود الامريكي المهيمن في العراق يتيح لبقية دول العالم تجنب المسؤولية عن الاستقرار في العراق وحوله. لكن خطة لسحب القوات الأمريكية من شأنه أن يسهم في ذلك والى نجاح إستراتيجية دبلوماسية اكبر، مما سيدفع دول الشرق الأوسط والحكومات الأوروبية ومنظمة الأمم المتحدة الى ان تكون اكثر نشاطا في البناء والعمل لإنقاذ الاستقرار في الخليج العربي. وبالتالي لن يكون التركيز على الدقة والسرعة من انسحاب القوات بل ان من الضروري هو توضيح ان الولايات المتحدة تنوي الانسحاب.

ان ادارة الاحتلال تعلق عمليات الانسحاب المبرمجة حاليا بسبب القوة التي منحتها لها إستراتيجية زيادة القوات الأمريكية في العراق لكن الرسالة سترسل بالضبط عكس ذلك فالاحتلال ووزير دفاعه روبرت غيتس وبترايوس يؤكدون جميعهم على اهتمامهم في وقف أي زيادة في المبالغ المسحوبة بعد "إستراتيجية زيادة القوات" الأخيرة وانه قد حان الوقت لانسحاب هذه الزيادة في صيف هذا العام فقط. ولذلك سيتعين على الأميركي المقبل ان يقرر ماذا يفعل مع ما يقرب من ١٤٠٠٠٠ جندي، وهو عدد اكبر بكثير مما كان معظم المراقبين يفترضونه ان تكون على ارض الواقع في العراق في نهاية ٢٠٠٨.

وبغض النظر عن ما سيتعين من إزالة لمشاكل ٥٦٠٠٠ من المقاولين الخاصين وتسهيل خروج شريحة من العراقيين يقدر عددهم بين ٣٠٠٠٠-٥٠٠٠٠ ومن العمال الأجانب الداعم للوجود الامريكي ونظرا الى قوانين الإستراتيجية والسياسة فان الأساس العالي المورث من الاحتلال سيعنى مدة زمنية أطول للانسحاب. ففي العراق ١٩٠٠ دبابة ومدرعة وغيرها، و٤٣٠٠٠ شاحنة و٧٠٠ طائرة وهناك معدات متفرقة في اكثر من ٧٠ من القواعد في جميع أنحاء البلاد الى جانب ٣٨ من مخازن الإمداد و١٨ من المراكز لتخزين الوقود والذخائر وهناك اكثر من ١٠مقابر للنفايات.

ووفقا لمسئول في احد القواعد العسكرية الأمريكية في العراق فان الجيش الامريكي وسلاح البحرية يمكن لهم ان يحركوا لواء شهريا من المسرح العراقي. وان تحريك ١٥ لواء من المرجح ان يكون من العراق في كانون الثاني ٢٠٠٩ يتطلب وصول اكثر من ١٠٠٠٠ شاحنة من خلال

رحلات في مناطق يحتمل "ان تكون عدوانية داخل العراق". ورغم ان تثبيت جدول زمني دقيق للانسحاب قد يكون مفيدا في هذه المرحلة، وينبغي ان تبدأ الادارة الجديدة بالسحب في مراحل بمجرد الانتهاء من المداولات الداخلية، وان تكون منسقة مع بغداد. ويمكن ان تكون هذه الخطوات أشهر سياسات الجديد.

وتجري اليوم عمليات الاستعراض للمخططين العسكريين لضمان سلامة وكفاءة طرق الانسحاب وتجري اليوم مشاورات في الكونغرس ليتم فيها التوصل الى الاستنتاجات حول الكيفية التي ستجري فيها سحب القوات والتي ينبغي لها ان تكون عليها عملية إعادة الانتشار وعلى المخططين تحديد حجم الأدوار والبعثات والتبعيات العديدة التي أوجدها الاحتلال وتصاعدت تدريجيا، ويمكن إذا تم البدء بسحب معظم القوات في العراق ألان فإنها لن تكتمل الا في غضون سنتين. ولكن أعادة الانتشار قد تمضي بسرعة اكبر إذا انهار تأييد الرأي العام الامريكي للحرب او بمطالبة الحكومة العراقية بالانسحاب السريع، أو إذ انهار الوضع السياسي في العراق؛؟؟ وكبديل لذلك فان العملية قد تستغرق وقتا أطول إذا بقيت القوات الأمريكية تحت الهجوم، ومدعية بالمجازر التي يمكن ان تحدث إذا تم الانسحاب لكثير من العراقيين ومن الأميركيين ان وقعت او إذا أبطأت المصالحة او تقلصت بالطريقة التي تفكر فيها الحكومة العراقية.

وإعلان الانسحاب سوف يترتب عليه بعض المخاطر ايضا إذا علم بان القوات الأمريكية سوف تغادر أخيرا، فقد تبدأ الفصائل العراقية بالتحضير لجولة جديدة من القتال. فأهل السنة وإدراكا منها لمواطن الضعف فسيبدؤون بالهجوم ضد القوات المسلحة الشيعية التي ستكون دون حماية من جانب الولايات المتحدة وقد تعيد أحياء التحالف مع القاعدة. والحكومة في بغداد قد تكون اكثر قلقا إزاء التعرض للهجوم فى حالة عدم وجود الولايات المتحدة كدرع لها وستمضي قدما لإقامة روابط اكثر تشددا مع طهران او ستتشجع على زيادة فعالية جيش المهدي. ومما يزيد من حيوية ذلك ان يتم الانسحاب كجزء من إستراتيجية شاملة من الدبلوماسية الهادفة الى الحد من هذه المخاطر. فالفترة الفاصلة بين قرار الانسحاب وإزالة الجزء الأكبر من القوات الأمريكية ان تقدم الزمن الكافي الذي يمكن للأمم المتحدة ان تعقد مؤتمرا متعدد الأطراف لتعزيز عملية المصالحة في العراق. وهناك الكثير الذي يمكن عمله لتنشيط الحد الأدنى لنهج المصالحة إذا كان تحت رعاية الأمم المتحدة والتي قد يقودها المبعوث الخاص بمصداقية.

فأولا ينبغي للمجتمع الدولي ان يكون مهيئا لمساعدة العراق بالمضي قدما في انتخابات المقاطعات، والتي من شأنها ان اختبار لشعبية جديدة لعدد من الزعماء السنة الذين ظهروا خلال ''إستراتيجية زيادة القوات'' لكي يصلوا الى بغداد. وهذا سيكون له فائدة إضافية لعزل الاتحاديين في الأغلبية الشيعية، والذين يفضلون العيش في العراق مقسم الى دويلات ثلاث. وسيكون لمبعوث الأمم المتحدة فرصة أفضل لعقد صفقة بتوزيع السلطات الاتحادية والمقاطعات، وهذه المسالة التي أدت الى استخدام حق النقض في قانون انتخاب المحافظات.

وفي إطار متعدد الأطراف في هذه المرحلة التي يجب ان تديرها الولايات المتحدة والدول الإقليمية بما فيها ايران والمملكة العربية السعودية، يمكن أن تلعب دورا محوريا في هذه العملية. ورغم ان تعاون طهران هو حتما رهينة باعتباراتها بتوسيع العلاقات مع واشنطن، فان رعاية الأمم المتحدة في هذا الجهد يمكن ان توفر لقادة ايران الحاجة الى التصرف بمصالحهم. والسعوديون من جهتهم يودون ان يروا ان الأمم المتحدة معنية، وهي على استعداد لاستخدام نفوذها والمال لتدفع الأطراف في العراق في اتجاه المصالحة.

الثانية تأسيس مجموعة متعددة الأطراف من الدول المعنية لتعبئة المجتمع الدولي بشكله الأوسع للمساعدة والرعاية والتغذية والسكن الدائم للملايين من اللاجئين والمشردين داخليا وخارجيا من العراقيين الذين لم يتمكنوا من الوصول الى الولايات المتحدة او اوروبا. وهذا أمر أساسي لان مخيمات اللاجئين والمستوطنات العشوائية هي حاضنات وارض خصبة للتطرف والعنف. وكلما امتدت الفترة الزمنية بشكلها الأطول يبقى هؤلاء السكان منقطعين عن التعليم

والعمل والحصول على ما يكفي من الخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية، كلما كان من الصعب توطينهم بصفة دائمة سواء كان ذلك في داخل العراق او في أي مكان آخر.

الثالثة الدفع بشكل جديد وأكثر كثافة لعملية متعددة الأطراف تضع دفعا الى المملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج العربي لتمويل المشاريع الاستثمارية التي توفر فرص العمل الحقيقية في العراق. وعلاوة على ذلك، ينبغي على جيران العراق بمن فيهم ايران الضغط على الحكومة العراقية لتحقيق اكبر بكثير من اجل ضم عناصر الصحوة السنية كمتطوعين في الجيش العراقي وفي قوات الشرطة في المحافظات التي تمولها الحكومة المركزية. وهذه الخطوة من شأنها ان تعزز الآثار الايجابية للانتخابات في تلك المحافظات ويمكن للظهور السياسي المشروع للقادة المحليين. والالتزام الحالي للحصول على ٢٠% من أعضاء الصحوة هو الآن اصغر من ان يكون له أثر.

وأخيرا فإن العشائر التي ساعدت "إستراتيجية زيادة القوات" يجب ان توقف استلام المساعدة من الولايات المتحدة وترتبط بقوة الى بغداد كمصدر للدعم. وتداخل العشائر مع بغداد في هذا السبيل من شأنه ان يسفر عن شيء يشبه كثيرا المحميات الإمبراطورية الطبيعية في الشرق الأوسط في النصف الأول من القرن العشرين. ورأس المال من شأنه ان يحول الولاء من الدولة الى القبائل وتأثروا من خلال قنوات في هذا المنعطف، فالمنفذ العسكري الامريكي له دور الراعي وتهيئة القيادة والتبعية الغير صحية والخطيرة بين الولاء للعشائر او الدولة من خلال اتخاذ إجراءات منسقة من جانب الأمم المتحدة الراعية للعملية متعددة الأطراف، والحكومة في بغداد، وقادة الولايات المتحدة على أرض الواقع، ودفع المسؤوليات العسكرية سوف يتعين نقلها من الولايات المتحدة لممثلي الحكومة العراقية.

فليس هناك ما يضمن ان الطريقة القديمة لإعطاء العشائر المال والسطوة والسلطة كنموذج متكامل يمكن تطبيقه بنجاح على العراق المنقسم اليوم بالرغم من ان العشائر في الأردن والمملكة العربية السعودية يتمتعون به في القرن العشرين. فالعراق غير متجانس خلافا للأردن او المملكة العربية السعودية حيث الدولة والعشائر تشترك في التراث الديني. وعلاوة على ذلك هنالك المبالغة في النفوذ الإيراني او السعودي على السياسة العراقية، واستعداد مجلس الأمن للأمم المتحدة إن تتورط في المستنقع الحالي سيكون بطئ وخطر التعهد. وهناك أشياء كثيرة يجب ان تحدث بشكل او بآخر في وقت واحد ومنسقة بعناية من خلال سلسلة من الإجراءات. فعلى واشنطن ان تعلن صراحة إنها ستبدأ في سحب الجزء الأكبر من قواتها. والأمين العام للأمم المتحدة وبدعم من مجلس الأمن يجب اختيار مبعوث خاص. وهناك فريق اتصال من الدول التي يجب ان يكون تشكيلها تحت رعاية الأمم المتحدة. للأولويات والمعالم وستكون هناك حاجة الى مجموعة لتوزيع الموارد داخل العراق، وتجنيد السنة الى الجيش، وانتخابات مجالس المحافظات وتنظيم الاستثمار الأجنبي والتعامل مع اللاجئين، والمساعدة الإنمائية. كل هذه العوامل ستؤثر بشكل حاسم على مراحل سحب القوات وسيكون لشبكة مع هذه العملية الدبلوماسية ولكن لا يتوقف على النجاح في نهاية المطاف. وهذا بطبيعة الحال ربما هو خطر او عقيم. ومع ذلك فإنه ما زال من أفضل رهان أكثر من المألوف في الأجل القصير لأية رؤية سياسية للعراق والشرق الأوسط في المستقبل القريب.

عجز الاستبصار
مستقبل تورط الولايات المتحدة في العراق

لقد وضع مؤرخو السياسة العالمية ثلاثة شروط كمساعدة ناجحة لأي احتلال: التوصل الى فهم مشترك من قبل كل من المحتل والشعب المحتل الى ان الاحتلال هو أمر ضروري. ففي الحالات التاريخية التي تجمع بينهما نجد حالة اليابان وألمانيا حيث توصلت شعوبهما الى الاستنتاج بأن الاحتلال الأجنبي ضروري لوضع حد للحرب والعنف. أما الأخرى فان البلد المحتل يجب ان يدرك ان الاحتلال أمر ضروري أمام التهديد الخارجي او الداخلي الوشيك. ففي حالتي ألمانيا واليابان كان ينظر الى التهديد السوفيتي كحقيقة تهدد بعدم احترام سيادة البلدان لذلك ستكون سلطات الاحتلال هي عامل الاستقرار الضروري لمنع ذلك. أما العامل الثالث فيجب ان تكون هنالك مصداقية للاحتلال سواء من حيث المبررات للغزو ومصداقية للانسحاب في الوقت المناسب. وإذا استوفيت هذه الشروط الثلاثة، فان قوات الاحتلال لا يمكن لها الا ان تنجح في إقناع السكان بعدم مقاومة الاحتلال.

لعل التحدي المتمثل في استراتيجيات الخروج من العراق تعد اليوم من أهم السياسات المتعلقة بشؤون الدفاع والسياسة الأمنية في الدراسات الإستراتيجية التي تنشر على كافة الصعد لمراكز الأبحاث والدراسات العالمية في هذا الوقت. وربما يكون "اختيار النصر" وخطط النجاح في العراق في تقارير فرق التخطيط الأمريكية وإيجاد الهدف من التحول في السياسة الأميركية العسكرية هواهم سبب علني موجه ضد الوهم الذاتي والضعف العسكري، والتهديد للسلام اليوم الذي تواجهه القوات والوجود الامريكي في العراق.

وفي هذا المقال نريد ان نبين الفوضى العقلية السائدة في مراكز البحث والدراسات الأمريكية حول مستقبل العراق بعد الفشل الاستراتيجي الذي تواجهه اليوم الادارة الأمريكية والدول الإقليمية المجاورة والمشاركة بالغزو الامريكي لبغداد.

فبعد سنين من الغزو لازالت المعارك مستمرة في أرجاء العراق وان تعددت صفحاتها ولكن اليوم ارض العراق تشتعل من جنوبه الى وسطه الى شماله وان تعددت أسباب وصور هذا الصراع ووفقا لتقارير إعلامية جاءت معركة البصرة مخيبة للآمال بالنسبة لأبطالها وأفعال الانتقام ستكون بالتأكيد جزء من الكفاح العتيد المطروح في جنوب البلاد العراقية وسيكون على القوات الأمريكية الكثير من الالتزامات على هذه العملية. فالحكومة العراقية وقوات الأمن تريدان ان تثبتا أنهما يمكن ان تخططا وتنفذا عملية بهذا الحجم، في حين ان الولايات المتحدة بحاجة الى الفوز لتصور انتصارها في هذه الحرب عند العودة الى أوطانها. وهم بحاجة الى ان إثبات لعامة الشعب الامريكي ان الجيش والمرتزقة الأمريكان قد حققوا التقدم بعد أن كان معترف به عالميا منذ أسبوعين ان الخروج وكسر المأزق السياسي في العراق لا يزال بعيدا.

الا ان هنالك نقطة هامة جدا في تفاصيل الاعتداء هوان الحكومة المركزية قوات الأمن تفترضان ان يتم العمل مع قوات الشرطة المحلية الأمن والتي من المعروف أنها كانت على

صلات مباشرة مع الميليشيات وفي معظم الحالات تسللت إليهم. وهذه نقطة اعترف بها رئيس شرطة البصرة والذي ما فتئ يعمل لتخليص قوة الشرطة من التناحر الطائفي رغم انه قد نجا من محاولات عدة لاغتياله منذ توليه المنصب قبل اقل من عام بالرغم ان الخط الرسمي للحكومة هوانها ليست تستهدف مجرد احد الميليشيات الا ان التوافق العام هوان جيش المهدي سيكون عليه التركيز لهذه العملية.

وقد دخلت الحرب واحتلال العراق حيز السنوات الطويلة مع التكاليف المباشرة وغير المباشرة المرتفعة بشكل مذهل. ففي حين ان الاحتلال يدعي أنه له الحق في الحرب بكامل صفحاتها، بالرغم من مخالفة الرأي العام في الولايات المتحدة والعالم معه في ذلك إذ بلغ أدنى مستوى لها في ٣١% بسبب ان الأميركيين يختلفون معه في المقام الأول على تناسب تكلفة هذا التعهد مع نتائجه بالمقام الأول وليس للمأساة الإنسانية والكوارث البشرية التي حلت بالعراق.

ففي عام ٢٠٠٣ ادعت الادارة الأمريكية ان الحرب ستكلف حوالي ٥٠ - ٦٠ بليون دولار. وكان اكثر العقائديين الذين كانوا وراء الحرب في ادارة الاحتلال أمثال بول وولفويتز اكثر تفاؤلا بأن عائدات النفط العراقي من شأنها ان تدفع تكلفة الحرب مباشرة بعد الاحتلال. واليوم بات واضحا تماما ان هذه الرؤية لهؤلاء العقائديين كانت خاطئة وساذجة بشان تكلفة الحرب. فخلال ٢٠٠٣-٢٠٠٨ خصصت الولايات المتحدة ما يزيد على ١ بليون دولار لقدامى المحاربين في مجال المنافع والخدمات و٢٦ بليون دولار للدبلوماسية والمساعدات الخارجية و٢١ بليون دولار لقوات الأمن العراقية و٤٤٠ مليار للاحتلال العسكري. واستمرت الحرب بمعدل استنزاف قدره ١٢،٥ مليار دولار في الشهر.

وقد تصل تكاليف الميزانية الى حوالي ٦٠٠ مليار دولار تذهب الى العمليات الفعلية والى ٣ تريليون في الغالب بعد خمس سنوات من الحرب مع تمويل اعتماد الطوارئ والذي هو في حد ذاته اكثر من ١٠ أضعاف ما أعلنته الادارة. وأيضا هناك تكاليف ضخمة قادمة أهمها تكاليف قدامى المحاربين. حيث استنزفت القوات المسلحة الأمريكية بحيث أمست اقل استعدادا لمواجهة أي تحد جديد مما كان عليه قبل خمس سنوات (وهذا جزء من كلفة الحرب). إذ انه سيكون مكلفا لأي استعداد عسكري للعودة بالقوة الى ما كان عليه قبل الحرب.

والى جانب التكلفة المالية للحرب الأمريكية فقد دفعت بالدم كذلك. فعدد القتلى من الانكلو-ساكسون يقفون بأكثر من ٤٠٠٠ قتيل بينما الإصابات اكثر من ٤٠٠٠٠. وان أمريكا بمواجهة مع المستقبل بتقديم الرعاية والاحتياجات من الناحية العقلية والنفسية لويلات الحرب لأكثر من ١٥٨٠٠٠ من الجنود الذين يتمركزون في العراق.

وبعد ان فقدت أمريكا ايضا السلطة المعنوية دوليا بحلول الوقت الذي بدأت الحرب كانت مصداقية أميركا في الحضيض في الشرق الأوسط وفي العديد من البلدان في المنطقة بسبب عدم التوازن والإنصاف في سياستها الخارجية تجاه هذه المنطقة. فتورط أمريكا في البلقان قد شجع البعض في المنطقة بالبحث عن علاقات أفضل مع واشنطن. ورغم ان أميركا تأخرت في التدخل في النزاعات في البلقان الا ان واشنطن والأوروبيين كانوا يخشون من امتداد الحرب إلى دول أوروبية أخرى لذلك كان الحافز للذهاب الى البوسنة وكوسوفو بأنه لم يكن لتطهير ميلوسيفيتش من السلطة ولكن للمعارضة الا أخلاقية في ممارسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي.

على النقيض من ذلك، فان ادارة الاحتلال ذهبت الى الحرب في العراق على أساس زائف ومبررات الحرب التي لم تكن مقبولة لدى الكثيرين. فالأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان تحدث عن الحرب على أساس شرعيتها. وبأن الحرب لم تكن مقبولة في المجتمع الدولي في إطار قواعد القانون الدولي وبالتالي فان الحرب لم تكن عادلة. وانه لم يكن هناك صلة بين صدام حسين ومرتكبي أعمال العنف من الحادي عشر من ايلول. وكشفت دراسة أزيلت عنها السرية مؤخرا في تشرين الثاني ٢٠٠٧ بعنوان "مشروع وجهات نظر العراقيين : صدام والإرهاب " من قبل معهد لدراسة الدفاع في وزارة الدفاع الى انه بالنظر الى الحقائق المعروفة فإنه لم يكن

هناك صلة بين القاعدة وصدام. وانه لم يكن هناك أي دليل يشير الى ان حكومة بغداد كانت تسعى الى تطوير أسلحة الدمار الشامل والى شراء اليورانيوم من النيجر. وأي سلاح من أسلحة الدمار الشامل لم يعثر عليه قبل او منذ بدأت الحرب في العراق.

وردا على 'الصواب' و'الخطأ' في هذه الحرب، دافعت إدارة الاحتلال ومهندسو الحرب بصلابة عن قرارهم لغزو العراق. ففي ١٩ آذار ٢٠٠٨ وفي الذكرى الخامسة للحرب، قال بوش انه لم "يأسف" لقرار الحرب. وأوضح كذلك الى"النجاحات التي يشهدها في العراق لا يمكن إنكارها" أما السناتور الجمهوري جون ماكين فيقول "يجب على الأمريكيين ان يكونوا فخورين بأنهم مهدوا الطريق لإزالة الديكتاتور وفتح إمكانية التوصل الى عراق حر ومستقر". وفى البنتاغون قال الامريكي "لقد شهدنا بإعجاب انتخاب ١٢ مليون عراقي تحدوا الإرهابيين وذهبوا الى صناديق الاقتراع واختاروا قادتهم في انتخابات حرة". ومن اجل تبرير استمرار الاحتلال والحرب قال الامريكي "انه يتعين علينا ان نكسب هذه المعركة". وبرر زيادة القوات الأميركية وحشود القوات بالقول أنها "فتحت الباب أمام انتصار استراتيجي رئيسي في الحرب على الإرهاب على نطاق أوسع." وأما ماكين فيقول انه لا يسعنا ان نفقد هذا 'المعركة'. فهو يريد بالاستمرار في الاحتلال والحرب حتى لو امتدت "مئة سنة".

ولكن يحق لنا هنا التساؤل عن ماهية هذه المعركة فالعراقيين يجدون وحتى هذا اليوم صعوبة الفهم في جوهر هذه المعركة وهل تستحق كل هذه التضحيات والخسائر وفي بعض المؤسسات السياسية في الولايات المتحدة صعب عليها فهم الأساس المنطقي وراء تبرير الاحتلال واستمرار الحرب. فمنهم من وصفها بأنها "حرب من أجل النفط ،" البعض سماها "الحرب الاستعمارية" وآخرون أطلقوا عليها "الحرب بين الخير والشر" ولكن ما هو واضح هوان المخططين للحرب قد تجاوزوا طموحات التخلص من حاكم بغداد. وكانت الإيديولوجية المتقنة والتي كان معظم الادارة الأمريكية يتطلعون لإقامة نظام عالمي جديد وخريطة جديدة في الشرق الأوسط قد تجاوزوها ايضا.

فأمريكا لم تقف من اجل الديمقراطية في الشرق الأوسط في الماضي ولا في الوقت الراهن في ظل هذه الإدارة او سواها، على الرغم من الخطب الرنانة لان العملية والنتائج والكلف لا يمكن التنبؤ بها لهذا البلد. والديمقراطيات فى الشرق الأوسط تاريخيا ليست صديقة للولايات المتحدة على الأقل في البدايات وليس من الحكمة لواشنطن ان تدفع تكاليف هذا عاجلا وليس آجلا. فأمريكا هي أكثر اهتماما في التعامل مع النظام الاستبدادي في الكويت بدلا من الديمقراطية في تركيا أثناء هذا الصراع.

وجلبت الحرب والاحتلال للشعب العراقي وللشرق الأوسط الدمار وعدم الاستقرار والتدمير الواسع النطاق من الحرب المعلنة بدأ من نهب المتحف العراقي في الأيام الأولى للاحتلال الى سرعان ما امتد الى التدمير الكامل للمياه والكهرباء وأنظمة الصرف الصحي. ونصف مليون من العراقيين فقدوا وظائفهم بين عشية وضحاها كما ان سياسة اجتثاث البعث وتفكيك الجيش الى جانب نقص الغذاء والرعاية الصحية والافتقار الى الكهرباء قد أصبح واقع الحياة. فالعراق اليوم ينتج ٣٠٠٠ ميغاواط من الكهرباء اليوم في حين ان حاجته اكثر من ١٥٠٠٠ميغاواط، وليس هناك أي أمل في الحصول عليه في المستقبل المنظور.

اما بول بريمر، رئيس سلطة التحالف المؤقتة، فقد خطط لخصخصة الاقتصاد ولكن افتقر الى الشروط المؤسسية لهذه العملية، وهناك من العراقيين والعرب من كان يميز ضد الجيران لصالح الخارجية الأميركية والشركات المتعددة الجنسيات وزادت البطالة الى ٦٠ % حاليا وهناك ٥ ملايين عراقي قد أصبحوا من المشردين، وهاجر بسبب الافتقار الى الأمن والتعليم والصحة، والتي كانت واحدة من أفضل النظم في الشرق الأوسط بسبب الحصار والحرب منذ بداية التسعينات

وعانى بشكل كبير كثير من الأطفال العراقيين ولقوا حتفهم نتيجة لندرة الرعاية الطبية، والعديد من العراقيين لقوا حتفهم بسبب العنف والتطهير العرقي الذي مورس ضدهم من قبل فرق الموت والذي وصل بحسب آخر الإحصائيات البريطانية الى مليون ومائتي الف قتيل خلال الخمس سنوات السابقة. الى جانب أكثر من ٥ ملايين العراقيين تم تهجيرهم من ديارهم، و٦٥ % هم من النساء والأطفال، و٨٠ % من الأطفال تحت ١٢ عاما.

اما العراقيون والذين شردوا داخل البلاد فيعانون من الفقر وسوء التغذية وانعدام شبكات الصرف الصحي، والوصول الى المرافق التعليمية والرعاية الصحية. ومن هم خارج البلاد ومعظمهم من الذين فروا الى الأردن وسوريا فيواجه معظمهم حاليا صعوبات مستعصية. فمفوضي لجنة الإنقاذ والإفراج الدولية توصلوا الى نتائج مهولة حول العراقيين في هذين البلدين في منتصف شهر آذار ٢٠٠٨. ويصفون العراقيين المقيمين بأنهم "الذين تعرضوا لصدمات حادة؛ حيث اسر وخطف ومورس بحقهم التعذيب أو قتل كثير من أعضاء تلك الأعداد الكبيرة من العائلات وهم يعانون اليوم من الخوف والقلق، والاكتئاب العميق.

ويشهدون ويواجهون اليوم مشاكل عملية منها تضاؤل الادخار، وعدم القدرة على تحمل تكاليف الحياة او الإسكان، وتوفر الرعاية الصحية المحدودة والقليلة او العدمية ومن أي طرق قانونية لكسب المال.... وكثير منهم يعانون ايضا بسبب الخوف من مخاطر الوضع القانوني من حيث الاقامات او في إرسال أبنائهم الى المدارس. أما مخاطر الاستغلال والاعتداء الجنسي على النساء والأطفال فهو نوع آخر من المعاناة التي تواجه العراقيين في خارج بلادهم، والأسوأ من ذلك، يرى الكثيرون ان لا مستقبل لهم ولا لأولادهم، وبأن حياتهم وحياة أطفالهم هي ميئوس منها. كذلك خلصت تقارير الأمم المتحدة الى ان "الولايات المتحدة لم تبد أي اهتمام بشؤون اللاجئين التي سببها الاحتلال؛ وان هذه المشكلة تسببت في ضوء حقيقة ان أمريكا قد تخلت عن مسؤوليتها بشكل صارخ تجاه المدنيين الذين يقعون ضحايا للصراع.

إذن فليس من الصعب ان نفهم كيف ينظر العراقيين الى الحرب والى ما يريدونه. فواشنطن قد تجاهلت كليا الرأي العام العراقي في هذا الصراع. وعندما يتحدث السناتور ماكين حول استمرار الاحتلال ويقول بأنه قد أصدر قرارا شخصيا باستمرار الحرب مائة عام فانه بحكمة وقناعة تجاهل آراء ومشاعر ٢٦ مليون عراقي. أما الاحتلال فمقصر في هذا الأمر تجاه تجاهلهم المسؤولية الأخلاقية والمعنوية للعراقيين في هذا الصراع، فبدلا من انتقاد الحكومة العراقية من اجل تبرير معارضتهم للوجود الامريكي في العراق كان عليهم تصحيح الأخطاء الأمريكية في العراق وهذين المثالين يحددان بالتأكيد الأخطاء المستقبلية التي ستقوم به الادارة الأمريكية الجديدة تجاه العراق.

وفي استطلاعات الرأي الأخيرة والتي أشارت الى العراقيين يرون ان وجود الولايات المتحدة هي مصدر عدم الاستقرار وانعدام الأمن. ويقولون ان الاحتلال الأميركي يحرض على المقاومة. أما مهندسي "إستراتيجية زيادة القوات" فيقولون انه قد حققوا نجاحا في خفض مستوى العنف. على الرغم من ان مستوى العنف لا يمكن إنكاره على المستوى الإعلامي الا ان "إستراتيجية زيادة القوات" ليست هي العامل الوحيد والذي أدى دورا صغيرا في تراجع أعمال العنف. ولكن كان في المقام الأول ان المدن الكبرى في العراق لا سيما بغداد قد تم تطهيرها عرقيا تماما.

أما السبب الآخر في انخفاضات العنف العرقي فهو إيقاف فرق الموت من العمل عبر هدنة سياسية استمرت لعام مقابل زيادة لنفوذها السياسي في العراق عبر طريق الاقتراع السياسي والذي سيكون عن طريق الانتخابات المحلية نهاية هذا العام بعد عزم واشنطن منح هؤلاء مكانة سياسية تقديرا لما قاموا به من أعمال للقوات المشتركة في العراق.

أما العامل الثالث فقد بدأت أمريكا بعقد اتفاقات مع زعماء القبائل السنية لتمويلهم وتسليحهم ضد تنظيم القاعدة. وكانت هذه المجموعات السنية قد نظموا أنفسهم في معظمهم تحت مسمى

(الصحوة) ووفقا لأحدث التقديرات فقد بلغت أعدادهم بـ ٦٠-٧٠٠٠٠ فرد. حيث كان الهدف بتضافر الجهود مع الولايات المتحدة ضد تنظيم القاعدة ولمصالحهم الخاصة وليس لمصلحة السلام والمصالحة في العراق. فالقوات الأمريكية لا تتردد في القول لأي شخص علنا أنهم يريدون هؤلاء كذراع لحماية مجتمعاتهم من الحكومة المركزية. وان كل عضو في هذه الميليشيا يكلف دافعي الضرائب الأميركية راتبا قدره ٣٠٠ دولار في الشهر.

الا ان كثير من المراقبين للسياسة العراقية متشائمون جدا عن هذا التحالف. فعلى الرغم من ان "الميليشيات السنية" او الصحوة ساعدت الى حد ما الولايات المتحدة لكبح تأثير قوات القاعدة والتي كانت الهدف الأول للقوات الأمريكية في العراق على مدى السنوات السابقة الا إنها ليست في صالح تعزيز الغالبية الشيعية التي تسيطر على الحكومة المركزية. حيث ان الشيعة تعارض سياسات واشنطن لتشكيل هذا التحالف وان هذه القوة المسلحة يمكن ان تحرض على الحرب الأهلية في المستقبل إذا لم يعطى لأهل السنة ما يريدونه. الا ان ادارة الاحتلال تجاهلت ذلك بسبب ان تلك القوات الجديدة ستكون هي الوسيلة الفاعلة للضغط تجاه تقارب الشيعة الى ايران.

لقد وضع مؤرخو السياسة العالمية ثلاثة شروط كمساعدة ناجحة لأي احتلال: الأولى: هو التوصل الى فهم مشترك من قبل كل من المحتل والشعب المحتل الى ان الاحتلال هو أمر ضروري. ففي الحالات التاريخية التي تجمع بينهما نجد حالة اليابان وألمانيا، حيث توصلت شعوبهما الى الاستنتاج بأن الاحتلال الأجنبي ضروري لوضع حد للحرب والعنف.

الثانية، ان البلد المحتل يجب ان يدرك ان الاحتلال أمر ضروري أمام التهديد الخارجي او الداخلي الوشيك. ففي حالتي ألمانيا واليابان كان ينظر الى التهديد السوفيتي كحقيقة تهدد بعدم احترام سيادة البلدان لذلك ستكون سلطات الاحتلال هي عامل الاستقرار الضروري لمنع ذلك.

الثالثة، يجب ان تكون هنالك مصداقية للاحتلال سواء من حيث المبررات للغزو والمصداقية للانسحاب في الوقت المناسب. وإذا استوفيت هذه الشروط الثلاثة، فان قوات الاحتلال لا يمكن الا ان تنجح في إقناع السكان بعدم مقاومة الاحتلال.

وفي حالة العراق، فان أيا من هذه الشروط لم تكن موجودة. فالتصور بوجود تهديد للأمن العراقي من القاعدة لم يشعر به العراقيون إلا بعد احتلال الولايات المتحدة. فالعراقيين يقولون ان غزو الولايات المتحدة والتحريض على مقاومة الاحتلال قد شجع التوسع في شبكة القاعدة في هذا البلد. وان الحل بالنسبة لغالبية العراقيين هو إنهاء الاحتلال وخروج القوات الأمريكية في بلادهم.

أما شرعية الاحتلال فمفقودة الا عند الادارة الأمريكية ويمكن القول أن احتلال العراق قد فقد الشرعية على نحو واسع، وبأن وجود القوات الأميركية غير ضروري. وهذا الرأي يتشارك فيه أغلبية العراقيين. ففي بلد حيث توجد أغلبية تريد إنهاء الاحتلال وما يقرب من نصف سكان تبرر مهاجمة القوات الأمريكية، فان الحجة في مصلحة الاحتلال لأي سبب من الأسباب هي ضعيفة في أحسن الأحوال. فأمريكا لا يمكن لها ان تكسب هذه المعركة لأنها ليست مجاورة لسكان العراق.

وأمريكا ليست فقط غير مبررة أسبابها في غزو العراق واحتلاله فحسب بل كان سوء إدارتها بشكل غريب. وسوء الادارة هذا جلب معه المزيد من البؤس والدمار والبؤس بالنسبة للعراقيين. فلإقناع اليابانيين كان على أمريكا ان تحترم شعبه، لذلك أبقت الإمبراطور على مقعده باعتباره رمزا للوحدة. وحافظت على البيروقراطية التي تديرها الحكومة بسلاسة من اجل إعادة بناء البلد واقتصاده. وفي ألمانيا كان اجتثاث النازية قد تم التخلي عنه في وقت مبكر جدا، ما عدا بعض الحالات من كبار أعضاء الحزب النازي.

ولكن في العراق جرت الأمور بطريقة مختلفة جدا فقد تجاهلت أمريكا تاريخها من الاحتلال وتاريخ البلد المحتل، وغزت مع مجموعة ميزتها عدم التبصر ممزوجة مع عاطفة مليئة بالرغبة في الانتقام وعدم احترام لثقافة العراق والاعتزاز الوطني لشعبه. فقد أشار تقريرا للأمم المتحدة

صدر أخيرا ان احترام الشعب العراقي وحق تقرير المصير للشعوب لم يكن عاملا في القرارات التي اتخذت تجاه العراق. وهذه الرغبة في الاحترام والحزن لسكان العراق جعلهم يتعرضون لهذا الاحتلال.

الا ان حيلة الولايات المتحدة في العراق لم تقف عند هذا الحد ولابد لنا من الاعتراف ان المخطط الاستراتيجي الامريكي نجح في العراق وعلى الأقل هذا العام في تعزيز مفاهيم جديدة أدت الى انخفاض أعمال المقاومة على الأقل في الجانب الإعلامي وحدت من خسائر الجيش الامريكي فيه والأكثر من ذلك غيرت قناعات الرأي العام العراقي بشكل كبير تجاه الوجود الامريكي في بلاده، ومن ذلك برزت قناعات جديدة على مستوى الرأي العام العراقي بان الاحتلال والتهديد الإيراني على العراق هو اشد ضررا وتدميرا في العراق من التهديد والوجود الامريكي الغير دائم فيه وهذا ما أدى الى عزوف البعض عن مقاومة المحتل الامريكي والتوجه نحو الوقوف خلف الوجود الامريكي العسكري لمواجهة التهديدات الإيرانية وهو ما شابه الحالة في ألمانيا بعد الحرب تجاه التهديد السوفيتي آنذاك.

والذي زاد من ذلك السياسة الباردة الأمريكية الجديدة تجاه ايران من التهويل الكبير للخطر الإيراني وتوسيع نفوذه وحالة الحرب واللاحرب مع ايران والتي تعيدنا الى أجواء الحرب الباردة التي استمرت اكثر من خمسين عاما، ولعل هذا السيناريو يتكرر في العراق بعدما فشلت سيناريوهات كثيرة رسمت في العراق خلال سنوات الاحتلال الخمسة السابقة لذلك ستكون سلطات الاحتلال هي عامل الاستقرار الضروري لمنع التوسع للنفوذ الإيراني في العراق والمنطقة.

الأمر الآخر ان موضوع الاحتلال الأجنبي ضروري لوضع حد للحرب والعنف قد يكون ألان مجربا في بعض مناطق العراق خاصة بعد مرحلة الحرب الأهلية وفرق الموت التي سمح لها بقتل الآلاف من العراقيين في ظل تواطؤ من قبل قوات الاحتلال آنذاك لتعزيز مفاهيم ان قوات الاحتلال حينما تمسك بالأرض بشكل فعال من خلال تعزيز عديد القوات فإنها ستمنع وستوضع حدا فاصلا لأعمال العنف والاقتتال الطائفي، وهذه القناعان للأسف أصبحت اليوم شائعة بين أوساط الرأي العام العراقي بعد ما جرت المجازر الكبيرة وراح ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء جراء تلك السياسة.

كذلك فان مصداقية الاحتلال اليوم قد تغيرت او في طريقها الى التغيير فبعد محاولات الاعتذار غير العلنية عن السياسات السابقة الفاشلة جرت محاولات لتغيير قناعات في مصداقية الاحتلال من خلال قوانين العفو العام او قانون المحافظات او في تغيير قانون اجتثاث البعث وعدم الطائفية في التعيينات في أجهزة الأمن وغيرها ولعل مناسبة تغيير وجوه الادارة الأمريكية نهاية العام الحالي فرصة جيدة لمراجعة بعض القرارات المهمة كجدولة لانسحاب القوات وغيرها تجعلها مناسبة لبقاء طويل للقوات الأمريكية المحتلة لسنين أخرى.

وهنا يتولد قدرا كبيرا من التأمل في مسار الحرب حتى الآن وتكرار لخططها بكيفية التعامل مع الحرب الدائرة والخطط الحالية والمستقبلية للعراق اكثر من التعرف الى أسباب الغزو والدوافع والكذب الذي مورس من قبل الادارة الأمريكية آنذاك لتبرير قرارات الغزو.

ان مواجهة الصراع العسكري من منظور السياسة الخارجية واقتراح إنهاء الاحتلال من شانه ان يسمح بمزيد من الفعالية في مواجهة التهديدات الأخرى في العالم كالتطرف الديني، والانتشار النووي، والفقر العالمي، وتغير المناخ، والقدرة على المنافسة الاقتصادية هذا بالنسبة لمناصري الانسحاب الامريكي من العراق والذي سيكون لتكاليف الحرب الأمريكية فى العراق بالتأكيد اثر كبير على السياسة الداخلية كالرعاية الصحية، والبنية التحتية، والتعليم، وغيرها من الأولويات المحلية.

او على بعض الاحتمالات ان يكون الانسحاب انسحابا تدريجيا لمعظم القوات الأمريكية من العراق، مع السماح لبعض القوات بالبقاء على شكل بعثات لمكافحة "الإرهاب" او ضمان لواردات النفطية على المدى البعيد وغيرها من البعثات.
أما الخيار الآخر المتاح اليوم في مستقبل الوجود الامريكي في العراق فهو استمرار هذه الادارة او التي ستخلفها على نفس الأسلوب السابق من المضي قدما بنفس الأسلوب المتطرف في التعامل مع العراقيين والمنطقة بما سبق للإدارة الحالية فعله وبما سيضمن مزيدا من التدهور الإنساني والسياسي في المنطقة بشكل عام ومع ذلك، فان "حرب العراق" ليست سياسة ثابتة في نواح عديدة، فأصل الغزو وما أعقبه من احتلال العراق هي قضايا مختلفة جدا عما تواجهه شعوب المنطقة والمحتلين. واليوم يثير السؤال الأكبر للإستراتيجية أساسا، فهو سيميز أولئك الذين ظنوا ان الحرب قد أسيء إدارتها ويبقى يدور في الحلقات نفسها في الإستراتيجية التي استخدمت لتبرير الحرب في المقام الأول، وبين من يستند إلى الحكم والشجاعة السياسية في هذا البلد ليمنع ما يمكن ان تنحدر الأمور فيه الى مستوى اكبر من العنف الأكثر بكثير من ما قد سبق ان تعرض لها. فالعراق اليوم غير مستقر ويمكن ان يكون عرضة لتأثيرات خارجية و إقليمية عديدة يعكس الواقع الجغرافي والسياسي والبيروقراطي والاستراتيجي للعراق.

العراق في ٢٠١٠

لا يزال التاريخ المعاصر لبلادنا واضحا ومتلازما في واقعنا اليوم وبشكل أساسي في التفكير بما جرى وسيجري وبمستقبل لكل أمر قد يطرأ على حياتنا اليومية. ولانا لازلنا بنفس الزاوية التي تتوجب علينا ردة الفعل في مواجهة ما يقدمه الآخرون إلا إننا نجد إن خاصة باحثينا إن أرادوا استخلاص النتائج والعبر وكيفية ردة الفعل السليم فإنهم سيلجئون الى التاريخ لأجل المعرفة وخاصة بعدما غابت عن عقولنا أفكار المبادرة والاختراع وصنع الأحداث بل حتى القدرة على الالتزام بالثوابت.

خطة العراق.... لماذا الحرب الأهلية قادمة ٢٠١٠

في كلمته التي ألقاها لمشاة البحرية في كامب ليجون، قال اوباما إلى أن من ٣٥,٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ جندي أمريكي في العراق سيبقون لفترة طويلة بعد آب ٢٠١٠ كقوة انتقالية لتنفيذ ثلاث وظائف متميزة هي: التدريب والتجهيز، وتقديم المشورة للقوات الأمن العراقية طالما أنها لا تزال طائفية، وإجراءات مكافحة الإرهاب، وحماية البعثات الدبلوماسية والمدنية والعسكرية داخل العراق. هذه الخطة بحسب الاحتلال يمكن أن تبقي الولايات المتحدة على الطريق الصحيح في العراق. وقد نالت تأييد وزير الدفاع غيتس والأدميرال مولين وبترايوس الذين قرروا عدم الخضوع للضغوط السياسية أو غيرها لإجراء تخفيضات أعمق أو أسرع في مستويات القوات.
غير أن صحيفة واشنطن بوست جمعت تعليقات من الديمقراطيين حول خيبة أملهم وقلقهم، مشيرا إلى أن مخاوف الديمقراطيين الآخرين الذين يرغبون في الأسرع والأكثر اكتمالا للانسحاب. خطة الاحتلال تبدو بمغادرة معظم القوات المقاتلة بعد الانتخابات الوطنية العراقية والتي سوف تجبر الاحتلال للإسراع في سحب تلك القوات على عجل في بضعة أشهر فقط لتلبية الموعد النهائي في آب ٢٠١٠.
ومن شأن ذلك منح الولايات المتحدة حوالي خمسة اشهر لسحب الجزء الأكبر من اثنتي عشرة من ألألوية المقاتلة. في وقت يجب فيه أن نضع في اعتبارنا أن المسؤولين الأمريكيين

يتفقون عموما أن الفترة الأكثر خطورة من تاريخ العراق هي في الواقع في أعقاب هذه الانتخابات، حيث سيلجأ الخاسرون فيها الى العنف أو تدابير أخرى لزعزعة الاستقرار. والاحتلال لم يذكر شيئا عن اتفاق الولايات المتحدة والعراق الذي وقع في العام الماضي بتحديد موعدا نهائيا عام ٢٠١١ لرحيل جميع القوات الأمريكية.

حيث أن الموعد النهائي كان ينظر إليه دائما، من كلا الجانبين، على انه أكثر "مرونة". من المالكي، بسبب وقوفه مع الاتجاه المتصاعد للقومية في العراق، وجعله يبدو انه يريد أن تنسحب القوات الأمريكية، لكنه لا يريد ذلك. في الواقع، كما يؤكد كبار مساعديه الذين طلبوا من واشنطن أنهم يريدون أن تبقى القوات الأميركية في العراق لفترة أطول بكثير، طالما أنها تواصل بناء القوات المسلحة ذات الولاء الكامل للمالكي وكذلك لتأكيد وقوفها ضد عمليات المقاومة التي تريد التغيير في العراق بعد انسحاب كامل القوات العسكرية الأمريكية.

لكن هناك أصوات كثيرة في واشنطون تحث على أن يكون على استعداد لتنفيذ انسحاب أسرع، ومهما كانت الحالة على أرض الواقع في العراق. لماذا؟ من أجل تمرير اتفاقية وضع القوات من خلال البرلمان العراقي، حيث حكم باستفتاء شعبي في شهر تموز ٢٠٠٩ تم تضمينه جنبا إلى جنب مع الاتفاقية. فإذا جاءت نتيجة الاستفتاء برفض الاتفاقية فسيكون وضع قوات الولايات المتحدة لها سنة واحدة إلى الانسحاب الكامل من العراق.

خطة الاحتلال لم تقدم ما يكفي من أجل إقناع العراقيين المتشككين بأن الولايات المتحدة تريد فعلا خطة لمغادرة العراق حسب الجدول الزمني المحدد في اتفاقية تمركز القوات. حتى أنها ليست خارج نطاق إمكانية أن تضطر الولايات المتحدة بجعل الانسحاب الكامل من العراق بحلول تموز ٢٠١٠. وفي النهاية، فإن الجناح المناهض للحرب من الحزب الديمقراطي قد شعر بالإحباط من جراء سياسة الاحتلال في العراق.

ولكن ما هو التأثير الذي سيكون عليه التخفيض في عدد القوات في العراق التي وعد الاحتلال بها على الإنفاق الدفاعي؟

في خطابه في معسكر ليجون شدد الاحتلال على أهمية الدبلوماسية و"المشاركة الشاملة لمختلف أنحاء المنطقة" والتعاون مع جيران العراق ومع الأمم المتحدة.وفي إشارة إلى شعب العراق والشرق الأوسط قال أن الولايات المتحدة ليس لديها نية من احتلال العراق بشكل دائم أو تحديد مستقبله.

ولكن وجود هذا العدد الكبير من القوات المتبقية يضعف هذه الرسالة، ويقوض الأسباب والإستراتيجية للانسحاب الأمريكي. فالقوات الأمريكية المتمركزة في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية المدججة بالسلاح، على سبيل المثال سيتم التذكير بها بشكل مستمر للاحتلال. على الأقل، وسوف يكون هناك تسريب بالمصالحة داخل العراق وما هو مطلوب إذا كان لها أن تظهر كدولة مستقرة خالية من العنف الواسع النطاق.

في أسوأ الأحوال، مثل هذه القوة الكبيرة ستزيد من خطر الفصائل المقاومة في العراق وستعتمد مرة أخرى الصراع مع واشنطن من خلال مهاجمة القوات الأمريكية.

في الواقع، فإن وجود هذه القوات بعد آب ٢٠١٠ بهذا الشكل سيجعلها هدفا مغريا للجماعات المسلحة في العراق وستكون أفضل شيئا لحشد تمرد على تحدي الحكومة الشيعية المهيمنة. فكما تعلمت السياسة الأمريكية في المملكة العربية السعودية بعد حرب الخليج، في أن بقاء القوات الأمريكية في بلد مسلم يمكن أن يؤدي التطرف.

الآن، القاعدة فقدت مصداقيتها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، والسنة في العراق قد تحولوا عن المقاومة التي لا معنى لها بشكل كبير. والوجود العسكري الأميركي الكبير، فبدلا من كونه ضمان قوة ضد تنظيم القاعدة سيكون في المقابل، بمثابة دعوة لها ولغيرها من الجماعات الإسلامية لحشد المتطوعين لقضيتهم.

والحفاظ على ٥٠٠٠٠ جندي في واحدة من البلدان الأكثر خطورة في الشرق الأوسط سيؤدي الى سحب كبير على الميزانية، إضافة الى ٣ تريليون دولار ثمن الحرب على العراق عندما تكون كافة الموارد بحاجة إلى إعادة بناء الاقتصاد الامريكي المنهار.

أخيرا، هناك ثغرات كبيرة في خطة الاحتلال في العراق التي تستحق التمحيص. فقد شنت حملة على الإسراف في الإنفاق والاحتيال، معلنة أن "أيام مقاولي الدفاع وإعطاء شيك على بياض قد ولت". هذه المبادرة يمكن أن تكون خطوة أولى نحو إزالة ١٨٠٠٠٠ المرتزقة والمتعاقدين من القطاع الخاص في العراق، والذي يتجاوز حاليا عدد القوات العسكرية الأميركية، ولكن خطة الاحتلال الحالية في العراق لا تتمتع بوضع جدول زمني لانسحابها. والاحتلال لم يستبعد إقامة قواعد عسكرية أمريكية دائمة في العراق؛ وإعلانا في هذا الصدد من شأنه أن يعزز الفرص الحقيقية للسيادة العراقية.

في تصعيد الحرب في فيتنام، والتي خلفت أكثر من 500000 جندي أمريكي وقواعد جوية واسعة وضخمة، والقوة البحرية في وحول فيتنام ولاوس وكمبوديا، كانت السياسة الأمريكية قد فقدت مصداقيتها تماما. فكل التكثيف في تقديم قوات، كان آخذ في الاتساع في حملات القصف، ولا يؤدي إلا إلى المزيد من البؤس والموت للفيتناميين والكارثة للولايات المتحدة حينما كان يتم الحديث حول انسحاب أمريكي كامل من فيتنام.

والآن، ليس من المستغرب أن التجربة الأميركية في العراق كآخر محاولة باحتلال بلد أجنبي قد مثلت الى ذكريات لا تزال مشتعلة في الذاكرة الأميركية كما في فيتنام.

وكما يلاحظ المؤرخون في مطلع نيسان ٢٠٠٣ ومع غزو العراق بالكاد بعد أقل من أسبوعين، ظهرت المفردات هذه لتعود مرة أخرى كما حدث في فيتنام: مع وجود فجوة في المصداقية، السعي والتدمير، من الصعب معرفة الصديق من العدو، التدخل العسكري في الشؤون المدنية، هيمنة السياسة الداخلية، الفوز، أوفي أكثر الأحيان تخسر القلوب والعقول".

وبحلول آب ٢٠٠٣، كان على إدارة الاحتلال، أن تترك في العراق ٣٠٠٠٠ من القوات الأمريكية، والمرابطة على أسس واسعة "دائمة" في تهدئة البلاد. ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟

لذلك، وبمعنى من المعاني، تم زيادة القوات منذ ذلك الحين. والآن جاءت دعوة الامريكي "الطريق الجديد إلى الأمام" كما كان يعادلها في الحالة الفيتنامية.

باعتراف الجميع، كلمة "الزيادة" لا تبدو مريحة، فهي أكثر عدوانية وتبدو طويلة الأمد، وبطريقة أو بأخرى فهي أكبر ضررا من كلمة "تصعيد"،ولكن الحقيقة هي أن القوات الأمريكية في ستة أشهر القادمة ستكون في أحدث تصعيد للقوة الأميركية في العراق.

ومما لا شك فيه، فان المزيد من الطائرات والقوة العسكرية الخاصة ستكون في العراق وحوله أكثر مما كانت عليه في أي لحظة منذ الغزو عام ٢٠٠٣. وهي تكفي بطبيعة الحال، من "أعلى مستوياتها على الإطلاق" من النوع الذي اتبع ترويعا.

ويمكن الوثوق بأن أعدادا قليلة ستخرج من العراق. وسط اضطراب سيكون واسع الانتشار، وفيه الكثير من التشويه، وسفك الدماء، في ظل فشل الاحتلال، في أرض أساسا سيفتقر الى حكومة مركزية، وسوف لن توجد دولة يمكن أن تعاني من مثل هذا الاقتلاع والدمار والموت والخسارة، والحرمان، ومع ذلك يظل العراق مجتمع وموحد.

الحديث الآن من المسؤولين المدنيين والعسكريين الأمريكيين عن البقاء في العراق حتى العقد القادم، أو لفترات غير محددة ولكن بإطالة الوقت. فسيصبح العراق (حسب الأرقام) قد آل شهرا بعد شهر، سنة بعد سنة، ولم يكن هناك أي سبب للاعتقاد بأن أي تصعيد سيكون هو الأخير بل أن أي تصعيد في المستقبل، سواء تحقق عن طريق الجيش الامريكي أو نتيجة لنمو الجيش العراقي الجديد سينمو من استخدام الرشاشات الى استئجار الطائرات التي تستخدمها شركات الأمن الخاصة التي يمكن أن تكون قادرة على أي شيء لكي تسرع وتيرة هذا العنف. وبحسب ذلك فإن الأرقام ستكون اكبر مما كان عامي ٢٠٠٨ أو٢٠٠٩، وفي ضوء تحديد واضح "للمفكرين

الاستراتيجيين" فالتصعيد في العراق من خلال الأرقام جميعها تقريبا سيستمر "بالزيادة" اعتبارا من انتهاء الانتخابات المقبلة.

عدد القوات الأمريكية المتمركزة في العراق: ١٦٢٠٠٠ (بالإضافة إلى ما لا يقل عن بضعة آلاف من موظفي الحكومة)، وهو أعلى مستوى على الإطلاق.

العدد المقدر للمقاولين من القطاع الخاص في العراق: أكثر من ١٨٠٠٠٠، ومرة أخرى مما لا شك فيه على أعلى مستوى على الإطلاق.

هذا الرقم يشمل حوالي ٢١٠٠٠ من الأميركيين ٤٣٠٠٠ غير عراقيين من المقاولين الأجانب (بما في ذلك التشيليين، النيباليين والكولومبيين، والهنود، ومن فيجي، والسلفادوريين، والفلبينيين ومن دول أخرى)، و١١٨٠٠٠ عراقي.

وهذا لا يشمل "الشركات الأمنية الخاصة التي تتولى حماية المسؤولين والمباني الحكومية، "وفقا لأرقام وزارة الخارجية، البنتاغون والتي حصلت عليها صحيفة لوس أنجلوس تايمز.

النسبة المئوية للمقاولين من القطاع الخاص في عدد القوات الأمريكية المنتشرة في الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية كان ٣-٥ ٪، وفي فيتنام وحرب الخليج الأولى، فإن هذا الرقم بلغ ١٠ ٪. أما الآن، فتبدو على أنها الأقرب من التكافؤ.

عدد شركات القطاع الخاص العاملة في العراق بعقد مع حكومة الولايات المتحدة تزيد على ٦٣٠، مع أفراد من أكثر من ١٠٠ دولة، بما يمثلونه بأقوى جيش من المرتزقة.

المثالية التي تدفع الجندي السابق في القوات الخاصة للولايات المتحدة للعمل لحساب شركة أمن خاصة في العراق أن أجوره يمكن أن تصل إلى ١٠٠٠ دولار يوميا.

عدد الشاحنات التي تسير على الطريق يوميا كجزء من عملية إعادة التموين والتمويل لجيش الولايات المتحدة في العراق: ٣٠٠٠.

عدد الهجمات من حزيران ٢٠٠٦ حتى أيار ٢٠٠٧ على قوافل الإمدادات الأمريكية يحرسها الخاص المتعاقدين الأمنيين: ٨٦٩، وارتفعت الى ثلاثة أمثالها خلال الاثني عشر شهرا السابقة.

عدد من المتعاقدين من القطاع الخاص الذين لقوا حتفهم في العراق: أكثر من ١٠٠٠، وفقا لوزارة العمل الأميركية، استنادا إلى الأرقام جزئية لأن الشركات الخاصة لا يجب أن تعلن عن قتلى الحرب.

توقع التكلفة لمدة سنة واحدة من ٣٠٠٠٠-٤٠٠٠٠ زيادة على عدد القوات، وفقا لمكتب الميزانية بالكونجرس: ٢٢ مليار دولار لمدة عامين.

النسبة المئوية سنويا التي خصصتها الحكومة الأميركية والتي تنفق على الأنشطة ذات الصلة العراق: أكثر من ١٠ ٪، وفقا لمكتب الموازنة.

تقدر التكلفة الشهرية لحرب العراق: ١٢ مليار دولار وهي ثالث أعلى مما كانت عليه في عام ٢٠٠٦، وفقا لأبحاث الكونغرس.

تقدر التكلفة الإجمالية للحرب في العراق، إذا غادر ٣٠٠٠٠ من القوات الأمريكية في العراق بحلول عام ٢٠١٠ أكثر من ١ تريليون دولار.

يقدر عدد العراقيين الذين فروا من بلادهم : بين ٢ مليون و٢.٥ مليون. ما يقدر بنحو٧٥٠٠٠٠ إلى الأردن ؛ ١.٥ مليون إلى سوريا ؛ ٢٠٠،٠٠٠ الى مصر ولبنان وبمعدل ٤٠٠٠٠-٥٠٠٠٠ من الفارين كل شهر،و ٢٠٠٠ يوميا، وفقا لأرقام الأمم المتحدة عام ٢٠٠٩.

المسؤولون في مكتب جوازات السفر في بغداد يصدرون ٣٠٠٠ جواز سفر في الأسبوع.

بالإضافة إلى ذلك، هناك أكثر من مليونين من العراقيين الآن من اللاجئين الداخليين، الذين فروا من ديارهم بسب العنف الطائفي والتطهير العرقي. وحوالي ٧٠ ٪ من هؤلاء هم من النساء والأطفال وفقا لليونيسيف.

عدد اللاجئين العراقيين الذين دخلوا الولايات المتحدة في تموز٥٧ فقط و١٣٣ في السنة حتى الآن.

عدد العراقيين المعتقلين في السجون الأميركية في العراق: حوالي ٢٢٥٠٠، وفقا لمسؤولين عسكريين أمريكيين، و(السجون الأميركية في العراق أيضا تواصل التوسع).
عدد العراقيين الذين أفرج عنهم من السجون الأمريكية في الشهر الماضي : ٢٢٤.
عدد المقاتلين الأجانب (المجاهدين) الذين يحتجزهم من قبل الجيش الامريكي في العراق : ١٣٥ (ما يقرب من نصفهم من السعوديون).
العدد المقدر للرصاصات التي أطلقت من قبل القوات الأمريكية على كل المتمردين الذين قتلوا في العراق: ٢٥٠٠٠٠ مليار طلقة وفقا لمدير البحوث العسكرية واشنطن وهذا بمعدل ١.٨ مليار طلقة من ذخيرة الأسلحة الصغيرة سنويا. ومصانع الذخيرة في الولايات المتحدة غير قادرة على تلبية الطلب، لذلك فهناك ٣١٣ مليون طلقة من الذخائر قد تم شراؤها من إسرائيل في العام الماضي بمبلغ يقل ١٠ مليون دولار مما لو أنتج محليا.
النسبة المئوية للبتر في الولايات المتحدة من جرحى الحرب في العراق: يقدر بنحو٦ ٪. في المتوسط في وقت سابق من الصراعات الولايات المتحدة كانت ٣ ٪، نتيجة العبوات الناسفة والسيارات المفخخة التي تلعب مثل هذا الدور.
استبدال ألأطراف التقديرية اللازمة سنويا للجنود الأمريكيين في شمال العراق وحده: ٣٠٠٠ (على عكس العراقيين الذين فقدوا أحد أطرافهم ولم يتمكنوا من الوصول إلا إلى عدد محدود من الأطراف الاصطناعية التي عفا عليها الزمن وفقا لجمعية الهلال الأحمر والمدير العام للخدمات الصحية في الموصل.).
تكلفة التابوت في بغداد : ٥٠-٧٥$. بينما كانت تكلفة تابوت في زمن صدام حسين، ٥-١٠ $.
العدد التقريبي للمدنيين الأميركيين الذين لقوا حتفهم على مستوى مماثل من القتل الذي يجري في الولايات المتحدة : ١٨٠٠٠، وفقا لباحث في مركز الشرق الأوسط.
العدد التقديري لعدد القتلى العراقيين منذ الغزو عام ٢٠٠٣ خلال حزيران ٢٠٠٧، حسب دراسة لانسيت برقم متوسط ٦٥٥٠٠٠ حالة وفاة وبما يزيد قليلا عن مليون شخص، وفقا لمؤسسة السياسة الخارجية.
عدد الجثث المجهولة الهوية، الذين يفترض أنها قتلت على يد فرق الموت، ووجدت في شوارع بغداد بمعدل شهري خلال سنوات الحرب: ٤٥٣، وفقا لإحصاءات غير رسمية من وزارة الصحة العراقية.
معدل عدد المدنيين العراقيين الذين قتلوا أو جرحوا في حوادث عند نقاط التفتيش الأمريكية أو بالقرب من الدوريات الأميركية وقوافل الإمدادات الأمريكية: ٤٢٩، وفقا للإحصائيات العسكرية الأمريكية.
هذه الإحصاءات، لا تشمل الوفيات بين المدنيين خلال الغارات على المنازل أوفي خضم معركة (وتعتبر غير مكتملة في أي حال، لأن عددا غير معروف من بين الوفيات غير المبلغ عنها من قبل الولايات المتحدة).
معدل عدد الهجمات ضد القوات الأمريكية وقوات التحالف وقوات الأمن العراقية بمتوسط يومي قدره ١٧٧.٨، وفقا لوزارة الدفاع، وأكثر هذه الهجمات على وجه الدقة أطلقت ضد القوات الأمريكية.
معدل عدد الهجمات شهريا باستخدام أقوى أنواع القنابل على جانب الطريق ارتفع الى: ٩٩، وهو أعلى مستوى على الإطلاق، وفقا للفتنانت جنرال راي اوديرنو، قائد جيش الولايات المتحدة في العراق.
متوسط درجة الحرارة نهارا في الصيف في بغداد : ١١٠-١٢٠ درجة فهرنهايت، وعلى الرغم من ١٣٠ درجة غير مألوفة. ونادرا ما تنخفض حتى ١٠٠ درجة ليلا.

تكلفة زجاجة لتر من المياه النقية: ١.٦٠ دولار، أي بزيادة قدرها ٣٣ ٪. (الكثير من العراقيين لا يستطيعون تحمل نفقات شراء المياه المعبأة في زجاجات، وفقا لأحدث دراسة من مؤسسة أوكسفام كملخص للأزمة الإنسانية للعراقيين، هناك ٤٣ ٪ من العراقيين يعيشون في "فقر مدقع"، الذين يكسبون أقل من دولار واحد يوميا).

النسبة المئوية من مهندسي المياه الذين غادروا العراق : ٤٠ ٪، وفقا لتقرير منظمة أوكسفام. هناك نسب مماثلة من الطبقة المتوسطة من الفنيين الأطباء والمعلمين والمحامين قد فروا كذلك. ووفقا لمؤسسة أوكسفام بعض الجامعات والمستشفيات في بغداد قد فقدت ما يصل الى ٨٠ ٪ من العاملين لديها.

عدد العراقيين الذين لديهم إمكانية الحصول على مياه الشرب النقية : ١ / ٣، وفقا لأرقام الأمم المتحدة. (والأمراض التي تنقلها المياه، بما في ذلك الإسهال القاتل الذي أغزر بالأطفال دون سن ٥، تصل في بعض المناطق بنسبة ٧٠ ٪ مقارنة بالأعوام السابقة).

من ٣.٥ مليون متر مكعب من المياه في بغداد البالغ عددهم ستة ملايين نسمة تشير التقديرات إلى حاجة: ٢.١ مليون متر مكعب.

عدد كبار الضباط الذين قد استقالوا مؤخرا من الجيش العراقي احتجاجا على حكومة المالكي : ٩.

جميع البرلمانيين في العراق، الذي غادروا: وفقا لصحيفة نيويورك تايمز، لغرض الإجازة في مواسم الصيف الى بلدان مثل الأردن، سوريا، دبي، إيران، بريطانيا العظمى، ومصر، وكذلك "في المنتجعات الأكثر أمانا في كردستان العراق". وكان معدل التكلفة المقدرة لتلك الفترة من الإجازات: ٢٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ دولار، وفقا لبوب شيفر من شبكة سي بي اس نيوز.

كمية النفط التي يمتلكها العراق : ١١٥ مليار برميل من احتياطيات النفط المؤكدة، ويعتبر ثالث أكبر احتياطي نفطي في العالم (بعد المملكة العربية السعودية المجاورة وإيران). وتقديرات المخزون النفطي لا يزال ممكنا في أن يكون قد اكتشفت ما مجموعه ٤٥ مليار برميل إضافي وقد تصل إلى ٤٠٠ مليار برميل.

سعر ٤٠ غالون من الكاز في ظل حكم صدام حسين : ٥٠ سنتا.

سعر ٤٠ غالون من الكاز بعد الاحتلال : ٧٥ دولارا في السوق السوداء ؛ ٣٥ دولارا إذا كان سائق سيارة على استعداد لقضاء ساعات أو حتى أيام، وذلك في محطة التعبئة.

أكثر من ٩٠ ٪النسبة المئوية من عائدات العراق التي تأتي من تصدير النفط، وعلى الرغم من إنتاج النفط لا يزال أقل من أنها أسوأ من أيام حكم صدام حسين.

المبلغ لوزارة النفط العراقية في الميزانية لتغطية نفقات رأس المال لدعم صناعة النفط في العام: ٣.٥ مليار دولار، وفقا لأحدث تقرير صادر عن المفتش العام الأميركي الخاص لإعادة بإعمار العراق.

المبلغ الذي أنفقته بالفعل وزارة النفط العراقية: ٩٠ مليون دولار.

النسبة المئوية للأموال المخصصة لرؤوس الأموال التي تنفقها الحكومة العراقية على النفط والكهرباء ومشاريع التعليم في عام ٢٠٠٦: ٢٢ ٪.

المال المفقود بسبب الفساد الحكومي، كما كشفت التحقيقات التي أجرتها في العراق محقق مكافحة الفساد: ١١ مليار دولار.

عدد من الدولارات المستثمرة في الولايات المتحدة على (تدريب) الجيش والشرطة العراقية : ١٩.٢ مليار دولار. وفقا لتحقيقات الكونغرس الأميركي من الحزبين.

المبلغ الذي طلبه البنتاغون زيادة لهذه السنة لمواصلة تدريب وتجهيز قوات الأمن العراقية : ٢ مليار دولار.

النسبة المئوية لمعدات وزارة الدفاع الأمريكية قد أصدرت لقوات الأمن العراقية منذ عام ٢٠٠٣ لا تتجاوز ٣٠ ٪. والتي تضم ما لا يقل عن " بنادق ١١٠٠٠٠ طراز ايه كيه ٤٧

ومسدسات ٨٠٠٠٠، ١٣٥٠٠٠ قطعة من الدروع ١١٥٠٠٠ من الخوذ ،" وفقا لمكتب محاسبة الحكومة الأمريكية ووفقا لصحيفة واشنطن بوست "، وأحد كبار المسؤولين في البنتاغون أقر بأن بعض الأسلحة ربما تستخدم ضد القوات الأمريكية".

عدد حاويات الصلب من الولايات المتحدة للشحن في العراق والتي تعتبر الآن قد "فقدت" : ٥٤.٣٩٠ وفقا لمكتب المحاسبة الحكومي.

التكلفة المقدرة لتدريب قوات الأمن العراقية على مدى العقد القادم، وإذا استمر هذا بالطبع ما لا يقل عن ٥٠ مليار دولار، وفقا لمكتب الميزانية في الكونغرس.

عمر القواعد العسكرية الأمريكية في العراق: أكثر من ٧٥ عاما، وفقا لصحيفة نيويورك تايمز.

تكلفة القواعد الأمريكية في العراق (والتي قرر الكونغرس أنها ليست بالدائمة)، مجهولة. في مجلة الهندسة في أواخر عام ٢٠٠٣، قال اللفتنانت كولونيل ديفيد هولت، المهندس في الجيش "والمكلف بتطوير المرافق" في العراق، وسبق أن تحدث بفخر عن "عدة مليارات من الدولارات" التي غرقت في بناء قاعدة واحدة فقط.

ووفقا لصحيفة واشنطن بوست، عن مؤسسة خدمة أبحاث الكونغرس هناك ٢ مليار دولار ذهبت إلى "البناء العسكري" في العراق للفترة ٢٠٠٤-٢٠٠٦، و١.٧ مليار دولار وافق عليها الكونغرس لعام ٢٠٠٧. والبنتاغون لا يزال يبني. للسنة المالية ٢٠٠٩، كان هناك ٧٣٨.٨ مليون دولار كطلب لبناء " ٣٣ من المشاريع البناء الحاسمة في العراق ".

المبلغ الذي تلقته هاليبرتون وشركاتها الفرعية كيلوغ، براون اند روت (المعروفة الآن باسم كيلوغ براون اند روت) قد حتى الآن للحصول على عقد لتزويد الجيش الأميركي بالمواد الغذائية والوقود، والسكن، وغيرها من الضروريات: ما لا يقل عن ٢٠ مليار دولار.

وفي مراجعة الحسابات في البنتاغون هناك ١٦.٢ مليار دولار الى أن ى كيلوج براون اند روت "ووجدت أن ٣.٢ مليار دولار في شركة كي بي آر كان إما مشكوك فيها أو غير معتمدة في الوثائق".

النسبة المئوية للعراقيين الذين لا يستطيعون شراء ما يكفي من الطعام : ١٥ ٪، بحسب أوكسفام.

النسبة المئوية من الأطفال العراقيين الذين يعانون من سوء التغذية : ٢٨ ٪ (مقابل ١٩ ٪ قبل الغزو) ؛

النسبة المئوية للأطفال الذين يولدون ناقصي الوزن، ١١ ٪ (مقارنة ب ٣ ٪ قبل الغزو).

النسبة المئوية للأطفال العراقيين الذين يعتبرون الآن أنهم يعانون من "العوائق" في التعلم: ٩٢ ٪، وفقا لإحدى الدراسات التي استشهد بها منظمة أوكسفام.

تكلفة الطائرة الواحدة بدون طيار (بريداتور)، مسلحة بصواريخ هيلفاير عدد اثنين : أكثر من ٣ ملايين دولار. (وهناك ما لا يقل عن ٥ طائرات قد تحطمت أو تم إسقاطها في العام الماضي في العراق).

تكلفة أحدث الطائرات بدون طيار، نوع "الصياد القاتل" كيو ٩ ريبر، والتي يجري الآن نشرها في العراق: ٧ ملايين دولار. وهي تعادل أثقل أربع مرات من طائرات بريداتور ويمكن أن تكون مسلحة بـ ١٤من صواريخ هيلفاير، والتي تزن كل واحد منها ٥٠٠ رطل من ذخائر الهجوم المباشر المشترك. لذلك فهي تعادل في القوة النارية الطائرة من طراز أف ١٦. ووفقا لأسوشيتد برس أن هذه الطائرة تقصف أهدافا في العراق، عن طريق شريط فيديو يبعد ٧٠٠٠ ميلا في ولاية نيفادا".

عدد الطائرات الأميركية في المجال الجوي العراقي في أي لحظة : ١٠٠ طائرة.

زيادة عدد القنابل التي أسقطت في العراق في الأشهر الستة الأولى من ٢٠٠٧ بالمقارنة مع الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠٠٦ : تعادل خمسة أضعاف.

عدد الأطباء الذين اغتيلوا على يد "مجهولين" في البصرة منذ عام ٢٠٠٣ : ١٠٢.

عدد المرات التي قصفت فيها قاعدة المطار خارج البصرة، والتي تضم مجموعة القسم الإقليمي في السفارة الأميركية وأكثر من ٥٠٠،٥ جندي إضافة الى ٤٠٠٠٠ جندي بريطاني تم إرسالهم الى العراق، بقذائف المورتر أو الصواريخ على مدى الأشهر الأربعة الماضية : ٦٠٠.

أثر الإنفاق على الحرب على العراق ساعد بارتفاع أرباح شركات ألأسلحة ية، والتي هي : شركة نورثروب غرومان قد أعلنت للتو زيادة بنسبة ١٥ ٪ في الربع الثاني في المبيعات خلال هذا العام لقسم المعلومات والخدمات، و٧ ٪ للقسم الالكترونيات؛ جنرال داينامكس وحدة مكافحة ألأنظمة سجلت فقط ارتفاعا بنسبة ١٩ ٪ في المبيعات. لوكهيد مارتن ارتفعت الأرباح بنسبة ٣٤ ٪ إلى ٧٧٨ مليون دولار.

التكلفة المقدرة لنشر جندي أميركي واحد في العراق لسنة واحدة : ٣٩٠٠٠٠$، وفقا لخدمة أبحاث الكونغرس.

تكلفة الطيران لجندي من منطقة الحرب لوطنه : ٦٢٧.٨٠$. هذا هو الثمن الذي يدفعه البنتاغون لشركة فيد يكس من بين الشركات الأخرى، لكل جندي تعيده الى الولايات المتحدة.

الحمولة المقدرة من المعدات الخاصة التي تعود الى جيش الولايات المتحدة والتي يمكن في حالة انسحابهم من العراق قد يتم شحنها إلى بلادهم من الكويت في حال وجود قرار الانسحاب : واحد مليون طن.

نسبة الأميركيين في أحدث استطلاع قامت به واشنطن بوست وأيه بي سي نيوز من أقرباء الذين خدموا في العراق أو"كانوا صديقا مقربا أو نسبيا" من الذين يوافقون في التعامل مع الصراع في العراق : ٣٨ ٪. وبحسب نيويورك تايمز وسي بي اس نيوز، هناك أقل من نصف عائلات العسكريين وأفراد الجيش التي وافقت على أن "الولايات المتحدة قد فعلت الصواب في غزو العراق".

جديد الحرب الأهلية القادمة في العراق.

الحرب الأخيرة في أفغانستان لا تسير على ما يرام، ولكن إدارة الاحتلال قد تعلم في وقت قريب إن الحرب ستسير في غير صالحها حينما تدرك أن هناك حربا واحدة أخرى في العراق لم تنته بعد.

على الرغم من أن الاحتلال قد تعهد مرارا بسحب القوات الأمريكية في العراق الى نحو٥٠٠٠٠ بحلول آب ٢٠١٠ وإلى انسحاب تلك القوات بشكل نهائي وكامل بحلول نهاية عام ٢٠١١.... إلا أنه من العدل أن نتساءل عما سيحدث بعد ذلك الانسحاب.

في المقام الأول، تأجلت الانتخابات البرلمانية في العراق حتى ٧ آذار، وحتى ذلك الوقت فمن المتوقع ان تبقى القوات الأمريكية فوق ١٢٠٠٠٠ جندي وحتى نهاية موعد الانتخابات، بعد ذلك سيكون على الولايات المتحدة إكمال الانسحاب وسيكون الجيش الامريكي في فوضى عارمة خاصة إذا أردت ان تخرج ٧٠٠٠٠ جندي في خمسة أشهر فقط، من أجل الوفاء بالموعد النهائي في آب.

وإذا ما حدث ذلك، فمن المحتمل أن يحدث هذا على خلفية نشر الفوضى السياسية في العراق، وستبدأ أعمال عنف جديدة، وهناك خطر لتجدد الحرب الأهلية، بعدما صدرت همسات من إمكانية القيام بانقلاب عسكري قبل أسابيع قليلة.

شيعة العراق تحركوا أيضا، من خلال لجنة المساءلة والعدالة وهو تأسيس طائفي سياسي منصوص عليه في الدستور حين منعت هذه اللجنة أكثر من عشرة أحزاب سياسية وشخصيات سياسية من المشاركة في انتخابات آذار. وهذه اللجنة وريثة لجنة اجتثاث البعث القديمة، والتي أنشئت في عام ٢٠٠٣ من قبل بول بريمر، قيصر الولايات المتحدة في العراق، وبزعامة احمد الجلبي ورفاقه.

وكان من بين تلك المحظورين في العراق واحدا من أهم اللاعبين، صالح المطلك، وهو الزعيم السني العلماني والعضو المهم في البرلمان ورئيس جبهة الحوار الوطني.

وقد برزت أهميته من خلال انتخابات المحافظات السابقة في العراق من قبل السكان السنة المحرومين. والمطلك سياسي معروف، لقي دعما من البعثيين السابقين والحاليين، والعلمانيين من السنة المعارضين للحكام الطائفيين الشيعة في بغداد، ومن العراقيين الذين يشعرون بالقلق إزاء نفوذ إيران من التدخل في الشؤون العراقية.

على مدى الشهور العديدة الماضية، ساعد المطلك في بناء كتلة معارضة قوية في تحدي كل من نوري المالكي، الذي يسيطر على فصيل عسكري سري وعلى حزب الدعوة الطائفي الشيعي، وعلى التحالف الشيعي ألأوسع الذي يتألف من المجلس الاسلامي الأعلى في العراق، وقوات مقتدى الصدر، والجلبي، وتم تشكيل هذا التحالف بدعم قوي من إيران من القيادات السلطوية، ومن رجال الدين المتشددين الذين ساعدوا في تجميعه.

اليوم المجلس الإسلامي الأعلى، لديه مؤسسة شبه عسكرية، وهو لواء بدر، الذي تشكل في عام ١٩٨٢ كذراع عن الحرس الثوري الإيراني وهو منذ سنوات عديدة فعليا تحت قيادة ضباط الجيش الإيراني.

والصدر، الشيعي "القومي" سقط تحت مظلة إيران أيضا، وقد قضى معظم العامين الماضيين يعيش في مدينة قم العاصمة الدينية الإيرانية. أما الجلبي، فعلى الرغم من علاقاته بالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، فمنذ فترة طويلة يشتبه في ان له علاقات سرية بدائرة المخابرات الإيرانية.

ومنذ العام الماضي، انضم المطلك مع غيره من السياسيين العراقيين الرائدين بهجوم عبر الكتلة العلمانية على الطائفية التي يقول كثير من العراقيين في العراق إنها الأمل الوحيد للهروب من الطائفية الدينية.

وواحد من حلفائه بين فيها أياد علاوي، السابق وهو شيعي علماني والذي قد يصبح رئيس وزراء العراق إذا تم إجراء انتخابات نزيهة. ومع المطلك وعلاوي يمكن تشكيل كتلة تشمل أيضا عددا من كبار السياسيين السنة، ويمكن تشكيل حكومة ائتلافية مع بعض اللاعبين الجدد الصاعدين في السياسة العراقية، بما في ذلك فلول حركة الصحوة السنية والفائزين في الانتخابات المحلية في محافظة نينوى وصلاح الدين والانبار، وغيرها من المحافظات العراقية.

ووفقا لما يؤكده عراقيون من الداخل، فعلاوي كان يتحدث إلى الأكراد، بما في ذلك أقوى عشيرة فيهم وهم البرزانيين، حول مشاركة محتملة للتحالف في الانتخابات. كما أن الشيعة العلمانيين، قد يكونون بعض الدعم لعلاوي في جنوب العراق التي يهيمن عليه الشيعة، وخصوصا في البصرة.

وعلى الرغم من أن الحكومة العراقية قد قررت بحظر باطل على المطلك، فقد تبع هذا القرار غضبا شديدا في أنحاء العراق، والكتلة السياسية المرتبطة بالمطلك، وعلاوي، وطارق الهاشمي، الزعيم السني، هددوا بمقاطعة التصويت في آذار.

هذه الكتلة السياسية تضم مجموعة من كبار أعضاء "الأقلية" السنية في العراق قد هددت بمقاطعة الانتخابات الوطنية في آذار بعد أن استهدف واحدا من قادتهم كان بسبب علاقاته المفترضة مع صدام حسين وحزب البعث؛

القائمة العراقية التي يرأسها السابق أياد علاوي وهو شيعي علماني ونائب العراقي طارق الهاشمي وهو عربي سني، والنائب صالح المطلك، ذا النفوذ السياسي السني العلماني، انتقدوا قرار اللجنة الحكومية لحظر المطلك من الانتخابات وكذلك العديد من العراقيين الآخرين، أيضا، هاجموا قرار حظر المطلك، والذي اتهم بأنه قريب جدا من حزب البعث المنحل.

أيهم السامرائي وزير الكهرباء العراقي السابق، أكد على الدعوى ضد المطلك وانه قد يسمح لها بالاستمرار، وهذا من شانه أن يدفع العديد من أعضاء المعارضة العراقية إلى تجديدهم لأعمال العنف، وقد أكد على احتمال اندلاع جولة جديدة من الحرب ألأهلية.

السامرائي، الذي كان في بداية الترشيح للبرلمان جزء من تحالف علاوي والمطلك، ولكنه اليوم بدلا من ذلك أنشأ حزبا مستقلا، وهو الجبهة الوطنية المتحدة، وانه يتوقع أن يفوز بما يصل إلى ١٠ مقاعد في البرلمان المقبل، من موطنه في محافظة صلاح الدين ومن محافظة نينوى والانبار وديالى وبغداد ولكن السامرائي لديه مخاوف من أن يكون الجيش العراقي، والعديد من الجنرالات الذين هم من الموالين ل المالكي، لن يقبلوا بتشكيل حكومة جديدة، إذا خسر المالكي وقد يقومون بانقلاب لحسابه.

وهناك آخرون يرون أن المالكي قد طرح رفاقه من حزب الدعوة في كل مكان، وان لديه من الجنرالات في بغداد هم من الشيعة، وكثير منهم جنرالات جدد روجوا للمالكي وأن الإجراء بحظر المطلك سيكون له عواقب سياسية وخيمة وسوف يكون له نتائج فاجعة لأنه سوف يدفع الناس للقتال خارج النظام، بدلا من داخل النظام، وانتخابات آذار القادمة لديها القدرة على إشعال صراع مدني جديد.

وهناك معتقدات كثيرة في واشنطن، بان العراق ليس لديه أي شيء من المؤسسات السياسية والعسكرية التي يمكن أن تجعل العراق مستقر إذا حدث مثل هذا الصراع، ذلك لان القوات المسلحة العراقية منقسمة حسب الولاءات العرقية والطائفية.

فلواء واحد قد يكون مواليا للمالكي، ولواء واحد للأكراد، وواحد إلى المجلس الأعلى الإسلامي العراقي والجيش والشرطة ليسوا من الموالين للعراق حسبما يقول السفير البريطاني لدى العراق جون جنكينز، والذي يؤكد أن الانقلاب العسكري وارد وهناك إمكانية حقيقية لذلك اليوم في بغداد.

وقد انطلقت قبل أيام مثل هذه الشائعات التي تحوم حول المؤامرة، وقوبلت بعنف وبردود فعل متباينة، واتهمها بعض مثيري الذعر، والبعض الآخر على أمل أنها نبوءة يمكن أن تحدث. أما جون جنكينز فقد قال أمام لجنة التحقيق في لندن على أن الديمقراطية أبعد ما تكون في العراق والجيش لا يزال يمكن الإطاحة بالحكومة المنتخبة وهناك كثيرون في العراق يعتقدون أن مثل هذا التطور قد يكون في موضع ترحيب بين العراقيين.

وإذا كان هناك مثل هذا الانقلاب العسكري الذي سيلغي الحكومة الحالية وينهي القبضة الإيرانية على العراق، فان القبائل العربية ستؤيده كما يؤكد على ذلك محمد الحمداني العضو البارز في مجلس محافظة ميسان، في جنوب العراق.ولكن هناك في نفس الوقت الكثير من الناس من القوى والأحزاب لها من المواقف الموالية لطهران.

لذلك جاء بيان السفير البريطاني في العراق بمثابة تحذير بأن انقلابا في بغداد قد يقع، ولكن من غير المحتمل، سيكون الذي يطلقه أعضاء حزب البعث السابقين في القوات المسلحة العراقية، فأكثر الضباط العسكريين القدامى في العراق خلال فترة عهد صدام حسين قبل عام ٢٠٠٣ من الذين تم تعيينهم في الحكومة كضباط في الجيش العراقي، من السنة والشيعة، كانوا بعثيين.

لكن الجيش العراقي في العراق اليوم يتألف من القادة على أساس عرقي وطائفي، ومعظمهم من الشيعة الموالين للمالكي والى لواء بدر، وأنهم أيضا يمكن أن يختاروا محاولة الانقلاب، بدلا من السماح للمعارضة العلمانية بتولي السلطة في آذار.

فكما حدث في لبنان بعد عام ١٩٧٥، وخلال تلك الحرب الأهلية في البلاد، يمكن للجيش أن ينشق على أسس عرقي وطائفي، وهذا ما سيميز الحرب الأهلية العراقية الطويلة، وستؤدي إلى تكوين دولة كردية انفصالية، وقد يتحرك الجيش التركي ضد الأكراد، وأسوأ من ذلك يمكن لهذه الحرب بدورها جر جيران العراق إلى المعركة مع التدخل الإيراني في دعم حلفائها الشيعة خاصة بعد تعيين سفير مميز لها من قادة الحرس الثوري الإيراني في بغداد، والمملكة العربية

السعودية والأردن لدعم السنة. واليوم ظهرت بوادر هذه الحرب من خلال التفجيرات الدموية الأخيرة في مركز الصراع والحرب..... بغداد.

جديد الحرب الأهلية القادمة في العراق:
قائمة بغداد السوداء.

ما يجب على الولايات المتحدة أن تقدمه، لا يتم عبر إجراء إصلاح شامل للنظام السياسي في العراق، بل في إعطاء علامة أمل واهتمام لجميع أولئك الذين تعرضوا للترهيب والإقصاء من قبل الجلبي وجماعته.

وهذا خلاصة القول في الحظر الذي فرضته مؤخرا على أكثر من ٥٠٠ مرشحا في الانتخابات القادمة في العراق والتي تهدف الى تعزيز سلطة الأحزاب الإسلامية الشيعية المتحالفة مع إيران. وسيكون هذا التمزق الطائفي أحدث الفصول في عدم إعطاء أي أمل في أن يكون العراق مستقرا؟

لكن هذه القائمة ليست بالقائمة السوداء في الحرب الأهلية القادمة وإنما تتمثل بواسطة إجراءات مكافحة ما يسمى "بالقائمة البعثية" والتي هي بطبيعتها تشمل غالبية السنة الذين لم يدخلوا في العملية السياسية القائمة والذين لم يرضوا بشروطها التي وضعها المحتل الامريكي مع حلفائه الإسلاميين الشيعة الموالين لإيران.

وفي الواقع مساواة السنة مع البعثيين هذه المرة سيساعد على تعميق الانقسامات القائمة مثلما كانت في بداية عمليات المقاومة العراقية حينما تساوت غالبية السنة بالإرهابيين وبالصداميين وجرى بعد ذلك عمليات التطهير الطائفي والعرقي في بغداد بشكل أساس وفي غالبية مناطق وسط وجنوب العراق.

القائمة السوداء في بغداد وحتى وقت قريب تعدها الولايات المتحدة وتعتبرها كانعكاس لاستقرار البلاد وتحقيق الاكتفاء الذاتي العراقي في مرحلة ما بعد الانتخابات البرلمانية المقبلة يوم ٧ آذار لكن على واشنطون الذهاب الى ضمان مشاركة المكون ي اللازم وهم السنة الى النهاية لإعطاء الانطباع بنجاح المشاركة هناك. ولكي لا تتعرض للخطر شرعية الانتخابات.

الأزمة السياسية الناجمة اليوم ناتجة عن كشف حدود النضج في العملية السياسية في العراق، والتقليل من احتمالات فشلها بدخول السنة إليها ومن عدمه وعكس مسارها كما هو مخطط لها، والجناح السياسي الوثيق مع إيران مستعد لتدعيم قوتها في هذا الجانب.

ولهذا فان العديد من الأشخاص المستهدفين من قبل الحكومة إما هم من السنة أومن العلمانيين، وبعض المحللين أشاروا الى أن الحظر كان الدافع وراءه رغبة الإسلاميين الشيعة باستبعاد منافسيهم من العملية السياسية وترسيخ سيطرتهم.

لكن الدافع الحقيقي هو ألأكثر خطورة: والذي يتمثل بضمان عدم عودة النظام الوطني والقومي من خلال إحياء هدف عودة حزب البعث لترويع الناخبين مع شبح عودة البعثيين وتخويف خصومهم السياسيين من خلال عملية الاستبعاد التعسفي.

وهذا مما سيديم مناخ الطائفية السياسية التي بنتها الولايات المتحدة في العراق ولم تعترف لحد اليوم بفشلها بل عززتها من خلال خطوات كثيرة لضمان وصولها الى الأهداف الأساسية من غزو العراق والتي فشلت لحد ألان لأسباب كثيرة وتحاول اليوم المناورة بهذا الجانب أو ذاك لتحقيق هذا الهدف والذي لا يزال قائما في تقسيم العراق والتملك والسيطرة على ثرواته الطبيعية والذي يضمن الشكل الطائفي السياسي القائم تحقيق تلك الأهداف الإستراتيجية بعد منح جولات النفط الرخيصة قبل أسابيع لتشكل أسلوب ضغط جديد لحلفائهم السعوديين والخليجيين من جانب والى تدعيم الوجود العسكري الامريكي بشكل مختلف مما كان من جانب آخر.

فمنذ اجتثاث البعث مالت الولايات المتحدة إلى إتباع أسس طائفية، كما شوهدت وساهمت بالفعل في تطهير الآلاف من المسؤولين العراقيين من البيروقراطيين السنة والذين عادة ما كانوا

مستهدفين، في حين أن الأكراد والشيعة البعثيين السابقين كانوا في صمت من عمليات الاجتثاث تلك وبالتالي تم تحييدهم.
على الرغم من أن مثل هذه السياسة ليست منتظمة بما يكفي للتأهل والتمييز الصريح لمجرد الإبقاء على قضية البعث على جدول الأعمال لفترة طويلة سيكون مؤشرا على عودة ملحوظة للذين فازوا في الانتخابات البرلمانية السابقة في عام ٢٠٠٥ ولكنهم خسروا بشكل سيء في الانتخابات المحلية العام الماضي وهم الإسلاميون الشيعة الذين تربطهم أوثق العلاقات مع إيران. وذلك وببساطة باستخدام البطاقة المضادة للبعثيين لإحياء الصراع الطائفي هو أساسا العودة للإستراتيجية التي تضطلع بها إيران الشيعية التابعة للإسلاميين والولايات المتحدة الأمريكية والتي ضمنت امن انسحاب جيشها المقاتل من العراق من حلفاء إيران في العراق.
ففي العام الماضي، كانت الأحزاب الشيعية، مثل المجلس الإسلامي الأعلى في العراق يستخدم قضية البعث لانتقاد العراقي نوري المالكي لتعاونه مع القوميين والعلمانيين، مما اضطره الى التراجع عن جهوده الرامية إلى بناء تحالفات مع هذه الجماعات بعد الانتخابات المحلية في وقت سابق من هذه السنة.
في هذا السيناريو المثالي يبدو أن واشنطن تفضل حل الأزمة عن طريق تأجيل عملية اجتثاث البعث الى ما بعد الانتخابات، والتي يمكن تهدئة الأوضاع للحظة واحدة، والسماح لمناخ سلمي معقول للانتخابات، وبعد ذلك يبدأ الجدل يتلاشى وستسفر الانتخابات عن الجمعية الوطنية الجديدة التي من شأنها أن تتخذ نهجا أكثر تحفظا على مسألة اجتثاث البعث.
الخيار آلاخر سيكون أن تقف الولايات المتحدة في الخلف، وتأمل أن يعيد النظام العراقي على الأقل بعض المرشحين الذين منعوا من الترشيح، مما يؤدي إلى خفض درجة التهميش السياسي.
ولكن مثل هذا الحل سيكون أساسا علاج لأعراض الفشل السياسي في العراق وليس للمرض. فبعد كل شيء سيكون الجانب الأكثر إثارة للصدمة في هذه القضية كلها ليست في القرار الذي اتخذه مدير اجتثاث البعث أحمد الجلبي حليف إيران الوثيق وإنما هو الأكثر إثارة للقلق والخطورة هو أن ما تبقى من النظام السياسي في العراق قد فشل في تقديم أي مقاومة ذات مغزى لأحمد الجلبي.
فهناك عدد كبير من الخبراء القانونيين في العراق وخارجه يتفقون على أن الإجراء الذي استخدم لمنع المرشحين كان تعسفيا، وبناء على تفسيرات مريبة وكذلك انتهاكات صريحة للتشريعات العراقية. وحتى المحكمة الاتحادية العليا قد رفضت التدخل. وكل هذه الهيئات في واشنطن اعتبرت أن المؤسسات السياسية في العراق قد بلغت مرحلة النضج السياسي. وهذا يدل على أن المشكلة الطائفية في العراق لن تحل نفسها بنفسها. وعلى المسؤولين العراقيين الذين هم على استعداد للسماح لشخص مثل الجلبي هو في طريقه الآن بأنه سوف سيفعل أكثر من ذلك في المستقبل.
وعلى نفس المنوال وحتى لو كانت إدارة الاحتلال قد نجحت في تأجيل موضوع اجتثاث البعث فسيكون ببساطة إفشال هذا المسعى الإعلامي الامريكي من خلال اللجنة "المستقلة" المسئولة عن فرز الأصوات في الانتخابات والتي تم تعيينها على أساس حزبي من قبل نفس الأطراف التي عينت هيئة اجتثاث البعث بمعنى أنه حتى لو سمح للمرشحين المؤهلين بالترشيح للانتخابات فسيكونون من غير المرجح وصولهم الى مناصبهم.
وتأمل إيران في العراق الحصول على سياسة يتم تعريفها من خلال العرق والطائفة الدينية، فمنذ غزو العراق كانت الضمانات الديموغرافية للحكومة التي يقودها الشيعة من شأنها أن تكون صديقة لإيران، مع أومن دون التحالف مع الأكراد. وتبعا لذلك فإن أي اقتراح من الولايات المتحدة بأن تؤجل مجرد مسألة اجتثاث البعث فستسمح عملية الطعون إلى مجراها وتلعب مباشرة في أيدي الإيرانيين.

المناخ السياسي في العراق لن يتحسن ما دام المسؤولون تحت انطباع بأن المجتمع الدولي لن يطرح أي المقاومة لإجراءات مثل إجراءات الجلبي والأهم من ذلك، لا ترى الولايات المتحدة أن الأزمة الحالية باعتبارها مشكلة تضييق من المشاركة السنية. ذلك من شأنه أن يدعم منطق الطائفية الضارة التي تشكل ركيزة النظام السياسي في العراق، وسيكون بالتالي تعزيز يد إيران. ببساطة منح التمثيل السياسي مقسم بالتساوي على طول الخطوط الطائفية وهي ليست كافية لمعالجة مواطن الضعف الأساسية. والنقطة المهمة هي أن في العراق سوف يكون هناك دائما من السنة على استعداد للموافقة على قرارات لجنة اجتثاث البعث كما فعل أياد السامرائي، رئيس البرلمان وبالتالي، ستقع خارج نطاق الإصلاحات الطائفية.

وللحفاظ على كارثة اجتثاث البعث القاتلة التي ستمزق العراق ألتعددي في الهيكل السياسي، ينبغي على إدارة الاحتلال من عمل لفتة رمزية لإظهار أن المجتمع الدولي لن ينسى جميع العراقيين -- بغض النظر عن انتماءاتهم الفردية -- المختلفين مع الملالي في إيران ووكلائهم من العراقيين في مشاركتهم في الانتخابات المقبلة وفي الواقع هذا أمر حيوي لمستقبل العراق، وعلى الأخص بالنسبة لاحتمالات الإصلاح التدريجي من خلال التعديل الدستوري عن طريق الاستفتاء الشعبي.

ومع ذلك هناك خيار واحد لا يزال مطروحا أمام العراقيين فإذا كانت إدارة الاحتلال تريد فعلا في حل هذه الأزمة، فلا بد من توجيه اهتمامها من بغداد إلى جنيف، حيث يقوم مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان وحيث يمكن للمجتمع الدولي تعيين مقرر خاص حول العراق في الانتخابات البرلمانية. هذه الخطوة من شانها تقديم صورة للعالم بشكل أوسع وأكثر حيادية عن الحالة المأساوية الذي يعيشها العراق خاصة بعد تفعيل عمل لجان حقوق الإنسان في مناطق كثيرة من العالم.

العراق : حرب أهلية جديدة؟

٢٠١٠ من سيء إلى أسوأ في العراق

في الشهر الماضي، عقدت لجنة غير منتخبة ظهرت من الأيام الأولى من الاحتلال الأميركي للعراق، هي لجنة المساءلة والعدالة أصدرت صدمة بحظر أكثر من ٥٠٠ من المرشحين من المشاركة في الانتخابات، بما في ذلك عدد من أعضاء مجلس النواب الحالي يسعون لإعادة انتخابهم. هذه اللجنة، يسيطر عليها أحمد الجلبي وواحدا من جماعته، هو علي اللامي. الجلبي، المحبوب من عهد الاحتلال والمحافظين الجدد، والذين دفعوا الجلبي في العراق بعد عام ٢٠٠٣، منذ زمن طويل بعلاقات وثيقة مع طهران، وهذا الحظر ضرب معظم السياسيين العراقيين المعارضين لنفوذ إيران المتنامي في العراق.

في الأسبوع الماضي، ألغت محكمة الاستئناف العراقية إلغاء الحظر بعد زيارة الى بغداد قام بها جو بايدن، والذي يتولى حقيبة العراق في إدارة الاحتلال ومارس بايدن ضغوطا على العراقيين لإعادة المرشحين.

وفي أعقاب قرار المحكمة، قامت الحكومة العراقية التي يقودها ائتلاف من الشيعة والسياسيين الطائفيين المرتبطين ارتباطا وثيقا بإيران وألغت محكمة الاستئناف وانتقد المالكي نفسه هيل : "نحن لن نسمح السفير الأميركي كريستوفر هيل الى تجاوز مهمته الدبلوماسية". وبدأ المالكي العمل مع قادة الائتلاف، وأعضاء البرلمان، والمحكمة العليا لضمان أن فرض الحظر الجلبي لا يزال قائما.

التدخل الأميركي في السياسة العراقية يكشف أنه على الرغم من وجود أكثر من ١٠٠٠٠٠من القوات الأمريكية، فان نفوذ أميركا في العراق بدا يتلاشى سريعا -- وإيران آخذة في الازدياد. ليس هناك الكثير الذي يمكن للولايات المتحدة القيام به حيال ذلك. فحالما اتخذ

ووكر الاحتلال هذا القرار المصيري بطرد الحكومة العراقية السابقة وتثبيت المنفيين الموالين لإيران في بغداد، فقد سبق السيف العذل وليس لدى الاحتلال خيار سوى حزم أمتعته والرحيل.
وعلى الأطراف التي اعتقدت بمساندة الولايات المتحدة لها أو التي اعتقدت أن الحكومة الأمريكية ستكون الى صفها في الانتخابات القادمة وعلى راس هؤلاء السابق إياد علاوي، الذي كان شريك رئيسي في التحالف، وصالح المطلق، الذي حظرت مشاركته في الانتخابات والذي انتقد لجنة الجلبي: "إن لجنة العدالة والمساءلة هي في الواقع الشرطة السرية، ونحن لا نعرف من هم هؤلاء الأعضاء، أو الكيفية التي تم تعيينهم، لكننا نعرف السبب". وكثير من الساسة العلمانيين من السنة والشيعة المعادين لإيران قد شعروا بالخيانة والتخلي عنهم.
وغيرهم ممن يعارضون الحكومة المالكي يريد من واشنطن الى التدخل لصالحهم، بما في ذلك من خلال الدعم السري لأحزابهم، ولكن هذا لا يبدو ألان في حسابات الاحتلال أوقد لا تكون فكرة جيدة.
حقيقة أن المالكي قد انزلق الى هذه المرة الى الدعوة الى الطائفية بعد أن تخلى عن أي ادعاء حاول فيه الارتفاع عن الطائفية ليصبح زعيما وطنيا. لكنه هذه المرة وفي وقت الانتخابات رمى الكثير مع مواليه للزمرة الإيرانية. وبطبيعة الحال، لا تزال هناك انتخابات. ومن الممكن أن الحظر المفروض على مئات من المرشحين سيتم رفعه، ولكن الوقت ينفد. ويكون الضرر قد وقع. المالكي، الجلبي، وأصدقائهم في طهران قد سمموا المناخ الانتخابي والسؤال الوحيد المتبقي هو ما إذا كانت الجرعة هذه قاتلة.
تجديد العداء الديني والسياسي في واقع الأمر هو غير مرئي في العراق. ويبدو أن الأمل عند الاحتلال في أن يتمكن من تجنب التعامل مع العراق حتى عام ٢٠١٠. خطأ كبير. فالعراق لن يذهب بعيدا.... وإيران تستخرج العضلات في العراق. ومسألة النفوذ الإيراني في العراق أمر حاسم بالنسبة للأمريكان...وعلى إيران والولايات المتحدة العمل معا على تحقيق الاستقرار في العراق في عام ٢٠١٠.

إيران تلعب بقوة في العراق

لقد كتب عن النفوذ الإيراني في العراق غير المرغوب فيه الآن، ويبدوكما لوأن إيران تبذل الجهد لتلعب السلطة وذلك باستخدام حلفائها العراقيين، والتي يمكن بواسطتهم أن تحدد من نفوذ الولايات المتحدة في العراق والخليج العربي.
مرة أخرى بدأت التقارير لكثير من المراقبين، عن أن سقوط حكومة صدام حسين قد فتح الباب أمام توسع قوة إيران. فمعظم المنفيين المثبتين في السلطة من جانب الولايات المتحدة، بما في ذلك أحمد الجلبي، تربطه علاقات وثيقة مع طهران، يبدو أنها تؤتي ثمارها.
وفقا لمصادر عراقية، فإن قرار حظر أكثر من ٥٠٠ من السياسيين العراقيين من خوض الانتخابات في يوم ٧ آذار قد طبق بشكل صارم على أساس طائفي. على الرغم من أن العمل يتم على أساس الزعم بأن المرشحين الذين منعوا هم إما أعضاء حاليين أو سابقين في حزب البعث، من أنصار الحزب، أو مسئولين سابقين من عهد صدام وكلهم تقريبا من الذين تم منعهم من السنة، وقد يمس العديد من البعثيين السابقين الذين هم من الشيعة.
وإذا كان القرار، من جانب هيئة غير منتخبة وتدعى بما يسمى لجنة المساءلة والعدالة، يمكن أن تدمر الانتخابات، وتصنع انقلاب على الديمقراطية الوليدة في العراق، سيؤدي الى تجدد الصراع الطائفي، ويتسبب في اندلاع حرب مدنية واسعة النطاق.
لجنة المساءلة والعدالة هي الوريث القديم، فبعد عام ٢٠٠٣ نشأت لجنة اجتثاث البعث، وشكلتها مجموعة من المحافظين الجدد، للسيطرة سلطات الاحتلال بعد الغزو الامريكي للعراق والتي يرأسها احمد الجلبي، والذي كان تاجرا ومن المؤيدين يين للحرب في ١٩٩٠ والذي كان

يعد من المقربين الحميمين من المحافظين الجدد البارزين مثل ريتشارد بيرل وبول وولفوفيتز ودوغلاس فايث، والعديد من معهد أمريكان انتربرايز مثل مايكل روبين، دانييل بليتكا، وآخرون.

اليوم، الجلبي والذي يمضي الكثير من وقته في إيران، والتي كانت السلطات العسكرية الأميركية في الأساس تعتقد انه عامل لطهران لا يزال الزعيم الفخري للجنة المساءلة والعدالة، والتي يتم تشغيلها من يوم إلى آخر بواسطة علي فيصل اللامي. واللامي هو سياسي طائفي شيعي والذي يعمل في نفس التحالف الديني الشيعي في انتخابات ٧ آذار الذي وضعه الجلبي، بدعم من إيران وبدعم من المجلس الإسلامي الأعلى في العراق (المجلس الأعلى)، الحليف العراقي لإيران.

طهران تايمز، الصحيفة الإيرانية اليومية والتي هي بمثابة بوق المتشددين في النظام الإيراني، أيدت قرار اللجنة، واصفة هؤلاء الذين منعتهم اللجنة بأنهم "إرهابيون" :

منذ الصيف الماضي، أدت السياسية الشيعة الطائفية، التي يقودها اليوم الجلبي وقادة المجلس الأعلى الاسلامي العراقي، وغيرهم جعلوا من الحج ذهابا وإيابا إلى طهران وقم معا لوضع ملامح السياسة المعادية للتحالف الوطني العراقي، بالنسبة لإيران، والتي تعمل بنظام الحياة والموت في نزاع مرير مع دبلوماسية الولايات المتحدة حول برنامجها النووي، وربما الأعمال الأخيرة الذي شهدها في العراق قد يكون بمثابة تحذير. ويجعل الإيرانيون يقولون، يمكننا أن نجعل الحياة بائسة بالنسبة للعراقيين في العراق.

المالكي، الذي تربطه علاقات وثيقة مع إيران هو نفسه، على ما يبدو، أيد قرار من اللجنة الاستشارية المشتركة، والتي لا يزال يتعين عليها التصديق من قبل هيئة التمييز ويمكن عكسها من قبل البرلمان.

الولايات المتحدة، التي ترى أن المشروع في العراق يتفكك بأكمله أمام عينيها، تسعى بجد وراء الكواليس، من خلال نائب جوزيف بايدن، الذي اتخذ العراق مسؤوليته المباشرة في إدارة الاحتلال (والتي يبدو أنه لا يوجد أحد آخر سواه يريد ذلك)، دعا المالكي إلى أن يمارس ضغوطه. لكن الولايات المتحدة أقل نفوذا في بغداد هذه الأيام وإيران لديها أكثر وأكثر.

حتى المحافظين الجدد، والمحافظين الآخرين الذين كانوا ينادون بغزو العراق عام ٢٠٠٣ مثل في هيئة تحرير صحيفة واشنطن بوست شعروا بالانزعاج على خيانة الجلبي واحتمال أن العراق قد يخرج عن نطاق السيطرة. وذلك في افتتاحية لها حيث دعت واشنطن بوست الانتخابات في العراق بالمناورة "كرنفال ومطية رخيصة"، وأضافت "هناك عدم وضوح عن الكثير ممن يقف وراء هذه المناورة المقرفة"

ولكن يبدو أن واحدا من هذه المسرحية يعرف بما سيجري وهو أحمد الجلبي، والمعروف سابقا بالمنفى بزعيم وسيد التلاعب السياسي، والآن يعتبر عميلا إيرانيا عند أغلب المسؤولين الأمريكيين، والسيد الجلبي، جنبا إلى جنب مع رفاقه، قد خدموا طهران من خلال حظر زعماء السنة. وجعل العديد منهم في تلك القائمة السوداء وقد انضم مؤخرا عبر التحالفات الطائفية العلمانية التي تطعن في الائتلاف الشيعي الذي الجلبي هو جزء منه....

تفاجأت الولايات المتحدة ومسؤولوا الأمم المتحدة من القرار المفاجئ، وكانت تحاول جعله معتدلا. وحاول نائب جوزيف بايدن، أن يستخدم نفوذه لتحقيق نتائج طيبة مثل خلال النزاعات السابقة على الانتخابات، وظل يعمل على الهواتف مرة أخرى.

ناقوس الخطر يدق هذه المرة من قبل معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، الذي كان المسؤولون في عام ٢٠٠٢، قد أحبوا حتى الجلبي، في افتتاحية هذا الأسبوع حول الشرعية المشكوك فيها من أفعاله، فعقب حكم لجنة الجلبي، فلا السلطة التشريعية ولا السلطة التنفيذية اتخذت الخطوات لإبطال هذا القرار....وإذا كان الأمل لا يزال على الورقة الرابحة في التجربة الديمقراطية في العراق مستمرة، فينبغي لإدارة الاحتلال العمل على وجه السرعة مع القيادة

السياسية العراقية في بغداد أن ترى أن اللجنة الاستشارية المشتركة من الناحية القانونية مشكوك فيها والإجراءات التي قامت بها بمثابة انقلاب.

وبينما من غير المحتمل، أن مثل هذا الانقلاب يجب أن يكون فعلى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، والقيادات العراقية المسؤولية السياسية أن تستمر في ممارسة الضغوط، ومهما كان موضوع اجتثاث البعث، ومستقبل العراق الديمقراطي ينبغي ألا يكون رهينة في يد هذا الحاكم بشكل صارخ.

الغريب، أو ربما التحليل الأفضل والأكثر شمولية للأزمة في العراق يأتي من رايدر فيسر، وهو عالم سياسي نرويجي، والذي هو واحد من عدد قليل من المحللين الذين لم يتخلوا عن العراق بينما كما انتباه العالم إلى مكان آخر. في رسالته لا بد من قراءة ما كتبه ما يلي :

من الصعب وصف هذا التطور مثل أي شيء آخر هو فشل غير كامل في النظام في الديمقراطية الجديدة في العراق، ويكاد يكون من المحتم، انتقال أجواء الانتخابات الآن إلى تكرار كانون الأول ٢٠٠٥، مع تصاعد اللهجة التي يمكن أن تتحول بسهولة الى الطائفية.

الحرب على العراق باعتبارها المجرى المالي الذي لن يتوقف:

نبدأ مع الأموال التي ألقتها إدارة الاحتلال على الحرب في العراق. وفقا لشهادة في الكونغرس من وليام بيتش، مدير مركز تحليل البيانات، حيث كلفت الحرب ٦٤٦ مليار دولار حتى الآن.

ميزانية الدفاع لعام ٢٠٠٩ حددت ٦٨.٦ مليار دولار للعراق وأفغانستان في السنة المقبلة. بيد أن الخبير العسكري الأميركي بيل هارتونغ من مؤسسة أمريكا الجديدة يضع التقدير المتحفظ للتكاليف خلال أسبوع واحد من الحرب في العراق بما يقرب من ٣.٥ مليار دولار (أو حوالي ١٨٠ مليار دولار سنويا).

وبعبارة أخرى، فإن الحرب في العراق تكلف أكثر بكثير في العام المقبل بالنسبة الى العراق ٦٨.٦ مليار دولار والكونغرس على وشك أن يقر ميزانية الدفاع، وهكذا سيتم تمويلها.

ومنذ فترة طويلة وخلال الحرب كانت مشاريع القوانين التكميلية المقدمة من قبل إدارة الاحتلال وبعبارة أخرى، في وقت ما في عام ٢٠٠٩ كانت التكاليف المباشرة للحرب في إدارة الاحتلال ستكلف ربما ٥٠-٦٠ مليار دولار لكنها كانت فيما بعد أكثر من ٨٠٠ مليار دولار، أو ١٠٠٠ مليار دولار من التكلفة أعلاه وإذا سارت الأمور بشكل جيد لخطة لإنقاذ النظام المالي المقترحة الآن في واشنطن فستكون هذه السنة كذلك.

تقديرات التكاليف الحقيقية على المدى الطويل لحرب الاختيار هذه، بما في ذلك مدفوعات الرعاية الصحية لقدامى المحاربين والفوائد في المستقبل البعيد، سترتفع في الميزانية. وهي تتراوح حسب تقديرات مكتب الميزانية في الكونغرس ل١-٢ تريليون دولار وفي تقديرات خبراء الاقتصاد جوزيف ستيجليتز وليندا بيلمز تصل إلى ٤-٥ تريليون دولار. لذلك نحن نتحدث ما بين واحد ونصف وسبع تريليون من أموال دافعي الضرائب التي تصب في مستنقع من الكوارث، والفساد، والمذابح التي يشهدها العراق.ومن الغريب قليلا من خلال المعلومات من مصادر رسمية أشارت عن خلل غريب في التخطيط للعراق. فإدارة الاحتلال وفي عمق المفاوضات مع الحكومة العراقية، نجحت في التملق لمدة سنة إضافية في الوقت المناسب للانسحاب المرتقب للقوات القتالية الأمريكية من العراق حيث دفعت مفاوضيها الانسحاب من عام ٢٠١٠ وهي السنة التي اقترحها كل من الاحتلال ونوري المالكي إلى عام ٢٠١١. ووفقا للمالكي في مقابلة مع محطة التلفزيون العراقية، فإن هذا التغيير جاء من الإدارة الأميركية إزاء قلقها من الوضع الداخلي في الولايات المتحدة.

وفي الواقع قال المالكي إن الموعد النهائي كان حقا في نهاية عام ٢٠١٠ والفترة ما بين نهاية ٢٠١٠ ونهاية عام ٢٠١١ كان لسحب القوات المتبقية من كل من العراق، لكنهم طلبوا من أجل التغيير [في التاريخ] بسبب الظروف السياسية المتصلة [بالولايات المتحدة] والوضع الداخلي

لذلك سوف لا يمكن أن يقال في نهاية عام ٢٠١٠ تليها سنة واحدة للانسحاب ولكن في نهاية عام ٢٠١١ كموعد نهائي.

لذلك نحن نتحدث عن آخر ربما ١٥٠-١٨٠ مليار دولار في عام ٢٠١١ أوما يقرب من كامل ما اقترح من دفع التعويضات ألأولية في خطة الإنقاذ في واشنطن كواحد على الأقل من مفتاح الديمقراطية لحل الأزمة. وهذا يعطي عبارة "الانتخابات الرئاسية" معنى جديدا. الآن، فقط تخيل للحظة واحدة في الوضع الذي قد تكون في حال لم تكن هناك حرب في العراق. كما يقول تشارلز جونسون، مؤلف ثلاثية إعادة الإحياء، والذي أشار لسنوات، بان البنتاغون، والمجمع الصناعي العسكري، وحروب أميركا هي عملية إفلاس لنا.

كما يلاحظ في تقريره الأخير "نحن لدينا المال" وإذا لم نتمكن من خفض ما لدينا من زيادة الإنفاق العسكري بشكل كبير، فان الإفلاس في الولايات المتحدة أمر لا مفر منه. وانهيار وول ستريت لم تعد إمكانية مجردة وإنما على وجود احتمال متزايد، وليس لدينا كثير من الوقت ".

لماذا لن تتعطل الحرب في عام ٢٠١٠

في العراق، تم إقرار إنهاء الحرب رسميا. في الأشهر الأخيرة من إدارة الاحتلال، حيث تفاوضت الولايات المتحدة على اتفاق مع حكومة المالكي الى سحب كافة "القوات المقاتلة" بحلول آب ٢٠١٠ وبقية قواتها بحلول نهاية عام ٢٠١١. منذ ذلك الحين، في كلتا الحالتين، تم الغش في الاتفاقية التي تم التوقيع عليها. بادئ ذي بدء، تم تأويل جميع القوات بمعنى من المعاني الى "القوات القتالية"، ولكن سرعان ما اتضح أن البعض يعرفها الآن "بالمستشارين"، أو"تدريب المدربين". وقد غادرت قدرا كبيرا من المرونة فيما يتعلق بالذين لابد من سحبهم في آب القادم. كما إن "جميع" القوات، لم ينل اهتمام من وسائل الإعلام وفي حين زار غيتس العراق مؤخرا، وتمكنت هذه الوسائل الإعلامية من تهميش زيارته عام ٢٠١٠، وهو تاريخ له أهمية، في حين يطمح أنه سينتهي أبدا، وان كان على نطاق أصغر احتلاله لهذا البلد. "فان غيتس يتوقع بفرض عقوبات جديدة على إيران " كما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز هذا. وزير الدفاع تحدث أيضا عن تورط أميركا في العراق، مشيرا الى أن الإدارة في الولايات المتحدة تتوقع أن بعض القوات قد تبقى بصفة استشارية في العراق بعد عام ٢٠١١، الموعد النهائي لسحب جميع القوات الأميركية من هذا البلد. وأضاف لن يكون مستغربا أن نرى الاتفاقات بيننا وبين العراقيين التي ما زالت في تدريب وتجهيز وتقديم المشورة يتجاوز نهاية عام ٢٠١١ وأضاف غيتس. "أظن أن العراقيين أنفسهم سيكون لهم مصلحة في ذلك". خطط واشنطن في العراق، من عام ٢٠١٠ والى عام ٢٠١٢، تبدأ في تخيل بقاء الآلاف، أو حتى عشرات الآلاف من المستشارين "الأمريكيين" و"المرشدين" وبعض "القوات الخاصة المقاتلة في تلك القواعد العملاقة التي بنيت من قبل البنتاغون. وعلى وجه الخصوص، قاعدة بلد الجوية الضخمة وقاعدة الوحش المعقدة، ومخيم النصر، على مشارف بغداد.

وإذا كانت الولايات المتحدة واعية تماما للانسحاب فان عليها مساعدة الجيش العراقي في بناء حقيقي للقوات الجوية من تلقاء نفسها إذا كانت تريد تسليم تلك القواعد الى العراقيين وحينئذ سوف يبدو هذا "الانسحاب" الامريكي واقع يرتجى لكن الذي يحدث عكس ذلك.

وعندما يقول غيتس مثل هذه الأشياء، أنها مهما كانت صغيرة. بعد كل شيء، فان ما يجري الآن يسمى حرب "الاحتلال" على الأقل وقد يكون من المعقول أن يطلق عليه "حرب غيتس"، إذ يمكن للحرب في العراق أن يستطيع الاحتلال إنهاءها ظاهريا لكن تعيين واشنطن لغيتس ليقوم بسياسة أساسية في الأشهر الأخيرة من إدارة الاحتلال كما هو الحال الآن وزيرا للدفاع، في زيادة عدد القوات المقاتلة في العراق فانه اليوم يقوم بنفس الدور في زيادة إرسال عديد القوات الى أفغانستان في إتباع سياسة جديدة للحرب.

وبالمثل، وصلت ميزانية البنتاغون الجديدة "وهي وثيقة غيتس التي أشرف عليها في مراحل التخطيط لها قبل الاحتلال" في أكبر ميزانية عرفت لحد الآن وبزيادة تقدر حاليا ٤٠ مليار دولار (ومن المرجح أن ترتفع)، والتي ستقدم إلى الكونغرس في وقت ما من العام المقبل.

الإستراتيجية العسكرية "الجديدة" لمحاربة الحروب الأمريكية في مكافحة التمرد، لا تعد لا لاحتلال بخلق عصر جديد لكنها مفضلة لديفيد بتريوس قائد القوات المتقدمة لشغل منصب قائد القيادة المركزية الأمريكية والذي هو الآن أعلى شخصية رئيسية عسكرية تشرف على الحربين في الشرق الأوسط الكبير. وبعبارة أخرى، في سياسة استمرارية الحرب بين فترة ما بعد عهد الاحتلال وتشيني والاحتلال فان اللافت للنظر حقيقة أن غيتس وبترايوس عقدا مثل هذه المشاركات الحاسمة، وذلك ليس مفاجئا.

هؤلاء هم من الرجال المتخصصين في التحضير "للحرب القادمة"، وبهذا المعنى، أفغانستان هي أيضا المختبر ي للأسلحة والمفاهيم التي من شأنها تنشيط الصراعات في المستقبل. فسمائه والقرى هي أساس اختبار لحرب لا نهاية لها، على الطريقة الأميركية.

حتى من دون المفكرين الجيو- سياسيين لإدارة الاحتلال، وحتى من دون مجموعة من المبررات اللازمة، فالحرب لديها قوة خاصة بها. ولا سيما في الولايات المتحدة، فأنها لديها مجموعة قوية من المصالح، وجماعات الضغط والمتحمسين، وصانعي الأسلحة القوية، والمشرعين والمخططين والحالمين. وعلى ما يبدو، أنها لا تحتاج إلى تفسيرات لتبقي نفسها مستمرة أنها ذاتية الدفع. في الكوابيس، أيضا، تبدأ المسؤوليات في ألأحلام أكبر وأكبر الأخطاء في التقدير. وكما اتضح، لا يزال بإمكانك أن تقول عن مختلف الشخصيات الذين شكلوا إدارة الاحتلال، بمن فيهم نائب ، وجميع هؤلاء المحافظين الجدد، ينذرون بشر مستطير تمت تخبئته في وزارة الدفاع، فوزير الدفاع دونالد رامسفيلد والذي في غضون خمس ساعات من الهجوم على البنتاغون، كان قد حث مساعديه بالخروج ووجود خطط لضرب العراق إنهم كانوا يفكرون كونهم قادة العالم، وكانوا أيضا مغرمين بالرومانسية العسكرية للولايات المتحدة وما يمكن أن يفعلوه. إنهم يعتقدون أنهم ألأقوى، القوة العسكرية الأكثر تقدما على وجه الأرض ويمكن بالصدمة والرعب تقديم أي شخص الى ما يريدونه.

كما أنهم لا يزالون غير نادمين على الحرب الباردة، مع الاتحاد السوفيتي لكنهم لا يزالون يتوقون إلى دحر حدود روسيا والنفوذ، وخاصة في المناطق الغنية بالنفط آسيا الوسطى، وبذلك تتحول تلك الإمبراطورية في الولايات المتحدة. إنهم يتوقون الى تطويق إيران، مع قواعد وإنزال حكم الملالي. وكما ذكر ذلك الساخر الشهير من المحافظين الجدد "الجميع كان يريد الذهاب الى بغداد. وهناك اليوم رجال يريدون الذهاب الى طهران". مع ونائب السابق الذين كانت معهم شركة الطاقة إإكسكس ومستشار الأمن القومي من شركة شيفرون ولهم عين مزدوجة على النفط، وأنهم كانوا يميلون الى تدفقات الطاقة وكيفية السيطرة عليها. إنها عقولهم، وهذا هي، في الصورة الكبيرة جدا التي لا تقال عن إقامة السلام الأميركي في المستقبل في الخارج، ومن الواضح أنهم رأوا فرصة العمر وانتزعوها منه وكانوا مثل الانتهازيين، في البداية، بدا الأمر كما لو كانوا على حق حين حققوا اثنين من "الانتصارات" وكل إنجاز فيهما في غضون أسابيع في غضون اقل من عام ونصف العام من بعضها البعض. حركة طالبان كانت قد اختفت في الجبال؛ بن لادن تقريبا في متناول أيديهم ومختفي ؛ صدام حسين قضي عليه وأصبح من التاريخ. وعلى ما يبدو كل ما حدث كان مثل معجزة للقوة العسكرية الحديثة. وكان من هنا وهناك قوى معارضة في أفغانستان والعراق حتى أنهم أرسلوا الصفوة الى كابول وبغداد لتنظيف الأمور، والتي، وخاصة في حالة العراق، كان يعني حل جيش البلاد، وخصخصة اقتصادها والانفتاح لصناعة النفط والطاقة في واحدة من أكثر المناطق الغنية على كوكب الأرض إلى الأقوياء من الشركات (وبشكل ملحوظ الأمريكية) من شركات النفط العملاقة.

في غضون ذلك، من شأن وزارة الدفاع بناء القواعد العسكرية الضخمة، والاستعداد للحماية لكلا البلدين والوثائق الرسمية، كتبت عنها، وأحيانا باسم، إصدارات أوهام الإمبراطورية "حلم القرن التاسع عشر".

عندما يواجهون الواقع الصعب ويقتربون قليلا منه، كانوا يتطلعون الى المستقبل. كانوا في طريقهم لسحق سوريا، والى تركيع إيران، وجعل أوبك والسعوديين يتذللون (من خلال زيادة إنتاج النفط العراقي عبر جولات التراخيص النفطية الهزيلة والتي تعد من اكبر الخيانات التي قدمتها الحكومة الحالية للولايات المتحدة الأمريكية ضد مصالح الشعب العراقي).

يا له من حلم! ما هو الخطأ في التقدير! مئات الآلاف (أو أكثر) الآن جثث هامدة، والملايين من اللاجئين، والحرب المستمرة، في منطقة من تلك المناطق القليلة الغنية بالنفط، هناك زعزعة في الاستقرار، وبطبيعة الحال صاحبه استنزاف هائل للموارد الأميركية في حربين كبيرتين (ومختلف الصراعات الصغيرة) التي كلفت ما يقرب من تريليون دولار تم إنفاقها بالفعل وتريليون آخر يمكن بسهولة أن تذهب هباء.

أين الولايات المتحدة بعد مرور ثماني سنوات من الحرب في العراق؟ الصينيون والروس والماليزيين، وغيرهم التقطوا تلك الأحلام، في الطاقة، في العراق وفي أماكن أخرى، وتم ترجمتها إلى النجاح دون إنفاق دولار واحد أو التضحية بجندي واحد على الحرب. والروس مرة أخرى في آسيا الوسطى وهي الآن ترسل الى الصين عبر آسيا الوسطى الغاز الطبيعي عبر خط أنابيب افتتح حديثا.

والمفارقة التاريخية هنا أن الولايات المتحدة الأمريكية استعملت نفس هذا الأسلوب الذي تستخدمه الآن هذه الدول ففي بداية القرن الماضي حين كانت إدارة الامريكي ودروو ويلسون قد أعلنت سياسة الباب المفتوح استطاعت الولايات المتحدة بفضلها من اقتسام والمشاركة في جميع الغنائم التي اكتسبتها الجيوش البريطانية والفرنسية على هذه الأرض وخسرت فيها ومن اجلها مئات الآلاف من الضحايا وأنفقت الملايين من الباونات الذهبية في سبيل السيطرة على تلك الموارد وبالتالي استطاعت السياسة الأمريكية بالحصول على الحصص المتساوية بل وأكثر مما حصلت عليها تلك الدول وبدون أن تخسر جندي أو دولار واحد. وفي هذا الوقت انتهت شركات النفط الأمريكية العملاقة مع قليل من الغنائم. فالجيش الأميركي لم يبق فيه على هذه الأرض سوى الحطام بسبب المقاومة التي تقودها " الأقلية " ولكن مع عشرات الآلاف من المقاتلين المسلحين بأسلحة خفيفة نسبيا والتي تسخر من القوة العسكرية التي كانت من المفترض أن تحدث الصدمة والرعب. ووفقا لصحيفة وول ستريت جورنال، دخلت في خدمة الجيش الامريكي الأسلحة الأكثر تقدما في البنتاغون، فيديو البث المباشر من أحدث الطائرات بدون طيار، مع البرمجيات الجاهزة التي كلفت المليارات. وبعبارة أخرى، فإن الأميركيين غير قادرين على النظر إلى مشاهد المعركة سوى عن طريق التدمير من بعد من لانغلي بولاية فيرجينيا، وقاعدة كريتش للقوات الجوية في ولاية نيفادا، أومن مختلف المواقع السرية في الشرق الأوسط. لذلك بعد ثماني سنوات من إدارة الاحتلال الذي كان يحلم بأمريكا العظمى وتوأمه البريطاني هو الآن في مزبلة التاريخ. وجميع الأفكار الكبيرة التي ذهبت مع شركائهم في حربين مدمرتين، كانت على ما يبدو انتحاريتين وذهبت هباء كذلك. لكن تظل القواعد العملاقة وكذلك الحال بالنسبة للحروب. لا كومة غبار من التاريخ بالنسبة لهم. وعلى أي حال. ستستمر الحروب والمضي قدما دون سبب. حتى حين ما تقرره السياسة الأميركية، العسكرية والمدنية، ولكن ليس الى ما يدفع إلى أن يكون الحق في عالمنا. بطبيعة الحال، سوف لن يتم تقديم أي أسباب أكثر تعليلا لهذه الحروب وأبعد من الأضرار التي لحقت في ٩ / ١١، والتي بالفعل ساعدت في استنزاف الولايات المتحدة بما يقرب من تريليون دولار في تكاليف الحرب وفي وقت ما في المستقبل القريب، سوف تزيد من تعقيد إدارة الاحتلال من حماقة السنوات الثماني الماضية وفي محاولة النظر في ضباب عام ٢٠١٠، فكل ما أستطيع رؤيته هي بوادر حرب لا نهاية لها.

هل العراق سيكون بمثابة مستعمرة إيرانية؟

الأحزاب الدينية الشيعية، في معظمها لهم علاقات مع إيران، وإعادة تأسيس كتلة سياسية تسمى التحالف الوطني العراقي. والتي من بين مؤسسيها أحمد الجلبي، وهو المقرب من المحافظين الجدد مثل ريتشارد بيرل ودانييل بليتكا من معهد امريكان انتربرايز ؛ ومقتدى الصدر، الملا الزئبقي والذي تراجع بشكل غامض إلى قم، العاصمة الدينية في إيران، ليأخذ الدروس السريعة حول كيفية أن يصبح آية الله، وبطبيعة الحال، عمار ابن عبد العزيز الحكيم، احد مؤسسي المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (شيعي)، والتي ما زالت تتصرف كذراع للحرس الثوري الإيراني والتي تأسست في عام ١٩٨٢، من قوات شبه عسكرية لفيلق بدر هو أيضا جزء من الائتلاف العراقي الجديد وهي الوحدة الإرهابية التي تعمل كموالية لإيران ولفرق الموت في العراق. بادئ ذي بدء، على الرغم من أن رئيس وزراء العراق نوري المالكي قد اختار حتى الآن عدم الانضمام الى تحالف عموم الشيعة الدينيين. لكن الذين يرون في المالكي كزعيم قومي، موالي للحليف الأميركي مخطئون. فمثل تحالفه جديد وواع، والمالكي هو مستعبد للإيرانيين، أيضا، لكن أكثر سرية لهم، فحزب الدعوة والذي انقسم وانقسم مرة أخرى يوفر له ما يقرب من جميع حلفائه داخل الدائرة المقربة ومن المستشارين، ووفقا لمصادر عراقية فعلاقات المالكي راسخة بشدة مع إيران وأجهزة مخابراتها. انه بدهاء، وإن كان غير مقنع، يضع نفسه وحزبه الجديد، دولة القانون، مؤيد للوحدة الوطنية خلال الانتخابات، ولكن على الرغم من أن المالكي حاول العثور على حلفاء بين العراقيين السنة العلمانيين والدينيين، والأكراد، لكنه حصل على الأصوات فقط من الشيعة. وحصل على أصوات العراقيين الذين كانوا غير راضين عن بلادهم الدينية العائمة والذين رفضوا المجلس الاسلامي الأعلى العراقي وحلفائهم. وفي جزء منه عن طريق رعايته لمجالس القبائل التي أنشئت حديثا في المحافظات ذات الغالبية الشيعية. نتيجة لذلك، كان المالكي قد طالب بسقف عال لشروطه في الانضمام الى التحالف الوطني العراقي حيث شعر بما يكفي ليقول بأنه قوي لمؤسسيه وكان عنيدا ورفض الانضمام ما لم يسمح له إذا أعيد انتخابه رئيسا للوزراء، وحصل على أغلبية الانتخابات عام ٢٠١٠. المالكي قد يكون أولا يكون قد بالغ في تقدير قوته، ولكن على أية حال انه قد يقرر الانضمام إلى الحلف في وقت لاحق وانه قد ينضم إليهم بعد الانتخابات في تشكيل حكومة ائتلافية. وفي كلتا الحالتين فإن إيران ستكون الرابح الأكبر، خاصة وأن القوات الأميركية تستعد للخروج. في صحيفة واشنطن بوست تصف كيفية ذلك وراء الكواليس، في أن إيران تستخدم جهاز المخابرات في علاقاتها مع المالكي لزيادة نفوذها. تقول الصحيفة:" علاقات إيران مع المالكي قريبة جدا، بحسب مصدر في جهاز المخابرات العراقي، وان يستخدم طائرة إيرانية مع الطاقم الإيراني لتنقلاته الرسمية. والإيرانيون بعثوا للمالكي عرضا للمساعدة لحزب الدعوة بالفوز على الأقل بـ ٤٩ مقعدا في الانتخابات البرلمانية وإذا كان المالكي يريد إجراء تغييرات في حكومته فان إيران ستدعمه في ذلك ".

وفقا للصحيفة، فان أدلة الطب الشرعي من تفجيرات الشاحنات في بغداد يكشف عن أن إيران أو وكلائها قد يكونون وراء الهجمات المدمرة التي وفقا لمصدر في الاستخبارات العراقية، [الذي] قال إن التوقيعات على سي ٤ من المخلفات المتفجرة التي تم العثور عليها في مواقع التفجيرات مماثلة لتلك التي تصنع في إيران والمتفجرات التي تم اكتشافها في مدينة الكوت والناصرية والبصرة وغيرها من المدن العراقية منذ عام ٢٠٠٦".

وأيضا هناك تقارير تفيد بأن الجنرال محمد الشهواني، رئيس المخابرات العراقية، الذي استقال قبل فترة قليلة "بسبب ما اعتبره محاولات المالكي لتقويض خدمته والسماح للجواسيس الإيرانيين على العمل بحرية".ونتيجة لذلك، فقد هرب أعضاء بارزين في جهاز المخابرات "من أجل سلامتهم الى الأردن ومصر خوفا من أن تكون هدفا للفرق ضرب إيران إذا ما بقوا في العراق". (ملاحظة : أجهزة الاستخبارات العراقية، أسستها إلى حد كبير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بعد الغزو٢٠٠٣، والتي بنيت على كادر مهني من ضباط المخابرات

السابقين، وكانوا يقوضون عمل أجهزة الاستخبارات الموازية التي أوجدها المالكي، بمساعدة إيران). والتحالف الوطني العراقي الجديد مصمم ليحل محل الائتلاف العراقي الموحد القديم، الكتلة من الأحزاب الدينية الشيعية التي ظهرت في الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٥.الائتلاف العراقي الموحد كان يتم تجميعه بمباركة من علي السيستاني في النجف، الملا الملتحي الذي قرر أن شيعة العراق الدينية يجب أن تعمل معا. وحتى الآن، أظهر السيستاني شعورا جيدا في أن يظل بعيدا عن السياسة هذه المرة، ولكن هنالك اعتقاد انه مشغول جدا وراء الكواليس في محاولة لرأب الصدع بين المالكي والتحالف الجديد.

ليس من المستغرب أن التحالف الجديد قد ألزم نفسه بالدفاع عن سيادة الزعماء الدينيين الشيعة في النجف وأنه قد أدرج في برنامجه مختلف الألواح، والمحافظة الأخلاقية التي سوف تدفئ قلوب اليمين المسيحي الأمريكي والدعاة مثل بيل بينيت. وبالطبع، فقد أعلن أنه لن يقيم علاقات مع الكيان الصهيوني". وخاصة، وهناك أقوى زعماء التحالف من هم في إيران: الصدر الذي في قم، والحكيم، ومن المهم أن نلاحظ أن كبار المسؤولين الإيرانيين، بمن فيهم المرشد آية الله علي خامنئي، يضغطون بقوة (وعلنا) لإعادة تشكيل التحالف الديني الشيعي في العراق لانتخابات عام ٢٠١٠. لقد كان للعملاء الإيرانيين أو حلفائهم المسؤولية المباشرة عن القنابل التي دمرت وزارة الخارجية ووزارة المالية في الأسبوع الماضي، وربما كان ذلك تحذير قوي للمالكي. وعلى أية حال، فإن التفجيرات قد أضعفت المالكي في لحظة حرجة، وتم تمزيق صورته باعتباره القانون و ويجعله مثارا للسخرية لأنه أكد أن العراق تحول بسرعة كبيرة جدا الى أيد أمينة.

في ضوء دور الجلبي في التحالف، دعونا نولي اهتماما وثيقا إلى ردة فعل واشنطن من حلفائه السابقين، مثل ريتشارد بيرل، بليتكا، ودوغلاس فيث، وبول وولفويتز. ومن بين أكثر الدعاة المتشددين في إسرائيل، فإنهم لا يمكن لهم أن يكونوا سعيدين بوجود الجلبي في كتلة واحدة تعارض "الكيان الصهيوني".الشاجبون الأكثر صخبا في إيران، فإنهم لا يمكن أن يكونوا سعداء بالجلبي ودوره في المساعدة في تشكيل قوة التكتل علنا الموالي لإيران في السياسة العراقية. وأنهم سوف لن يصمتوا إزاء ذلك.الفرص الانتخابية للتحالف الجديد هي موضع تساؤل. فكثير من المكونات سوف تجيء في إطار المجلس الأعلى وتستغل دوره المرجح المتسلط.

وأكثر التكوينات القومية مثل الكتلة الصدرية وحزب الفضيلة، وهو فرع الصدرية القوي في جنوب العراق، قد تقاوم هيمنة المجلس الإسلامي الأعلى العراقي. وهناك حقيقة أن الكثير من العراقيين قد تعبوا من الهراء الديني الشيعي (والإيراني). وربما هذا ما يفسر لماذا يبقى المالكي خارج التحالف حتى الآن :

فالمالكي يمكن تشغيله مرة أخرى كقوة عظمى ولدت من جديد مع الاتجاه القومي، مع دعمه من قبل المجالس القبلية في حين أن الكتلة الدينية الشيعية ستأخذ الكثير من الأصوات في المناطق الريفية الشيعية الذين يعتقدون أنهم سيصوتون في سبيل الله. ربما من أجل التقليل من دور المالكي أيضا فقد سمحت إيران، للمجلس الإسلامي الأعلى العراقي بدخول إبراهيم الجعفري، كعضو لمكافحة فصيل المالكي من حزب الدعوة والذي شغل منصب قبل المالكي، لقيادة تحالف جديد. ولكن الجعفري لا يكاد يمتلك السلطة السياسية، خلافا للصدر والمجلس الإسلامي الأعلى العراقي وبدر وليس لديه من الرجال الكافين الذين يحملون البنادق.

وغني عن القول، أن هذا الطريق، سيكون بعد فوات الأوان بالنسبة للاحتلال أن يفعل أي شيء على الرغم من انه يجب أن يفي بوعده لإشراك المجتمع الدولي في محاولة أخيرة لإعادة التوازن الى السياسة العراقية بعيدا عن هيمنة الأحزاب الدينية الشيعية. لكن تؤكد التقارير من واشنطون على انه "يجب على الأميركيين المحاولة لاستعادة النظام؟ وإلا سيصبح العراق كما ذكر رئيس جهاز المخابرات العراقي السابق سيبدو العراق في خمس سنوات، في غياب المساعدة الأميركية، " مستعمرة إيران ".

الجوار الإقليمي والسياسة العامة

القطبية الواحدة......... ماذا سيتبع الهيمنة الأمريكية

بدا واضحا في القرن العشرين انه كان متعدد الأقطاب. ولكن بعد 50 عاما تقريبا، وبعد حربين عالميتين، وكثير من الصراعات الصغيرة، برز نظام القطبية الثنائية. وبعد ذلك مع نهاية الحرب الباردة وزوال الاتحاد السوفيتي، ألقيت الثنائية القطبية وأضحت أحادية القطب هو النظام الدولي المهيمن على العالم كقوة واحدة، وفي هذه الحالة كانت الولايات المتحدة.

ولكن اليوم كيف ستكون أشكال النظام الدولي؟ لماذا وكيف إنها لم تتحقق؟ ما هي النتائج المحتملة؟ لسقوط الأحادية القطبية؟ وكيف ينبغي ان تستجيب الولايات المتحدة؟ خلافا لتعددية الأقطاب فالنظام الدولي يتسم كونه يحتوي على العديد من مراكز السلطة في نظام متعدد الأقطاب، لا تسيطر على السلطة، او في النظام الذي سيصبح أحادي القطب

للوهلة الأولى، فان العالم اليوم قد يبدو انه متعدد الأقطاب. فالدول الكبرى -- الصين، والاتحاد الأوروبي والهند، اليابان، روسيا، والولايات المتحدة -- تحتوي على ما يزيد قليلا على نصف سكان العالم وتمثل 75 % من الناتج المحلي الإجمالي العالمي و80 % من إنفاق الدفاع العالمية. والعالم اليوم يختلف اختلافا جذريا عن كلاسيكية تعدد الأقطاب: فهناك العديد من مراكز القوى، وعدد غير قليل من أقطاب هذه ليست من الدول القومية. وفي الواقع فان واحدة من السمات الأساسية للنظام الدولي المعاصر هوان الدول القومية فقدت واحتكرت السلطة في بعض المجالات كأولوية ايضا. ويجري تحدي ذلك من جانب المنظمات الإقليمية والعالمية؛ وكذلك من جانب الميليشيات ومن مجموعة متنوعة من المنظمات غير الحكومية والشركات.

وبالإضافة الى القوى الست الكبرى في العالم، فهناك العديد من القوى الإقليمية: كالبرازيل والأرجنتين، وشيلي، والمكسيك، وفنزويلا في أمريكا اللاتينية؛ ونيجيريا وجنوب أفريقيا في أفريقيا، ومصر، ايران، والمملكة العربية السعودية في الشرق الأوسط وباكستان في جنوب آسيا واستراليا واندونيسيا وكوريا الجنوبية في شرق آسيا.

وهناك العدد الكبير من المنظمات وستكون على لائحة مراكز قوى، بما فيها تلك التي تعتبر على الصعيد العالمي (صندوق النقد الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة، والبنك الدولي)، والإقليمية (كالاتحاد الأفريقي، وجامعة الدول العربية، ورابطة دول جنوب الأمم الأسيوية، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة الدول الأمريكية، ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي)، وتلك التي تؤدي وظيفتها (كوكالة الطاقة الدولية، منظمة البلدان المصدرة للنفط، منظمة شنغهاي للتعاون، ومنظمة الصحة العالمية). كذلك ايضا، الدول في إطار الدول القومية، مثل كاليفورنيا وولاية اوتار براديش في الهند، والمدن، مثل نيويورك، ساوباولو، وشنغهاي. ثم هناك شركات عالمية واسعة النطاق، بما فيها تلك التي تسيطر على العالم من الطاقة، والمالية، والصناعة التحويلية. كذلك يمكن إدراج الكيانات الأخرى التي تستحق ان تكون كمراكز للقوى كوسائل الإعلام العالمية (الجزيرة، بي بي سي، سي ان ان)، والميليشيات (حماس، وحزب الله، جيش المهدي، وحركة طالبان، والأحزاب السياسية والمؤسسات الدينية والحركات والمنظمات الإرهابية والقاعدة)، وكارتيلات المخدرات، والمنظمات غير الحكومية الأكثر اعتدالا كمؤسسة بيل وميليندا غيتس، أطباء بلا حدود، منظمة السلام الأخضر.

في هذا العالم، فإن الولايات المتحدة لا تزال أمامها طرق طويلة، وسوف تمثل لتمثل اكبر تجمع للسلطة. انه ينفق أكثر من 500 بليون دولار سنويا عن أعمالها العسكرية؟ وأكثر من 700

بليون دولار للعمليات في أفغانستان والعراق وتفتخر القوات البرية والجوية، والقوات البحرية بأنها هي الأقدر في العالم .واقتصادها، مع الناتج المحلي الإجمالي بنحو14 تريليون دولار، وهو الأكبر في العالم.

والولايات المتحدة هي ايضا مصدرا رئيسيا للثقافة (من خلال الأفلام والتلفزيون)، والمعلومات، والابتكار. ولكن واقع القوة الأميركية ينبغي ألا يحجب الانخفاض النسبي لموقف الولايات المتحدة في العالم وذلك مع انخفاض نسبي في السلطة المطلقة في التأثير على الانخفاض والاستقلال. فحصة الولايات المتحدة من الواردات العالمية بالفعل نزلت الى 15 %. ورغم ان الولايات المتحدة في حسابات الناتج المحلي الإجمالي لها اكثر من 25 ٪ من الإجمالي العالمي،فمن المؤكد ان هذه النسبة بالنسبة الى الانخفاض مع مرور الوقت ونظرا للفعلية والمتوقعة فان الفارق بين الولايات المتحدة ومعدل النمو مع عمالقة آسيا وبلدان أخرى كثيرة، فان عددا كبيرا منها ستتزايد بأكثر من مرتين او ثلاث مرات من معدل الولايات المتحدة .

والناتج المحلي الإجمالي الذي يكاد يكون الوحيد بعيدا عن الهيمنة الاقتصادية الأمريكية. من حيث الارتفاع في السيادة والثروة والأموال -- في بلدان مثل الصين، والكويت، روسيا، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة. هذه التي تسيطر عليها الحكومة كمجمعات للثروة، معظمها جاءت نتيجة لصادرات النفط والغاز، وألان تحوي ما مجموعه 3 تريليون دولار. وهي آخذة في التزايد المتوقع كمعدل 1 تريليون دولار في السنة، وتعتبر كمصدر متزايد من الأهمية للسيولة في شركات الولايات المتحدة نتيجة ارتفاع أسعار الطاقة، والذي يتغذى في معظم الأحيان من زيادة الطلب الصيني والهندي، هي موجودة لتبقى لبعض الوقت، مما يعني ان حجم وأهمية هذه الأموال ستظل تنمو.

ان البورصات البديلة والتي هي في الظهور والرسم بعيدا عن شركات الولايات المتحدة والتبادل، ستنافس نيويورك من حيث كونها المركز المالي الأكبر في العالم وإنها قد تجاوزت بالفعل من حيث عدد مكاتب الملكية الفكرية وتستغل ضعف الدولار مقابل اليورو والجنيه البريطاني، ومن المرجح ان الانخفاض في القيمة النسبية للعملات الآسيوية ايضا. وان أغلبية النقد الأجنبي في العالم الآن هو بعملات أخرى غير الدولار، والانتقال الى سم النفط باليورو او بسلة من العملات ممكن، وهى خطوة من شانها ان تترك ليس فقط على الاقتصاد الأميركي ان يكون اكثر عرضة للتضخم ولكن ستجعل العملات أمام الأزمات .

ان أسبقية الولايات المتحدة يجرى الطعن بها في العوالم الأخرى، مثل الفعالية العسكرية والدبلوماسية. فالإنفاق العسكري لا يوازي نفس التدابير للقدرة العسكرية. فبعد 11 ايلول تبين كيف ان استثمار مبلغ صغير من قبل مجموعة ما يمكن ان تسبب مستويات غير عادية من الإضرار البشرية والمادية. وبالأكثر كلفة من قطعة من الأسلحة الحديثة ليست مفيدة بوجه خاص في الصراعات الحديثة في ميادين القتال التقليدية التي تحل محلها في مناطق القتال في المناطق الحضرية. وفي مثل هذه البيئات، فان أعدادا كبيرة من الجنود المسلحين تسليحا خفيفا يمكن ان يكونوا اكثر تأثيرا من المدربين تدريبا عاليا على نحو أفضل من القوات المسلحة الأمريكية .

والسلطة والنفوذ هي في انخفاض وقد ثبت ان الصين هو البلد الأكثر قدرة على التأثير في برنامج كوريا الشمالية النووي. وقدرة واشنطن للضغط على طهران قد تعززت بمشاركة عدد من بلدان اوروبا الغربية وكان ضعف أحجام الصين وروسيا لمعاقبة ايران سببا في قلة حجم التهديدات وقد تضعف كل من موسكو وبكين الجهود الدولية الرامية الى الضغط على الحكومة في السودان لإنهاء الحرب في دارفور. وباكستان، وفي الوقت نفسه، ومرارا وتكرارا أظهرت الولايات المتحدة وجود القدرة على مقاومة الالتماس، وكذلك الحال في ايران وكوريا الشمالية وفنزويلا وزيمبابوي.

والاتجاه يمتد ايضا الى عوالم الثقافة والإعلام. فأفلام بوليوود تنتج كل عام أكثر من هوليوود وللعالم بدائل لإنتاج ونشر التلفزيون وهي في تضاعف. والبلوق والمواقع على شبكة الانترنت

من بلدان الأخرى تقديم المزيد من المنافسة بالنسبة لإنتاج الأخبار والتقارير. وانتشار المعلومات أصبحت واسعة كما هو الحال بالنسبة الى انتشار الأسلحة .

ومن الناحية التاريخية، كانت هناك لحظة. فالنظرية الواقعية التقليدية من شأنها ان تتنبأ بنهاية أحادية القطب وتفجر عوالم متعددة الأقطاب. ووفقا لهذا الخط من التفكير، فان الدول الكبرى، عندما تتصرف كما هي متعودة على القيام به، فان تحفيز المنافسة مع الآخرين سيشوبه الخوف او ان يستاء منها، ولمجرد الاشتراك في هذه النظرية، فان مما لا شك فيه ان تعدد الأقطاب الذي سيأتي في الوقت المناسب. سيكون هناك مساوي من الدول الكبرى مع الولايات المتحدة، وسوف يشهد العالم، في الهيكل، أشبه ما كان العالم قبل حقبة الحرب.

ولكن ذلك لن يحدث. فبالرغم ان هؤلاء ضد أمريكا على نطاق واسع، من بين الدول الكبرى المتنافسة او بين مجموعة من المتنافسين التي برزت على تحدي الولايات المتحدة. الا أن التفاوت بين قوة الولايات المتحدة وأي إمكانات منافسة هي كبيرة جدا. فبلدان مثل الصين التي يمكن ان تقارن بالناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة. فان الصين، وجزء كبير من الثروة التي ستكون بالضرورة يمكن استيعابها من خلال توفير لبلد هائل السكان لن تكون متاحة لتمويل التنمية او التعهدات العسكرية الخارجية.

ان الحفاظ على الاستقرار السياسي خلال هذه الفترة من ديناميكية النمو لكنها غير منتظمة ولن يكون من السهل العمل بها. كذلك الهند ستواجه الكثير من نفس التحديات الديموغرافية وكذلك يعوقها الكثير من البيروقراطية والهياكل الأساسية.

والناتج المحلي الإجمالي للاتحاد الأوروبي هو الآن اكبر من الولايات المتحدة، لكن الاتحاد الأوروبي لا يتصرف بالطريقة الموحدة للأمة - الدولة، كما انه ليس قادر او يميل الى العمل بنفس الأسلوب التاريخي التي تؤكده الدول الكبرى. واليابان، من جانبها، قد تقلص الشيخوخة السكانية كأحد أشكال الأوجه السياسية للعب دور كدولة عظمى أما روسيا فقد تكون اكثر ميلا، الا إنها ما زال لديها إلى حد كبير المشاكل النقدية والاقتصاد وهي مثقلة من جانب انخفاض عدد السكان والتحديات الداخلية الى حد التماسك

ان التنافس الكلاسيكي بين القوى العظمى لم يحن بعد للظهور وليس من المرجح ان ينشأ في اي وقت قريب كما هو كجزء منه يعود الى سلوك الولايات المتحدة، وهذا لا يعني ان الولايات المتحدة تشكل تهديدا للمصالح الوطنية الحيوية. الا ان السياسة الخارجية للولايات المتحدة المنتشرة، ستؤدي الى مزيد من الاستنكارات وعدم وجود التعاون ستواجه المزيد من المقاومة. وهناك قيد آخر على ظهور القوى العظمى، هوان الكثير من مثيلاتها من الدول الكبرى الأخرى تعتمد على النظام الدولي من اجل تنميتها الاقتصادية والرفاه والاستقرار السياسي. وبناء على ذلك، فهي لا تريد أي تعطيل لأمر يخدم مصالحها الوطنية. تلك المصالح التي هناك ارتباط وثيق عبر الحدود من تدفقات السلع والخدمات، والطاقة، والاستثمار، والتكنولوجيا وخاصة التدفقات من الولايات المتحدة التي تلعب دورا حاسما بالاندماج في العالم الحديث مما سيقلل من التنافس بين الدول الكبرى والصراع .

ولكن حتى إذا لم تنشأ المنافسة بين القوى العظمى، فان أحادية القطب قد انتهت. وهناك ثلاثة تفسيرات لزوال القطبية ستبرز. الأولى هي تاريخية. وهي تحصل على نحو أفضل في توليد والتفكيك معا للقدرات البشرية والمالية والتكنولوجية والتي ستؤدي الى الموارد الإنتاجية والازدهار. وينطبق الشيء نفسه على الشركات وغيرها من المنظمات. فارتفاع هذه السلطات الجديدة لا يمكن وقفها. والنتيجة هي اكبر من اي وقت مضى عدد من الجهات الفاعلة والقادرة على ممارسة النفوذ على الصعيد الإقليمي او على الصعيد العالمي .

السبب الثاني هي السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة. فان الولايات المتحدة قد تسارع بظهور مراكز قوى بديلة في العالم وتسبب في إضعاف موقفها بالنسبة لها. فسياسة الطاقة في الولايات المتحدة هي القوة الدافعة وراء نهاية أحادية القطب . فمنذ أولى الصدمات النفطية في

السبعينات، فان استهلاك الولايات المتحدة من النفط ازداد بحوالي 20 %، والأهم من ذلك، ان واردات الولايات المتحدة من المنتجات النفطية قد تضاعفت الى اكثر من الضعف في الحجم، وتضاعف كذلك الاستهلاك. وهذا النمو في الطلب على النفط الأجنبي ساعد بزيادة السعر العالمي للنفط من ما يزيد قليلا على 20 دولارا للبرميل الى ما يزيد على 140 دولار للبرميل في اقل من عقد من الزمن. والنتيجة هي نقلة هائلة من الثروة والنفوذ لتلك الدول مع احتياطيات الطاقة. وباختصار، فان سياسة الطاقة الأميركية قد ساعدت على ظهور المنتجين ين للنفط والغاز كمراكز قوى .

والسبب الثالث السياسة الاقتصادية الأمريكية قد لعبت دورا ايضا .فقد انتقد ليندون جونسون على نطاق واسع في وقت واحد لخوض الحرب في فيتنام وزيادة الإنفاق المحلي. والاحتلال اليوم يقوم بحرب مكلفة، فقد خاض الحروب في أفغانستان والعراق، وسمح للسلطة التقديرية لزيادة الإنفاق الى معدل سنوي قدره 8 %، وخفض الضرائب.

ونتيجة لذلك، فان الوضع المالي للولايات المتحدة انخفض من وجود فائض من اكثر من 100 بليون دولار في عام 2001 الى عجز يقدر ب 250 مليار دولار تقريبا في عام 2007. ولعل الأهم في هذا المجال هي بالونات العجز في الحساب الجاري، والذي أصبح الآن أكثر من 6 % من الناتج المحلي الإجمالي. وهذا ما يضع الضغط النزولي على الدولار، ويحفز على التضخم، ويسهم في تراكم الثروة والسلطة في أماكن أخرى من العالم. ان سوء التنظيم من الولايات المتحدة وسوق الرهن العقاري والائتمان ولقد أثمرت هذه الأزمة التي تعرضت لها وأدت الى تفاقم هذه المشاكل .

وساهمت ايضا الحرب في العراق، في إضعاف موقف الولايات المتحدة في العالم .الحرب في العراق قد أثبتت ان تكلفة الحرب عسكريا واقتصاديا ودبلوماسيا وكذلك من الناحية الإنسانية كان باهضا.

فمنذ سنوات، أدت الكلف العالية لحرب أفغانستان الى انهيار الاتحاد السوفيتي، ولكن الولايات المتحدة ومع كل آلاليات التصحيحية والديناميكية لم تثبت ان تكون في مأمن. فليس مجرد ان على الولايات المتحدة العسكرية ان تتخذ الاستعداد لاسترداد جيل من العراق، بل ان الولايات المتحدة تفتقر الى ما يكفي من العتاد العسكري لمواصلة القيام كالذي تفعله في العراق، ناهيك عن تحمل أعباء جديدة من أي مستوى في أي مكان آخر في العالم.

وأخيرا، فعدم القطبية في العالم اليوم ليست مجرد نتيجة للارتفاع من قبل الدول والمنظمات الأخرى او بسبب إخفاقات او من حماقات السياسة الأمريكية. الا أنها نتيجة حتمية للعولمة. فقد أسهمت العولمة في زيادة حجم وسرعة، وعلى أهمية التدفقات عبر الحدود من كل شيء تقريبا، من المخدرات، ورسائل البريد الإلكتروني، والغازات الدفيئة، والسلع المصنعة، والناس على إشارات الراديو والتلفزيون، والفيروسات، والأسلحة

وعززت عدم القطبية باثنين من الطرق الأساسية.

أولا، ان العديد من تدفقات عبر الحدود تتم خارج نطاق سيطرة الحكومات ودون علمهم. ونتيجة لذلك، خففت من تأثير العولمة في الدول الكبرى.

ثانيا، هذه التدفقات نفسها في كثير من الأحيان تعزيز لقدرات للجهات الفاعلة الغير حكومية، فمثلا الطاقة والمصدرين سيعانون من زيادة كبيرة في الثروة بسبب التحويلات من المستوردين والمتمردين المسلحين سيستخدمون شبكة الانترنت للتجنيد والتدريب، والنظام المصرفي الدولي سيحرك الموارد، وسيتغير نظام النقل العالمي لنقل الأشخاص، والدول المارقة يمكن ان تستغل في الأسواق السوداء والرمادية، وثروة 500 من الشركات ستساعد من التحرك بسرعة للأفراد والاستثمارات ومن الواضح بشكل متزايد ان ما يجري هو أقوى من أية دولة التي لم يعد لها وسائل من احتكار السلطة. وأسهل من أي وقت مضى للأفراد والجماعات والمشاريع لتجميع القوة الكبيرة .

ان تزايد عدم القطبية في العالم اليوم سيكون لها نتائج سلبية بالنسبة لمعظمهم من الولايات المتحدة والى عدد كبير من بقية دول العالم ايضا. وستجعل من الصعب على واشنطن ان تؤدي تلك المناسبات عندما تسعى الى تعزيز التصدي الجماعي للتحديات الإاقليمية والعالمية.

ستزيد ايضا عدد من التهديدات في مواطن الضعف التي تواجه بلد مثل الولايات المتحدة. هذه التهديدات يمكن ان تتخذ على شكل من أشكال الدول المارقة والجماعات المتمردة، والتي تختار منتجي الطاقة لخفض إنتاجهم، او المصارف المركزية الذين قد يتخذون أولا إجراءات لتهيئة الظروف التي يمكن ان تؤثر على دور وقوة الدولار. فالاحتياطي الفيدرالي قد يفكر مرتين قبل ان يستمر باتخاذ انخفاض أسعار الفائدة، خشية ان يعجل ذلك الى مزيد من الابتعاد عن الدولار. والتي يمكن ان يؤدي ذلك الى ان تكون الأمور أسوأ من حالة الركود الاقتصادي.

ايران هي مثال على ذلك. فما تبذله من جهود لتصبح دولة نووية هو نتيجة لانعدام القطبية وبفضل اكثر من أي شيء كان الارتفاع الحاد في أسعار النفط، قد أصبح له معنى آخر من معاني تركز السلطة، فهي بفضل ذلك أصبحت قادرة على ممارسة النفوذ في العراق، لبنان، والأراضي الفلسطينية، وما بعدها، وكذلك في إطار منظمة البلدان المصدرة للنفط. وقد استطاعت ان تحصل على العديد من مصادر التكنولوجيا والتمويل والعديد من أسواق الصادرات للطاقة بفضل ارتفاع سوق الطاقة.

ونظرا لانعدام القطبية، فالولايات المتحدة لا تستطيع ان تدير ايران لوحدها بل ان واشنطن تعتمد على الآخرين في الدعم السياسي والعقوبات الاقتصادية لوقف طهران في الحصول على التكنولوجيا النووية والمواد.

الولايات المتحدة يمكن لها ان تتخذ الخطوات اللازمة لتقليل من فرص انعدام القطبية وسيصبح العالم اقل قدرا من عدم الاستقرار. وهذه ليست دعوة للأحادية، اذ ان أحادية القطب أصبحت شيئا من الماضي، لكن الولايات المتحدة لا تزال تحتفظ بأكثر قدرة من أي فئة أخرى من الفعالية من اجل تحسين نوعية النظام الدولي. لكن السؤال هو ما اذا كان هذا سيستمر في امتلاك هذه القدرة.

لماذا يكمن الإسلام في قلب الحرب الأهلية في العراق...... وهل انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية يمكن ان يضمن الطريق الى السلام.

استغرقت وقتا طويلا إدارة الاحتلال لان تعترف بأن المقصود من تحرير العراق هو الاحتلال، وان القوات الأميركية واجهت من الداخل المقاومة هناك، وان الانتقال الى الديمقراطية العراقية قد لا تسفر عن وضع الأمة التي تدعم مصالح الولايات المتحدة. وأخيرا، كان لا بد من الانتظار حتى 2007 حتى يعترف البنتاغون بأن العنف الطائفي العراقي قد عبر عتبة بأن يصبح الحرب الأهلية. ولكن واضعو السياسات لم يتصالحوا مع الآثار المترتبة على تلك الحقيقة. وإذا كانوا قد فعلوا ذلك، فإنهم يريدون ان يروا حكمة عدم انسحاب القوات التي تقودها الولايات المتحدة والتي يمكن ان تكون الطريق الأكيد للسلام. ذلك ان الانسحاب سيؤكد ان القتال هو في تحويل الصراع في العراق الى دفاع على السلطة في الدولة القومية، وعلى عكس هجوم معركة الجذور في الدين. لكن الأغلبية الساحقة من الأدلة تشير الى ان الحرب في العراق هي الحرب الأهلية والدينية. وإذا وضعنا تنظيم القاعدة في العراق جانبا فان الإسلام هو في صميم ذلك لثلاثة أسباب.

اولا، في العراق السنة والشيعة وقد نظروا الى الحرب في هذه الشروط. انها او لا وقبل كل شيء تحديد ما للشيعة وما للسنة.

وثانيا، استخدام الهوية الدينية على حد سواء لاستهداف المعارضين وتحديد التهديدات. وأخيرا، فقد ناشدوا هؤلاء وراء حدود العراق لتقديم المعونة من المقاتلين والأسلحة والأموال. ان الإسلام لا يقوم في إقليم محدد، بل هو الأيمان الذي يوحد عبر المجتمع، او الأمة، في عقول البشر. وعلاوة على ذلك، ان الإسلام لا يكون من قائد واحد يستطيع ان يملي ما هو حق او من هو على خطأ. نظرا لعدم وجود سلطة الشكل النهائي وهذا يعني ان الشيعة خلافا لأهل السنة، نرى ان علماء الدين هناك بحاجة للمساعدة على تفسير إرادة الله في كثير من الأحيان

وهذا يساعد على تفسير لماذا رجل الدين مقتدى الصدر قد الزم نفسه في الآونة الأخيرة الى مزيد من الدراسة الدينية في ايران. كما انه يساعد على تفسير لماذا نوري المالكي لن يتمكن من اكتساب القبول بوصفه قائدا بين الغالبية العظمى من السكان الشيعة في العراق. ولا يقتصر على المالكي وليس لتقديم الدعم في الشارع لحكومته ولكن لعدم تقديم حتى الحد الأدنى من الأمان واحتياجات الحياة الواضحة لمعظم العراقيين وانه ليس لديه أية وثائق تفويض دينية. وعلى النقيض من ذلك، فالسيد الصدر له القدرة على تقديم الأمن والخدمات من خلال جيش المهدي، فه وصاحب السلطة وابن رجل الدين محمد الصدر. الصراع الطائفي في العراق كان في السابق يقتصر على القتال بين السنة والشيعة. أما اليوم فإن الصراع وقد نما ليشمل الشيعة ضد الشيعة. وعلى الرغم من الدلائل على ان الأمن قد تحسن، الا ان الحروب الأهلية الدينية في العراق قد بدأت لتوها. وإذا استقرانا عن الحروب الأهلية في الفترة من 1940 الى عام 2000 سيسلط الضوء على ثلاثة جوانب هامة كحقائق عن مثل هذه الحروب، والتي تنطبق على العراق.

أولا، ان ما يقرب من نصف جميع الحروب الأهلية الجارية (46 ٪) تشترك في شكل ما من أشكال الدين.

ثانيا، الإسلام، فقد شارك الإسلام في اكثر من 80 % من جميع الحروب الأهلية الدينية.

ثالثا، ان الحروب الأهلية الدينية هي اقل عرضة للتسوية عن طريق التفاوض. وبدلا من ذلك، تميل الى ان المقاتلين يقاتلون فيها حتى يحقق النصر من جانب واحد.
في العراق، التسوية عن طريق التفاوض سيكون من الصعب جدا لسببين.
أولا، ان الشيعة يريدون ان يبقوا في السيطرة الكاملة للعراق بسبب:
المخاوف من القمع السني كما حدث في الماضي.
شعور الأغلبية من القاعدة الجماهيرية الشيعية بالعدالة.
ثانيا، ان الشيعة أنفسهم منقسمين بشأن الطريقة التي ينبغي ان تحكم العراق، لذا فإنه من الصعب معرفة الى اي حد ممكن ان تصل المساومة على الجانب الشيعي، وبالتالي يمكن الشك بمصداقية الامتثال لأحكام اي تسوية.
ثم ماذا يمكن للولايات المتحدة وحلفائها القيام به لإيجاد تسوية تفاوضية؟ فمن المفارقات ان أفضل وسيلة لدعم تسوية عن طريق التفاوض سيكون هو مغادرة العراق. ان انسحاب القوات الأمريكية من شأنه ان يسمح للعراق الذي تغلب عليه العربية الشيعية والسنية من إيجاد مصلحة مشتركة في معارضة اثنين هم ألأكثر عداء تاريخيا وهم: الأكراد والفرس. ولكن كلما طال بقاء الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، سيسير التحول اكثر عن البحث عن الهوية ان العراق موحد، لكن الهوية الدينية سيسهل تمزيقها والتلاعب بها من ايران في حال حدوث الانسحاب.
وهناك ثلاث سلبيات واضحة على هذا النهج
أولا، وضع حد للعنف في العراق بعد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من شأنه أن يؤدي إلى ظهور مجموعة غير ديمقراطية وغير كفوءة للحكم في العراق. وهذا من شأنه ان يكون اكثر ودية تجاه ايران، بالرغم ان العراق الديمقراطي لن يكون هناك به تحسن في هذا الصدد.
ثانيا، ان انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية قد تكيف على تصعيد العنف في العراق، فالاحتلال سيتركون البلد موضحين مقولة ان "الانسحاب هو أفضل طريقة لتهيئة الظروف للانسحاب".
ثالثا، الانسحاب قبل توقف العنف بشكل كامل لن يدعمه معظم الأمريكيين والبريطانيين. ان فكرة الانتصار في مقابل الفشل في الواقع تفرقة كاذبة، ومع ذلك. فإن الخيار الحقيقي لصانعي السياسة الأمريكية والبريطانية التي هي بين الأكثر تكلفة للفشل التي ستحصل عليها من السياسة الحالية واقل تكلفة للفشل التي يمكن ان تحصل من التفكير بها جيدا وجيدة من حيث تنفيذ الانسحاب.

النفط في وسط العاصفة.....

على طول المسارات التاريخية الحديثة والمعاصرة للشعوب العراقية والعربية نجد أنها لا تستطيع من بلوغ مأربها وتطلعاتها إلا من خلال تميزها الوطني والقومي والذي يعتبر سمتها الفكرية الصحيحة لتلك التطلعات والآمال وبغض النظر عن نتائج تلك الإعمال في نجاحها أو فشلها حين اتخذت أساليب خاطئة لتطبيق أفكارها على الواقع وليس على فشل وانحدار سياسة الآخرين من الأعداء الغازين أو الخصوم المجاورين أومن المحيطين الطامعين.
فحين تريد إن تبني بلادا راسخة وعلى أصول قوية وثابتة ومستمرة غير منقطعة بأهلها ولديها ديمومة التواصل والعيش والنمو الصاعد على وتائر عديدة نجد إن من الأساس إن تتميز تلك الخطوات القائمة على سمات فريدة من تلك التي سبقتها سواء كانت سمات فكرية أو اقتصادية أو ايديلوجية أو حتى مجددة دينية

كانت الكسور العراقية خلال السنوات الخمسة الماضية في مسيرته على طول الخطوط الطائفية، ومختلف الجماعات التي تقاتلت من اجل السلطة في العراق، تختصر بكلمة واحدة هي النفط.....

فمستقبل العراق، ومستقبل الوجود الأجنبي فيه مرتبط باحتياطيات النفط الشاسعة التي تقع تحت أراضيه. فالتقديرات الحالية تقول ان العراق هو ثالث اكبر احتياطي في العالم، ويتراوح بين 120 - ٢٠٠ مليار برميل من النفط المعروفة والمتبقية والجاهزة لاستخراجه. وتشير التقديرات الأخيرة الى إن هناك احتياطيا اكثر من الاحتياطات المكتشفة توجد تحت الصحراء الغربية في الانبار والمأهولة بالسكان السنة. ويوفر النفط حاليا حوالي 90 % من الإيرادات التي تحصل عليها الحكومة وأكثر من 70 % من الناتج المحلي الإجمالي.

وهذه هي الطريقة التي يمكن فيها فهم مسألة النفط في العراق، ومدى الأهمية التي تعلقها في النقاش الدائر حاليا، والتاريخ الحاضر الغائب دائما يوضح بشكل جلي المكانة التي يتميز بها النفط في حل المسالة العراقية. بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتأسيس الدولة الحديثة للعراق انشات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة شركة نفط العراق.

هذه الشركة الأجنبية سمح لها بتقسيم غنائم الحرب، وحينما زاد الطلب العالمي على النفط والتي قفزت بنسبة 90 ٪ بحلول عام 1920 طالبت أمريكا في البداية المشاركة المتساوية بحصتها من العمل النفطي في العراق. وكان النظام الملكي البريطاني في تركيبه للعراق قد اثبت إن مصير وجود هذا البلد مرتبط بحصة الشركات المتعددة الجنسيات من الثروة النفطية العراقية وهو ما كان واضحا عشية الاتفاق النفطي الأول في نيسان ٤ ١٩٢٥ وبعده بتأسيس الدولة العراقية الحديثة.

وهذا الترتيب بدأ ينحل في أوائل الخمسينات مع صعود القومية العربية من وحي جمال عبد الناصر في مصر. ففي عام 1958 أطيح بالحكم الملكي العراقي في انقلاب دموي من جانب عبد الكريم قاسم، والذي سعى الى تأميم صناعة النفط العراقية، والذي تم بشكل كامل في عام ١٩٧٢.وولت الأيام حينما كانت شركات النفط الأجنبية تتعامل مع نفط العراق كاحتياطي خاص بها والى الأبد.

لهذا ارتبط مصير العراق بالتطورات النفطية العالمية حيث كان النفط محط أنظار الأمريكيين في وقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية أعظم مجهز للنفط في العالم وكان امن الولايات المتحدة الأمريكية القومي يعتمد على ضمان الولايات المتحدة الأمريكية لموارد النفط كل هذا ولد شعورا لدى الأمريكان حول ضرورة ضمان موارد النفط بأي وسيلة كانت بما في ذلك العمل في المساهمة في احتكارات إقليمية في العراق. وكانت الحكومة الأمريكية تؤيد ذلك تأييدا عمليا وشجعت على احتكار مرافق النفط في العراق وتحديد إنتاجه واقتسام أسواقه واليوم بالاستحواذ عليه وجعله جزاء من الاحتياطي النفطي الاستراتيجي الأمريكي في العالم وكان هذا أهم أسباب التدخل الأمريكي في العراق.

فالسياسة التجارية الأمريكية قامت على أن كل البلدان يجب أن تكون فيها التجارة حرة ومفتوحة والفرص التجارية والاقتصادية يجب أن تكون متساوية في تنمية الثروات فيها. ولقد دعت هذه السياسة في أن تتحد الأفكار الانكلو-أمريكية في الوصول إلى مشاركة المصالح الأمريكية إلى مركز كبير في حقول النفط في العراق. وجعل الفرص متساوية في امتلاك ثروات هذا البلد. لذلك جعلت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها مكانا له الحق في إن تشارك في أية محادثات تتعلق بألاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي كل مجالات بناء الدولة الجديدة التي تريد أقامتها فيه.

إن دخول ونمو النموذج الأمريكي في العراق في استكمال أبعاد تلك العلاقة قد ادخل العراق بفضل ذلك إلى مرحلة الاحتكار الاقتصادي والسياسي والصناعي وبخاصة النفطي إلى جانب التركيز الرأسمالي منذ وقت مبكر من دخولهم العراق مما صاحب ذلك نمو واستقطاب

اجتماعي خطير تمثل في تحول المجتمع العراقي في هذه الفترة إلى ما يشبه المجتمعات الرأسمالية الاحتكارية حيث استحوذت الأقلية العددية من سكان العراق لوحدهم على معظم المناقصات التجارية للبلاد.

وهذا ما انعكس على واقع الأحداث السياسية في العراق، فهذه الحركة الجديدة في المجتمع العراقي عجزت بدورها بتأسيس واقع جديد فيه نوع من الرفاهية الاجتماعية بل فشلت في ذلك وهيأت الأذهان أكبر في تقبل الحركات الثورية والدينية والقومية وحتى العنصرية والطائفية مما كشف بصورة واضحة حقيقية الأزمة السياسية التي يعيشها العراق.

إن امتلاك العراق الاحتياطيات النفطية المثبتة الأكبر من النفط الخامّ العالي الدرجة، والرخيص جدا في كلفة الإنتاج. جعلت الشركات العملاقة الأربع الواقعة في الولايات المتّحدة والمملكة المتحدة تدفع للعودة إلى العراق، بعد أن استثنوا بتأميم النفط 1972. وذلك من خلال السيطرة المباشرة على الإنتاج والتوزيع. فمنذ الاحتلال للعراق في 2003، تغيّر كلّ شيء. وأصبحت واشنطون تدير المعروض من النفط وكانت للشركات الصديقة إن تجني الكسب الأغلى لصفقات النفط والذي أتاح لها الدستور العراقي الجديد 2005 ذلك، والذي تأثّر بنصائح المستشارين الأمريكيين كثيرا، بان حوى على لغة التي تضمن على دور رئيسي للشركات الأجنبية الأمريكية والصديقة. ويتمنّى فيها المفاوضون قريبا أن يكملوا الصفقات التي تشرف على الإنتاج الذي يغطي في هذه الاتفاقيات احتكار وحيازة وامتلاك والسيطرة من قبل هذه الشركات على العشرات من الحقول، ويشمل ذلك حقل مجنون العملاق والأسطوري، وان هذه العقود يمكن أن توقّع بعد تشكيل الحكومة الجديدة.

وهذا ما سيؤدي إلى تقليص سيطرة الحكومة المركزية على النفط والذي كان مسيطرا عليه من قبل شركة النفط الوطنية وبالتالي فان مستقبل العراق السياسي سيكون رهينة بالنفط والذي يعتبر المحرك الأساس والمركزي للمشهد السياسي العراقي.

إن الوثائق المبرزة والتي تبرز التصاميم المفصلة لسرقة ثروة العراق النفطية، تؤكّد على إن الشركات الأمريكية والبريطانية الكبيرة عندها اهتمام هائل في حقول نفط العراق العملاقة الغير مستغلّة. وتؤكد بشكل واضح على إن هذه الشركات تميل للسيطرة على تلك الحقول الآن، وتحت ظل الاحتلال، وعند تحليل مصادر القوّة والتأثير لشركات النفط الأمريكية والبريطانية في البلاد لابد لنا إن نفهم ونناقش مدة قرن كامل من الاهتمام بالنفط العراقي والإمكانية المتاحة التي تبيح تلك السيطرة على احتياطيات العراق النفطية الضخمة والتي قادت إلى سبعة حروب في القرن الماضي، بضمن ذلك نزاع 2003.

وعندما نحلّل تأثير نفط العراق على سياسة عقوبات الأمم المتّحدة. وراء الحرب والاحتلال على العراق، نرى إن هنالك دافع أمريكي ل"الدخول المجاني" إلى النفط العراقي وإباحة ذلك في السيطرة للشركات الأمريكية والبريطانية على ثروات العراق الواسعة في مصادر الغاز والنفط.

إن شركات النفط الدولية تبغي الربح من السيطرة على تجهيز النفط العراقي العالي النوعية والوفير واحتياطيات الغاز المربحة. وهذا ما يعط الدافع إلى سيطرة الولايات المتّحدة على العراق ويدعم إدّعاءات شركات النفط الأمريكية والبريطانية على نفط العراق ويجعله قلب الأزمة.

وإذا حسبنا مدى التخمينات القصيرة الأجل والمحتملة فان أرباح شركات النفط الخاصّة في العراق. باستعمال التخمينات المختلفة لأربعة متغيّرات رئيسية، بضمن ذلك السعر والشركة والحكومة والبيع للنفط فقد تتراوح تخمينات الربح الكلي تقريبا من 600$ بليون إلى 9$ تريليون. وبأرباح سنوية من الإنتاج العراق 95$ بليون بالسّنة ل50 سنة، ويتمثل ذلك بما يساوي نسبة ثلاث مرات لأعظم من أرباح سنة 2002 من الشركات الدولية الأكبر الخمس في العالم.

ومنذ اكتشاف النفط في الشرق الأوسط في 1908، أرادت قوى غربية الهيمنة على مصادر النفط في المنطقة وفي صناعة نفط العراق بشكل خاص، ومنذ تأسيس شركة النفط التركية في 1911 من خلال المملكة المتحدة، هولندا وألمانيا ثم في دخول عمالقة النفط الأمريكيين بعد الحرب العالمية الأولى إلى هذا (المنتدى السياسي العالمي)، حيث دمجت السلطات الدولية من قوة عسكرية وضغط خاصّ وحكومي للسيطرة على نفط العراق.

إن تأريخ نفط العراق والمنافسات الدولية للسيطرة عليه. يتيح لنا بشكل خاصّ المعلومات الكافية على نوع السيطرة على نفط العراق في عصر الحرب العالمية الأولى وما تلاها، ويوضح بامتياز دور الشركات الدولية في تشكيل دولة بحدود العراق الحالية والشرق الأوسط، والنزاعات التي تلتها والانقلابات وما أدى ذلك إلى تغيرات كثيرة كان من أهمها تأميم نفط العراق في 1972.

في كانون الثّاني 2005، جرت ألانتخابات لتعيين حكومة عراقية جديدة، وفي الوقت عينه وافق صندوق النقد الدولي (آي إم إف) على إلغاء 30 % من دين العراق كبديل للالتزام العراقي بشروط صندوق النقد الدولي والتي منها "التكيّف مع سياسات اقتصادية". ومنها تشريع قانون للنفط عند نهاية 2006 ويسمح لصندوق النقد الدولي المساعدة على صياغة القانون. وبالإشراف أو المناقشة العامّة، وبدأت وزارة نفط العراق بالتفاوض بشركات النفط الدوليّة، وقد يوقّع قانون لإنتاج طويل المدى قريبا يشترك في الاتفاقيات كجزء من نظام نقدي دولي يكون الإنتاج فيه من قبل تخويل مباشر من قبل الصندوق.

وتشير الدراسات بأنّ العراق يمكن أن يخسر لصالح الولايات المتّحدة $ 200 بليون من الدخل نتيجة تلك الصفقات، ولحماية ذلك قد تدفع الولايات المتّحدة إلى إبقاء القواعد العسكرية في العراق من خلال إبقاء تواجد عسكري طويل المدى في العراق. لتسويّة المخاوف الأمنية النفطية، وعلى حد قول Abizaid بان نفط عراق يبرر إقامة قواعد دائمة وأنّ " ازدهار [الولايات المتّحدة] وكلّ شخص آخر في العالم يعتمد " على " تدفق مجّاني من السلع والمصادر من العراق". (رويتر) من خطاب سلّم في مؤتمر السلام العالمي (كانون الثّاني 11، 2006).

وفي مقابلة مع نيوزويك، يناقش نعوم تشومسكي العلاقة بين النفط العراقي والاحتلال الأمريكي. بان الولايات المتّحدة ما كانت ل"تحرّر" العراق، إذا كانت منتجات العراق مخللات وخسّ بدلا من النفط.، وإنما أرادت الولايات المتّحدة السيطرة على النفط والاستحواذ على مكاسب العراقيين. والقلة من العراقيين يعتقدون بأنه قد يكون النفط المفتاح إلى الوحدة العراقية. فقد ألزمت المادة 109 من الدستور العراقي بأنّ النفط يعود إلى كلّ الشعب العراقي في كلّ المناطق والمحافظات.

وعلى الرغم من النقاش الصاخب على مسوّدة دستور العراق، إلا انه تجنب بشكل عام إلى مصادر نفط العراق. ورغم إنّ الحكومة المؤقتة تمضي مع خطة تكون فيها شركة نفط العراق المملوكة للدولة الوطنية (آي إن أوسي) والتي لها الحق في إن تطوّر حقول النفط فقط التي في الإنتاج. وان تطوير كلّ حقول النفط الأخرى، فان الدستور يحدّد، يجب أن يتبع "التقنيات العصرية" و" مبادئ السوق" بالنسبة للإنتاج وان يتشارك باتفاقيات مع الشركات مثل PB Exxon Mobil. في مستويات الاحتياطي المخمّنة، وذلك يترك 64 % من نفط العراق المفتوح إلى الشركات الأجنبية، وهذا ما يترك ظلالا على السيادة وقابلية نمو العراق الاقتصادي.

وأدى التنسيق السيّئ بين المسؤولين الحكوميين الأمريكيين والعراقيين وبين شركة KBR، وشركة Halliburton التابعة لها والتي أعطيت لها عقود إعادة الأعمار ومنها النفط بعد الحرب، إلى فشل حالات إعادة بناء النفط العديدة. وكلّفت هذه الأخطاء والقيادة السيّئة مئات العراق من ملايين الدولارات في إنتاج النفط المفقود، بينما يهدّد مستقبل بعض حقول النفط من خلال سوء الإنتاج.

وعلى الرغم من الجهود ألامريكية لحماية بناء نفط العراق لكي تكون في الآمال بأنّ الإيرادات النفطية تدفع ثمن الحرب والاحتلال، جاءت دور المقاومة العراقية في تخريب خطوط الأنابيب والمصافي. بالإضافة إلى فساد دائم في وزارة النفط والتوتّرات الطائفية على التخصيص المستقبلي للإيرادات النفطية والذي يهدّد معدل إنتاج نفط العراق الطويل المدى. وهذا ما أعطى للاحتلال مبررا جديد للوجود الأمريكي في العراق لأجل "حماية حقول نفط واسعة في العراق".

وأمام هذه الفوضى يطالب الأكراد العراقيون بالإشراف المباشر على حقول النفط الشمالية طبقا لوزير التخطيط العراقي الكردي، وبان يجب على الحكومات إلاقليمية أن تستخدم سيطرة أكثر على حقول نفط مناطقهم. وان ألأكراد يعملون من أجل تثبيت ذلك من قبل لجنة الصياغة الدستورية العراقية لهذا التفويض، الذي يسمح للمحافظات لتعامل مباشرة مع شركات النفط الأجنبية، ويعطي قوّة أكثر إلى الزعماء الإقليميين الأكراد والشيعة.

لذلك قام الحزب الديمقراطي الكردستاني على توقيع اتفاقية مع شركة النفط النرويجية دي إن أو على الاستكشاف وحفر آبار للنفط جديدة في المنطقة الكردية النصف المستقلة ذاتيا في العراق. وهذه الاتفاقية، هي الأولى من نوعها منذ الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة في 2003، وبدون تدخّل حكومة العراق المركزية. وبذلك زيدت توتّرات العراق الطائفية وأبرزت هذه الصفقة الخلافات المحتملة بين الحكومات الإقليمية والمركزية على سيطرة النفط وسياسة الطاقة.

والأخطر من ذلك قامت شركة نفط تراث، وهي شركة كندية، بالدخول في مفاوضات مع حكومة كردستان من اجل القيام باستكشافات ميدانية قرب حقل نفط Taq Taq في شمال العراق. وهذا الترتيب الحالي، قد يؤدّي إلى اتفاقية خاصة بإنتاج النفط ،وبذلك تصبح تراث شركة النفط الخاصّة الأولى لإنتاج النفط في العراق منذ السبعينات. ويعتبر المدير التنفيذي لشركة نفط تراث Micael Gulbenkian، حفيد أخ Calouste Gulbenkian، مؤسس الشركة التي سيطرت على صناعة نفط العراق لأكثر من نصف القرن الماضي. ونتيجة لهذه التطورات قد يتحول العراق إلى" ساحة حرب رئيسية " ضدّ توسّع شركات النفط الغربية. مع إمكانية دستور يسمح لخصخصة النفط، العراقي ويضيع حماية مصادر البلاد الثمينة.

برميل الدم... لماذا تغذي الثروة النفطية الصراعات

العالم هو ألان اكثر سلاما اليوم مما كان عليه قبل 15 عاما. كان هناك 17 من الحروب الأهلية الكبرى مع اكثر من الف شخص يقتلون في السنة وبحلول عام 2006، كانت هناك خمس فقط. وعدد الصراعات انخفض أيضا من 33 الى 27 صراعا ولم يحدث أي انخفاض في عدد الحروب في البلدان التي تنتج النفط. والسبب هو ان الثروة النفطية في كثير من الأحيان جلبت الخراب على البلد والاقتصاد والسياسة، ما سهل على المتمردين تمويل المقاومة، وتفاقم المظالم العرقية. واليوم، مع أعمال العنف التي تقع في هذا العام، فان الدول المنتجة للنفط تشكل جزءا متزايدا في العالم من البلدان المنكوبة بالصراعات. فهي تستضيف حاليا ما يقرب من ثلث الحروب الأهلية لدول العالم الكبيرة والصغيرة على السواء، وحتى الخامسة منذ عام 1992. وكان غزو العراق الذي تقوده الولايات المتحدة تدل على أن النفط يولد الصراع بين البلدان، ولكن على نطاق أوسع انتشارا ان المشكلة هي انه يولد الصراع داخليا. فعدد الصراعات في البلدان المنتجة للنفط من المرجح ان يزداد في المستقبل كما استمرار صعود أسعار النفط الخام سيدفع عدد اكبر من البلدان في العالم النامي لإنتاج النفط والغاز. في عام 2001، انشات ادارة الاحتلال فرقة عمل جديدة للطاقة والتي ظهرت بوصفها فرصة للمنتجين بالنسبة للولايات المتحدة في تنويع المصادر من واردات الطاقة وتقليل اعتمادها على النفط من الخليج العربي.

وهناك أكثر من اثني عشر بلدا في أفريقيا وحوض بحر قزوين، وجنوب شرق آسيا في الآونة

الأخيرة أصبحت او ستصبح قريبا، من المصدرين الكبار للنفط والغاز. وقد سبق ان تعرضت الى صراعات داخلية وكمعظم بقية الدول الفقيرة، مما يعني ان تكون لها تجربة في العنف ايضا. وعلاوة على ذلك، فان صعود أسعار النفط سيؤدي الى نوع من الفوضى الاقتصادية التي تنتج عادة مزيد من المشاكل .ان النفط ليس فريدا من نوعه ؛ فالماس والمعادن الأخرى تنتج مشاكل مماثلة .ولكن كما في العالم بعد ان سعت معظم السلع الأساسية، فان اكثر البلدان التي تعتمد على أنها أكثر من تركيزه على الذهب والنحاس، أو غيرها من الموارد، لكن يبقى النفط له تأثير اكثر وضوحا وأكثر انتشارا .ان انتعاش النفط في السبعينات قد جلب ثروة كبيرة وفي وقت لاحق جلب الكرب العظيم لكثير من البلدان الغنية بالنفط في العالم النامي. في السبعينات، تمتعت الدول المنتجة للنفط بالنمو الاقتصادي السريع. ولكن في العقود الثلاثة التالية، عانى الكثيرون من الديون الساحقة، وارتفعت معدلات البطالة، وتباطأ أو تراجع الاقتصاديات. فعلى الأقل نصف أعضاء منظمة أوبك في عام 2005 كانت ألأكثر فقرا مما كانت عليه قبل 30 عاما. والبلدان الغنية بالنفط والتي كانت تبشر بأمل كبير، مثل الجزائر ونيجيريا، كانت متكشفة لعقود من الصراع الداخلي وكانت هذه الدول تعاني من ما يسمى "بلعنة النفط". فواحدة من جوانب المشكلة الاقتصادية هي ما يعرف باسم "متلازمة المرض الهولندي"، والتي كانت تعاني منها هولندا في الستينات...

العالم الثالث والمنافسة الأمريكية السوفيتية ثورة النمو والتوسع

خلال العقد السادس من القرن الماضي توحدت الرؤى للقوى العالمية حول خطر واشنطون على السلام العالمي وأصبح الخوف في شرق المتوسط وفي أوربا الغربية واضحا بشكل بارز كما في دول العالم الأخرى وحيث كان نمو هذا الخطر باديا بشكل أساسي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة وكردة فعل حول ذلك حاولت الشيوعية آنذاك أن تعزز قواها الداخلية والخارجية من خلال التحالفات مع الصين الشيوعية مثلا أكثر من التوسع داخل العالم الثالث حيث مصادر الطاقة وعلى الرغم من أن قيادة حركة الاشتراكية الدولية والاختلافات حول الاستراتيجيات اتجاه الغرب الامبريالي والتنمية الوطنية قد ازدهرت بشكل لافت أبان تلك الحقبة إلا أن تلك الأقطار من العالم الثالث رفضت أن تكون مستعمرات غربية او جزءا من النظام العالمي الرأسمالي أن التحدي الذي واجهته الشيوعية السوفيتية في العالم الثالث جعل اللجؤ إلى الخيار العسكري في أغلب الأحيان مقدما على الحلول الأخرى في بسط نفوذها في تلك المناطق في حين استخدم الغرب عبارات الحداثة والتنمية السياسية والاقتصادية لبسط نفوذه على تلك البلاد وأن اختلفت الأساليب في بعض الأحيان حول إستخدام تلك المبادئ لكلا الطرفين ووجدت أقطار العالم الثالث نفسها بعد الاستقلال أنها مثقلة بتراثها وخصوصيتها ومستوى اقتصادي ضئيل تجعلها في مستوى أفقر الدول في العالم من ناحية دخل الفرد وبسبب هذا الوضع الاقتصادي أصبحت هذه الدول من الدول النامية مقارنة مع من سواها من الدول على المستوى الاقتصادي لأنه من الحقيقة القول أنه لو كان هناك بضعة مؤسسات صناعية كبيرة لهذه الدول فإنها كانت ستعطي لدولتها قوة عسكرية قوية ذلك لان أية أمة إذا كان عليها الاعتقاد أنها يجب أن تدافع عن نفسها لوحدها من خلال تكريس الثروة والتي تعد القوة الأساسية المهمة المعدة للهجوم والدفاع عن الأمة فستكون في وهم كبير بدون مساعدة تلك الشركات ذلك لأنه أصبح الإخلاص أو الولاء الوطني فحسب غير معتمد عليه في الدفاع عن الأمم وربما سينحصر تأثيره بكسب الدعم الشعبي لأية قضية يمكن أن تواجه تلك الأمم.الأمر الأخر والذي له تأثير كبير على الأمم والسياسات هو التعداد السكاني للأمم فقد ازداد نفوس العالم بشكل مطرد منذ عام ١٩٣٠ والذي كان آنذاك بمليار إنسان وازداد إلى ثلاثة أضعاف خلال ٤٠ سنة إلى ٣.٦ مليار إنسان في عام

١٩٧٠ وإلى ٦.٥ مليار عام ٢٠٠٠ واليوم فأن الهند تبني مدينة بسعة نيويورك كل عام والصينيون يضاف إلى عددهم كل سنة بمقدار نفوس كندا. في عام ١٩٠٠ كان هنالك أوربي واحد مقابل أثنين من ألأسيويين وفي عام ٢٠٠٠ أصبح كل واحد مقابل أربعة أن علاقة النمو السكاني بالتطور الصناعي الزراعي علاقة سلبية وهي أيضا محكومة أيضا بالوضع والاقتصادي والمثير في الأمر أن العلاقة بينهما هي علاقة سلبية حيث نرى أن الهند التي هي خارج منظومة الثورة الصناعية أن عدد سكانها تضاعف من ٤٠٠ مليون إلى ما يقارب المليار نسمة والصين من ٧٠٠ مليون إلى أكثر من مليار قبل نهاية القرن الماضي وصعود النمو السكاني في مصر بعد بناء السد العالي إلى مستويات عالية وإذا ما طبقت على الولايات المتحدة الأمريكية فسيكون عدد سكانها اليوم أكثر من مليارين وليس ٢٥٠ مليون إنسان إذا ما وضعت في نفس ظروف تلك البلدان والأمر الأخر في العلاقة بين النمو السكاني والتنمية الاقتصادية والسياسية هي مسألة الهجرة فهجرة الأوربيين إلى العالم الجديد وإلى مستعمراتهم الأسيوية كانت مثلا بارزا في نمو تلك العلاقة. فقد هاجر أكثر من ٧٠ مليون أوربي إلى أمريكيا وكندا في القرن التاسع عشر وكان مجموع المهاجرين بين عامي ١٦٥٠ ـ١٩٥٠ أكثر من ٣٠٠ مليون مهاجر واليوم هناك أكثر من ٤٠٠ مليون مهاجر أوربي في العالم كل هؤلاء الناس وكانوا باقين في أوربا لما شهدنا ذلك التوسع والنمو الاقتصادي ولربما عاش الغرب في حالة عدم النمو التي عليها اليوم مقارنة مع الأمم الأخرى. وأصبحت ثرواتها غير مستثمرة على الوجه الذي عليها اليوم. وإلى جانب تلك الأسباب نجد أن هناك أسبابا أخرى متعلقة في العلاقة بين الشرق والغرب في مسائل النمو والتنمية منها ما يتعلق بنمو التجهيزات الغذائية وعلاقة استخدام الآلة في الإنتاج الزراعي ومنها ما يتعلق بالفقر أو بالمعرفة والعلم ونسبة الأمية .كذلك فأن الاستثمارات الخارجية تعد المصدر الأخر للرأسمالية والتطور الاقتصادي وكونت شكل العلاقة بينهما فالاستثمارات الغربية في الشرق الأوسط حول النفط أو سواها قد رسمت حدود تلك العلاقة بحسب قيمة تلك الاستثمارات وليس من المستبعد القول بأن هذه الاستثمارات الغربية الخاصة وبخاصة الاستثمارات الخارجية الأمريكية كانت وراء دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية وحتى حرب العراق الأخير ٢٠٠٣ وما بينهما من حروب كذلك فأن الرأسمال الأمريكي توسع في ما يعرف في الأسواق المشتركة، فقد أستثمر رأسماله الخاص في تلك الأسواق ليحصل على أرباح صافية من أية ضرائب وأن تلك الأموال التي استثمرت في الشرق لم تذهب إلى استثمارات في البنى الإستراتيجية كالمستشفيات والمدارس والطرق وإنما إلى مشاريع تدر بالربح السريع والمضمون.

أن المسؤولية للتنمية تتضمن النمو الاقتصادي لذلك فأن الحكومات الغربية فشلت في بناء علاقات حقيقية مع الشرق لأنها لا يمكن لها أن تضمن الربح الاقتصادي ألا من خلال الشركات والاستثمارات الخاصة ولذلك فأن صعود المستوى الاقتصادي أصبح مرتبطا بالنمو الوطني والرأسمال الخاص وليس بالاستثمارات الأجنبية.في حين أن هناك تجارب للأمم كثيرة أخرى حاولت النهوض بمفردها ودون الاعتماد على المساعدات والاستثمارات الخارجية نجحت في ذلك خاصة بعد أن استخدم قادتها شعارات الاستقلال والحركات الوطنية في سبيل بناء أممهم ومثل السياسة كان هنالك عدة مستويات من التحرك فيها وأن كانت في ظل عدم وجود الديمقراطية. فالولاء للأمم الجديدة هو أقل بالنسبة إلى المدينة أو القرية أو العائلة أو القبيلة. والديمقراطية على الطريقة الأمريكية لا يمكن لها أن تمنع الأفعال التي تؤدي إلى تغيير الحكومة فحسب وإنما إلى تمزيق الأمم أيضا.أن مواجهة هؤلاء القادة بطريقة غير ديمقراطية أو غير مباشرة كذلك سيؤدي إلى نفس النتيجة وهي تمزيق تلك الأمة.

صراع الحرب الباردة على الشرق العربي

في عام ١٩٥٥ أنهت الولايات المتحدة الأمريكية واستكملت شريطها الذي يحاصر الاتحاد السوفييتي بالتعاون مع بريطانيا وتركيا والعراق وإيران وباكستان، والذي عرف بمنظمة معاهدة الشرق الأوسط أو ما يعرف بعد ذلك بحلف بغداد. وهو مكملا وامتدادا لحلف الناتو ويبدأ من تركيا إلى الهند وبطول أكثر من ٣٠٠٠ ميل وسمي بالحزام الشمالي ليكمل حصار الاتحاد السوفيتي عند حدوده الجنوبية.

وبعدما أجبر الحلفاء على سحب قواتهم من إيران ١٩٤٦ أبقيت المنطقة بشكل عام أسيرة الإرادة البريطانية، فالشرق الأوسط هو الصلة بين أوربا وأفريقيا وأسيا وهو تحت النفوذ البريطاني واعتبرت قناة السويس تقليديا عصب الحياة بالنسبة لأوربا والإمبراطورية القديمة والكومنولث وفضلا عن ذلك أصبح الاقتصاد الأوربي يعتمد في نموه على نفط الشرق الأوسط حيث القوة التي ستعتمد على هذا النفط سوف تكون قادرة على الحفاظ على مستقبلها وستنحصر كذلك سيطرة السوفيت على الشرق والذين يعدونه خارج نطاق الناتو مما سيتيح لهم فرصة الوصول أليه إذا استغلوا بشكل جيد مشاكل إسرائيل والعرب. وتعود هذه المشكلة إلى عام ١٩١٧ حينما كانت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني وتعهد آنذاك بلفور بإقامة وطن لليهود فيها. وقد استفادت الحركة الصهيونية من تطورات الأوضاع هناك وبدأت بالسعي لإنشاء دولة يهودية في فلسطين وقد ساعدت الحرب العالمية الثانية ذلك عندما قام هتلر بحماته في احتجاز ٦ ملايين يهودي في معسكرات الاعتقال وقد ساعد ذلك ببدء حركة الهجرة تجاه فلسطين بهدف أقامة دولة يهودية فيها. ومع خشية العرب بعدم استطاعتهم وقف الهجرة وكذلك عدم قدرة أو تشجيع القوات المنتدبة البريطانية في فلسطين على ذلك وتحت ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية قررت بريطانيا وقف انتدابها عن فلسطين وفي تشرين الأول ١٩٤٧ أعلنت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين إلى دولتين أحداهما عربية والأخرى يهودية. وفي حين رفض العرب هذا الحل وطالبوا بأن تكون فلسطين دولة عربية قامت بريطانيا في ١٠- ٥- ١٩٤٨ بإعلان إنهاء انتدابها على فلسطين وأعلن اليهود أرض فلسطين دولة إسرائيل وبعد خوضها الحرب على الدول العربية مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق والسعودية ووقفت أمام جيوش هذه الدول أصبحت دولة إسرائيل حقيقة واقعة في الحياة السياسية. وبشكل عام رفض العرب الاعتراف بدولة إسرائيل في اجتماعهم في شباط ١٩٤٩ وقرروا مواصلة الدعوة غالى تدميرها خاصة بعد صعود المد القومي والذي دعا إلى انسحاب القوى المحتلة من البلاد العربية. في هذا الوقت استمر تركيز القوات البريطانية من مصر إلى العراق خاصة بعد انضمامها إلى حلف بغداد والذي أصبح العراق عضوا فيه والذي كان يهدف إلى حماية المصالح الاقتصادية والإستراتيجية في الشرق الأوسط. وقد أعتبر العراق مصر على أنها قائد المنطقة العربية واعتبر أن تحدي مصر لهذا الحلف سيشكل خطرا عليه من خلال تحالف بعض الحكومات العربية معها في سبيل قيادة الجهود العربية ضد إسرائيل وبريطانيا وكذلك هدف السيطرة على مناطق مصادر النفط وتسخيرها لمصلحة التنمية في مصر.. ومن الصعب الفهم أن الدولة العربية الوحيدة الأقرب إلى روسيا السوفيتية كان العراق والذي هو أساس معاهدة حلف بغداد والذي تعاون من خلال تركيا وبريطانيا بالناتو والذي كان موجها بالأساس ضد النظام السوفيتي لم يفكر السوفيت بالهجوم عليه لكسر الحزام الشمالي والذي أقيم لقطع العلاقة بين مصر وسوريا من جهة والاتحاد من جهة أخرى والتي أظهرت أحداث السويس وبحسب رأي الولايات المتحدة أن الشيوعية كادت أن تستخدم تلك الأحداث لبسط نفوذها في المنطقة.

أن عدم استقرار الموقع الأمريكي آنذاك والفشل السوفيتي في استغلال نفوذه في المنطقة ساعد في تقدم التسويات السياسية بحلول متكافئة للأطراف المتنازعة، وكان من الواضح جدا أن محدودية التأثير السوفيتي جعل من العرب غير كفؤيين في حل مشاكلهم وهذا ما ساعد قادة المنطقة إلى اللجوء إلى الغرب بصور وأشكال مختلفة لحل مشاكلهم الوطنية. كذلك كان هناك عامل أخر أثر بالأحداث في المنطقة بشكل غير متوقع وهو تأسيس النظام الجمهوري في العراق. فقد أهتم النظام الجديد في العراق لأن يتبنوا مكانا متميزا عن النظام المصري ومع وجود ثروات وطنية نفطية هائلة جعله يحتل مركزا متقدما في مسار الأحداث في المنطقة. وتعزز هذا النظام بشكل كبير حينما هدد جديا زعامة مصر للأمة العربية وقد أدركت مصر ذلك بشكل جيد وفي وقت مبكر أيضا. وفي نفس الوقت دعم السوفيت اقتصاديا وعسكريا لحكومة الجمهورية العراقية الجديدة، وهذا ما جعل مصر تنفتح من جديد نحو الأردن والسعودية واليمن ولبنان وبصور مختلفة عن بعضها البعض. وقاومت ليبيا والسودان ذلك. إلا أن سوريا أتحدت مع مصر في تأسيس الجمهورية العربية المتحدة ومع بقاء العراق في تطلعه نحو الزعامة العربية ألا أن أحداث ١٩٦٠ ساعدت في تغيير ذلك حيث خرجت سوريا من الجمهورية المتحدة وانفصلت الوحدة بين سوريا ومصر وتعززت العلاقة بين الأردن والسعودية مع مصر وتطلعت سوريا والعراق نحو الوحدة ولتعزيز موقعهما في العالم العربي ألا أن مصر حاربت ذلك وحاربت كل جهد للوحدة بدون الزعامة المصرية والتي دعتها بالاشتراكية العربية. لذلك بدأ الصراع بين العرب حول الزعامة فقط وحتى وأن كان على حساب المواجهة مع إسرائيل أو مع الغرب. في تلك الأثناء أصبحت الولايات المتحدة عضوا فعالا وأن كان غير رسميا في حلف بغداد، من خلال تعزيز ثلاث دول أسلامية مشاركة في ذلك الحلف والمساعدة في جعل العراق إسلاميا أكثر مما هو عربيا ولكن بجانب تلك التطورات كان لصعود المشاكل النفطية أكبر الأثر في العلاقات مع العراق يعد عام ١٩٥٥ فالنزاع الدول العربية وبين إسرائيل، أصبح بشكل عام غير قابل للحل لأن تطورات الأحداث اتجهت إلى أن القومية العربية قد بنيت أساسا على عداء إسرائيل إلى جانب المنافسة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على السيطرة على المنطقة وتذبذب أتجاهات صعود القومية العربية، كل هذه الأسباب أعطت للناس الغموض حول مستقبل المنطقة ،وخيبة الأمل من الثروة، والفقر والجهل والمعاناة أصبح هو السائد على جميع الصعد الحياتية للناس والذي أدى الى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

حروب المنطقة والتفاعلات المحلية والإقليمية والدولية

ظاهرة الحرب التي دارت بين حزب الله وإسرائيل يمكن تحليلها من خلال منهج العوامل المحلية والإقليمية والدولية التي تتداخل في هذا الصراع والتي تؤثر فيه بدرجة ملحوظة. حزب الله والداخل اللبناني: كما يقول وليد جنبلاط زعيم الدروز "عبارة عن تسوية وهو مجموعة قوى سياسية وطوائف ومنذ تاريخ إنشاءه تعتمد هذه الطوائف على قوى خارجية لدعمها".

يمثل لبنان منطقة رخوة يمكن عندها تتقاطع الإستراتيجيات الإقليمية والدولية بل تتصارع حتى يستطيع كل فريق الحصول ليس على ما يريده كله ولكن وفق معادلات تتوقف على من يحسن استغلال كل مفاصل القوة لديه ويترجمها لمكاسب سياسية.

كانت المعادلة اللبنانية منذ استقلاله هي التوازن بين الطائفتين تين في ذلك الوقت وهي الطائفة السنية والمارونية مع احتفاظ المارون بشيء من الترجيح وكان الشيعة ذو نفوذ محدود نظرا قلة عددهم وهامشية هذا العدد وهذا التوازن بطبيعة الحال يقتضي التوافق بين القوى

الداعمة لهما وهما فرنسا الداعمة للمارون وسوريا ومن وراءها الدول العربية كمصر والسعودية كداعمين للسنة.
ولكن في أواخر الستينات وأوائل السبعينات حدث تخلخل في هاتين الدعامتين التين تحفظان للبنان الاستقرار وهو التوازن بين الطوائف وتغير موازين القوى الداعمة.
ففي الخمسينات وبداية الستينات لاحظت الزعامة المارونية المسيطرة أن هناك خللا ديموغرافيا على وشك الحدوث فأعداد السنة في لبنان في ازدياد كما أن اللاجئين الفلسطينيين يزدادون أيضا نتيجة التهجير القسري من فلسطين وهؤلاء محسوبين بطيعة الحال على قوة أهل السنة فعملت القيادة المارونية على موازنة السنة بسماح بهجرة أعداد متزايدة من الشيعة الإيرانيين إلى لبنان بل إعطائهم الجنسية حتى أن موسى الصدر الذي تبوأ الزعامة الشيعية بعد ذلك في لبنان أصله إيراني وأعطيت له الجنسية اللبنانية.
وفي نفس الوقت حدث تخلخل في القوى الداعمة مع وصول حافظ الأسد إلى الحكم في سوريا وتخوفه من انتقال المقاومة الفلسطينية بسلاحها وعتادها بعد مجازر أيلول في الأردن كما انشغلت مصر بمعركتها مع إسرائيل وتراجع نفوذها السياسي في الوطن العربي كما تراجع النفوذ السعودي كثيرا في أعقاب اغتيال الملك فيصل.
كل ذلك أدى إلى نشوب الحرب الأهلية في لبنان عام 1975 حيث شارك الشيعة السنة على مضض في قتال المارون ولكن بمجرد ان تدخلت سوريا انقلب الشيعة ليقفوا في صف سوريا والمارون. ومكن منظمة التحرير الفلسطينية إلى إعادة بناء قوتها الأمر الذي دفع القوات الإسرائيلية إلى اجتيح لبنان عام 78 ثم كان عام 82 والتي تمكنت فيه من كسر شوكة السنة في لبنان بإخراج الفلسطينيين المسلحين من لبنان وفي هذه اللحظة في لحظة انكسار السنة ولدت منظمة حزب الله الشيعية.
دشن حزب الله ميلاده بتوجيه ضربات للقوات الأمريكية والفرنسية التي دخلت لبنان لتعزيز الوجود الإسرائيلي أي أن وجود حزب الله وإعلام الناس بوجوده تم عن طريق الهجمات الانتحارية والهجوم المباشر والمباغت ولازالت هذه الخصائص تميز عمليات حزب الله وإستراتيجيته حتى الآن.وخلافًا لمعظم الأحزاب الإسلامية بدأ حزب الله كمقاومة سرية ضد الاحتلال قبل أن يعلن لاحقًا عن وجوده السياسي، بينما نشأت معظم الأحزاب الإسلامية الأخرى كمنظمات علنية أصبح لها لاحًقا ذراع عسكري - كما هو الحال على سبيل المثال مع كتائب عز الدين القسام في فلسطين المحتلة [الجناح العسكري لحركة حماس] - وهذا جعل أهداف الحزب دائما سرية ويشوبها الغموض حتى الآن.
أمر آخر يميز نشأة هذا الحزب هو الدور الأهم لإيران في تكوينه يقول نائب الأمين العام لحزب الله، قاسم نعيم: كان هناك مجموعة من المؤمنين... تفتحت أذهانهم على قاعدة عملية تركز على مسألة الولي الفقيه والانقياد له كقائد للأمة الإسلامية جمعاء، ولا يفصل بين مجموعاتها وبلدانها أي فاصل وذهبت هذه المجموعة المؤلفة من تسعة أشخاص إلى إيران ولقاء الإمام الخميني وعرضت عليه وجهة نظرها في تأسيس وتكوين الحزب اللبناني، فأيد هذا الأمر وبارك هذه الخطوات أي أن المجموعة المكونة للحزب أخذت الموافقة عليه من إيران قبل التكوين. وبعد انسحاب القوات الأمريكية والفرنسية من بيروت وتمركز الجيش الإسرائيلي في الجنوب اللبناني الذي أخذ يبحث عن من يقوم بدور حراسة حدوده الشمالية ومن يثق به في الطوائف اللبنانية فالمارون أثبتوا فشلهم وهو بالطبع لا يثق بالسنة لأنهم حليف طبيعي للفلسطينيين فلم يجد غير الشيعة ولذلك تنافس حزب الله وحركة أمل وهم أهم حركتين داخل الطائفة الشيعية على لعب هذا الدور وإثبات الكفاءة للإطلاع بهذه المهمة ومن هنا جاءت مذابح مخيمات صبرا وشاتلا في منتصف الثمانينات والتي قامت بها حركة أمل على أمل أن تعترف بها إسرائيل لقيادة الشيعة والتمركز في الجنوب لحماية الحدود ونظرا لعوامل كثيرة فإن إيران فضلت حزب الله ليقود

الشيعة ومن هنا انسحبت كوادر حركة أمل وانضمت إلى حزب الله ليشكل الطرف الأكثر ثقلا داخل الطائفة الشيعية.

ومع حسم المعركة داخل المعسكر الشيعي ازداد اعتماد الأطراف الخارجية المختلفة عليها لأنها البديل المقبول عن المارون لقيادة لبنان وجاءت حرب الخليج عام 1991 لتحسم سوريا الوضع في لبنان لصالحها بإشارة أمريكية كثمن للتحالف معها ضد العراق وكانت أواخر الثمانينات وبالتحديد عام 1989 قد شهد توقيع اتفاق الطائف والذي سلب بعض القوة من الطائفة المارونية ولكنه لم يدخل حيز التنفيذ إلا بعد أن سيطرت القوات السورية على جميع لبنان عام 1991 ومنذ ذلك الوقت شهد حزب الله تحولات كبيرة على صعيد صورته الإعلامية.فقبل عام 1991 وطوال عقد الثمانينات لم يخف الحزب صفته الإيرانية عن فكره تنظيمه وفكره فهذا تصريح لحسن نصر الله يقول فيه إنّ المرجعية الدينية هناك ـ في إيران ـ تشكل الغطاء الديني، والشرعي، لكفاحنا ونضالنا ويقول إبراهيم الأمين الناطق باسم حزب الله لصحيفة النهار بتاريخ الخامس من مارس عام 1987 نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران. ولكن بعد الطائف وازدياد اعتماد القوى الإقليمية سواء إسرائيل وسوريا وإيران على الحزب في تنفيذ إستراتيجيتهم في لبنان بدأ الحزب يحاول الانخراط في الحياة السياسية ويحاول إظهار نفسه باللون اللبناني واتخذ كذلك أشكالا عدة منها تغيير شعار العلم الخاص به من الثورة الإسلامية في لبنان إلى المقاومة الإسلامية في لبنان وشارك الحزب في الانتخابات وترأس الحزب في هذه المرحلة من هو أقدر على تنفيذ هذا المخطط وان يظهر بصورة المعتدل وليس المتطرف ومن هنا كان استبدال صبحي الطفيلي بحسن نصر الله.

ولم يأت عام 2000 إلا وسوريا والشيعة قد أحكما سيطرتهما على لبنان وحينئذ رأت إسرائيل أن تنسحب من لبنان بعد أن استقر الوضع في لبنان باحتلال حزب الله الجنوب وسيطرته على الحدود لتأمينها وفي نفس الوقت كان الوضع السياسي على ما يبدو في السطح مستقرا للسوريين ولكن لم ينتبه الكثيرون لدخول لاعب إقليمي جديد وهي إيران. وبقيت معضلة بالنسبة للحزب وحلفائه وهي المبرر للتمسك بسلاحه فاهتدى جميل السيد الشيعي وهو أحد أقطاب الأمن اللبناني الموالين لسوريا إلى وضع مزارع شبعا وأنها لازالت محتلة مع العلم بأن هذه المنطقة تنتمي حدوديا إلى سوريا.

ولكن التوازن في لبنان لا يتحقق كما أسلفنا إلا بوجود شرطين التوازن بين الطوائف وتوازن القوى الداعمة الإقليمية. فالسنة في لبنان شعروا بالغبن فهم الطرف الأكثر خسارة بعد انتهاء الحرب الأهلية وحصتهم في الحكم لا تتناسب مع نسبتهم من السكان ومع بروز زعامة رفيق الحريري الذي استطاع أن يفهم معادلات الساسة الإقليمية والدولية ويصعد لسلم رئاسة الوزراء بدعم سعودي تمكن الحريري من إعادة التوازن قليلا تجاه السنة وبعلاقاته طيبة مع المارون والدروز وغيرهما من الطوائف أدرك الحريري أن ميليشيا حزب الله هو العائق الكبير في سبيل استقلال لبنان لذلك استغل علاقاته الإقليمية والدولية للحد من نفوذ هذا الطرف في لبنان وانتهى الصراع بمقتل الحريري لتبدأ حقبة جديدة في تاريخ حزب الله وعلاقاته بالدولة اللبنانية.

في فترة ما بعد اغتيال الحريري تعرضت سوريا لضغوط دولية شديدة أدت إلى انسحابها العسكري من لبنان وجاء الدور على حزب الله ليدفع الثمن وهو نزع أنيابه أو أسلحته وكانت الإستراتيجية التي اتبعها الحزب لمقاومة هذه الضغوط ترتكز على عدة أسس :- تهديدات بمقاومة من يحاول نزع سلاح حزب الله. - تنظيم احتجاجات مضادة غمرت شوارع بيروت.- تعزيز العلاقات الإقليمية خاصة مع إيران وسوريا.- الدخول في مفاوضات سياسية مع قيادات الطوائف والزعامات السياسية الأخرى.

والأخيرة في دوافع حزب الله في حربه الأخيرة فهذه المفاوضات يبدو أنها كانت لا تسير في اتجاه يرضي طموح حزب الله وخاصة ما يتعلق بالثمن الذي يريده لكي يتخلى عن سلاحه ويبدو أن الحزب يريد دورا أكبر للطائفة الشيعية في لبنان مماثل لدورها في العراق وهو لم ترض به

الطوائف الأخرى ولعل هجومه على إسرائيل وإلحاقه الضرر بالمدن الإسرائيلية مكن الحزب من تطبيع الوضع الذي يريده والذي يسعى إليه في تركيبة الحكم اللبنانية وخاصة أن هذا الوضع سيكون مؤيدا دوليا وإقليميا كثمن لنزع سلاحه.

وتتحدث تقارير صحفية نشرت مؤخرا عن اجتماع جرى وبعد أسابيع من الحرب بين قيادات من حزب الله وأخرى من الحرس الثوري الإيراني وتم التباحث حول وضع خطة تهدف إلى جر الجيش اللبناني إلى معركة مكشوفة مع إسرائيل او مع ما يوصفون بالجماعات الأصولية المتطرفة بهدف تدمير هذا الجيش بحيث يسهل للضباط الموالين لحزب الله داخل هذا الجيش من فرض سيطرتهم عليه والقيام بما يشبه الانقلاب العسكري لدعم تحرك حزب الله للسيطرة على الدولة. وربما يندهش كثيرون من حقيقة أن هناك تعاوناً بين إيران والولايات المتحدة؛ وحقيقة العلاقة بين الطرفين هي ان الحقائق المغيبة هي التي تمثل حقيقة التفاهم الأمريكي الإيراني، وهنا لا ندعي لنظريات المؤامرة التي راجت لسنوات خلت الا إننا في هذا المجال وهذه القضية بالتحديد يمكن لنا فهم العلاقات الإيرانية الأمريكية في الخمسة والعشرين سنة الأخيرة من خلال قراءة كتاب [رهينة خميني] الذي ألفه [روبرت كارمن درايفوس] وهو باحث فرنسي متخصص في الشؤون الاستخبارية شغل في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات مدير قسم الشرق الأوسط في مجلة [أنتلجنس ريفيو]، وهذا الكتاب الذي تم تأليفه وطبعه في عام 1980م، ونسخه المتداولة قليلة جداً، ولا ندري لماذا لم يطبع مرة أخرى بعد ترجمته في أوائل الثمانينيات؟ الا انه بعد استعراض الأدلة الكثيرة يخلص الكتاب إلى أن إدارة الأمريكي الأسبق كارتر قد قامت بتعمد هادئ وتدبير مسبق خبيث على حد وصف المؤلف لمساعدة الحركة الإسلامية التي نظمت الإطاحة بشاه إيران، واشتركت إدارة كارتر في كل خطوة ابتداءً من الاستعدادات الدعائية إلى تجهيز الأسلحة والذخيرة، ومن الصفقات التي تمت خلف [الكواليس] مع الخونة في جيش الشاه إلى الإنذار النهائي الذي أعطي للزعيم المهزوم في يناير 1979م لمغادرة إيران.

ويمثل هذا فصلاً آخر من فصول الخيانة التي مارستها الدوائر الحاكمة في التاريخ السياسي للولايات المتحدة. وعند رصد التعاون الأمريكي الإيراني في السنوات الأخيرة لا يفوتنا التنسيق الجاد والهادف بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإيرانية حول أفغانستان وبالتأكيد في العراق ايضا. وهو ما لم ينفه الإيرانيون فحسب، بل أكَّدوه أيضاً. وبعدها طلب الطرف الإيراني من الطرف الأميركي علناً بأن يحفظ الجميل الإيراني لقاء الخدمات التي قدَّمها في رحلة احتلال أفغانستان التي وصلت إلى درجة توفير طائرات تنقل أنصار التحالف الشمالي ضد طالبان إلى خطوط الجبهة الأمامية.

كذلك عرفت إيران أنها لا تستطيع أن تغزو العراق وأن تفوز به، فتعين أن تقوم بهذا قوة أخرى. وكان عدم قيام الولايات المتحدة بغزو العراق واحتلاله في عام 1991م قد سبب خيبة أمل هائلة لإيران. والحقيقة أن السبب الأولي لعدم قيام الولايات المتحدة بغزو العراق آنذاك كان معرفتها بأن تدمير الجيش العراقي من شأنه أن يجعل من إيران القوة المهيمنة بين القوى المحلية في الخليج العربي. وكان من شأن غزو العراق أن يدمر توازن القوة العراقي ـ الإيراني الذي كان الأساس الوحيد لما اعتبر استقراراً في المنطقة. أما تدمير النظام العراقي فلم يكن من شأنه أن يجعل إيران آمنة فحسب، وإنما كان من شأنه أيضاً أن يفتح آفاقاً لتوسعها. فالخليج العربي ـ أولاً ـ مليء بالشيعة، وكثيرون منهم متوجهين صوب إيران لاعتبارات دينية.

فعلى سبيل المثال إن منشآت تحميل النفط السعودي تقع في منطقة غالبيتها الساحقة من الشيعة. وثانياً: ليست هناك ـ دون الجيش العراقي الذي يقف بالمرصاد لإيران ـ قوة عسكرية في المنطقة يمكنها أن توقف الإيرانيين والذين باستطاعتهم أن يصبحوا القوة المهيمنة في الخليج العربي.

أما في غزو العراق الأخير فقد سبقت الحرب جلسات ولقاءات سرية عقدت في عدة عواصم أوروبية بين ضباط إيرانيين ونظرائهم الأمريكيين كذلك عبر الضغط على حلفائها من الشيعة

العراقيين للتنسيق مع الولايات المتحدة. وتشير مصادر صحفية أن هناك مجالاً مفتوحاً للحوارات والجلسات السرية بين الولايات المتحدة وإيران بخصوص العراق والتي كانت تُعقد ويديرها رافسنجاني من إيران، والدكتور ولاياتي من الإمارات العربية المتحدة والسفارة الإيرانية في الكويت.

ولم تكن زلة موقف أن تطلب الإدارة الأميركية من الحكومة الإيرانية أن تكون وسيطاً مع مقتدى الصدر لمعالجة التداعيات في النجف وكربلاء. ووصل الغزل الأمريكي الإيراني في العراق إلى حد ما صرح به نائب المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية آدم إرلي الذي نفي فيها تورط إيران فيما يجري في العراق.

أمريكا وإيران تلتقيان على جامع مشترك هو الخلاص من أي مقاومة مسلحة سنية على الساحة العراقية، ويبقى أن طهران تريد:

1 - قناعة أميركية بدور إيراني سياسي وأمني في العراق.

2 - لا بأس من إلزام إيراني بجنوب العراق؛ حيث العناصر المؤثرة محلياً والاستخبارات الإيرانية فعالة هناك.

تشير التقارير الى ان أمريكا هي من أعطت الضوء الأخضر للنفوذ الإيراني، وهناك وثائق مرعبة، وبعضها سُلّمت للأمم المتحدة، ومنها مثلاً أن هناك ضباطاً إيرانيين يحققون مع المقاومة العراقية داخل معسكرات أمريكية. ولكن فجأة حدث توتر في العلاقات بين الحليفين الإيراني والأمريكي في العراق، وأعقبه اغتيال الدبلوماسي الإيراني في العراق؛ فما الذي حدث وأدى إلى هذا الخلاف؟

ان تحليل الدور الذي قام به أحمد الجلبي في العلاقات الإيرانية الأمريكية، والذي كشف عنه عديد من الصحف الأمريكية والغربية. التي تشير إلى أن الولايات المتحدة تعرضت للاستغلال من جانب إيران مستخدمة الجلبي أداة في ذلك لدفعها إلى غزو العراق، وكان المعنى الضمني لهذا أنه كان من شأن الولايات المتحدة أن تختار مساراً آخر لولا حملة المعلومات المغلوطة من الجلبي. ولكن للولايات المتحدة أسبابها الخاصة لغزو العراق، وان المصالح الأميركية والإيرانية لم تكن شديدة التباعد في هذه الحالة. حيث إن إستراتيجية إيران مع الولايات المتحدة تعتمد إنه إذا ما تعرضت الولايات المتحدة لمتاعب في العراق فإنها ستصبح معتمدة إلى أقصى درجة على الإيرانيين وحلفائهم الشيعة، وإذا ما هبّ الجنوب العراقي الشيعي فسيصبح مركز الولايات المتحدة حرجاً في العراق؛ لهذا استغلت ايران هذا الوضع لتضمن صعود النفوذ الشيعي صعوداً كبيراً قبل أن ينسحب الأميركيون. وكانت مهمة الجلبي أن يعطي للأميركيين مُسوّغاً للغزو، وهو ما فعله بحكاياته عن أسلحة الدمار الشامل، ومهمة أخرى كانت اكبر أهمية منها وهي حماية جانبين دقيقين من المعلومات لدى الأميركيين وهما:

الأول: كان عليه أن يحمي المدى الذي وصل إليه الإيرانيون في تنظيم الجنوب الشيعي في العراق.

الثاني: كان عليه أن يحمي أية معلومات عن خطط صدام حسين لشن حملة حرب عصابات بعد سقوط بغداد، وان هذين الأمرين دقيقان جدا وخافيين عن كثير من المحللين، وإذا أُخذا بجملتهما فسيكون من شأنهما أن يخلقا حالة الاعتماد الأميركية التي تمس حاجة الإيرانيين إليها.

بالنسبة للولايات المتحدة فإن لها سياسة معروفة تستخدم فيها خطوط الصدع بين أعداء محتملين لإحداث انقسام بينهم، فتتحالف مع الأضعف ضد الأقوى وإن خط الصدع في العالم الإسلامي هو بين السنة والشيعة، فالسنة المجموعة الأضخم بكثير عدديا من الشيعة، وانتهاجاً للإستراتيجية الكبرى الأميركية يذهب المنطق إلى أن حل المشكلة هو بالدخول في تحالف من نوع ما مع الشيعة، ومفتاح الدخول إلى الشيعة هو الدولة الشيعية الكبرى إيران.

لكن ثمة شيء واحد كان يعرفه الجلبي ولم يخبر الأميركيين به هو أن صدام حسين سيشن حرب عصابات. وبشأن هذه النقطة لا يوجد أي شك في أن البنتاغون قد فوجئ، والأمر أهمه

كثيراً. فلم يشارك الجلبي بمعلوماته المخابراتية التي كان الإيرانيون يملكونها بالتأكيد؛ وذلك لأن الإيرانيين أرادوا أن يغرق الأميركيون في حرب عصابات؛ اذ من شأن هذا أن يزيد الاعتماد الأميركي على الشيعة وعلى إيران، ويسرِّع برحيل الأميركيين.

كانت المخابرات الإيرانية قد توغلت بعمق في العراق. وكانت الاستعدادات لحرب العصابات واسعة للغاية. وكانت إيران تعرف، وكذلك الجلبي. مع ذلك كانت الولايات المتحدة ستغزو، إنما كان يمكنها أن تستعد على نحو أفضل عسكرياً وسياسياً. ولم يبلغ الجلبي البنتاغون بما كان يعرفه، وقد أدى هذا إلى جعل الحرب مختلفة بدرجة كبيرة.

ولكن الشيء الأخطر هو أن هذه اللعبة لم تَرُقْ لوكالة الاستخبارات المركزية التي كانت تفهم أن الجلبي لم يكن حقاً مصدراً بالمعنى التقليدي للكلمة إنما كان مخلباً جيو سياسياً، إلا أنها لم تتصل بوزارة الدفاع بهذا الشأن حتى تواجه هذه الوزارة في العراق المشاكل.

ومن هنا أدركت الولايات المتحدة مدى المستنقع الذي جرتها إليه إيران بواسطة الجلبي في العراق لتدفعها إلى مزيد من الاعتماد على الشيعة العراقيين ومن ثم إيران، ولعل إقالة [تينيت] مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في أعقاب هروب الجلبي إلى النجف ومساعده إلى إيران ومقتل مسئول الاستخبارات الإيرانية في العراق يصب في هذا الاتجاه.

ومن أجل ذلك بدأت الإدارة الأمريكية مراجعة سياستها تجاه الشيعة بعدم وضع البيض كله في سلتهم وأخذت في التحرك نحو أطراف سنية عراقية بقصد جذبها للعملية السياسية وإعطاءها نصيب أكبر في كعكة الحكم في العراق على حساب الشيعة وهذا يفسر التصادم الأمريكي مع جيش المهدي حتى ردت تقارير أمريكية إن الإدارة مستعدة لإعطاء بعثيين من غير صدام حسين الهدية المنتظرة وهي جدولة مواعيد الانسحاب الأمريكي من العراق.

وفي الاجتماع الأخير لوزراء خارجية دول الجوار للعراق في أوائل شهر تموز الماضي ووفقا لتقارير إخبارية تسربت من هذا الاجتماع فإن الوزير الإيراني بلغ رفقاءه العرب أن المسألة العراقية باتت خارج أيديهم وأن العراق بات منطقة نفوذ إيراني ولا دخل للعرب فيه بل ان إيران مستعدة لمساعدة العرب في قضيتهم الأساسية وهي فلسطين بدون أن تطلب لنفسها شيئا.

وخرج وزراء الخارجية العرب وهم في حالة ذهول من الذي جرى، وهذا يفسر الاندفاع الرسمي العربي لتحميل حزب الله مسئولية حرب لبنان. ولذلك سارعت إيران في التحرك محاولة إظهار أوراقها في لعبة الشد والجذب مع أمريكا فهناك النفط وخطوط نقله وهناك ورقة الانتحاريين الذي يمكن إرسالهم إلى دول مختلفة وإحداث المشاكل في هذه الدول وهناك أيضا أفغانستان وطائفة الهزارة الشيعية والصلة بين المخابرات الإيرانية وبعض زعماء الطاجيك وهناك أيضا شيعة الخليج والتأثير الإيراني عليهم وهناك الورقة العراقية وشيعة الجنوب بالإضافة إلى الورقة السورية فضلا عن الورقة الفلسطينية المتمثلة في دعم حماس بعد فوزها في الانتخابات وأخطر هذه الورقات على الإطلاق هي الورقة اللبنانية وحزب الله.

فأصبحت الولايات المتحدة الآن في مواقع الدفاع في الشرق الأوسط رغم جيوشها الضاربة في كل مكان... فأميركا تحتاج إلى الاستقرار في العراق، وإلى الاستقرار في لبنان، وإلى الاستقرار في الخليج. ويشير أكثر المراقبون بأن صفقة يمكن أن تتم بين الطرفين، وأن الخلاف هو حول الأولويات وحسب بعض التقارير الإخبارية فإن الإيرانيين يريدون صفقة شاملة من النووي وحتى التفاصيل الاقتصادية والسياسية في شرق إيران وغربها وجنوبها وشمالها والأميركيون يفضلون الاتفاق على المسائل واحدة بعد أخرى من العراق وإلى لبنان.

وقد أوردت مجلة الشراع اللبنانية أن هناك اجتماع سري عقد في جنيف في سويسرا قبل العملية التي شنها حزب الله بيومين وبالتحديد يوم الاثنين العاشر من حزيران 2006 وضم الاجتماع مسئولين إيرانيين وأمريكان. ويبدو أنه حدث عرض الأوراق لكل طرف على الطاولة وبعدها حاولت إيران إثبات جدية أوراقها فكانت الساحة اللبنانية خير مكان لطرح جدارة أوراقها

في سوق المساومة مع الولايات المتحدة ومن هنا نفهم الإصرار الأمريكي على نزع هذه الورقة الإيرانية بإصراره على مواصلة الحرب وحث إسرائيل على الضرب بقوة وحمايتها من أي تدخل دولي لوقف الحرب.

لذلك لم يكن الأمر من قبيل المصادفة أو الموافقة العرضية أن تبدأ إسرائيل وبتوجيه أمريكي حربها على لبنان، وتحديداً على حزب الله في لبنان، مع التحضيرات والاستعدادات الأمريكية في بغداد لضرب المليشيات الشيعية "الذراع الإيراني" في العراق، ضمن الخطة الأمنية الجديدة لبغداد في ضرب مراكز المقاومة في بغداد ككل، بعد فشل حكومة المالكي في نزع سلاح المليشيات خلال الشهرين الماضيين والإعلان عن مبادرة المصالحة الوطنية التي كان أحد بنودها حل المليشيات، فقد أعطى المالكي تفويضياً كاملاً للقوات الأمريكية لمعالجة ملف المليشيات، وإنهاء حالة الفوضى الأمنية التي تسود العاصمة بغداد بالإضافة إلى مدن الجنوب العراقي الذي تسيطر عليه هذه المليشيات.

ويبدو أن زيارة المالكي الأخيرة (التي تزامنت مع بداية العدوان الإسرائيلي على لبنان) إلى الولايات المتحدة ولقائه بالكونغرس الأمريكي، والتي كانت بخصوص معالجة ملف المليشيات قد نجحت، وكما يبدو بعد أن اختار المالكي أن يكون وفياً لمن أوصله إلى الحكم، وهم الأمريكان، فهو وحزبه بعد أن كانا طريدين لعقدين من الزمان خارج العراق إبان حكم صدام.

وقد كان التلويح بمصير حزب الله وما يواجهه من آلة الحرب الإسرائيلية، وبدعم أمريكي كامل والعزم على تفكيك بنيته التحتية ونزع سلاحه بالقوة. جاء القرار الأمريكي بإعادة نشر نحو5500 جنديا أمريكيا في بغداد، بالإضافة إلى جلب ما يقرب ستة آلاف جنديا وشرطيا عراقيا للقيام بعمليات مباشرة ضد أوكار ما يسمى بـ"فرق الموت" التابعة لمليشيا الصدر والحكيم، هذا بالإضافة إلى استعداد القوات البريطانية في الجنوب لمثل هذه المهام. وفعلاً، شنت القوات البريطانية عمليات ضد هذه المليشيات في الجنوب، وكذلك بدأت القوات الأمريكية بعمليات في بغداد، وكان آخرها محاصرة مدينة الصدر وقصفها وقتل وجرح العشرات.

وقد قال الجيش الأمريكي أمس إنه قتل واعتقل نحو441 من عناصر فرق الموت أو المرتبطين بهم وذلك في إطار خطة أمن بغداد الجديدة، لتأمين استقرار بغداد والحد من أعمال العنف المذهبية التي أدت إلى مقتل آلاف الأشخاص منذ بداية العام الحالي. وكانت المرحلة الأولى من الخطة الأمنية التي أطلقت في أيار 2006 وشارك فيها نحو أكثر من خمسين ألف جندي فشلت في الحد من أعمال العنف الطائفية والسيطرة على التفجيرات.

وقد اعتبر هذا بداية لمرحلة "كسر العظم" لهذه المليشيات على أيدي القوات الأمريكية، بعد أن عجزت أو"تراخت" الحكومة العراقية عن تحقيق ذلك، وهو ما يبدو تماشياً ضمن مخطط كسر الأذرع الإيرانية في كل من العراق ولبنان، وللضغط على إيران كما يبدو لتقديم ما يمكن من التنازلات بخصوص ملفها النووي ونفوذها المتنامي في المنطقة.

صحيح أن هناك تعانقا وتحالفا واضحا بين المشروعين (الأمريكي والإيراني) في المنطقة، وأن الإيرانيين قد تحالفوا مع الأمريكان لإسقاط النظامين "طالبان وصدام"، إلا أن هناك تباينا في الأهداف، وهذا الاختلاف جعل الإيرانيين وحلفاءهم (الأحزاب الشيعية الموالية لهم) وهم في نشوة النصر وتحقيق المكاسب التي ما كانوا يحلمون بها في العراق، يخرجون عن الحدود والخطوط الحمراء، من خلال الإضرار بأهداف ومصالح الحليف، وهو ما أزعج الأمريكان لدرجة أوصلتهم إلى اتخاذ قرار المواجهة المسلحة ومرحلة كسر العظم،

فلم يكتف الشيعة بالنفوذ السياسي والسيطرة على الحكم ولأول مره في تاريخ العراق، على حساب السنة، وإنما راحوا يمارسون سياسة الاستئصال الطائفي "للسنة" وبشكل بشع، مما عمق حالة عدم الاستقرار بسبب ردة الفعل من قبل بعض الجماعات السنية التي وجدت نفسها مضطرة للدفاع عن نفسها، الأمر الذي فاقم من سوء الحالة الأمنية، وهذا ما يعود بالسلب على وضع القوات الأمريكية على الأرض، وهو ما لم يكن يتوقعه الأمريكان من الحليف الشيعي، حيث إن

انزلاق البلاد في حرب أهلية طائفية "معلنة" شاملة, لا تخدم المشروع الأمريكي في العراق مطلقاً، ولا حتى في المنطقة حيث الأكثرية السنية، وهذا ما لم يفهمه او يدركه الشيعة الموالون لإيران، لأنهم ببساطة شديدة لديهم أجندة إيرانية يراد تحقيقها على حساب الأجندة العراقية والأمريكية على حد سواء؟

إن القراءة الإستراتيجية الدقيقة والمتأنية لمجريات الأحداث اليوم في العراق، تشير إلى أن: الشيعة خسروا مكانتهم كحليف موثوق للولايات المتحدة الأمريكية نتيجة نكرانهم لجميل "التحرير"، الذي أوصلهم إلى الحكم في العراق، والذي قابلوه بولاء إيراني منقطع النظير، والعمل على تحقيق الأهداف الإيرانية المتمثلة في تشكيل المحور الشيعي في المنطقة، والذي بدأ يهدد استقرار وهوية المنطقة بأكملها وظهور الميليشيات التي تعيث فساداً وقتلاً في الشارع العراقي.• وكذلك خسروا مكانتهم كطائفة دينية بسبب دورهم الخياني وتحالفهم مع العدو الكافر الغازي المحتل لبلاد المسلمين، وتخاذلهم في مقاومته ورفضه، وهو ما سيسجله التاريخ في صفحاته على تعاقب الأجيال.وكذلك تذمر ورفض قطاعات كبيرة من الشيعة للأحزاب الدينية التي احترقت سمعتها، وأصبح ذكرها مقرونا بفرق الموت والفساد الإداري وسرقة النفط وغياب البعد الوطني وتبعيتها لإيران.

وأمام كل هذه الحقائق والحيثيات، تبدو المواجهة المسلحة الحالية والقادمة، مؤكدة، بين الأحزاب الشيعية والجيش الأمريكي، الذي يستعد للقيام بعملية "كسر العظم" للذراع الإيراني في العراق، بعد أن كسره في لبنان من خلال ضرب حزب الله، وإضعاف تأثيره في المنطقة مستقبلاً. والحقيقة من ينظر بموضوعية شاملة انطلاقا من الحرص على مصالح العراق، سيجد أن الحد من بطش الميليشيات والتنظيمات التابعة لإيران، أصبح حاجة ملحة وضرورية لاستقرار البلاد من الناحية الأمنية والسياسية والاقتصادية، وكما هو معلوم اليوم أن نزع سلاح المليشيات وحلها "نهائياً" ومن غير رجعة، وتقليم أظافر الأحزاب الداعمة لها، ومن العوامل التي تساهم بشكل مباشر وكبير في إبعاد شبح التقسيم والحرب الأهلية في العراق.

حزب الله.... وظل الحرب

إذا كان مبدأ السياسة في السيطرة هو المعيار، فإن الحزب الجديد ذو القدرة على استخدام حق النقض للقرارات التي اتخذتها الحكومة اللبنانية قد يبدو قاطعا من هذا التفسير في القدرة على التحكم بزمام الأمور في الدولة اللبنانية. فبعد الاشتباكات التي وقعت في بيروت الغربية في شهر نيسان 2008، أعلن بعض المحللين بان حزب الله هو المنتصر في الأزمة الداخلية.

بعد ان صرح قادة حزب الله بان لديهم المزيد كي يفعلوه لضمان هذا النصر. وكما قال حسن نصر الله في 26 أيار2008، فإن المقياس الحقيقي لقدرة حزب الله لا يزال في قدرته على شن المقاومة المسلحة ضد إسرائيل. وقياس قدرات حزب الله تعول منذ فترة طويلة من التركيز عند المحللين العسكريين الإسرائيليين، ووسائل وتطوير الترسانة الصاروخية لحزب الله في صيف 2006 في الحرب مع إسرائيل والتي أثارت التساؤل من خارج المنطقة ايضا. وكان وابل القذائف التي ضربت عمق الأراضي الإسرائيلية، حتى في الأيام الأخيرة من الصراع ولمدة ثلاثة أسابيع قد غيرت المفاهيم الدولية حول هذا الحزب من مجموعة من التنظيم يركز بالدرجة الأولى على قدرات المتمردين والعصابات المسلحة الى قاعدة للمشاريع التي يمكن ان تستولي على السلطة ربما نيابة عن ايران، بالإضافة الى القاعدة اللبنانية الخارجة عن إرادتها.

لكن تفاصيل القدرات العسكرية الحالية لحزب الله لا تزال ناقصة، فعلى سبيل المثال، في تشرين الأول 2007 اعتمد تقرير للأمم المتحدة حول قدرات الحزب على الاستخبارات الإسرائيلية فقط، ويخلص الى ان حزب الله "أعاد تسليحه بالصواريخ في الى مستوى أعلى مما كان عليه عام 2006 قبل الحرب". والجديد "ان الصواريخ بعيدة المدى واللوازم اللاحقة بها من طراز zilzal - الإيرانية وصواريخ الفجر أصبحت لديه بالمئات، والتي تمكنها من الوصول الى تل أبيب والمزيد من مدن الجنوب".

وفي تقرير الأمين العام للأمم المتحدة بان كى مون في شباط 2008 المقدم الى مجلس الأمن بشأن هذه الحالة، لاحظ ان حزب الله "قد جدد قدراته العسكرية منذ حرب عام 2006" وأعرب عن قلقه من ان الحدود بين سوريا ولبنان لا تزال هشة من حيث التهريب. ولكن الأمين العام لاحظ ان التقارير الإسرائيلية حول تجدد النشاط العسكري لحزب الله في جنوب لبنان لم تؤيده قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام.

لكن التفاوض على وضع حد لحزب الله في المقاومة المسلحة يبدو عند قادة الجماعة إنها آخذة في رفض مناقشة نزع السلاح. والجهود الدولية الرامية الى نزع سلاح الحزب حتى ألان وحسب اتفاق الطائف في عام 1989 والذي مهد عن طريق التفاوض لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية في الآونة الأخيرة غير ذات جدوى منه، وهو ليس بحال أفضل من قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 1701 و1559 الذين سعيا الى وقف تدفق الأسلحة الى حزب الله.

من جانبه لا تزال قيادة حزب الله تسيطر على التفاصيل وهي في موضع لا جدال فيه ان توصف قدراتها بأكبر مما كانت قبل الحرب في منتصف 2007، وقد قال نصر الله ان حزبه التابع له يمتلك القدرة على "ضرب كل نقطة من النقاط في فلسطين المحتلة".

ومع ذلك فان إيجاد مصادر مستقلة لحزب الله وقد أثبتت صعوبة التقييمات العسكرية الغربية والتي تميل الى الموافقة الى ان حزب الله في الواقع يعتمد على تهريب الأسلحة الى لبنان من جانب ايران في انتهاك الحظر المفروض على توريد الأسلحة من قبل الأمم المتحدة. ووزارة الخارجية الأميركية تتهم ايران بتوفير الدعم العسكري واللوجستي والدعم المالي لحزب الله ولقائمة طويلة من الجماعات التي تصفها بالإرهابية. ووفقا لدراسة مركز لبحوث السلام في معهد ستوكهولم الدولي فان الجزء الأكبر من ترسانة حزب الله المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للسفن سطح / جو والصواريخ والمركبات الجوية غير المأهولة ذات منشأ إيراني.

ويعتقد الخبراء العسكريون الآخرون في المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية والذي يوجد مقره في لندن على سبيل المثال ان حزب الله استعاد دورته في إعادة ملء الوقود والذخيرة، ويحتفظ حزب الله حسب هذه التقديرات على ما يناهز بألفي رجل تحت السلاح أي بزيادة طفيفة عن عام 2007. اما الآن فان القدرات العسكرية لحزب الله قد تلقي بظلالها على الوسط السياسي. ولكن خبراء مكافحة الإرهاب يجعلون الحزب "كأقوى حركة سياسية واحدة في لبنان" بعد تأكيد بعض المحللين السياسيين والذين يعطون تقديرات بان مساعدات ايران لحزب الله تتجاوز 100 مليون دولار سنويا من المساعدات، بما فيها صواريخ مضادة للسفن والقذائف والصواريخ التي يمكن ان تستخدم ضد إسرائيل كما قدمت ايران التدريب الجماعي. وهناك وجود عسكري إيراني واضح في لبنان.

والسؤال الذي يطرح اليوم حول هذا الحزب وسر قوته وسر قادته وبخاصة الأمين العام للحزب فمن هو السيد حسن نصر الله؟ وكيف تحقق لنصر الله كزعيم حزب الله؟ وما هو دور نصر الله في الحكومة اللبنانية؟ وهل حاولت إسرائيل اغتيال نصر أ لله؟ وما هو راي نصر الله بالحركات المقاومة الأخرى؟

منذ عام 1992 كان السيد حسن نصر الله الزعيم الشيعي اللبناني من ضمن مجموعة حزب الله الإسلامية المسلحة. وهو ذات شعبية وشخصية سياسية بارزة في لبنان والعالم العربي وهو ذكي جدا وعميق التدين وكان القوة الدافعة وراء العمليات العسكرية الجارية لحزب الله حتى

هذا اليوم، فضلا عن مجموعة من التحركات في عالم السياسة. في أوائل أيار 2008 اخذ نصر الله وجماعته قدرا كبيرا من الاهتمام الدولي عندما قام حزب الله بالاستيلاء على الكثير من أحياء بيروت الغربية بعد معارك بسيطة حينما بدأت الحكومة اللبنانية باتخاذ التدابير ضد حزب الله وشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية الخاصة به.

ولد نصر الله في 1960 في شرق بيروت في حي برج حمود، وهو الأخ الأكبر لتسعة أطفال، وتطلع الى القيادة الدينية منذ سن مبكرة. في عام 1975 وعندما اندلعت الحرب الأهلية في لبنان انتقلت أسرة نصر الله الى القرية اللبنانية الجنوبية الباصورية القريبة من مدينة صور، وقد جذب نصر الله اهتمام واحد من رجال الدين الشيعة وشجعه على مواصلة جهوده في التعليم الديني الشرعي في الخارج. وفي السنة التالية وعند الانتهاء من الدراسة الثانوية، ذهب نصر الله الى الدراسة في مدارس النجف في العراق. وهناك قيل انه اجتمع لأول مرة مع عباس الموسوي.

في عام 1978 طرد العراق المئات من طلاب الدين اللبنانيين، وكان نصر الله والموسوي منهم واضطروا الى العودة الى لبنان. وهناك انشأ الموسوي مدرسة دينية درس فيها نصر الله وحصل على عدد من أتباعه من الشيعة، وكثيرا منهم من انضم الى نصر الله في تنظيم المقاومة المسلحة على الغزو الاسرائيلى في عام 1982. وهذه الجماعات المقاتلة تطورت في وقت قريب إلى حزب الله، وتميز نصرا لله بوصفه خبيرا وقائدا لحرب العصابات.

في عام 1987 وخلال بعض الهدوء في أعمال المقاومة استأنف نصر الله الدراسات الدينية في مدرسة في قم - ايران، ولكن عندما استئناف الأعمال الحربية في عام 1989 عاد الى لبنان. وبحلول ذلك الوقت، كانت هناك فتنة في الظهور بين قيادة حزب الله بين تلك التي يقودها الموسوي والداعي الى النفوذ السوري الأوسع في لبنان وتلك التي يقودها نصر الله ومن يعارض التورط السوري والدفع لصعوبة الخط ضد إسرائيل والولايات المتحدة. وجد نصر الله نفسه في الأقلية. وقيل انه في وقت لاحق من ذلك العام أعيد الى ايران ليكون بمثابة ممثل حزب الله في طهران في ما يقول الخبراء عن ذلك أنها محاولة لتهميشه.

في عام 1991، أصبح عباس الموسوي الأمين العام لحزب الله وعاد نصر الله الى لبنان وعلى ما يبدو بعد ان خفت وجهات نظره بشأن سوريا. وبعد اغتيال الموسوي من قبل القوات الإسرائيلية استعيض عنه بنصر الله كزعيم حزب الله. في كانون الأول 2007 ذكرت صحيفة الشرق الأوسط ومقرها في لندن وتسببت في ضجة عندما أذاعت خبرا حول أبلاغ المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي في ايران كان قد أمر نصر الله بتسليم السيطرة على الجناح العسكري لحزب الله الى نائبه الشيخ نعيم قاسم. ولكن حزب الله ووزارة الخارجية في ايران دحضا هذا التقرير.

وعندما أصبح نصر الله الأمين العام لحزب الله افتقر الى وثائق التفويض من أسلافه لكنه بعد ان أمضى سنوات طويلة في المدارس الدينية، وتعيينه في وظيفة فقد أفادت التقارير أن عدد قليل من المعارضة كان يواجهه داخل المنظمة. لكنه كان قد كسب الدعم الشعبي الواسع عن طريق الزراعة والرعاية الاجتماعية لإحدى الدور والتي وفرت شبكة من المدارس والمستوصفات والمساكن التي تقطنها الأغلبية الشيعية في أجزاء واسعة من لبنان.

في وقت انسحاب إسرائيل من لبنان ترأس نصر الله حزب الله. ورغم انه لا يمكن المطالبة بالائتمان الكامل للعمليات العسكرية التي شنها حزب الله، الا ان الحملة الدعائية الواسعة النطاق والتي انتصر فيها حزب الله الشيعي فيها، ساعد هذا الدعم الرأي العام الإسرائيلي تجاه لبنان من الاحتلال.

وتسبب انسحاب اسرائيل نصر الله الى ارتفاع شعبيته داخل لبنان وجميع أنحاء العالم العربي. وان كان حزب الله قد عقد له مقاعد في البرلمان في لبنان منذ أوائل التسعينات، الا ان هذا التقدير الجديد منح لنصر الله قدرا اكبر من رأس المال السياسي. وفي كانون الثاني 2004،

قام نصر الله بترتيب صفقة تبادل الأسرى مع اسرائيل مما سمح لإطلاق سراح اكثر من أربعمائة من الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين، وغيرهم من الأسرى العرب.

وفي الانتخابات البرلمانية لعام 2005 حصل حزب الله على مكاسب كبيرة وفاز باثنين من مقاعد مجلس الوزراء. وبعد ان انسحبتا سوريا وإسرائيل من لبنان، بدأ حزب الله "يعد نفسه ليكون في الموقف اللبناني كأشبه بالمنظمة القومية، وفي السنة التالية، تفاخر نصر الله بقوله"ما دام هناك من المقاتلين من هم مستعدين للاستشهاد، فسيبقى هذا البلد آمنا".

في تموز 2006 تجددت الهجمات الإسرائيلية على جنوب لبنان. ولمدة شهر كامل وخلالها أثنى الكثيرون في العالم العربي على نصر أ لله بحفاظه على المقاومة الشرسة ضد الجيش الإسرائيلي. وبعد انتهاء القتال، سعى نصر الله الى زيادة تعزيز سمعته محليا عن طريق المساعدة في إعادة بناء منازل اللبنانيين ممن قد شردوا في القتال. لكن نصر الله واجهه انتقادات من مجموعة من السياسيين اللبنانيين وقادة الدول في جميع أنحاء العالم والذين أعربوا عن مخاوفهم بشأن أنشطة حزب الله، والتي شملت الاستيلاء على جزء كبير من غرب بيروت في أيار 2008.

وعلى الرغم من أن زعيم حزب الله السيد نصرأ لله لا يعقد له مكتب رسمي في لبنان الا انه ينظر إليه باعتباره أعلى بكثير من أي مسئول في لبنان ويقول بعض الخبراء في الإرهاب بان نصر الله وحزب الله أصبحا ناشطين سياسيا على حد سواء مع التمثيل في البرلمان اللبناني ومجلس الوزراء. والهدف لحزب الله هو إقامة دولة إسلامية مستقلة في لبنان مع جعل نصر الله زعيما لها.

في 14 تموز 2006 دمرت الطائرات الحربية الإسرائيلية منزل نصر الله والمكاتب التابعة له. ووفقا لعدد من المسؤولين في حزب الله فان نصر الله قد اعتاد على المراوغة من التهديدات منذ طرده من العراق. وكان نصر الله قد تأثر تأثرا شديدا بوفاة الموسوي ودرس حياة ياسر عرفات آملا في تقليد الزعيم الفلسطيني في القدرة على الصمود أمام الاعتداءات الإسرائيلية.

وفي اب 2006 وفي مقابلة مع صحيفة نيويورك تايمز، قال قائد إسرائيلي كبير ان اسرائيل لا تزال ملتزمة بقتل نصر الله على الرغم من اتفاق وقف إطلاق النار مع لبنان.

الا ان ما يميز نصر الله هو انتقاده للحركات الإسلامية الأصولية الأخرى فقد قال نصر الله لمراسل صحيفة واشنطن بوست روبن رايت ان حركة طالبان هي "أسوأ واخطر شيء على النهضة الإسلامية " وندد بقطع رأس المقاول الأميركي نيكولاس بيرغ من جانب تنظيم القاعدة في العراق، قائلا "انه أمر غير مقبول هو محظور الإساءة الى الأبرياء ". ولكن عندما طلب من نصر الله رأيه حول التفجيرات الانتحارية في اسرائيل أوضح "أنها وسيلة أخرى للفلسطينيين للدفاع عن أنفسهم."

واليوم حزب الله مقنع بمزيج من مختلف أوجه السلطة. فهو جماعة إرهابية بحسب التصنيف الامريكي والأوربي، ونظامه يشبه العصابات المنظمة، وانه أقوى حركة سياسية موحدة في لبنان، وانه يقدم الخدمات الاجتماعية. وانه اكبر المنظمات القادرة على ان تفعل أشياء متعددة وبشكل فعال تماما.

في الأزمة الأخيرة هذه في لبنان حيث لم تستطع الحكومة اللبنانية من قمع حزب الله من خلال وقف منظومة الاتصالات الداخلية، الى درجة ان الناس بدؤوا يخشون من حرب أهلية أخرى الا ان حزب الله حاول دائما أن يصور نفسه لا سيما في آخر عشر الى خمس عشرة سنة بوصفه المنظمة اللبنانية التي ادعت أنها لا تحمل السلاح أبدا ضد إخوانهم اللبنانيين. وحين أراد حزب الله ان يعترف الناس بالسلطة الهائلة التي اكتسبها داخل الدولة اللبنانية استخدام القوة في ممارسته تلك.

ففي هذه الأزمة كانت الجهود التي بذلتها الحكومة لتفتيت حزب الله اكبر من محاولتها السيطرة على منظومة الاتصالات الداخلية، وهذا ما يراه حزب الله ان الحكومة دفعت به الى ابعد مما ينبغي، لذلك خاض معركة السلاح في شوارع بيروت وكانت النتيجة سريعة جدا وهو انتصار حزب الله. ولم يواجه الحزب من منظمة منافسة له في الشارع اكثر قوة من الجيش اللبناني، غير ان الجيش عرف انه سيخسر في حالة مواجهة الحزب فاتخذ موقف الحياد في ذلك الصراع رغم ما يمتلكه الحزب من عدم شعبية واسعة داخل صفوف الجيش.

في لبنان نظام سياسي اليوم يقوم على توزيع السلطة من قبل المجتمع، مع الحصول على كل شريحة المجتمع على وضيفتها بحسب الانتماء الديني. وكان ذلك على أساس تعداد السكان في عام 1932 والذي أعطى المسيحيين أغلبية طفيفة من البلد وفي المجتمع المسلم السني حيث المسلمين السنة هم الأغلبية، وما الى ذلك. ونحن نعلم ان تعداد السكان اليوم جعل المسيحيين ليسوا قريبين من الأغلبية في البلد والشيعة هم بالتأكيد اكثر عددا من أهل السنة وربما يزيدون قليلا عن 40 %.

السلطة والسياسة في الخليج العربي

الانسحاب الامريكي من العراق والاضطرابات داخل إيران، والقلق في الخليج العربي من مستقبل دول الخليج العربي، والعلاقة بين الولايات المتحدة وإيران جعل الكثيرين يطعنون في صناع السياسات في الولايات المتحدة.

وهذا ينطبق اليوم أكثر من أي وقت مضى على تاريخ المنطقة المعاصر وكيف سيكون تأثير استئناف الحوار المباشر مع العرب والمسلمين وكيف سيؤثر ذلك على السياسة الخارجية للولايات المتحدة وما سينذر انسحاب القوات الأمريكية من العراق ؟ حينما تكون للإدارة الأمريكية نظرة بعيدة، وافق التفكير في المنطقة ككل ستستطيع الولايات المتحدة والحلفاء معها من منع ايران من الحصول على السلاح النووي؟ بالرغم من التصريحات التي تجريها ايران والتي تبدو سليمة ولكنها في الوقت نفسه أنها متعصبة دينيا، والمتعصبين الدينيين ليس بالإمكان صدهم بكل بساطة.

في الديمقراطية الاتفاق غير ضروري، ولكن المشاركة هي كذلك لذلك فالولايات المتحدة تناقش اليوم القضايا العالمية الأكثر أهمية مع الجميع وحتى مع أعدائها للوصول الى القرارات الحاسمة. والأمريكيون الملهمون يودون تعلم المزيد عن العالم من خلال التمويل الأعظم لأكبر المؤسسات البحثية في العالم لتعزيز هذا المفهوم كمؤسسة كارنيجي في نيويورك، ومؤسسة ستار وشركة شل الدولية، والاتحاد الأوروبي بالتعاون مع وجامعة ديلاوير. الحديث بين السلطة والسياسة في الخليج العربي لا نستطيع التحدث عنه من دون الحديث عن الحرب في العراق بشكل واضح. هنالك اثنين من السبل الممكنة التي يمكن أن تذهب بالأمور الى اتجاهات مختلفة سواء نحو مزيد من التفكك، أو نحو دكتاتورية أخرى ولكن دكتاتورية ناعمة نراها الآن مع المالكي، وهو الرجل المسؤول عن الأحداث السابقة في العراق والذي كان يعتقد من قبل انه واهن. فقد تمكن من وضع الجيش في ظل الرقابة، وسيطر على دائرة الأمن، من خلال سيطرته على وحدة الكوماندوز الخاصة " وهي وحدة مكافحة الإرهاب"، وهي واحدة من أفضل الوحدات التي كانت قد جهزت ودربت من قبل القوات الخاصة الأمريكية في العراق والعديد من الأطراف الأخرى تخاف مما يعتبرونه نزعات ديكتاتورية. من ناحية أخرى، إذا خسر المالكي في

الانتخابات المقبلة، سيكون هناك ائتلافا هشا يتعين عليه تشكيل الحكومة منه، وحتى إذا تمكن من تشكيل الائتلاف المنقسم، فستكون بعض التحالفات عابرة للطائفية.

ولكن بيت القصيد هنا أن الناس في العراق يتوقون إلى الأمن، واعتقد أنهم لا يمانعون بصدام جديد ولكن بأسلحة أفضل. أود أن نتفق على أن المستقبل على الأرجح سيكون تحديده بما سيجري من تسوية سياسية عبر مباحثات ديمقراطية وهذه الديكتاتورية الناعمة سينتج عنها تنافر لبعض الناس، ومن الصعب جدا الحصول على اتفاق حول جميع الاختلافات التي سيتم تسويتها، بالدرجة الأولى عن طريق المناقشة السياسية وقد تكون هناك فوضى خلال تلك المباحثات. وإيران سيكون لديها الكثير لتفعله حيال ما يحدث في العراق، وذلك لأن قدرتها على الأذى ما زال واضحا، وبخاصة بين الشيعة. ويبدو لي ونحن نتحدث عن الانتخابات في العراق. انه بعد سنوات من الاحتلال الامريكي للعراق، لم يكن أحد ليظن أن نتحدث عن انتخابات ستؤدي الى زعامة نظام ديكتاتوري لين. الانتخابات ستنتهي في مرحلة ما، وأنها لن تحدث مرة أخرى، وستصبح هذه الانتخابات أساسا لمعظم البلدان في العالم العربي؟

ولا أعتقد بضرورة أن تكون هناك سلسلة متواصلة من الانتخابات كل أربع سنوات، أو أيا كانت الفترة التي سيختارها العراقيين، ولكن أعتقد أن هناك مثل هذا الحنين وهناك مثل هذا ألتوق للاستقرار من اجل فرض النظام. انه نوع من مثل ما حدث عند انهيار الاتحاد السوفيتي حيث حاولت الولايات المتحدة الترويج للديمقراطية في روسيا في التسعينيات وحصلت الفوضى وبدأ الناس هناك بالحنين الى النظام. والآن لديهم القيصر بوتين، المنتخب ولكنه أساسا أوتوقراطي من نوع ما. اعتقد انه يمكن رؤية نفس الشيء في العراق. فالناس لا يريدون تفجيره، وهناك من البدائل التي ستسبب بالمزيد من الموت مما كانت عليه في روسيا ما بعد السوفيتية. لذا إذا بقي الذي أدى لعبته بالشرطة وبالبطاقة العسكرية بقوة أكبر، وخاصة وأن القوات الأمريكية مغادرة مما سيؤدي الى نفوذ اقل على ما يفعله السياسي العراقي، وأعتقد أن الولايات المتحدة ستقبل أن يكون الحال كذلك على الرغم من تذمر الكثير من الطبقة المتوسطة التي تريد الديمقراطية بالشكل الذي يحلمون به. ولكن هل يمتلك العراقيون على نطاق واسع هذا الشعور حول الأمن أو سنصل إلى النقطة التي بدأ بتنفيذها العراقيون بتجاوز الولاءات القبلية التي ظهرت فعلا للمرة الأولى في هذه الانتخابات.

ولكن ما هي الأشياء التي سوف يحصلون عليها الأكراد والشيعة والسنة، وعرب الأهوار، والذين يتحدثون بالأحكام الوطنية، في مقابل الناحية الإقليمية؟

ما نراه هو ما يجري من تشكيل تحالفات عابرة للطائفية فقد تحالف الشيخ السني مع الحزب الشيعي، بينما كانوا قبل عامين يحدثون ثقوبا في رؤوس بعضهم بعضا وبذلك وبمعنى من المعاني، فهذا التقدم والكثير من هذه التحالفات لن يكتب لها النجاح. ولكن على الأقل يمكننا القول أن مبدأ التعامل العابر للطائفية وقد أنشئ الآن، وأعتقد أن معظمهم لا يريدون رؤية الحرب الأهلية المدنية تعود مرة أخرى. لكن السؤال المطروح هو ما هو نوع الحكومة القادرة على منع هذه الحرب؟ ... وإذا كنا نتحدث عن تأثير ما يحدث في العراق على الخليج العربي والكيفية التي ستلعب بها للولايات المتحدة والجندي الامريكي في المنطقة فإن السؤال هل يمتلك الاحتلال بالفعل القدرة على التحكم بالأمور والجواب هولا، فالولايات المتحدة ذاهبة لإنهاء هذه الحرب، وعندما ستذهب إلى إنهاء هذه الحرب، فماذا ستفعل إذا حل السلام؟ وماذا ستقدم من عمل بعد الخسائر التي منيت بها؟ وماذا ستفعل للنجاحات التي حققتها في محاولة لوضع شراكة دائمة مع العراق والتي يمكن أن تصبح دعامة حقيقية لمفاتيح السياسة الأمريكية في المنطقة، والقوة الحقيقية لكثير من الأمور التي تعد من مصالح الولايات المتحدة في المنطقة؟

أعتقد أن المشكلة الحقيقية هي أن الكثير من العراقيين لا يريدون رؤية وجود للولايات المتحدة في العراق بالرغم من وجود جماعات معارضة للحكومة الحالية ترى أن الولايات المتحدة الضامن لأمنها. لذلك أعتقد أن الأزمة الحقيقية للأمريكان هو في الذهاب والتحدث

للجماعات التي تقبل بطلب الولايات المتحدة ببقاء50000 جندي على ارض العراق. والوجود الأميركي ونفوذ الولايات المتحدة على مدى السنة المقبلة سيكون في اضمحلال، وهذه هي حقيقة من حقائق الحياة. قد يكون العراقيون يطالبون في الواقع، أن تكون القوات الأمريكية موجودة في العراق وخاصة مع حالة الأكراد. فالأكراد في الشمال يشعرون بقلق بالغ. فعندما كان صدام حسين في السلطة، كانت الولايات المتحدة الضامن لأمنهم، وبعد حرب التسعينيات أصبحوا مهتمين كثيرا بالوجود الأمريكي. ولكن السؤال هو: كيف سيعمل المالكي وحكومته على رد ذلك؟

اعتقد أن الأمر يعتمد في جزء منه على المعروض وهو الزعيم الشيعي لمنصب ، وانه سيكون هناك دوما رئيس وزراء شيعي. فالزعيم الشيعي يريد لنفسه بوصفه هذا، الشعور بالقوة ويحتمل أن تكون التيارات القومية والوطنية مضطرة للضغط من أجل التعزيز المتواصل لإلغاء ذلك، وهناك قادة شيعة يعتقدون بأنهم سيعترفون أنهم يريدون بعض القوات، ليس فقط للحفاظ على فقاعات المذهبية كما في الشمال، ولكن أيضا كنوع من الستار العازل ضد ايران، لان العراق لن يكون قريب لإيران. وهو في طريقه لأن يكون الوسيط بين الولايات المتحدة وإيران ولأنه سوف يكون شيعيا رائدا، فسيقبل ببضعة آلاف من القوات الأميركية.

وبهذا المعنى سيعطيه ذلك العزل القليل ضد ايران، وفي الوقت نفسه تخفيض الشعور بالتهديد الإيراني، والسماح للعراقيين بلعب الدور الذي يلعبه القادة الشيعة والأكراد العراقيين وهو الوسيط بين الولايات المتحدة وإيران، والوسيط بين الدول العربية السنية وإيران، لأن الشيعة هم أيضا من العرب. إيران النمر الورقي في الخليج العربي؟ استخدام الإيرانيون لهذا المصطلح، لكي تكون لهم القدرة على الأذى ومع حيازة السلاح النووي، فهم يتجهون لوضع فتيل سباق تسلح في المنطقة وهم معضلة للولايات المتحدة لكن الشعب الايرانى مرحب به بالأسلوب الغربي وأقرب بكثير الى ما لدى الغرب والولايات المتحدة، وله علاقات جيدة جدا مع الناس في الولايات المتحدة. والذين يعملون في الغرب منهم لهم وجهة نظر مختلفة تماما حول مساندة حماس وحزب الله، بل وحتى القاعدة سواء في العراق وطالبان في أفغانستان، والذين تسببوا بمقتل الجنود الأمريكيين وجنود الحلفاء. إنهم لاعبون على مدى التاريخ الطويل. وينبغي التحدث الى إيران لأنها ستكون لاعبا رئيسيا في منطقة الشرق الأوسط، بغض النظر عمن هو الحاكم أو الحكومة، لأنها ثقيلة الوزن. ليس في النفط حيث موارد النفط الهائلة والتنمية السكانية ومعظم الخبراء يعتقدون أن ايران قادرة على إنتاج لأسلحة النووية.

ولكن في النهاية إيران بلد شيعي في الشرق الأوسط الذي تسكنه أغلبية سنية. وإيران لا يمكن لها أن تسيطر على المنطقة. لكنها تستطيع في مجال المذهبية من إثارة المشاكل الدينية والعرقية. وأعتقد أن علينا أن نبحث في ذلك في هذا السياق واتخاذ قرار بشأن كيفية التعامل مع ايران. ما زالت ايران تشكل التهديد ي للمملكة العربية السعودية وفي بعض الأحيان كلاعب في العالم العربي وعملية السلام ودول الاعتدال في المنطقة لتخلق وضع غريب في توافق عام بين المصالح الصهيونية والسعودية؟ نعم، إلى حد ما.

ومع أن السعوديين يخشون ايران النووية وكذلك التدخل الإيراني في المنازعات ذات ألأصل العرقي فيها حيث الشيعة السعوديون يعيشون في المنطقة النفطية. وبالمثل في دول الخليج الأخرى كمملكة البحرين والإمارات ودول أخرى مما يخافها في المنطقة، وهكذا من ناحية ترى السعودية بالإضافة الى المصلحة المشتركة التي تمتد إلى الرغبة في أن تقوم إسرائيل بقصف ايران، لان مهاجمة ايران يفتح كل أنواع الاحتمالات السلبية. ليس لمجرد أنها ستغلق مابين جانبي مضيق هرمز، والتي من شأنها أن ترفع الأسعار النفطية. وربما كان السعوديون لا يمانعون في ذلك. ولكن مرة أخرى، تثير مسألة مضي ايران للتدخل بالطريقة الكاملة وإحداث المشاكل في دول الخليج وفي بقية المنطقة فاعتقد أنهم أكثر خوفا من ذلك مما هم عليه من عدم مهاجمة ايران. أن الإيرانيين هم شعب مستقل وإذا كان الشاه لا يزال في حكمه فسوف يرغب

بالسلاح النووي. وإذا أمكن للباكستانيين ذلك فيمكن أن يكون لهم، وإذا كانت الهند قد امتلكت أيضا فكذلك يمكن لهم. أما بالنسبة للسعوديين فإنهم لم يحاربوا للخروج من المشكلة.

تعتقد ايران انه ينبغي للسعوديين إيجاد طريقهم الخاص للخروج من المشاكل حيث إنهم دائما يشترون ذلك الطريق للخروج من مشاكلهم. ومشكلتهم هذه المرة ليست مجرد أن الشيعة أغلبية في المناطق المنتجة للنفط في المملكة العربية السعودية لكنهم في الواقع قلقون من إن غالبية الشيعة الموالين لإيران داخل تلك المناطق المنتجة للبترول في جميع دول الخليج العربي لذلك فهم قلقين للغاية حول النفوذ الإيراني. والنظر في مدى الاستثمار الإيراني في الخليج يؤكد على ذلك فعشرات المليارات من الدولارات والمشاكل التي ذهبت معها تحاول الحصول على القدرة على اكتساب أسلحة نووية، ومن ثم إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات سياسيا.

ومع ذلك، فإننا لا نستطيع أن ننسى أنه لا يزال هناك الكثير من الاضطراب داخل ايران. فالمعارضة لم تنته بعد والقيادة تنقسم على الرغم من إنهم أبناء الثورة ويقولون أنهم يريدون القدرة النووية السلمية بوضوح وأنهم مهتمين أكثر بالعلاقة مع بقية العالم. والواقع على العراق أن يظهر ككيان سياسي مستقر ومعقول وان عدم استقراره في حد ذاته هو محاولة لزعزعة استقرار جيرانه وهو في الوقت نفسه في غاية الإيجابية للتنمية في المنطقة.

من ناحية أخرى، فإن تشوه التوازن الذي نشأ حيث كان السعوديون يقدمون كأحد قطبي المعادلة، وكان الإيرانيون القطب آلاخر من المعادلة. فأصبح الآن لديك قطب ثالث وهو العراق. ولدى الولايات المتحدة نظرة بعيدة في التفكير في المنطقة ككل وما يزيد من احتمال أن تكون الولايات المتحدة قد تعثرت لسنوات عديدة تأتي في انغماسها في النزاعات الإقليمية؟ وما هو خطرا على إسرائيل؟ ثم العمل بذكاء على هذا الأساس لا يمكن معالجته بالإفراط أو التحركات سواء كانت محسوبة .

ايران بالفعل هي القوة القوية في الخليج العربي وتعلم الولايات المتحدة أن الإيرانيين في موقف رئيسي مع وضعها الراهن بالنسبة للقوات العسكرية لفرض سيطرتها على المنطقة، وكلما كانت الولايات المتحدة مستعدة للتعامل مع إيران، بالاعتراف بدور ايران، أو بالتفاوض مع إيران، كان رد فعلهم جعلها مكلفة من أجل الولايات المتحدة لتحقيق سياسة عدم الاعتراف. وهذا يعني لعب أوراقها ضد الولايات المتحدة بنجاح في لبنان في إسرائيل -- فلسطين، في العراق، وأفغانستان، وفي الخليج العربي والمناطق التي هي ذات فائدة أمنية وحيوية على الولايات المتحدة والدول الأخرى كروسيا والصين.

إن بلدان الخليج العربي يفضلون أساسا أن تنقل الولايات المتحدة المعدات العسكرية والاتصالات الى بلدانهم، أو أنهم لن يتجهوا الى جنب روسيا أو الصين، وأنهم سوف يقومون بكل شيء على أساس ما يتطلب هذه الحالة في هذا الوقت وهناك خطر في الذهاب الى جانب واحد وإنهم لا يرون انه يتعين على أنفسهم السماح ليكونوا جزءا من ذلك...

التغييرات في السياسة الخارجية الأميركية تجاه منطقة الخليج العربي كانت حين قدم الاحتلال خطابه التاريخي من القاهرة إلى العالم الإسلامي فقد عرض الاحتلال التفاوض المباشر مع إيران بعد الانتخابات الإيرانية ومن الواضح أنها قضية كبيرة حيث تحتاج الولايات المتحدة لإعادة بناء مصداقيتها من خلال الذهاب إلى العالم الإسلامي، والتحدث عن الكثير من القيم الأميركية والاحترام المتبادل، وهو أمر حاسم .

الإيرانيون فخورون للغاية بالتاريخ الذي لديهم فقد كانوا قوة عظمى وأنهم يبحثون عن نوعا من المساواة مع الولايات المتحدة في أي مفاوضات لكنهم خائفون من فكرة التفاوض مع الولايات المتحدة باعتبارهم الطرف الأضعف. لذلك فهم يريدون أن يكونوا على قدم المساواة وكشريك. في المفاوضات.وقد يقول البعض أن الاحتلال، كان أكثر من غيره من أسلافه، قد حاول أن يعطي نوعا من التقدير إلى إيران عن طريق التحدث باحترام للنظام مباشرة، وهو شيء لم يفعله سلفه ومد غصن الزيتون ما إلى إيران.

المهم هنا هو أن نلاحظ أن الإدارة الأمريكية كانت قد تحركت بسرعة كبيرة نحو تغيير الأجواء، وأنها قد نجحت إلى حد كبير من جانب واحد، لتغيير الأجواء والواقع الكثير من التغيير الذي حدث تراجع عن طريق العناصر المتشددة في الحكومة الإيرانية التي زورت الانتخابات الرئاسية وربما الأهم قمعت بوحشية واسعة النطاق حقوق الإنسان وقامت بانتهاكات للشعب الإيراني في أعقاب الانتخابات.اعتمدت الولايات المتحدة خلال عهد الاحتلال على الكثير من التركيز للتهديدات وكانت جميع الخيارات دوما على طاولة المفاوضات وفي ظل ظروف مبارزة رأينا بوضوح تام الحكومة الإيرانية تميل إلى الالتفاف حول المفاوضات ولكن بمجرد أن يكون هناك تهديد أو تصور بالتهديدات يتم تقليل الخلافات والنزاعات القائمة مع الحكومة الإيرانية

فمن القدرات والأنماط الماضية التي رأيناه حتى الآن هو أن الإيرانيين يبدو أن لديهم ما يكفي من المعلومات الاستخبارية في هذه المجالات التي يمكن استخدامها في الحرب ضد الولايات المتحدة .العراق بطبيعة الحال اكبر جار لإيران في العالم العربي فالدولة التي كانت تسمى بلاد فارس وكان العراق أو بابل منافسا استراتيجيا لإيران لمدة 3000 سنة. ومعظم المعارك الكبرى قد تمت على هذا الصعيد بين العراق وإيران وحتى هناك الإرث التاريخي لهذين البلدين لازال بالخلاف مع بعضه البعض، وبعد أن دفعوا ثمنا باهظا لعدم القدرة على العثور على قضية مشتركة بينهما أو الاتفاق.؟ وآخر مثال كانت الحرب العراقية الإيرانية التي أدت إلى مقتل أكثر من مليون شخص وسقوط ضحايا مدنيين من الجانبين.

هذه الحرب التي كانت الأكثر دموية بعد الحرب العالمية الثانية في تاريخ القرن العشرين وكانت مرئية في كل من العراق وإيران على أي شخص يذهب إلى هناك وعند القيام بزيارات خاصة لإيران سترى الكثير من الناس الذين يحملون ندبة من ألأسلحة الكيماوية التي استخدمت ضدهم من قبل قوات صدام حسين، وبالمناسبة كانت الأسلحة الكيميائية في كثير من الأحيان قد قدمت لصدام حسين من قبل الدول الغربية.

من وجهة النظر الإيرانية، إيجاد تحالف أو نوعا من الشراكة مع العراق الدولة العربية الوحيدة في المنطقة التي تتمتع بأغلبية كبيرة في عدد السكان الشيعة التي يمكن للعراق استخدام بعض هذه المتغيرات الإيديولوجية لإيجاد أرضية مشتركة يتم من أقصى المصالح الأمنية الوطنية من أجل تجنب أن تجد نفسها في حالة حرب مع هذا البلد بسبب التكلفة الهائلة التي من شأنها أن تلحق على إيران.البعض يجادل في أن إيران قد خسرت الفرصة للعثور على صداقة حقيقية مع العراق.

فقد تدخلت أكثر من اللازم، وحصلت على نفسها مكانة بالمشاركة في العملية السياسية بين الفصائل العراقية لتكون قادرة على أن ينظر إليها باعتبارها جارة حميدة للعراق الذي يبحث عن السلامة والرفاهية.آخرون يجادلون في أن إيران ليس لديها خيار آخر يمكن القيام به ويبدو أن توجه الإيرانيين هذا هو في تجنب الوضع في العراق الذي سيكون لديه حكومة مؤيدة لأمريكا وعدد قليل جدا من الاتصالات مع إيران والتي يبدو أن هذا هو السيناريو الكابوس بالنسبة للإيرانيين، لذلك فأنهم سيراهنون على كل فصيل ممكن داخل العراق ليكونوا قادرين على إقامة علاقات لائقة ولهم القدرة على التأثير على ضمان إذا كانت تخرج منتصرة في الاقتتال الداخلي العراقي أوفي نهاية العملية السياسية العراقية الداخلية مهما كانت الفصائل ستخرج على أعلى مما ينبغي أن تكون العلاقات جيدة مع طهران .

الخاتمة:

الحمد لله الذي جعل ملابس العلم الشريف للانسان افضل زينة وعلمه البيان ومنحه العقل والفكر والتميز وخصه بالفضل وحسن التقويم وبليغ اللسان .... منطق بالالفاظ الحسان.

لقد أصبح ما يسمى بإنهاء الحرب على العراق بمسؤولية ومن ثم إعادة التركيز على الاهتمام بحدود الشرق الأوسط وان الوقت قد حان كي تدرك الادارة والشعب الامريكي معرفة الحقيقة المؤلمة في أسباب وجودهم في العراق وأنهم لا يمكن ان يكونوا جزءا من الحل في الحرب الأهلية بين السنة والشيعة والعرب والأكراد وان هذا الوقت هو الأفضل بالنسبة لهم لمغادرة العراق بل واستغلال هذا الانسحاب ليكون أداة ضغط على الأحزاب السياسية لإيجاد الإمكانية للإصغاء للحل السياسي ونجاح العملية السياسية التي صاغتها الادارة السابقة . وان الطريق الوحيد لجعل الانسحاب الامريكي من العراق ليكون مؤثرا هو في ان يكون الهدف الأساس إزالة جميع العوائق أمام هذا الانسحاب.

ولابد اليوم من الاعتراف بالنسبة للجانب الامريكي ان القادة الحقيقيين العراقيين هم فقط من سيجلب السلام والاستقرار لبلادهم الى جانب تعزيز الجهود الدبلوماسية لصناعة النهاية لهذه الحرب وإنهاء معاناة العراقيين إذ ان صنع الاستقرار في العراق هو فقط من خلال العمل الشاق والمعقد لمعالجة كثير من المشاكل الإقليمية المحيطة بالعراق وهذه المشاكل ستكون اكثر خطورة على تغيير ديناميكية الاستقرار في العراق والتي ستسمح للعراقيين بالتركيز والتأثير على حلها.هناك بعض الأفكار الأولية حول ما جرى من قبل الحكومة العراقية لمجموع سكان بغداد من مئات الآلاف من العراقيين الذين فروا منها خلال التطهير الطائفي للفترة 2005-2007، ومعظمهم من السنة والذين فروا الى سوريا وإما الى الأردن، أو إلى أكثر المحافظات الغربية في العراق أمنا.

فمنذ البداية كان تقييم تأثير ما قامت به الحكومة الطائفية والتي نجحت جزئيا في تخويف الشيعة وأدت الى الفرار الجماعي في أحضان الكتلة الدينية الشيعية.وكانت على ما يبدو قد دفعت السنة والمؤيدين للعلمانية الى الذهاب الى ما سمي بالاتجاه الوطني في العراق. خلاصة القول، بالطبع، هو أنه على الرغم من الأمل الهش فهناك مساحات كبيرة من العراق ما زالت غير مستعدة للقبول بنتائج العملية السياسية التي صنعها الاحتلال.

فخط معركة تقسيم العرب والأكراد ما زال أحمر حار من أقصى الشمال الغربي لمحافظة ديالى، وبين الميليشيات المسلحة بما في ذلك البيشمركة الأكراد أو التي يقودها الشيعة كفيلق بدر وقوات مقتدى الصدر من هنا وهناك، والمجموعات الخاصة المدعومة من إيران والذين لا يزالون قادرين على استعراض عضلاتهم وبين السنة وبقايا الصحوة "أبناء العراق".

بعد شتاء طويل باء انتظار الاحتلال بالفشل فالكساد العظيم قد عزز في وول ستريت وصرف الانتباه بعيدا عن الحروب والنقاش حول قانون الرعاية الصحية لا يزال يذهب بعيدا، ومعنويات دعاة التقدمية المعارضة تصاعدت على الاحتلال .

هناك ثلاثة إصلاحات على الطريقة الأمريكية في حروب الولايات المتحدة تتمثل في إصلاح العمل العسكري وعلى الطريقة الأمريكية للحرب بحيث أنها لن تدوم لفترة أطول من الثورة الأميركية، والجمع بين مبادئ الحرب الأهلية والحرب العالمية الثانية.

أعضاء الكونغرس الذين يعارضون الوجود العسكري الامريكي في العراق منقسمين بشأن استراتيجيات فرض وقف التصعيد كجزء من محاولة لتأطير الحرب على العراق، ممثلة من تجمع من 70 كتلة خارج الكونغرس على الرغم من التهديدات المتزايدة لخطة الاحتلال لانسحاب تدريجي للقوات الأميركية من العراق بحلول عام 2012.

قبيل المناقشات التي دارت حول 33 مليار دولار لتمويل طلب الاحتلال وعلى 159 مليار دولار للعراق والواردة في الميزانية العسكرية المقترحة. فعلى الرغم من المعارضة الكبيرة بين الديمقراطيين لاقتراح الاحتلال فإنه من المستبعد أن الأموال سيتم رفضها الآن خاصة 33 مليار دولار في شكل تمويل غير الواضح حتى هذه اللحظة. لكن المعارضة تتوقع أن تلتف حول تدابير إستراتيجية للخروج والتي يجري التفكير فيها بشكل مشترك .

ولذلك فانه ليس بمستحيل على الإطلاق أن حركة تمرد جديدة يمكن أن تتطور (وستؤيد بلا شك من جانب جيران العراق العرب)، إذا كان هناك ما يكفي من السنة قد قرروا أن تقاوم نتائج الانتخابات في حين أن السياسيين العراقيين على عجلة القيادة فالمتوقع منهم التعامل مع هذا التهديد وقد حشدوا القوات في الشوارع أيضا.

ووفقا لصحيفة واشنطن بوست" فسيكون هناك رد فعل عنيف جدا. وسيكون هناك الكثير من العنف سوف يتم، والله وحده يعلم كيف سينتهي هذا الأمر". وبفعل الشعور القائم على نطاق واسع مع أن هناك مؤشر جيد واحدا هو أن الولايات المتحدة ستصر على انسحابها، وسحب من 96000 جندي إلى ٥٠٠٠٠ بحلول آب على أن يتبع ذلك انسحاب كامل بحلول نهاية عام 2011.

"الخطأ الذي حدث في العراق" كان في الوسائل المستخدمة مما بدا سبب الفشل يكمن في تنفيذ واشنطن وليس مع طموحاتها التي في غير محلها وراء سوء العدوان الامبريالي. المنظر كان لإرساء الديمقراطية ونصير وضع حقوق الإنسان وتعزيز الديمقراطية في صدارة جدول أعمال السياسة الخارجية الأمريكية. وساعد إدارة الاحتلال في سعيها إلى "تغيير النظام" في العراق. ولذلك فهو في وضع متميز ليحصل على دعم العديد من الليبراليين لهذا الغزو، والعراق يفتقر إلى الأكاديميين عموما ليتقبلوا الغزو باعتباره ضرورة لإرساء نجاح الديمقراطية. فعائدات النفط، خط حياة أي نظام عراقي، هي ذات سمعة سيئة لقدرتها على التركيز بدلا من أن تجعل السلطة ديمقراطية والبلد لا يوجد لديه تقليد لحكومة محدودة المسؤولية؛ والهوية الوطنية ضعيفة في مواجهة منافسة الولاءات الدينية أو العرقية والجيران الإقليميون سوف يفعلون ما بوسعهم لتقويض الحركات الديمقراطية مهما كانت موجودة والديمقراطيون أنفسهم تنعدم فيهم شخصية مثل نيلسون مانديلا أو كيم داي جونغ الذي يمكن أن تعطيهم القيادة. لقد كان واضحا منذ البداية أن الدعوة لتغيير النظام الديمقراطي هو جزء لا يتجزأ من لعبة السلطة من جانب واشنطن للسيطرة على الشرق الأوسط بأكمله، ومن اجل "الحرب على الإرهاب" وللسيطرة على سوق النفط الدولية، وإلى طمأنة إسرائيل. في ظل هذه الظروف لا يمكن لجهود التحول الديمقراطي تفسيرها بسهولة. المنظمات الليبرالية غير الحكومية والأفراد حريصون على توفير خدماتهم إلى جانب القوات العسكرية الأمريكية في العراق منذ ربيع عام 2003 وهؤلاء يشبهون الكهنة الذين رافقوا السيطرة الاسبانية لأمريكا اللاتينية في القرن السادس عشر. ومن المؤكد أن تلك الدروس كانت لإنقاذ نفوس أهالي البلاد من خلال نشر كلمة الرب، ولكن عمليا قاموا عن علم بخدمة مصالح الدولة المهيمنة الإسبانية كذلك. المهتمين في مجال تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان الذين تعاونوا مع واشنطن لانتزاع الإمبراطورية أبرمت اتفاقا مع الشيطان الذي سيأتي عليهم بالضرر. ففشل أميركا في إسقاط السلطة في العراق يكمن في فشل طموحاتها الليبرالية كما تعرض ما يزيد قليلا على ورقة التين عن وحشية الأمن القومي للولايات المتحدة.أن الخطر الأكبر الذي يواجه الولايات المتحدة لم يكن برامج الأسلحة لصدام حسين ولكن "المغالاة في التوسع الإمبراطوري والموجة العالمية من معاداة الولايات المتحدة". فالولايات المتحدة سوف ينظر إليها في جميع أنحاء العالمين العربي والإسلامي بعد غزو العراق أنها تريد السيطرة على النفط والهيمنة على المنطقة. وأن الاحتلال العسكري الأميركي للعراق " من شأنه أن يحول الجنود الأمريكيين من محررين الى محتلين".هناك فرق بين الخطأ الاستراتيجي و"العدوان الامبريالي" من اجل "السيطرة على الشرق الأوسط برمته" و"السيطرة على سوق النفط الدولية".

في هولاند - ميشيغان – صرح مؤسس بلاك ووتر - زي XE إريك برنس "إن قيم العمل الجاد والمسؤولية الشخصية لشركته في جميع أنحاء العالم قد حصلت على بعض المنتقدين على طول الطريق، وأنا موافق على ذلك".عاد برنس إلى مسقط رأسه في هولاند لإلقاء كلمة حول انتقاده للإنفاق الحكومي وقد لفتت زيارته بحفاوة بالغة من قبل أكثر من 700 مقاتل من عملاء شركته. وكان هذا الحدث، وهو جزء من مهرجان المدينة السنوي. وتقع هولاند، على بعد حوالي 30 ميلا إلى الغرب من غراند رابيدز، في مقاطعة ميشيغان الجمهورية التي ينتمي إليها معظم اليمين المحافظ. وموطن لكثير من السكان ذوي ألأصول الهولندية، وتعرف المنطقة بالقيم المحافظة وباليمين المتطرف. وعلى الرغم من أن 60 شخصا كانوا يحتجون خارج هذا اللقاء حول إجراءات بلاك ووتر - زي XE والتي مقرها في ولاية كارولينا الشمالية، والتي تسمى الآن زي للخدمات في العراق، وكان خطاب برنس مستوحاة منه. وفي وقت سابق من هذا العام، أفيد أن وزارة العدل تحقق في ما إذا كانت شركة بلاك ووتر - زي XE حاولت رشوة المسؤولين العراقيين للسماح للشركة بالاستمرار في العمل هناك بعد حادث إطلاق النار ومقتل 17 عراقيا من قبل حراس شركة بلاك ووتر - زي XE. وحضر هذا اللقاء السناتور مرشح الحزب الجمهوري وين كيبرز، والذي سيكون مرشحا لمقعد في الكونغرس وحضر الخطاب كذلك مرشح منصب الحاكم بيت هوكسترا، ودعا بعد ذلك إلى أن التحقيق الاتحادي له "دوافع سياسية".بدأت التحقيقات الاتحادية العديدة حول عمل بلاك ووتر - زي XE خلال إدارة جورج دبليو بوش. واتهم العديد من المديرين التنفيذيين السابقين للشركة، بما في ذلك رئيسها، وفي الشهر الماضي تم توجيه تهم حيازة أسلحة في منطقة ولاية كارولينا الشمالية الشرقية، والتي يشرف عليها وكيل نيابة عين في عهد إدارة بوش.

صعد برنس في العام الماضي دفاعه عن العمليات اليومية لشركة ألأمن الخاصة به، حيث قال "إننا هدفا سهلا للنقاد الليبراليين، واصفا هذه الاتهامات بأنها "كالدودة الشريطية" وان "بعضها أكثر من ضوضاء وتستند حياتهم الوظيفية على انتقادنا" وأضاف برنس "اكبر تهديد لحريتنا والازدهار ليست القاعدة وحركة طالبان أو إيران أو حتى الصين لكنها عدم المضي في طريقنا للخروج من مشاكلنا دون شد الحزام واسترداد إسقاط الحكومة المتضخمة جدا". ودافع إريك برنس عن بلاك ووتر - زي XE، وحذر من المخاطر الكبيرة على الحكومة حين قال برنس، أن عمليات شركة بلاك ووتر - زي XE في جميع أنحاء العالم، وانه بدأت الشركة باعتماد القيم التي تغرست فيه من قبل والديه، إدغار برنس بائع قطع غيار السيارات السابق. وقال إن شركته قامت بعمل جيد في حفظ آمن الشخصيات في العراق ولم يقتل أحد من كان تحت رعايتنا أو جرح"، ومن بين 40،000 من البعثات والموظفين في شركة بلاك ووتر - زي XE لم يطلق النار سوى 200 منهم كما قال.

تحدث زعيم بلاك ووتر عن العديد من بعثات بلاك ووتر - زي XE خارج العراق، بما في ذلك إنقاذ ثلاث طلاب في كانون الثاني 2008 من طلاب الجامعات المحاصرين خلال الصراع العنيف في كينيا وفي مساعدة الناس الذين تقطعت بهم السبل بعد الإعصار كاترينا.

وانتقد برنس الحكومة الاتحادية اليوم، مضيفا أن الولايات المتحدة تنفق أكثر من اللازم على دفاعها العام. ومضى يقول "نحن أمة تنزف من الديون الجافة، والتقاضي والتنظيم " وأشاد برنس بعد ذلك "إذا كان هناك المزيد من الناس مثله ومثل والده، فإن أمريكا لن تكون في عناء للتغلب على أعدائها.

وقال برنس "ما من محارب لم يتم تعريفه بأفضل من أفعاله، ومن قبل أعدائه" وحدد أعداء بلده بتنظيم القاعدة وحركة طالبان واليساريين الأمريكان الفوضويين. وخلال خطابه أشار "بان اكبر تهديد لحريتنا والازدهار ليست القاعدة وحركة طالبان أو إيران أو حتى الصين" وإنما عدم وجود الفكرة التي لا نستطيع أن نمضي في طريقنا للخروج من مشاكلنا دون شد الحزام وإسقاط الحكومة المتضخمة جدا".

حيث ادعى أن قوات بلاك ووتر - زي XE لديها "دعوة من حلف شمال الأطلسي والمشاركة في الغارات الجوية"، واقترح إرسال المقاولين المسلحين إلى اليمن والصومال والسعودية ونيجيريا، وأعرب عن ازدراءه لاتفاقية جنيف، ووصف الذين يقاتلون الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان وباكستان "بالبرابرة" ووفقا للصحفيين الذين حضروا هذا الحدث فانه أشاد "بكل فخر ببلاك ووتر - زي XE" عندما قال أن قواته لا تزال تدرب أفراد الأمن في دول مثل الأردن ومصر وباكستان.

شركة بلاك ووتر - زي XE، وبرنس في وقت بدا على انه مؤسس الشركة إلا أن الذي يمولها هو الملياردير جورج سوروس، والتي هي السبيل الوحيد الآن كما يقول برنس "للحفاظ على هذه القيم وعلى قيد الحياة لتمرير لهم لأطفالنا وأحفادنا".

انتقد برنس واشنطن وإنفاقها الحكومي المفرط ومنح العديد من العقود دون أن يكون لشركة بلاك ووتر - زي XE – أي عقد منها بينما كانت المستفيد الأول من عقود حكومية تصل قيمتها إلى أكثر من 1 مليار دولار، دون تقديم عطاءات تنافسية.

ووفقا لهنري واكسمان عضو مجلس النواب، رئيس لجنة مجلس النواب التي حققت عن شركة بلاك ووتر - زي XE وموظفيها أن هناك قواعد خاصة بها أكثر نحو ست مرات من المواقع العسكرية وتكلف الحكومة الأمريكية حوالي 1222 $ في اليوم الواحد.

كما لم يتحدث برنس عن كيفية أن الشركة جاءت إلى دائرة الضوء بعد أن اتهم الموظفين في بلاك ووتر - زي XE بقتل مدنيين عراقيين أبرياء. بل انه ذهب إلى التركيز على القيم محلية، واستخدم برنس الكثير من خطابه لتبرير بلاك ووتر - زي XE ونظام السوق الحرة والمنظمات العسكرية المخصخصة.

إن فكرة فتح الولايات المتحدة للتدريب العسكري الخاص جاء أثناء سفر برنس مع البحرية. حيث فتحت شركة بلاك ووتر - زي XE في ولاية كارولينا الشمالية وبدأت الشركة في وقت لاحق بتعيين الأفراد السابقين من القوات البحرية والقوات الخاصة من الدول ألأخرى إلى العمل الأمني في العراق.

الآن، يعتقد برنس أن مثل هذا العمل هو المفتاح لحفظ أميركا قوية. حيث قال "انه بعد كل شيء، فان الإمبراطورية الرومانية سقطت لأنها لم تستطع أن تدفع رواتب جنودها وانتقد بهذا الإنفاق الاتحادي والدين الوطني.

لكن حينما نعلم أن الدور الرئيسي على ما يبدو كانت للقوات الخاصة الأمريكية التي شاركت في إلقاء القبض على شهزاد فيصل منفذ محاولة تفجير سيارة في نيويورك؟ وهي القوات الخاصة التي تعود قيادتها إلى برنس يثير السؤال التالي: إلى أي مدى تعمل هذه القوات الخاصة الأمريكية بزعامة برنس ويسمح لها لتعمل على الأراضي الأمريكية في عهد الرئيس أوباما؟

في العقود المقبلة، فإن التهديدات وألاكثر تدميرا لأمن الولايات المتحدة هي التي ستحول المدن إلى أنقاض بعد وقوع أي هجوم "إرهابي" والتي من المرجح أن تصدر عن الدول التي لا تستطيع أن تحكم نفسها بشكل كاف أو تقوم بتأمين أراضيها. والتعامل مع مثل هذه الدول المكسورة أو الفاشلة هي، في نواح كثيرة، سيعد التحدي الأمني الرئيسي في عصرنا. لكن وزارة الدفاع والحكومة الأمريكية بالكامل ستشكل أيضا تحديا معقدا على النطاق المؤسسي. فليس من المرجح أن تقوم الولايات المتحدة بتكرار مهمات جديدة على مقياس تلك الموجودة في أفغانستان أو العراق في أي وقت قريب في الإكراه على تغيير النظام ثم بناء أمة جديدة تحت النار.

ولكن مع وزير الدفاع في البنتاغون والذي استمر في منصبه لأربع سنوات، فإن الولايات المتحدة لا تزال تواجه السيناريوهات التي تتطلب مجموعة من الأدوات للقدرات المألوفة، وإن كان على نطاق أصغر. في هذه الحالات، فإن فعالية ومصداقية الولايات المتحدة لا يجب أن تكون إلا جيدة في الفعالية والمصداقية، والاستدامة مع شركائها المحليين.

وهذا يتطلب إستراتيجية واقعية بأن تقوم حكومة الولايات المتحدة في الحصول على أفضل ما يمكن أن يطلق عليه "بناء القدرات للشريك" ومساعدة الدول الأخرى للدفاع عن أنفسهم، أو، إذا لزم الأمر، القتال إلى جانب القوات الأمريكية من خلال تزويدهم بالمعدات والتدريب، أو غيرها من أشكال المساعدة الأمنية.

هذا شيء كانت الولايات المتحدة تقوم به في طرق مختلفة لنحو ثلاثة أرباع قرن من الزمان. ويعود إلى فترة ما قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، عندما قال ونستون تشرشل مقولته الشهيرة: "أعطونا الأدوات، وسوف ننهي المهمة". فمن خلال برنامج الإعارة والتأجير، أرسلت الولايات المتحدة نحو 31 مليار دولار من اللوازم الحربية سنويا في 1940 إلى المملكة المتحدة خلال مسار الحرب. وتجاوزت المساعدات الأميركية للاتحاد السوفيتي خلال تلك السنوات 11 مليار دولار، بما في ذلك مئات الآلاف من الشاحنات وآلاف من الدبابات والطائرات وقطع المدفعية. وكان بناء الجيش وقوات الأمن للحلفاء الرئيسيين والشركاء المحليين أيضا عنصرا رئيسيا في إستراتيجية الولايات المتحدة في الحرب الباردة، أولا في أوروبا الغربية، ثم في اليونان وكوريا الجنوبية، وغيرها. وكانت أحدى المبادئ الرئيسية لإستراتيجية الرئيس ريتشارد نيكسون لشؤون الأمن القومي، وكانت تسمى "عقيدة نيكسون"، هي استخدام المساعدة العسكرية والاقتصادية لمساعدة شركاء الولايات المتحدة وحلفائها في مقاومة التمرد السوفيتي من دون استخدام القوات الأمريكية في هذا النوع من التدخلات العسكرية والتي أثبتت أنها مكلفة جدا ومثيرة للجدل كما في كوريا وفيتنام.

واليوم فإن قوات الأمن العراقية ما زالت تعاني من نواقص واضحة في مجالات الخدمات اللوجستية، والطاقة والمخابرات والدعم الجوي، ومراقبة الحدود. وفي ضوء أوجه القصور هذه، ومن الممكن أن يطلب القادة العراقيين المساعدة الأمنية التي تتجاوز نطاق إطار الربط الحالية لتشمل السيطرة على المجال الجوي والمساعدة على الحدود، والدفاع عن المنشآت النفطية البحرية الحيوية، وإجراء عمليات مكافحة الإرهاب. وبموجب شروط اتفاق الضمان، فأي من هذه الطلبات للحصول على المساعدة يجب أن تكون بمبادرة من الحكومة العراقية، وليس من الولايات المتحدة. وإذا صدر هذا الطلب من العراق فيجب على إدارة أوباما إعطائها دراسة واسعة، لتحقيق التوازن في أي من الالتزامات المستقبلية المحتملة مع غيرها من مخاوف ضغط الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم والنظر في الآثار المحتملة للتطرف لاستمرار الوجود الأمريكي ومن شأن هذا أن يستبعد الالتزام الأمريكي على غرار الالتزام العسكري لكوريا الجنوبية أو في إنشاء قواعد عسكرية دائمة، والتي ستكون لعنة على الثقافة السياسية العراقية الناشئة والحكمة في ضوء الحقائق الراهنة في منطقة الشرق الأوسط. وبدلا من ذلك، ستقتصر هذه المهمة على المشورة المؤقتة والمساعدة، والدعم، وكلها ستتوقف على الاكتفاء لقوى الأمن الداخلي الذاتي كحد أدنى، ومثل هذه المهمة ستتطلب الموافقة من مكتب التعاون الأمني والذي مقره في السفارة الأمريكية، والذي من شأنه أن يكون مشابها لغيره من ترتيبات واشنطن في العواصم الإقليمية الأخرى، حيث فرق الموظفين أقل من 1000 من العسكريين النظاميين لإدارة المبيعات العسكرية الأجنبية، ولتدريب البرامج المحدودة.

لقد كتب الكثير عن الأشهر التي تلت غزو العراق في عام 2003، عندما رأى المتفائلون أن آمالهم قد خابت بديمقراطية جديدة من خلال العنف والفوضى.

المشكلة أن اغلب المؤلفين حول هذا الموضوع يشيرون بشكل مباشر إلى أن الفشل في عملية الغزو هذه تعود إلى قلة الخطط الموضوعة قبل الغزو لما بعد الحرب ولم يشر هؤلاء إلى بأي شكل من الأشكال إلى أن جوهر هذا الصراع وفشله يكمن في حقيقة مشروعيته والأخلاقيات التي أدت إلى الغزو.

ولعل نشر " الديمقراطية" قد جعل لهؤلاء يبررون بشكل كبير جميع الأفعال الدموية التي حدثت بعد ذلك ويرجعون الفشل إلى التطبيق الذي اسند إلى مكتب "إعادة الأعمار والمساعدات الإنسانية" بقيادة جاي جارنر، والذي افتقر إلى الموظفين والموارد والسلطة.

ثم، الفشل الذي منيت به سلطة التحالف المؤقتة برئاسة بول بريمر والتي تنفر العراقيون منها بعد ستة أشهر واضطرت إلى العمل بأسرع وقت ممكن لإعادة السلطة إلى حكومة عراقية. مع ما ارتكبت من أخطاء خاصة بها، كموقفها من حل الجيش العراقي السابق وتجاه المسؤوليات ما بعد الحرب. ومن عدم وجود خطط لإقامة أنظمة حكم متماسكة، وتوفير الأمن، أو استعادة الخدمات العامة.

لقد أثبتت الأشهر الماضية أن مستويات العنف المتبقية على مسار شامل "إيجابية" حتى أثناء اللحظات الانتقالية الحرجة والمتوترة. وعلى الرغم من أن بغداد شهدت سلسلة من الهجمات المذهلة في الصيف والخريف التي استهدفت رموز الحكومة، لكن الفترة الحساسة من الحملة الانتخابية، والتصويت، وفرز الأصوات لم ير مثل هذه الهجمات المدمرة أو المنسقة من نشاط المتمردين. وهذا جدير بالملاحظة بشكل خاص، حيث يأتي في وقت كانت فيه قوات الأمن العراقية قد اتخذت مزيدا من المسؤولية حينما يتم اتخاذ المعارضين في العراق والذين تحركهم دوافع خاصة لتقويض العملية السياسية من خلال تنفيذ هجمات كبيرة.

هناك عدد كبير من صانعي السياسة الأميركية متفقون مع ملاحظة هنري فورد الشهيرة بأن "التاريخ هو كلام فارغ" مستندين بشكل قوي على النظريات والافتراضات المستمدة من التخصصات مثل الاقتصاد والعلوم السياسية.

ولكن الجاهل للحقائق إلى حد كبير على أرض الواقع، يجعله مرارا وتكرارا يظن أن الأميركيين في مأزق عندما يضع نظرية يجتمع فيه التطبيق العملي كبداية للقتال.

لقد جمعت مقالات عن الانسحابات العسكرية في الماضي وعلى المهام التي تواجه الأميركيين وتصميمهم للخروج من العراق. كمقال حول انسحاب بريطانيا العظمى من المستعمرات بعد هزيمتها في الحرب الثورية الأميركية لدراسة فك الارتباط، والمساهمات التي توفر مجموعة متنوعة من وجهات النظر المفيدة والمثيرة للمشاكل المعقدة التي ينطوي عليها الانسحاب بشكل منظم.

ومقال حول انسحاب بريطانيا أيضا من فلسطين عام 1948 وكيف استطاعت بريطانيا من ترك قوات مدربة ومسلحة بشكل جيد للقيام بسد الفراغ خلفها والتي أدت فيما بعد إلى قيام دولة صهيونية وعنصرية في فلسطين.

أو مثل الانسحاب البريطاني من شرق السويس والخليج العربي في نهاية العقد السادس من القرن الماضي والترتيبات التي وضعتها بريطانيا قبل الانسحاب.

وسيكون الانسحاب الأمريكي المهين من فيتنام حاضرا كذلك بكل تأكيد ولا ننسى المشاهد التي كان أفراد الجيش الأمريكي أبطالها عند الانسحاب من السفارة الأمريكية في هوشي منه وكانتون ماثلة كذلك في خلد اغلب المخططين لهذا الانسحاب.

كل تلك المقالات التاريخية ستقود بشكل مؤكد إلى أن الانسحاب الأمريكي من العراق سيتلخص بأفضل توافق للآراء هنا وهو: انسحاب بطيء ومتأن للقوات الأمريكية سيكون أفضل عمل، رغم عدم وجود ضمانات لنجاحه.

الرأي العام الأميركي هو أقل قلقا إزاء السياسة الخارجية مما كان عليه قبل أربع سنوات، ويرجع ذلك جزئيا إلى أنهم يعتقدون أن صورتهم العالمية قد تحسنت، وكذلك يرجع ذلك جزئيا إلى الاقتصاد المضطرب والمخاوف المحلية الأخرى التي تدفع المخاوف الخارجية جانبا، وفقا لاستطلاعات التي قامت بها الخارجية الأميركية.

قبل عامين، اعتبر العراق المشكلة رقم واحد التي تواجه الأمة الأمريكية في تعاملها مع بقية العالم، ولا يزال العراق وأفغانستان باعتبارها واحدة من أهم خمس مشكلات في السياسة الخارجية التي تواجهها الحكومة الأمريكية. ومعظم الأميركيين لا يزالون يرون العالم كمكان، فيه الكثير من الأحيان الغدر والعدوانية.

بعد عقد الانتخابات البرلمانية يوم 7 آذار وبعد فترة طويلة من فرز الأصوات، سيتركز على العراقيين عملية شاقة لتشكيل الحكومة.

تطور الدراما العراقية هذه والقوات العسكرية الأمريكية تستعد لإعادة الانتشار وفقا للاتفاق الأمني بين الولايات المتحدة والعراق في تشرين الثاني 2008 والجدول الزمني لباراك أوباما والذي أعلن عن الانسحاب. فسيكون هناك انسحاب وشيك من 96،000 إلى 50،000 جندي والى انسحاب كلي في 1 كانون الثاني 2012 فستحتاج الولايات المتحدة إلى تأجيل متزايد لأنها ستملي للعراقيين مستقبلهم.

وهذا، بدوره، يتطلب أن تقوم قوات الأمن العراقية (قوى الأمن الداخلي) بمواصلة تنميتها. وزيادة الكفاءة لقوى الأمن الداخلي، على الرغم من إن العراقيين سوف يستمرون في تحمل العنف الخطير في السنوات المقبلة، ولم يعد هناك تمرد واسع النطاق التي تشكل تهديدا استراتيجيا للعملية السياسية أو الحكومة.

خلال العام الماضي، خفضت الولايات المتحدة أكثر من 40000 جندي في حين تحولت السيطرة على المراكز السكانية العراقية لقوى الأمن الداخلي. في أيلول 2009، ذكرت وزارة الدفاع أن الجيش العراقي يتكون من 189 كتيبة مقاتلة، وهي في معظمها مؤهلة "في المقدمة" لأغراض إجراء العمليات.

وقد حققت عدد قليل نسبيا من تلك الكتائب تقييم الجاهزية التشغيلية (أورا) المستوى 1، وهي الوحدات التي تؤمن الخدمات اللوجستية والقادرة على العمل بشكل مستقل تماما. وحققت الغالبية العظمى من هذه الكتائب (أورا) المستوى 2، والتي تمكن في قدرتها على التخطيط والتنفيذ، ومواصلة عمليات مكافحة التمرد مع مساعدة الولايات المتحدة.

وإذا أخذت وجهة نظر الموضوعية ألأكثر للبيئة السياسية الحالية في تقييم التقدم في قوى الأمن الداخلي بشكل عام، فبعض المعلقين في الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة يدعون إدارة أوباما إلى إعادة النظر في الجدول الزمني لها، ويشيرون إلى أن تنفيذها سيؤدي إلى زعزعة الاستقرار في العراق في لحظة من الضعف.

ولكن هذه النظرة الواقعية للمأزق العراقي الحالي الهدف منها أن تصف الواقع لواشنطن لكي تسعى إلى إلغاء الالتزامات بشان انسحابها وهي تشير بذلك إلى أن الاحتلال قد يمدد مرة أخرى وسيبحث على جدول الأعمال وهذا من شأنه تعزيز الأمن ولكن ليس إلى تقويض الحكومة العراقية ويحفز خطر تجدد العنف.

وببساطة ليس هناك مجال سياسي لمثل هذا الاحتمال. وعلاوة على ذلك، فإن هؤلاء المعلقين يسيئون فهم دور القوات الأمريكية المستقبلية في العراق، والتي تركز على التدريب وتقديم المشورة، ومساعدة قوى الأمن الداخلي وهي المهام التي يمكن أن يتم منح الاستقلال لقوى الأمن الداخلي المتزايد، من قبل القوات الأمريكية المتبقية. وكان عرض قوى الأمن الداخلي الاستقلالي خلال الانتخابات الأخيرة، عندما أخذت زمام المبادرة في توفير الأمن وأنها لا تحتاج أي مساعدة غير مخطط لها من الولايات المتحدة. ولعبت القوات الأمريكية دورا داعما ولا يعتمد على أعداد كبيرة من العسكريين الأميركيين.

وفي المستقبل، فان نشر القوات الأمريكية (المتمركزة في شمال العراق على طول الحدود الداخلية المتنازع عليها من قبل العرب والأكراد) سوف لن تعتمد على أعداد كبيرة من القوات. وبموجب الخطط الحالية، وسوف تشمل تلك القوات اثنين من ألوية المشورة والمساعدة التي تشكل حوالي 7،000-8000 من القوات.

قائد القوات الأمريكية في شمال العراق، الميجور جنرال انتوني كوكولو، أشار مؤخرا انه قد يحتاج 800 جندي إضافي لكي يشكل وجودا كافيا على طول خطوط الصدع في المنطقة. ولكن حتى مع هذه القوات الإضافية، فان العدد الإجمالي سيكون ضمن حدود خطط إدارة اوباما والاتفاقات القائمة بين الولايات المتحدة والعراق.

وحتى الحد الأعلى لمثل هذه الجهود بما في ذلك الفرق العسكرية الانتقالية (مجموعات صغيرة من القوات الأمريكية التي تعيش مع ولتدريب نظرائهم العراقيين) للدعم الجوي، ولبرامج الاستخبارات ستكون ذات طابع مؤقت، ومحجوبة في الحجم إلى اقل من 10000 من القوات، وليس القصد منها إيجاد موطئ قدم لهم في إستراتيجية المشروع الأمريكي للسلطة.

صناع القرار والمحللين في كثير من الأحيان يقيسون نفوذ الولايات المتحدة في العراق وفقا لمستويات القوات. وفي الواقع، أصبحت الولايات المتحدة أكثر قدرة على تطوير علاقات مثمرة مع العراق من خلال الالتزام ببنود اتفاقية الضمان بحسن النية وهو ما يعني خفض عدد القوات والانسحاب من المراكز السكانية العراقية.

الجيش الأمريكي بسبب هذه الأعمال، كان وجود الولايات المتحدة هي مسألة بسيطة نسبيا في الانتخابات التي جرت في آذار، في حين أنها في الماضي القريب كانت القضية المركزية التي دفعت السياسة العراقية، والذي أدى إلى تمرد واسع النطاق.

التعاون بين الولايات المتحدة والعراق لن يكون مستدام إلا إذا كان العراقيون لن يتخوفوا على المدى الطويل من خطط الولايات المتحدة. وستقوم الولايات المتحدة بأن تكون قادرة على لعب دور الدبلوماسية في تحقيق الاستقرار في الانتقال السياسي في العراق المستمر وإلا إذا كانت واشنطن وبغداد متواصلين في السير على طريق تطبيع العلاقات الثنائية.

في هذا المعنى، فالانسحاب من شأنه أن يسمح للولايات المتحدة أن تصبح شريكا استراتيجيا للدولة العراقية الناشئة.

ويبدو لمن يفكر في كل الحروب الحديثة أن تضم تشكيلات كبيرة من المشاة الميكانيكية والمدفعية والمدرعات. وتؤكد النظريات إن الحروب لا تزال تصنع "بالطريقة القديمة"، بقصف القوات المعارضة لحملهم على الخضوع.

الأهداف هي التي تعطي للحرب طابعها، لذلك يجدر بنا أن ينتقل المخطط الاستراتيجي إلى "إستراتيجية فعالة تبدأ بقطع الرأس" لاستهداف قيادة العدو.

فالجنود الذين قتلوا ابني صدام حسين وألقوا القبض على الرجل نفسه، لا يزالون يجرون المطاردات لقيادات المقاومة بكل من القوات البرية والجوية والخاصة حتى كتابة هذه السطور.

الحروب ليست كلها على حد سواء. فالقوة الجوية "تستحق عند المحتل" أكثر تقديرا بسبب إمكانية "قطع الرأس" والتي ستكون إستراتيجية ناجحة في بعض الأحيان، وأقل فعالية في بلدان أخرى بحسب وجهة النظر الامريكية.

القتال الدائر حاليا في العراق، على سبيل المثال، يدعو حقا لرؤية لساحة المعركة. ومن المهم أن نلاحظ هذا، أن سلوك الحرب على العراق سينتج حتما مزيدا من الجدل حول ما إذا كان ممكننا أن يعتمد على التكنولوجيا الفضائية أساسا ومن ثم القوات الخاصة لتحل محل المعدات الثقيلة والقوات البرية التي تسير بخطى بطيئة.

ونظرا لمخاطر استهداف القيادة والذي ينبغي أن يستخدم بشكل مقتصد. نجد أن قطع الرأس ليست حلا شاملا لخطر "الإرهاب". ولكنه نجح في ضرب القادة الوطنيين ويكون من المنطقي أيضا في بعض الأحيان، أخيرا، أن تأييد إستراتيجية المطرقة والسندان هو ردة فعل وأن إستراتيجية المطرقة والسندان من الماضي لها صلة دائمة بالمستقبل.

كذلك سنجد أن الخلافات السياسية بين العرب والأكراد في الشمال ستستمر في التفاقم، مما سيدفع الأميركيين إلى التدخل. وأثار استخدام المالكي من القوات العسكرية والأمنية لتسوية النزاعات السياسية أيضا سيكون أساسا للإنذار، وسيضع الأميركيين في موقف حرج.

ومن المتوقع على نطاق واسع أن الأكراد، الذين فازوا 57 مقعدا، وسوف ينضموا للشيعة، وعلى الرغم من محاولة الحصول على تنازلات أكبر في السيادة والمطالب الإقليمية في الشمال. إلا أن السؤال من الذي سيقود التحالف لا تزال موضع خلاف بين الأحزاب الشيعية.

جهود أوباما قد باءت بالفشل في إستراتيجيته في العراق وعزز الركود الكبير في وول ستريت، تحويل الانتباه عن الحروب. وجاء النقاش حول الرعاية الصحية والروح المعنوية لدعاة التقدمية تصاعدت ولن تتاح لأوباما الفرصة للخروج من أفغانستان وهناك أزمة الشرعية في حرب أفغانستان.

تغير أسعار النفط في الآونة الأخيرة تذكرنا ما يقرب من مستويات الصدمات النفطية من 1970. ورافق تغير أسعار الطاقة الهستيريا المعتادة حول تضاؤل الإمدادات والنقل والتي يحتمل أن تكون خطرة على هذه الثروة، وواضعو السياسات ينظرون إلى سبل التعامل مع الأزمة النفطية القادمة.

فمشكلة الطاقة التي تلوح في الأفق في أوائل القرن 21 بلغت عنان السماء لا في ألأسعار ولا في النقص التي تعلن عن بداية نهاية عصر النفط. لكن الخطر هو العكس تماما، فعلى المدى الطويل تشير الاتجاهات إلى وجود فائض في النفط لفترات طويلة وانخفاض في أسعار النفط على مدى العقدين المقبلين. ومن المفارقات أن هذا السيناريو من الوفرة هو زعزعة لاستقرار الدول المنتجة للنفط، وخاصة تلك الموجودة والتي تمتد من الخليج العربي إلى روسيا.

وعلى الرغم من أن اقتصاديات الولايات المتحدة والدول المستوردة للنفط من الدول النامية ستستفيد استفادة كبيرة، لكنها ستأتي بنتائج عكسية مع انخفاض أسعار النفط التي يمكن أن تقوض افتراضات سياسة الولايات المتحدة وتهدد مصالح الولايات المتحدة في الخارج.

وكل من وسائل الأعلام الشعبية والنخبة تسأل هل يمكن أن العرض حول النفط سيحدث مرة أخرى؟ الإعلام الأميركي يعلن "نهاية عهد النفط الرخيص" من خلال عرض التوقعات المتشائمة والخائبة حول أمن الطاقة. إلا أن مدرسة التنبؤ النفطي تخطئ وبشكل مستمر لأكثر من مرة.

في عام 1972 كتب تقرير حول "حدود النمو" ، من قبل مجموعة من أبرز الخبراء والمعروفة باسم نادي روما وأشارت إلى أن المخزون من النفط العالمي هو فقط 550 مليار برميل من النفط، وأنها ستنفد بحلول عام 1990.

في الواقع، استهلك العالم 600 مليار برميل من النفط بين عامي 1970 و 1990، وهناك اليوم أكثر من تريليون برميل من الاحتياطيات المؤكدة وهذا الرقم من المرجح أن يستمر في الارتفاع حتى وان تجاوز الاستهلاك العالمي الحالي 73 مليون برميل يوميا.

والواقع أن وكالة الطاقة الدولية تقول أن هناك 2.3 تريليون برميل من الاحتياطي القابل للاكتشاف في نهاية المطاف، وإذا شملت مصادر غير تقليدية مثل رمال القار والصخور، فقد يكون الاحتياطي أكثر من 4 تريليون برميل.

على سبيل السياسة المعلنة، ليس هناك شك في أن واشنطن ملتزمة بدعم التنمية الاقتصادية في البلدان الفقيرة. في أيلول 2000، انضمت واشنطن إلى الأمم المتحدة في إصدار إعلان الألفية، الذي تعهد العالم بخفض الفقر المدقع إلى النصف وبخفض وفيات الأطفال بمقدار الثلثين في غضون أل 15 سنة القادمة كأهداف رسمية وفي وقت لاحق كجزء من الأهداف الإنمائية للألفية.

في آذار 2002، اعتمدت الولايات المتحدة والمجتمع الدولي توافق آراء مونتيري، والتي وضعت إستراتيجية متعددة الجوانب لتحقيق هذه الأهداف من خلال تشجيع القطاع الخاص في البلدان النامية، وفتح التجارة معهم، وزيادة المساعدة الإنمائية الرسمية. وفي تلك السنة، وعدت الولايات المتحدة في وثيقة إستراتيجية الأمن القومي "لتأمين الصحة العامة" ، "التأكيد على التعليم" ، و"الاستمرار في دعم التنمية الزراعية" في البلدان ذات الدخل المنخفض. وأكدت الوثيقة "أن الولايات المتحدة والدول المتقدمة الأخرى ينبغي عليها وضع هدف طموح ومحدد هو مضاعفة حجم اقتصاديات الدول الأشد فقرا في العالم في غضون عقد من الزمن".

ومعظم الأميركيين وربما معظم كبار المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة، يعتقدون أن الولايات المتحدة تتابع مثل هذه الالتزامات. ويبدو أن استجابة الولايات المتحدة، والقطاعين العام والخاص، لكارثة تسونامي المحيط الهندي في كانون الأول 2004 كتأكيد لمشاركة البلاد السخية مع من هم في حاجة لها.

ومن المفارقات، من أن هذا قد يحجب القلق من التدخل في الشؤون الداخلية للدول بدلا من توضيح الحقيقة بشكل أعمق في الاستجابة للكوارث -- المجاعات والفيضانات والزلازل -- فمساعدة الولايات المتحدة للبلدان الأكثر فقرا في العالم هو تماما غير كافي. وانه يقصر كثيرا عن تلبية احتياجات البلدان المتلقية، وفشل في الاستفادة من قدرة الولايات المتحدة الواسعة في تقديم المساعدات، ولا يفي بالكثير من وعود واشنطن لتمويل التنمية على نحو كاف.

وجزء صغير من الأمريكيين يعتقدون أن ما تقدمه الولايات المتحدة فعليا دون إتباع نهج جديد في واشنطن سيهدد بتقويض أهم الأهداف الإنمائية الدولية التي قبلها كل العالم وستغرق المجتمع الدولي في دوامة من تبادل الاتهامات. دون إصلاح وإن الولايات المتحدة ستصبح على نحو متزايد تبدو كدولة مستعدة للاستثمار في الحرب، وفي الإغاثة في حالات الطوارئ، ولكن ليس في التنمية السلمية. وبذلك ستزداد عدد الدول الفاشلة ، وستنتشر الفوضى وستهدد الأمن العالمي والوطني.

منذ ما يقرب من 15 عاما، ومنذ الصدمة النفطية بدأت في الانحسار، كانت الطاقة أولوية منخفضة بشكل ملحوظ في مجالس السياسة العالمية. ولقد حان الوقت لإعادة التقييم. فالتغييرات الكبيرة في أنماط الطاقة في شرق آسيا خلقت خطرا على حد سواء والفرص المتاحة المضطربة في العلاقات بين ضفتي المحيط الهادئ تتوجه بالتأثير نحو الماضي المزمن.

فخفض المشاكل في آسيا من الطاقة الناشئة بمهارة عبر الحدود التقليدية بين الاقتصاد والأمن. كانت مبهمة وتتعرض لمزيد من الانهيار المؤقت بسبب الطلب في العديد من الأسواق كمثل أوروبا الشرقية عام 1990 ولكنها ليست أقل خطورة من الغموض الخاصة بها.

العقد القادم إذا ما تواصل النمو الاقتصادي المزدهر في آسيا، وكما يبدو مرجحا سيحمل في طياته احتمال تشديد الضغوط الشديدة بين القوى الآسيوية وأسواق النفط الإقليمية بينما تتنافس على الإمدادات التي تنمو وتبدو أكثر تنوعا وتنافسية.

إن الصين واليابان والكوريتين، ومعظم رابطة أمم جنوب شرق آسيا أعضاء (آسيان) يقومون بتقديم العطاءات بشدة على الواردات من أسواق الطاقة التي كانت حتى الآونة الأخيرة أكثر بساطة وأكثر مسترخية عن طريق تغيير طرق الإمداد للمستوردين من شمال شرق آسيا وهذا قد يشعل التنافس الجيو- سياسي على طول الممرات البحرية التي تربط آسيا مع الشرق الأوسط.

قد حان بالفعل على البلدان بتحقيق ادعاءاتهم المتضاربة للمناطق البحرية التي قد تكون غنية بالنفط والغاز. فجميع العقود الآجلة المنظورة تقريبا تشكل معضلات لزعزعة آسيا. وزيادة استخدام الفحم الوفير يدعو قطاع التعدين بقوة، مع الأمطار الحمضية، والمضاعفات البيئية ألأخرى.

والتوسع في إنتاج الطاقة النووية بسرعة سيثير المخاوف المتعلقة بالسلامة، وكذلك شبح انتشار الأسلحة النووية. واستمرار الاعتماد على النفط يعني ضرورة تشديد الاحتضان بين شرق آسيا والشرق الأوسط في الجيل القادم، والذي يمكن أن يحد بشكل أساسي في النظام العالمي الغربي السائد والتي يسيطر عليها.

الأفضل أو الأسوأ من ذلك، عبارات مثل "الحرب الباردة" ومسألة " صراع الحضارات". بطريقة مماثلة، يمكن للخريطة حق حفز التبصر من خلال تقديم وجهة نظر المكانية للاتجاهات الحاسمة في السياسة العالمية. فهم خريطة أوروبا أمر ضروري لفهم القرن العشرين. فعلى الرغم من التقدم التكنولوجي الأخير، والتكامل الاقتصادي وتشجيع التفكير العالمي، وفي بعض الأماكن مواصلة الاعتماد أكثر من غيرهم. وفي بعض المناطق كتلك مثل العراق وباكستان، وهما البلدان ذات الملامح بطبيعتها الاصطناعية، نجد أن السياسة فيهما لا تزال تحت رحمة الجغرافيا.

حتى في رؤية الأرض اليوم لا يمكن للمرء بتخيل لمحة أفضل عن المستقبل؟ بسبب ظروفها الجغرافية الخاصة، فالأميركيين بوجه خاص، يواصلون التركيز على المحيطين الأطلسي والهادئ. فالحرب العالمية الثانية والحرب الباردة أثرت على شكل هذه النظرة: ألمانيا النازية والإمبراطورية اليابانية، الاتحاد السوفيتي، والصين الشيوعية كانت كلها موجهة في اتجاه واحد حول هذين المحيطين الاثنين. التحيز في الاتفاقيات في رسم الخرائط: تميل التوقعات إلى مكان في نصف الكرة الغربي في وسط الخريطة، وهو تقسيم المحيط الهندي من أطرافه.

فحتى الآن حيث نشاط القراصنة قبالة سواحل الصومال والمجازر في مومباي في الهند في الخريف الماضي تشير إلى حدود المحيط الهندي الذي يشكل ثالث اكبر المياه في العالم. والمرحلة القادمة بالفعل مركزة حول أشكال المواجهة لتحديات القرن 21 في أكبر منطقة من المحيط الهندي التي تشمل القوس الكامل للإسلام، من الصحراء إلى الأرخبيل الاندونيسي. فعلى الرغم من أن العرب والفرس يعرفون عند الغربيين في المقام الأول كشعوب الصحراء، إلا أنهم كانوا أيضا بحارة كبار حين انتشروا في العصور الوسطى، حيث أبحروا من السعودية إلى الصين؛ وقاموا بالدعوة للإسلام على طول الطريق من خلال التجارة البحرية.

واليوم حين يصل الغربي من المحيط الهندي بالشرقي من الذين يعيشون على طول حواف المحيط الهندي في الهند وبنغلاديش وماليزيا واندونيسيا. سيجد بؤر المشاكل والتي تشمل الصومال واليمن وإيران وباكستان والتي تشكل شبكة من التجارة الحيوية فضلا عن شبكة من "الإرهاب" العالمي، والقرصنة، وتهريب المخدرات. وحيث مئات الملايين من المسلمين يجدون أن إرث تلك التحويلات في القرون الوسطى.

بعد سنوات من الغزو الأميركي للعراق، كان سقوط البلاد في جولة جديدة من الاضطرابات السياسية في أعقاب الحكم الاستعماري والديكتاتورية الطائفية والحرب فما يبدو في الانتخابات الأكثر انفتاحا وتنافسية في تاريخ الأمة الطويل.

بعد الفوضى التي يعيشها العراق حاليا على حد سواء هنالك مفترق طرق فيما إذا كانت البلاد قد حان الوقت لها أن تذهب في تقريرها المأمول للتحول إلى دولة ديمقراطية مستقرة وآمنة.

أجريت الانتخابات البرلمانية في البلاد 7 آذار بسلاسة نسبيا، مع ما شملت موجة من أعمال العنف التي تهدف إلى تعطيل الانتخابات، ومع 100 هجمة في بغداد وحدها. لقي مالا يقل عن 38 شخصا حتفهم، ولكن كان الإقبال أعلى مما كان متوقعا. وصوت السنة الذين قاطعوا الانتخابات السابقة بقوة وكانت المنافسة شديدة للحصول على أصوات الشيعة في صعود المشاركة في بغداد بعد تطهيرها طائفيا والجنوب.

ويمكن للمناورة جيدا تأخير تشكيل الحكومة الجديدة وخلال هذه الشهور ستكون عند إدارة أوباما الوقت الكافي لاختبار عزمها بسحب قواتها المقاتلة، وترك قوة من 50000 في أيلول2010.

وإلقاء مكائد الشك حول نتائج الانتخابات وعلى نزاهتها في نهاية المطاف سينظر إليها على إنها اختبار للديمقراطية الوليدة في العراق وقدرة الولايات المتحدة على الانسحاب. ولقد عمل على إحياء المأزق السياسي وقرار الأحزاب الشيعية بالاجتماع معا سيعزز التوترات الطائفية والتي لا تزال بعيدة عن محوها وستعزز أثار شبح مزيد من العنف.

فورا الإطاحة بحركة طالبان من السلطة في أفغانستان في أعقاب هجمات 11 أيلول 2001 ضغط بوش وبدأت القضية للغزو الأميركي للعراق. وأشار إلى كذبة احتمال أن صدام حسين لا يزال يسعى للحصول على الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية في تحد للقيود وعقوبات الأمم المتحدة. بوش وغيره من كبار المسؤولين الأمريكيين سعوا لربط العراق بتنظيم القاعدة، التنظيم الذي يتزعمه أسامة بن لادن على الرغم من بعض المسؤولين لازالوا يؤكدون إن العراق وصدام حسين يشكل خطرا حقيقيا وداهما على المنطقة وعلى الولايات المتحدة.

في خطابه عن حالة الاتحاد الذي ألقاه في عام 2002، ربط بوش العراق مع إيران وكوريا الشمالية بأنهم "محور الشر". وفي خطاب له 2003، كان بوش واضحا أن الولايات المتحدة ستستخدم القوة لنزع سلاح صدام حسين، على الرغم من استمرار عمل مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة في العراق، وعلى الرغم من الاحتجاجات الدولية المتزايدة وحتى من بعض حلفائه. أعلن وزير الخارجية باول وجهة الإدارة في مجلس الأمن للأمم المتحدة.

بدأ غزو العراق يوم 19 آذار 2003، وفي الساعات الأولى من صباح 20 آذار أمر بوش بإطلاق الصواريخ على مخبأ في بغداد حيث كان يعتقد أن صدام حسين كان يختبئ فيه. وفي غضون أسابيع أطاحت الولايات المتحدة بحكومة صدام حسين، وعلى الرغم من القتال العنيف من جانب بعض الجماعات شبه العسكرية دخلت بغداد فرقة المشاة الثالثة من الجيش الأمريكي في 5 نيسان، وتم الاستيلاء على ما كان يطلق عليه يوما مطار صدام حسين الدولي. في 9 نيسان هدمت قوات المارينز تمثال صدام حسين في ساحة الفردوس معلنة بنحو فعال الاستيلاء على بغداد، وفقط وفي يومها بدأت الحرب الجديدة التي لم يتوقع الأمريكان حصولها.

سقوط العراق بوحشية، أطلق العنان بشكل قوي لموجة من الفوضى والسلب والنهب، والعنف والتمرد والمقاومة في نهاية المطاف. وبدلا من إعادة السلطة للعراقيين بسرعة، بما في ذلك الزعماء السياسيين والدينيين العائدين من المنفى، أنشأت الولايات المتحدة سلطة الاحتلال التي اتخذت خطوات لإبعاد اللوم على نطاق واسع لكثير من العراقيين وإشعال المقاومة التي يقودها السنة بما فيها من حل للجيش العراقي وتطهير أعضاء حزب البعث الحاكم السابق في الحكومة والحياة العامة.

في 1 أيار 2003، ظهر بوش على متن حاملة الطائرات الأميركية حمل عليها لافتة "المهمة أنجزت" كلمسة مسرحية حتى أنه بعد سنوات اعترف بوش بأنه بعث برسالة خاطئة. المنطقة الأمنية والفراغ السياسي الذي أعقب الغزو والعنف الذي اندلع ضد الاحتلال الذي تقوده الولايات المتحدة وضد مقر الأمم المتحدة، الذي تعرض للقصف في آب 2003، مما أسفر عن مقتل الممثل الخاص لها سيرجيو فييرا دي ميلو. وجاء القبض على صدام حسين في كانون الأول 2003 الرئيس السابق في الشمال من بغداد، لم يفعل شيئا لوقف إراقة الدماء بل زادت بشكل رهيب بعد اعدامه صبيحة العيد وكان السبب الاكبر والاهم في اشتعال الحرب الطائفية والسيطرة على بغداد من قبل القوات الشيعية.

كما تم نقل السيادة اسميا ورسميا إلى الشعب العراقي في حزيران 2004، والتي وقعت قبل أشهر قليلة بعد نشر صور تظهر سوء معاملة السجناء في سجن أبو غريب والتي أثارت مزيدا من الغضب والمشاعر المعادية للولايات المتحدة.

في كانون الثاني 2005، دبر الأميركيون في العراق أول انتخابات متعددة الأحزاب في خمسة عقود، وكانت رمزا من قبل العراقيين الذين كانوا يلوحون بأصابع ملوثة بالحبر الأرجواني بعد أن صوتوا. عكست الانتخابات لاختيار الجمعية الوطنية الانتقالية السيطرة السياسية التاريخية لأهل السنة، الذين كانوا قد قاطعوا التصويت. وفاز الائتلاف الشيعي التي يدعمه آية الله السيستاني، رجل الدين الشيعي الأقوى، ووضع الشيعة في السلطة إلى جانب الأكراد. ووقف صدام حسين في محاكمته بما تبقى له متحديا وغير نادم لأنه كان يواجه اتهامات بقتل الشيعة في الدجيل عام 1982.

دستور جديد يليه نهاية العام وتم إجراء انتخابات جديدة في كانون الثاني 2006 عزز ميزان القوى الجديد، لكنه كشف أيضا تصاعد التوترات الطائفية، وقاطع العديد من السنة تلك الانتخابات. في شباط عام 2006، تم تفجير مسجد العسكري في سامراء، احد المزارات الشيعية الأكثر قداسة، وأشعل العنف ضد كل من السنة والشيعة التي وصلت إلى حد الحرب الأهلية في بغداد، فقد كان من المألوف العثور على 30 جثة أو أكثر في الشوارع كل يوم، وكانت فرق الموت الشيعية تعمل دون عوائق وقامت بالتصفية الجسدية للسنة. ولم يعكر هذا العدد المطرد من الطفرات للقتل التفجيرات التي كانت تهدف عادة الشيعة.

بغداد تم تطهيرها عرقيا وأكثر الأسر هربت، وتم تطهير أحياء ومدن بكاملها. وفي نهاية المطاف، تم تشريد أكثر من 2 مليون شخص في العراق، وكثير منهم لا يزالون في الخارج حتى يومنا هذا، وغير قادرين أو يخشون العودة. وحكم على صدام حسين حتى الموت قبل الانتخابات النصفية للكونغرس في تنفيذ شنيع تم تصويره خلسة بالهاتف الخلوي، واستقال وزير الدفاع رونالد رامسفيلد في اليوم التالي للتصويت، ووقع عليه اللوم على نطاق واسع عن سوء إدارة الحرب.

وهنا لابد من الإشارة بشكل مباشر إلى الإستراتيجية الأمريكية المتبعة في العراق آنذاك والتي كانت تركز بشكل مباشر ودقيق إلى قطع رأس العدو وهي المقاومة الوطنية والإسلامية ليمكن بعد ذلك من إدارة المعركة بشكل فعال. فكما قصدت الولايات المتحدة في بداية حربها في العراق بتوجيه ضربة الصدمة والرعب لقتل رأس الدولة العراقية آنذاك صدام حسين كان إعدام صدام حسين هو السبب المباشر والإيذان الرسمي لقتل السنة بعد ذلك بعكس ما كانت تورده وسائل الإعلام من إن تفجير سامراء كان السبب وراء ذلك. كان قطع رأس قائد السنة إيذان بقتل الوطنيين الذين يريدون تحرير العراق وقد تم ذلك بشكل كبير ومباشر.

التوترات بين العرب والأكراد ركن عالي في تلك السياسة ففي الموصل المدينة المتنازع عليها في شمال البلاد حيث هاجم المسلحون السنة الجيوب الكردية والمسيحية. وهناك مصير كركوك التي يسكنها العرب والأكراد وجماعات من الأقليات الصغيرة، ولا تزال الأراضي المتنازع عليها، تقب بشكل روتيني لعمليات القتل والتفجيرات. وبعد المأزق السياسي الذي يعبر عن حالة من الفوضى في البلاد، أصبح نوري المالكي، وهو سياسي غير معروف الشيعي والمعروف سابقا باسم جواد المالكي، أول رئيس وزراء للعراق بشكل دائم في نيسان 2006.

وفي أعقاب الفوضى والانتصار العسكري السريع للحرب في العراق التي كانت لا تحظى بشعبية متزايدة في الداخل الأمريكي، ولكن ليس بما يكفي لعرقلة بوش لإعادة انتخابه في تشرين الثاني عام 2004.

بعد ذلك على الفور تقريبا، وعلى الرغم من تراجع شعبيته على اعتبار أن الحرب استمرت. وبحلول عام 2006 استعاد الديمقراطيون السيطرة على الكونجرس. وتقع انتصارهم في جزء كبير منه على المشاعر المتنامية ضد الحرب، والتي ارتفعت مع ارتفاع عدد القتلى من ألأمريكيين، والتي وصلت إلى 33000 بين قتيل وجريح بحلول نهاية السنة، وتكاليفها المتصاعدة من أي وقت مضى.

وفي مواجهة انخفاض شعبيته قام بوش بتشكيل لجنة المشورة من مجموعة دراسة العراق، وهي مجموعة من الاستشاريين من الحزبين الجمهوري والديمقراطي البارزين، وأمر بوش زيادة كبيرة في القوات الأميركية، وبلغ مجموعها حوالي 130000 ،جندي. وقال انه قرر القيام بذلك بعد اجتماع مع مستشاريه خلال عطلة نهاية الأسبوع في السنة الجديدة.

في نهاية المطاف "الزيادة" كما أصبحت معروفة، وازدياد عدد القوات إلى أكثر من 170000، . وتزامن مع إستراتيجية مكافحة التمرد الجديدة التي تم إدخالها من قبل القائد الأميركي الجديد الجنرال ديفيد بترايوس، وازدهار التحالف مرة مع السنة في محافظة الأنبار وأماكن أخرى.

وإعلان مقتدى الصدر، وأتباعه في ميليشيا جيش المهدي الذين كانوا مسؤولين عن بعض من أسوأ الأعمال الوحشية في بغداد وقفا لإطلاق النار في أيلول. جاءت هذه العوامل معا في خريف عام 2007 لإحداث انخفاض حاد في العنف.

التقدم السياسي والمصالحة العرقية أثارت دعوات من جانب الديمقراطيين لبدء سحب القوات الأمريكية، على الرغم من أنها تفتقر إلى ما يكفي من الأصوات في الكونغرس لفرضها. لكنها رفعت عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ايلينوي باراك أوباما الذي كان معارضا للحرب في وقت مبكر، وبرز في السباق على ترشيح الحزب الديمقراطي في جزء كبير منه من خلال الاستفادة من عدم شعبية الحرب.

وبحلول الوقت فاز أوباما في ترشيح عام 2008 على المرشح الجمهوري السناتور جون ماكين، وبدأ العراق يلوح بالكاد في الأفق كقضية أساسية كما فعلت سابقا، وذلك بسبب الانخفاض في العنف هناك، وبسبب الاضطرابات الاقتصادية المتزايدة في الولايات المتحدة والعالم في وقت لاحق.

في نهاية عام 2007، نجح بوش والجنرال بترايوس في الحفاظ على مستوى القوات الأمريكية في العراق فوق ما كانت عليه قبل "الزيادة" وحكومة المالكي كانت على ثقة متزايدة من قوتها العسكرية المتنامية، وتوسيع نطاق العمليات ضد المسلحين والمتشددين والتي تمت مرة واحدة في محاربة حصرية للأميركيين.

الميليشيات الموالية لمقتدى الصدر، الذي كان قد ذهب إلى المنفى، دمرت في هجوم للقوات الحكومية بقيادة الولايات المتحدة في جنوب العراق، حتى وإن لم تكن هناك مساعدة كبيرة من القوات الأمريكية والقوة العسكرية للعراقيين بدأت بتحقيق النجاح. بحلول أيار مدد الهجوم على مدينة الصدر في بغداد، وهو الحي مكتظ بالسكان الذي كان في معظمه خارج سيطرة الحكومة.

في كانون الأول 2008، وقع بوش في زيارة الوداع للعراق، وفي رحلته الرابعة إلى البلد الذي اخذ من حكم صدام حسين وسقط بعد ذلك في إراقة الدماء. هذه الزيارة التي كانت تهدف للاحتفال بتوقيع على اتفاقات أمنية جديدة وسيادة العراق أوثق لكنها خيم عليها بدلا من ذلك ما قام به الصحفي العراقي الزيدي خلال مؤتمر صحفي عقده بوش مع المالكي حين ألقى حذاءيه على بوش، والذي تجنب الرد مثلما تجنب الضربة. لكن جاء إلقاء الحذاء كإهانة بما فيه الكفاية مع صيحة الزيدي "هذه قبلة الوداع يا كلب". والذي تعرض للضرب، وألقي عليه القبض وتعرض أقاربه ومحاميه للتعذيب في وقت لاحق، وأصبح بطلا شعبيا من نوع ما في العالم العربي، وإن لم يكن عالميا. وقد حكم عليه لمدة ثلاث سنوات في السجن، ولكن المحكمة العليا في العراق خفضت العقوبة إلى سنة واحدة. وأفرج عنه في أيلول 2009، وفر من البلاد بعد أن زعم انه تعرض للتعذيب في السجن.

بعد أن أمضى المسئولون ألامريكيون والعراقيون أكثر من عام في التفاوض على اتفاق أمني جديد ليحل محل تفويض من الأمم المتحدة الذي يجيز وجود القوات الأجنبية. وشرعت المفاوضات التي تدعو إلى وضع جداول زمنية للانسحاب، وافقت في تموز 2008 إلى "أفق زمني عام". الذي أصبح في نهاية المطاف التعهد بإزالة وانسحاب جميع القوات الأمريكية المقاتلة من المدن العراقية بحلول نهاية حزيران 2009 ومن البلد بأكمله بحلول عام 2011. كما وافق على منح العراق سيطرة كبيرة على العمليات القتالية، والاعتقالات والملاحقات القضائية للسجناء.

ووفقا لمستشارين سياسيين كان المالكي عازم على تغيير طبيعة العلاقة مع واشنطن في بغداد، وتحويل دور القوات العراقية من دولة عميلة لشريك أكثر مساواة. والانتقال من سياسة قمع التمرد إلى الحكم الرئيسي، لتحقيق الاستقرار في البلاد بعد ست سنوات من الحرب ويبرهن على أن لن يكون له أي شيء ولكنه ثابت ومؤكد.

انتخابات المحافظات في العراق يوم 31 كانون الثاني 2009، أنعش الآمال قليلا في أن الديمقراطية قد تترسخ بعد أن حقق المالكي وحزب الدعوة فوزا ساحقا فيها، ولكن كتلته عجزت عن أن تكون قادرة على العمل دون بناء تحالف. ولا تزال النتائج مقسمة على أساس طائفي، مع المحافظات ذات الأغلبية الشيعية حيث كان الاختيار للأحزاب الشيعية والغالبية في المحافظات السنية اختارت الأحزاب السنية.

نقلت نتائج الانتخابات رسالة مزدوجة فالعديد من العراقيين يريدون حكومة مركزية قوية، بدلا من واحدة حيث عقدت في أكثر المناطق البعيدة عن المركز، لكنهم لا يريدون في الوقت نفسه كل السلطة في يد حزب واحد.

على أرض الواقع ما حدث في الشهور التي تلت انتخابات المحافظات كان شيئا مألوفا لدى العراقيين التهديدات والمؤامرات والصفقات في الغرف الخلفية، والاحتجاجات والشلل السياسي اثر بشكل متزايد على السخط الشعبي. وعلى الحملة للانتخابات النيابية على الأقل بصورة غير رسمية. والمناورات السياسية أضعفت الاقتصاد نظرا لوقف إقرار قانون النفط الذي سيوقف إلى حد كبير التقدم في أكثر القضايا التشريعية.

الانتخابات هي آخر معلم من معالم السياسية الرئيسية في العراق والتي سوف تتم مراقبتها من قبل عشرات الآلاف من القوات الأميركية، ولو في مهمة استشارية إلى حد كبير بموجب الاتفاق الأمني والسيطرة العسكرية الأمريكية للعمليات العسكرية التي أعيدت إلى الجيش والشرطة العراقية في 1 كانون الثاني 2009.

دخل أوباما في حملته الانتخابية على وعد إنهاء الحرب، مشيرا إلى أنه لم يكن يقصد التردد كعضو في مجلس الشيوخ غير أن أوباما لا يعارض الاتفاقية الأمنية التي تم التفاوض عليها من قبل إدارة بوش، لأنه ترك إلى حد كبير قدرا كبيرا له من المرونة لتنفيذ تعهدات حملته الانتخابية.

ما كان في البداية غير واضح هو كيف ستتحرك إدارته بسرعة لسحب القوات الأمريكية لا سيما في ضوء النصيحة من قبل الجنرال بترايوس والجنرال رايموند أوديرنو، الذي كان قد وضع خطة الانسحاب كل لواءين على مدى ستة أشهر، مقابل لواء واحد في الشهر.

وأعلن في أول يوم له في منصبه، كما قال مسؤولون في البنتاغون والقادة العسكريين "المشاركة في التخطيط الإضافي اللازم لتنفيذ انسحاب عسكري مسؤول من العراق" عن خطة لسحب جميع القوات المقاتلة بحلول آب 2010، ولم يبق سوى 35000 إلى 000 50، والذين سيغادرون العراق بحلول كانون الأول 2011. وهذا الجدول الزمني كان أطول بمقدار طفيف مما كان قد تعهد به خلال الحملة الانتخابية.

في نهاية حزيران 2009، وكما تماشى مع الاتفاقية الأمنية، سحبت الغالبية العظمى من القوات الأمريكية من المدن العراقية، وتم تجميعهم على أسس واسعة في خارج المدن. وبحلول نهاية تموز لم يعد هناك وجود أي دولة أخرى لها قوات في العراق في القوة المتعددة الجنسيات. وكانت القوات العراقية قد اتخذت القيادة على نحو متزايد وأصبحت الولايات المتحدة من آخرهم.

وأظهر الانسحاب من المدن تخفيض في ألأدوار القتالية الفعلية في انخفاض عدد قتلى الجنود الأمريكيين. ففي كانون الأول 2009، وللمرة الأولى منذ بدء الحرب، لم يقتل جندي أميركي في أي عمل حربي.

أعلن المالكي 30 حزيران عطلة وطنية وأظهر نفسه على أنه زعيم فخور وانه هو الذي أنهى الاحتلال الأجنبي للعراق. لكن رنة ضجة المالكي حول إنهاء الاحتلال هي جوفاء بالنسبة للعراقيين الذين كانوا يخشون أن قوات الأمن في بلادهم ليست مستعدة بعد لتقف وحدها. فالسلسلة من الهجمات الكارثية في آب وأيلول وكانون الأول والثاني 2010 في ضرب الوزارات الحكومية والجامعات والفنادق تزيد القلق والشك الوحيد بين العراقيين.

المالكي وعلى أمل بناء على نجاحه في انتخابات 2009 المحلية، يسعى إلى شكل أوسع من التحالف عبر الطائفية والتي من شأنها أن تشمل السنة والأكراد والأقليات العرقية الأخرى. حيث يتبع الأطراف الأخرى حذوها وجه نداء من أجل "الوحدة الوطنية" في بلد حيث أنها نادرا ما كانت موجودة من قبل وبعد ذلك فقط على وحدة وطنية يحكمها بيد من حديد. ورفض المالكي الانضمام إلى الائتلاف الشيعي إلى حد كبير والذي يدعى التحالف الوطني العراقي، الذي ضم العديد من هؤلاء معه الذين شكلوا الأغلبية البرلمانية في البلاد أولا.

وكان من المقرر أصلا أن تجرى الانتخابات في كانون الثاني لكنه تأجل لعدة أشهر بعد المشاحنات السياسية. فقدان الأهلية ستجدد التوترات الطائفية التي لا تزال قريبة، والاضطرابات التي أثيرت تساؤلات حول قوة المؤسسات الديمقراطية في العراق. وقد كانت عملية مدبرة من جانب مرشح للانتخابات، هو أحمد الجلبي وهو منفي سابق كان قد تعانق بحرارة من قبل مع المسؤولين الأميركيين الذين سعوا للإطاحة بنظام صدام حسين. هذا الصراع الصارخ في المصالح أثار غضبا لكنه لم يعرقل هذه العملية.

وأشارت الاضطرابات قبل الانتخابات على خلفية من العنف والتخويف المطرد لانسحاب القوات الأميركية. وقد اغتيل ما لا يقل عن مرشح واحد، وآخر خطف وتعرضت للقصف مقرات عدة حزبية. في 12 شباط تعهدت دولة العراق الإسلامية التي تضم الآن ما تبقى من تنظيم القاعدة في بلاد ما بين النهرين، لتعطيل الانتخابات.

وعلى الرغم من أن مستوى العنف قد انخفض من المذابح المروعة من عام 2006 و 2007، لكن مواصلة الهجوم من المفجرين الانتحاريين على ما يبدو يستطيعون الاستمرار في ذلك، وقد تغرق بغداد في حالة من الفوضى على أساس منتظم وستفند ادعاءات المالكي الأمنية.

على الرغم من الضغوط الدولية، يبدو أن إيران تواصل مسيرتها نحو الحصول على قنبلة نووية. ولكن كيف يمكن لواشنطن أن تحتوي هذا الوضع هل من خلال التخفيف من الآثار المترتبة على تحدي إيران النووي، وحفظ هذه النتيجة البغيضة خير من أن تصبح واحدة من النتائج الكارثية. يتم تحديد التعليقات حول القنبلة الإسلامية وبانضمام جمهورية إيران إلى أن تصبح القوة النووية العاشرة في العالم. في تحدي لالتزاماتها الدولية ومقاومة الضغوط الدبلوماسية المتضافرة لمنعها من تخصيب اليورانيوم وتجاهل العديد من قرارات مجلس الأمن الدولي لتعليق تخصيب اليورانيوم ورفضها توضيح أنشطتها النووية للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وحتى نجاح الضربة العسكرية ضد المنشآت النووية الإيرانية من شأنه أن يؤخر برنامج إيران بضع سنوات فقط، وأنه يكاد يكون من المؤكد بعد ذلك تصلب إصرار طهران على امتلاك سلاح نووي.

لكن يمكن أن تكون الاضطرابات السياسية المستمرة في إيران ستؤدي إلى إسقاط النظام، مما سيؤدي إلى إحداث تغييرات أساسية في السياسة الخارجية لطهران وينتهي سعيها في الحصول على أسلحة نووية. ولكن حتى هذه النتيجة لا يمكن افتراضها. فالبرنامج النووي الإيراني لا يزال يتقدم، وطهران يمكن أن يكون لديها المواد النووية اللازمة لصنع القنبلة النووية قبل انتهاء فترة الرئيس الأمريكي الحالي باراك أوباما في ولايته. ومن المعروف جيدا مخاطر دخول إيران النادي النووي وهذا التطور، سيضاعف طهران من محاولاتها في تقويض جيرانها وتشجيع الإرهاب ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، والخطر على حد سواء أكان السلاح تقليدي أم نووي فالحرب في الشرق الأوسط من شأنها أن تتصاعد في المنطقة في أكثر دولها. والتوازن الجيو- سياسي في الشرق الأوسط سيحتاج إلى إعادة ترتيب، وسيقوض الجهود الواسعة لوقف انتشار الأسلحة النووية.

وظهور إيران نووية مرفوض حتى بالنسبة لتلك الدول التي قد لا تشعر بالرضا باستخدام العمليات العسكرية ضد إيران وامتلاكها المواد والبنية التحتية اللازمة لتجميع قنبلة نووية في وقت قصير سيجعل من ينظر إلى عدم رد الفعل على أنها هزيمة دبلوماسية كبرى بالنسبة للولايات المتحدة. فالأصدقاء والأعداء سيشككون في سلطة حكومة الولايات المتحدة وعزمها على صياغة الأحداث في الشرق الأوسط بعد ذلك. فالأصدقاء سيمتنعون عن الاستجابة قبل أن ينأون بأنفسهم عن واشنطن، وسيزداد تحدي خصوم سياسات الولايات المتحدة وسيصبحون أكثر قوة.

من خلال اتخاذ الإجراءات الحكومية العراقية لمكافحة اللوحة البعثية والسنية المناهضة بطبيعتها فأنت في واقع المساواة بين البعثيين مع السنة، وسيساعد هذا في تعميق الانقسامات القائمة مثلما كان الربط قبل ذلك بين الصداميين والسنة وبين المقاومة والسنة وبين الإرهاب والسنة على طيلة سنوات الغزو الأمريكي للعراق.

اعتبرت الولايات المتحدة الانتخابات البرلمانية العراقية في 7 آذار انعكاسا لاستقرار البلاد وتحقيق الاكتفاء الذاتي والمكون الرئيسي اللازم إذا كانت واشنطن تريد الذهاب إلى نهاية ناجحة في العراق.

وإذا كانت شرعية الانتخابات عرضة للخطر فقد كشفت الأزمة السياسية الناجمة بعدها عن ذلك في حدود عملية النضج السياسي في العراق، ولكي لا تعود في فشلها في الماضي ستنتقل جو من الطائفية على العملية السياسية من خلال تعزيز قوة الجناح السياسي المقرب من إيران.

وبما أن العديد من تلك التهديدات التي تركز عليها الحكم الشيعي هي إما سنية أو علمانية، فبعض المحللين يقترحون أن الدافع في فرض الحظر عليهم هو رغبة الإسلاميين الشيعة لاستبعاد منافسيهم من العملية السياسية وترسيخ سيطرتهم الدينية. لكن الدافع الحقيقي، هو أكثر دهاء وأكثر خطورة فالشيعة يهدفون من إحياء مسألة "حزب البعث" مثلا هو من اجل ترويع الناخبين مع شبح عودة البعثيين وتخويف الخصوم السياسيين من خلال عملية الاستبعاد التعسفي.

إدامة مناخ الطائفية السياسية هذا اتجاه لمتابعة أسس طائفية، فكما حدث بالفعل في تطهير الآلاف من المسؤولين من البيروقراطية العراقية. والتي استهدفت عادة السنة منهم، في حين أن الأكراد والبعثيين الشيعة السابقين منهم فقد بقوا بصمت.

ورغم أن هذه السياسة ليست منتظمة بما فيه الكفاية في التأهيل والتمييز الصريح، لكن حفظ القضية البعثية ببساطة على جدول الأعمال لفترة طويلة سوف تكون إشارة لعودة ملحوظة لتلك التي فازت في الانتخابات البرلمانية السابقة في عام 2005 لكنها خسرت بشدة في الانتخابات المحلية 2009 بسبب أن الإسلاميين الشيعة لديهم أقرب العلاقات مع إيران. وببساطة وباستخدام بطاقة مكافحة حزب البعث لإحياء الصراع الطائفي هو أساسا إستراتيجية العودة التي لعبت من قبل الإسلاميين الشيعة التابعين لإيران.

في الماضي، كانت الأحزاب الدينية الشيعية مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق تستخدم قضية البعث في انتقاد رئيس الوزراء العراقي المالكي وعلى تعاونه مع القوميين والعلمانيين، مما اضطره إلى التراجع عن جهوده الرامية إلى بناء تحالفات مع هذه الجماعات بعد الانتخابات المحلية في وقت سابق.

ويبدو أن واشنطن تؤيد حل الأزمة عن طريق التأجيل لهذه العملية والتي يمكن من تهدئة الخواطر بعدها في سيناريو مثالي، فإن الجدل سيتلاشى والانتخابات ستسفر عن برلمان جديد من شأنه أن يتخذ نهجا أكثر من قياس السؤال عن اجتثاث البعث. وثمة خيار آخر هو أن الولايات المتحدة ستقف مرة أخرى، لتعيد نظام التمييز العراقي مما سيؤدي إلى خفض درجة التهميش السياسي.

ولكن مثل هذا الحل في الأساس هو علاج من أعراض الفشل السياسي في العراق وليس المرض. بعد كل شيء، سيكون الجانب الأكثر إثارة للصدمة في القضية برمتها ليس قرار اجتثاث البعث لكن ما هو الأكثر إثارة للقلق هو أن ما تبقى من النظام السياسي العراقي لم يوفر أي نوع من المقاومة ذات مغزى تجاه مثل هذا الإجراء على المستوى الدستوري والسياسي والقانوني.

فهناك عدد كبير من الخبراء القانونيين في العراق وخارجه يجمعون على أن الإجراءات المتبعة لمنع هؤلاء كان تعسفيا، وهو مبني على تفسيرات مريبة وانتهاكات صريحة للقانون العراقي. ومع ذلك، فقد تمت الموافقة عليها من قبل اللجنة الانتخابية المستقلة العليا وبدعم من غالبية البرلمان العراقي، وحتى المحكمة الاتحادية العليا رفضت التدخل

وهذا يشير إلى أن المشكلة الطائفية في العراق سوف لن تذهب بعيدا في حد ذاتها. فالمسؤولين العراقيين هم على استعداد للسماح باستخدام هذا الإجراء أيضا في المستقبل وعلى نفس المنوال، وحتى لو كانت إدارة أوباما قد تنجح في تأجيل مسألة اجتثاث البعث، إلا أنها ببساطة ستفشل في مرات قادمة بحسب ظروف البلد. فاللجنة المسئولة عن فرز الأصوات في الانتخابات عينت على أساس حزبي من قبل الأطراف نفسها تماما التي عينت مجلس اجتثاث البعث وهذا يعني أنه حتى لو سمح للمرشحين غير المؤهلين بالمشاركة، فإنهم لن يصلوا إلى السلطة.

تأمل إيران في العراق في الحصول على السياسة التي يتم تحديدها من خلال العرق والطائفة الدينية، فضمانات الديموغرافيا العراقية ستجعل الحكومة التي يقودها الشيعة صديقة لإيران، مع أو من دون التحالف مع الأكراد.

إن أي اقتراح من قبل الولايات المتحدة في تأجيل مثل تلك المسائل التي ستعترض العملية السياسية في العراق ما بعد الاحتلال كمسألة اجتثاث البعث تأخذ مجراها لتلعب مباشرة في أيدي الإيرانيين هذا المناخ السياسي في العراق سوف لن يتحسن إذا اخذ المسئولون العراقيين انطباع بأن المجتمع الدولي سوف لن يطرح أي المقاومة لإجراءات مثل تلك التي اتخذت قبل وبعد الانتخابات وطالما أنها تأتي في أوقات أكثر ملائمة لجدول أعمال الولايات المتحدة.

والأهم من ذلك يجب على الولايات المتحدة ألا ترى الأزمة الحالية باعتبارها مشكلة ضيق من المشاركة السنية وبالتالي دعم منطق الطائفية الضارة الذي يقوم عليها النظام السياسي في العراق وبالتالي من شأنه أن يعزز الجانب الإيراني.

ببساطة منح التمثيل السياسي على أسس طائفية تقسم بالتساوي ليست كافية لمعالجة نقاط الضعف الأساسية. وقد أثبتت عدم جدوى مثل هذا الحل في أوقات سابقة من قبل البرلمان العراقي، فالنقطة هي أن هناك في العراق سوف يكون دائما استعداد من بعض السنة للموافقة على مثل هذه القرارات كما كان الحال في عهد صدام حسين، إذ لم يكن هناك مشكلة في العثور على شيعة للمشاركة في حكومته. وبالتالي ستقع الحلول خارج نطاق الإصلاحات الطائفية السهلة.

وللحفاظ على الكارثة التي ستمزق بشكل قاتل هيكل التعددية السياسية في العراق، ينبغي على إدارة أوباما من لفتة رمزية لإظهار أن المجتمع الدولي لم ينس جميع العراقيين الذين بغض النظر عن انتماءاتهم هم مختلفين مع الوكلاء العراقيين للملالي في إيران. فمشاركتهم في الانتخابات المقبلة، في الواقع، هو أمر حيوي لمستقبل العراق، وبالأخص بالنسبة لاحتمالات الإصلاح التدريجي من خلال التعديل الدستوري عن طريق الاستفتاء الشعبي.

ما ستعمله الولايات المتحدة وستقدمه هو إجراء مراجعة شاملة للنظام السياسي في العراق والاهتمام بجميع أولئك الذين تعرضوا للتخويف من جانب الحكومة. ولكن هذه الرسالة يجب أن يتم إنتاجها في نوع من منطق الانقسام الذي تفضله إيران لكنها ستتجاوز ذلك وبعبارة أخرى، ستعمل إدارة أوباما على إنشاء استراحة للنظام في العراق.

الولايات المتحدة ذهبت إلى الحرب مع تأييد ساحق من جانب الجمهور والصحافة في الواقع هذه هي ألأسطورة.استطلاعات الرأي أظهرت انقساما واضحا بين أولئك الذين يريدون الذهاب إلى الحرب في وقت قريب، وأولئك الذين يريدون الانتظار لمزيد من الدبلوماسية أو أن يعطى مفتشي الأمم المتحدة مزيدا من الوقت للعمل ربما تشعر بالدهشة عندما تعلم أنه وتحديدا منذ سبع سنوات، ما لا يقل عن ثلث من الصحف الكبرى في أمريكيا خرجت ضد بوش لكنها دفعت إلى الحرب في ذلك الوقت. فالعديد من الصحف قد تخبطت تغطية أسلحة الدمار الشامل، وعلى استحياء أثارت تساؤلات حول الحاجة إلى الحرب.في النهاية، فإن الغالبية اتفقت على أن إدارة بوش قد أساءت للأزمة. ووجهت معظم الصحف انتقادات حادة لواشنطن بشان جهودها الدبلوماسية، وأعربت عن مخاوفها من المستقبل على الرغم من "الانتصار الحتمي".افتتاحيات الصحف الأمريكية "هذه الحرب تمثل فشل الدبلوماسية الرهيب"، "واشنطن في أسوأ في جيل كامل" "إن هذه الحرب هي حرب خاطئة، والخطأ على سبيل المبدأ، ولكن الأهم من ذلك، انه من الخطأ اعتبارها كمسألة في السياسة العملية" "الحرب كان يمكن تجنبها، لو كانت الإدارة صادقة عن تداركها".إيران تخسر في تجميع حكومة موالية لطهران في العراق، وبذلك قد يدفع طهران للانتقام من الأقلية السنية في العراق بمزيد من العنف والتمرد. هناك تقارير من العراق أن إياد علاوي الذي قاد الائتلاف المناهض لإيران من الناخبين السنة والعلمانيين الشيعة قد يختار مقاطعة الجمعية الوطنية الجديدة المقبلة. في الواقع، وبعد تلك السنوات من الحرب والدمار والدماء لن يكون هناك وضوحا من إن النفوذ الأميركي في العراق قد تقلص، أو أن نفوذ إيران قد تزايد. ولكن إذا كانت واشنطن تحب ذلك أم لا، فقد يقع العراق مرة أخرى في حافة الحرب ألأهلية. بعد عام 2003 كانت الحكومة المركزية ليس لها سلطة على "قادة المجتمعات المحلية والمسولين الإقليميين الذين يدعون أنهم يمثلون الشيعة والسنة والأكراد، ويمكن أن تصحح هذه المشكلة العميقة. وبالمثل، هناك قيمة كبيرة في توسيع دور بعثة الأمم المتحدة الموجودة في العراق، وذلك لأن الكثير من العراقيين يرون في هذه المؤسسة باعتبارها وثيقة للغاية وقد تماشت مع لجنة الانتخابات، التي نظمت على أساس طائفي.ومع ذلك، لا يزال هناك خيار واحد هو مقرر الأمم المتحدة الخاص، وهو خبير في الأمم المتحدة في التحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان ولديه مشروع في الحلول المحتملة. والحد الأدنى هو أداة حيوية للعمل بما فيه الكفاية عمليا في أزمة سريعة الحركة، في حين يمتلك أيضا من الثقل وسمته لتقديم موازنة للإجراءات الطائفية. قبل كل شيء، المقرر الخاص مصدر موثوق به لتقديم الشكاوى حول العملية الانتخابية، وإذا كانت إدارة أوباما تريد فعلا لحل هذه الأزمة، فيجب أن تعيد توجيه اهتمامها من بغداد إلى جنيف، حيث يوجد مقر مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان وحيث يمكن للمجتمع الدولي تعيين مقرر خاص يعنى بمسألة الانتخابات البرلمانية العراقية.

لكون الولايات المتحدة أصبحت أول قوة عظمى عالمية، فقد كان من المألوف الحديث عن تدنيها. ولكن في عالم اليوم، قوة الولايات المتحدة الاقتصادية والعسكرية، إلى جانب جاذبيتها سوف تضمن قوتها لفترة طويلة قادمة.

في كل عشر سنوات يحين الوقت في الولايات المتحدة لإعلان إستراتيجية جديدة حول أحداث دراماتيكية يمر بها العالم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. ففي أواخر 1950، كانت صدمة سبوتنيك، تلتها أزمة الصواريخ من قبل جون كينيدي في حملة 1960 الرئاسية. ثم بعد عقد من الزمان، جاء ريتشارد نيكسون وهنري كيسنجر وبدءا الغناء على الثنائية القطبية، وتوقعا عالم بخمس من القوى العالمية. وفي نهاية 1970 كان جيمي كارتر قد "توعك"على خطاب الاحتجاج "أزمة الثقة" التي ضربت قلب وروح الإرادة الأمريكية في أزمة الرهائن بطهران.

بعد عقد من الزمان توقع الأكاديميون الخراب للولايات المتحدة، بسبب اندفاعها المفرط إلى الخارج، وإهمال الداخل الوطني. فالولايات المتحدة كانت في خطر "التوسع الإمبراطوري المفرط"، وكتب كنيدي في عام 1987، معتبرا أن "مجموع مصالح الولايات المتحدة والالتزامات العالمية في الوقت الحاضر هو أكبر بكثير من طاقة البلاد للدفاع عنها جميعا في وقت واحد". ولكن بعد ثلاث سنوات، أرسلت واشنطن 600 000 جنديا للقتال في حرب العراق الأولى من دون العودة إلى مشروع زيادة الضرائب وكان الثمن الوحيد من "التمدد" هو الركود المعتدل لعام 1991.

في 1990استغلت الولايات المتحدة تراجع وانهيار الاتحاد السوفيتي، وكانت اليابان القوة الاقتصادية من 1980 عالقة في "العقد الضائع" من الركود. وحتى لا تعد الولايات المتحدة بآثار جنون العظمة مع سيطرتها على هذه الكنوز كانت الولايات المتحدة قد انتقلت إلى أطول توسع اقتصادي في التاريخ، والتي، بصرف النظر عن ثمانية ألأشهر أواخر عام 2001، استمرت حتى عام 2008. حيث كانت "العولمة"السمة المميزة لإدارة شؤون العالم وبالطبع كانت هي المسيطرة المطلقة عليه طوال تلك السنوات.

القوة البارزة في العالم اليوم هي التجارة البحرية بين الولايات، والمحيط الهندي والمسألة ألأكثر ديناميكية هي دخول الهند والصين في التنافس بين القوى العظمى على هذه المياه.

العبارات مثل "الحرب الباردة" و "مسألة" صراع الحضارات. وبطريقة مماثلة، يمكن للخريطة بتحفيز التبصر من خلال تقديم وجهة نظر المكانية للاتجاهات الحاسمة في السياسة العالمية. ففهم خريطة أوروبا أمر ضروري لفهم القرن العشرين. وعلى الرغم من التقدم التكنولوجي الأخير، والتكامل الاقتصادي وتشجيع التفكير العالمي، هناك بعض الأماكن تواصل الاعتماد أكثر من غيرها. وفي بعض تلك المناطق مثل العراق وباكستان وهما البلدان ذات الملامح بطبيعتهما الاصطناعية لا تزال السياسة فيهما تحت رحمة الجغرافيا.

وفي السياق ذاته في الجغرافيا السياسية لم يكن احد جريئا بما فيه الكفاية أو له من الغباء ما يكفي لتوقع انهيار الاتحاد السوفيتي، ناهيك دون اندلاع تبادل حرب نووية بين القوتين العظميين. لكن سفير الولايات المتحدة السابق لدى الاتحاد السوفيتي كينان، وهو والد سياسة الاحتواء، قد حذر مرارا وتكرارا أنه ليس من الحكمة إتباع سياسات الولايات المتحدة النووية التي قد يؤدي إلى الكارثة.

الحرب الباردة الآن من التاريخ، ولكن التحذيرات من كارثة نووية وشيكة لا تزال على قائمة إلى حد كبير. اليوم لا تنبع المخاوف من خطر هجوم صاروخي مفاجئ من السوفيت ولكن الخوف من إيران وكوريا الشمالية وباكستان، والجماعات التي تسعى إلى تنفيذ هجمات ضد أهداف سهلة وكارثية في الولايات المتحدة. وخلال الحرب الباردة، خفضت الحواجز أمام التجارة والاستثمار، ومنحت المساعدات الخارجية السخية، وتم تعزيز المؤسسات الاقتصادية الدولية كل ذلك في تعاون وثيق مع حلفاء الولايات المتحدة كجزء أساسي من وقوف واشنطن ضد الشيوعية.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وجهت وإدارات بوش الأب بوش وبيل كلينتون الكثير من سياستهم الخارجية والمحلية لتعزيز القدرة التنافسية في الأسواق الأميركية والعالمية إلى انتشار الرأسمالية على الطريقة الأميركية في الخارج. وخلال هذا الوقت، كانت الولايات المتحدة تنتهج سياسة التفاعلات الشديدة ليس فقط مع الاتحاد الأوروبي واليابان، ولكن أيضا على نحو متزايد مع الأسواق الناشئة في أمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية وآسيا.

بعد 60 عاما من هيمنة الولايات المتحدة، على توازن القوى في شمال شرق آسيا بدأ التحول اليوم آخذا في مجرى آخر فالولايات المتحدة في انحدار نسبي، والصين آخذة في الصعود، واليابان وكوريا الجنوبية في حالة تغير مستمر. لذلك فان الآثار المترتبة على واشنطن عميقة فشمال شرق آسيا تعد موطن لثلاثة من اكبر الاقتصاديات الأحد عشر الأكبر في العالم وفيها ثلاثة من اكبر أربعة من الجيوش الدائمة. وللحفاظ على قوة الولايات المتحدة في المنطقة، تعمل واشنطن على تحديد الاتجاهات التي تحدد شكل هذا الانتقال وتبني وسائل جديدة وتوسيع قاعدة الأنظمة التي تضمن للولايات المتحدة الهيمنة على السلطة.

فعلى مدى السنوات الأربع الماضية كان التمويل العالمي، والتجارة، والتنمية، والزراعة من العلاقات العامة الخارجية لدفع مصالح الولايات المتحدة في هذه المجالات، وجاءت شن الحرب في أفغانستان والعراق حيث كانت الاتجاهات الأولية التي من خلالها تعتبر الإدارة الأمريكية عن كل جانب من جوانب سياستها الخارجية. وكان هناك القليل من الوقت للاهتمام، بالطاقة أكثر من أجل أي شيء آخر.

لكن لا يمكن للولايات المتحدة أن تنجح في هذه المعركة الإستراتيجية التي هي في الغالب عسكرية والتي ستفشل إذا لم يتم الحصول على مساعدة خارجية لها سواء من حيث الأشخاص والأموال. فالولايات المتحدة ليس لديها مهارات ولا موارد كافية لتحمل كلف لما بعد الصراع العسكري كما حدث في العراق لتحقيق الاستقرار ولتوجيه جهود إعادة الأعمار في الشرق الأوسط أو في أي مكان آخر. وبالتأكيد ليس لديها المال الكافي للتعامل بمفردها مع التحديات الهائلة للتنمية الطويلة الأجل في جميع أنحاء العالم والتي يجب أن تتحقق في الأجيال القادمة من "الأعداء" المحتملين ليشعروا أن لديهم بديل أقل تدميرا.

ولنصف القرن الماضي، اعتمدت الولايات المتحدة على وجه الحصر تقريبا على التحالفات الثنائية لتعزيز مصالحها في المنطقة.

ولكنها لن توفر أساسا كافيا لسياسة الولايات المتحدة في المستقبل. فقوى التحول الدافعة في المنطقة معقدة وستشمل الاقتصادية والأمنية والديموغرافية ومكوناتها القومية. ولتعظيم نفوذها في المستقبل، يجب على واشنطن أن تعترف أن الانتقال أمر لا مفر منه، وتحديد الاتجاهات التي ستحدد الشكل لها، وستبني الولايات المتحدة وسائل جديدة كتوسيع الأنظمة كقاعدة يعتمد على مشروع السلطة. ومع هذا العدد الكبير من المتغيرات في اللعب في وقت واحد، وهذا لن يكون مهمة سهلة. فالدول خلال الخمس إلى العشر سنوات القادمة ستكون بالنسبة لها حاسمة وسوف تمهد الطريق لنصف القرن القادم أو لفترة أطول.

مشاكل التجارة هي السبب الكامن وراء الأزمة المالية. حقا لإحياء الاقتصاد العالمي، إلى توافق في الآراء التجارية الجديدة أمر ضروري.

تهيمن الولايات المتحدة على شمال شرق آسيا اقتصاديا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وكسب التأييد لسياساتها هناك من خلال التجارة والمساعدات. واليوم، فإن الولايات المتحدة لم تعد قوية كما كانت.

في عام 2007، تجاوز حجم تجارة الصين مع اليابان الاقتصاد الثاني الأكبر في العالم، تجارة الولايات المتحدة مع اليابان للمرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية. وبالمثل في عام 2004 حلت الصين محل الولايات المتحدة كأكبر شريك تجاري مع كوريا الجنوبية.

في عام 1991، الصين وقبل سنة واحدة من تطبيع العلاقات مع كوريا الجنوبية، كانت تجارتها تمثل ما يزيد قليلا على واحد بالمائة من صادرات كوريا الجنوبية، مقارنة مع 26 % مع الولايات المتحدة. وبحلول عام 2006، شكلت الصين ما يقرب من 22 % والولايات المتحدة 15%. وحتى لو صدقت على اتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية فإنها لن تجعل الولايات المتحدة تعود إلى الصدارة.

وعندما أطلقت جولة الدوحة للمفاوضات التجارية المتعددة الأطراف، في عام 2001، كان سعر النفط هو 25 دولارا للبرميل، وتكلفة الطن الواحد من الأرز 170 دولارا، وكان فائض الحساب الجاري الصيني اثنين في المائة من الناتج المحلي الإجمالي في البلاد، والمؤسسات المالية في الولايات المتحدة كانت في طليعة العولمة، ومصطلح "صناديق الثروة السيادية" كان يمكن أن تكون إشارة إلى نهاية حقبة اقتصادية منتهية.

اعتبارا من 10 تشرين الثاني 2008، كان سعر النفط قد وصل إلى 65 دولارا للبرميل، والأرز 515 دولارا للطن. وأصبح تحت تصرف الصين والدول المنتجة للنفط تريليونات من الدولارات. وأمسى النظام المالي في الولايات المتحدة، في خضم أسوأ أزمة مالية منذ الكساد العظيم، ويتأرجح بين التنشئة الاجتماعية والنسيان.

نظرا لأن كل هذه التغييرات التي تكشفت، فالحكومات المشاركة في محادثات الدوحة قضت الكثير من الوقت على تهدئة قضايا بسيطة بينما تجاهلت المسائل الملحة وبعد فشل الجولة الأخيرة من المفاوضات في تموز الماضي في جنيف، سوف يميل المجتمع الدولي لإحياء عملية الدوحة كجزء من الدعوة إلى إعادة تشكيل النظام المالي الدولي. ولكن هذه الجهود لإحياء الدوحة تبدو غير كافية لجدول أعمال الدوحة الحالية ولا تستجيب للتحديات التي تفرضها زيادة التكامل العالمي.

فتقلب أسعار السلع الأساسية، والأخطار التي تهدد الأمن الاقتصادي للعاملين من الطبقة المتوسطة، وعدم الاستقرار المالي وانعدام الأمن البيئي كلها لها آثار كبيرة على الصعيد العالمي والتي تتطلب استجابة متعددة الأطراف. والمضي قدما في جولة جديدة من المحادثات بحاجة لوضع جدول أعمال أكثر طموحا من الدوحة وإشراك مجموعة أوسع من المؤسسات أكثر من مجرد منظمة التجارة العالمية.

منذ منتصف 1990، نمت التجارة العالمية بسرعة، بمعدل نحو 6 % سنويا وهي أسرع مرتين من الناتج الاقتصادي العالمي. وخلال ذلك الوقت لم يعدل أعضاء منظمة التجارة العالمية المستويات القصوى من الرسوم الجمركية والحواجز الأخرى التي يمكن أن الحفاظ على السلع والخدمات. وبعبارة أخرى، ازدهرت التجارة العامة لكنها ضعفت العملية المتعددة الأطراف التي تنظم التجارة.

الاقتصاد العالمي يعمل على النفط والنقل البحري والجوي والبري (على حد سواء من السلع والناس) وصناعة طائفة واسعة من المنتجات من البلاستيك والطلاء والمنسوجات والأرضيات، وجميعها تعتمد على النفط. هذا المنتج المثالي التحديث مرتبط بالعولمة، ومع ذلك يشكل واحدا من أعظم استثناءات القواعد التي تحكم بصفة عامة في العالم المعولم.

لقد تخلت الحكومات الديمقراطية الصناعية المتقدمة استخدام النفط كأداة للسياسة الخارجية والصناعية، وبدأت بتفكيك شركاتها النفطية المملوكة للدولة والسماح بتسعير النفط والمنتجات النفطية البحرية في الأسواق المفتوحة. ولكن في مكان آخر، لا سيما بين أعضاء أوبك (منظمة الدول المصدرة للنفط)، وكان على الحكومات اتخاذ المسار المعاكس في كثير من أنحاء العالم، وبعبارة أخرى، أصبح النفط جزء من عمليات اقتصادية ايجابية وبدون خسارة في البلدان التي لديها أكثر النفط في العالم وأصبح جزءا من لعبة صفرية للسلطة، والتي تبرز تلك المكاسب النسبية المطلقة في الاقتصاد وفي كثير من الأحيان تخضع للسياسة.

إستراتيجية الشركات والسياسة الداخلية والجغرافيا السياسية التي جعلت من النفط والوقود الاحفوري القضية المركزية لتاريخ العالم ابتداء من القرن التاسع عشر. وبدأ يرسم صورا قوية عن الأفراد ودورهم في أحداث الشركات والسياسية، ووضع وجهة نظر حول السابقات التي لا نهاية لها من الموارد، والعوامل الهيكلية التي تؤدي إلى التعاون والتواطؤ في كثير من الأحيان، والتوتر بين السوق والقوى السياسية التي لا تزال تميز هذا القطاع عن ذلك.

تتبع نمو صناعة النفط والنضج والصفقات مع القادمين الجدد وخاصة الصين وروسيا في هذه البلدان الحدود والعلاقات بين القطاعين العام والخاص هي في حالة تغير مستمر، وتميل في بعض الأحيان بإيجابية تجاه العالم ونحو الخسارة في أحيانا أخرى للعالم.

والتعامل حول ما يسمى بالحد من ذروة النفط ودراسة الشركات والصعوبات التي تواجه البلدان والأرض في مواجهة التعامل مع تغير المناخ كل هذه المسائل ستصبح ضرورية للنقاش على المستويات كافة الشعبية والرسمية في رسم سياسات العالم المستقبلية. لقد زاد النمو عن النفط كأداة للاستثمار المالي وازداد التناقض بين دور النفط في العولمة والسياسات مع بعض الجهات الفاعلة الرئيسية وكما هو الحال مع السلع الأخرى فإن هذه العملية ستعمل من خلال تداول العقود الآجلة والخيارات.

في السنوات الأخيرة اقترب سعر النفط الخام من 150 دولارا للبرميل في منتصف عام 2008 وكان دور المضاربين في تكوين الأسعار قد أصبح محط نزاع بين الأكاديميين والاستراتيجيين وبين القلق السياسي.

لقد كان الدافع للانفجار الأخير في أسعار النفط هو بسبب طريق التشديد الفعلي لإمدادات النفط أو التوقعات المبالغ فيها والمخاوف والتفسير حول تحديد كيفية الظهور التي يمكن أن يعاد في المستقبل مع وضع الركود الاقتصادي الأخير في المنظور مع استخدام عائدات النفط من قبل صناديق الثروة السيادية للحكومات التي تسعى إلى تعزيز سلطتها.

هناك مدرسة فكرية تناقش المسالة التي تدور رحاها حاليا بين الجيولوجيين وخبراء الاقتصاد حول ما إذا كان الإنتاج العالمي من النفط قد وصل إلى ذروته وتدعم هذه المدرسة بعض الأدلة التجريبية على ما يزعم أن إنتاج الذروة من النفط التقليدي قد وقع في وقت ما خلال العقدين الماضيين.

القول إن منظري الذروة النفطية قد يكونون على حق ففي النهاية سيعود النقص النسبي في الاكتشافات النفطية الجديدة إلى أكثر بكثير من ضعف الاستثمارات والجغرافيا السياسية للجيولوجيا والطفرة التكنولوجية في استخراج النفط والغاز من الصخر الزيتي ومن المياه العميقة، قد أشارت أن تدفع إلى وصول الوقت إلى ذروة إنتاج النفط.

في الجغرافيا السياسية للنفط، هناك خمس دول تتحكم بالنفط بصورة أساسية منها أربعة معلنة كالمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة وروسيا والصين. والأخيرة غير معروف دورها وغير معلنة وهو العراق. من بين الأربعة، الموقف السعودي هو الفريد من نوعه، وذلك بسبب سياسة الرياض التاريخية للحفاظ على الطاقة الإنتاجية الفائضة في النظام النفطي باستخدام نفوذها العالمي. فبلد حجم ناتجه القومي الإجمالي مثل نيو جيرسي قد اكتسبت موقف قوي على الساحة العالمية. والتحليل التاريخي يضع العلاقة بين الولايات المتحدة والسعودية في هذا السياق. فممالك النفط تستكشف العوامل المحلية والإقليمية التي تحدد شكل السياسات الدولية لمنتجي الخليج معا، والرؤى الحاسمة في كيفية العلاقة بين الولايات المتحدة والسعودية التي أثرت على أسعار النفط العالمية طوال القرن العشرين.

ومثل المملكة العربية السعودية، هناك روسيا وهي المنتج النفطي والغازي الأكثر أهمية في العالم، وفي حقبة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، تم السيطرة على النفط والغاز الطبيعي كمفتاح إلى السلطة من المسؤولين الروس. هذا الدور للنفط والغاز الطبيعي لعب مثل الاسمنت في الإمبراطورية السوفيتية، وانه جلب اكتشافاته الروس إلى هذه الحقبة المعاصرة.

ففي منطقة بحر قزوين، حيث آلت ملكيتها للموارد السوفيتية والدول التي خلفت موسكو حيث حاولت إعادة السيطرة على تدفق صادرات النفط والغاز. هذه المجموعة الرائعة من تاريخ التعميم الملموس والمجرد عن مصادر القوة اليوم تجد في بحر قزوين الروسي والقضايا المتعلقة بالنفط أعمالا جيدة في المنطقة وفي السياسة العامة. والصين يلوح بصورة كبيرة جدا في قطاع النفط العالمي اليوم، والاستحواذ والنفقات الرأسمالية في تغيير سريع بحيث يصبح من الصعب البقاء على اطلاع عليها. وهذا التفاعل بين الصين والولايات المتحدة أهم من المنتجين الشرق أوسطيين. ولكن لفهم الأعمال الداخلية لصنع القرار في الصين، فلا شيء يمكن أن يكون بديلا لدراسة بو كونغ الجديد، مما يدل على مدى عميق الجذور الخارجية وسياسات الطاقة في الساحة الداخلية للبلاد.

لا توجد صورة نهائية لسياسة الطاقة في الولايات المتحدة، ناهيك عن سياسة الولايات المتحدة النفطية، فهناك عدد كبير من رجال الأعمال الذين طوروا صناعة النفط الأميركية. والمؤرخون الذين كتبوا القراءات المتوفرة على أساسيات النفط والغاز وتأثيرها على سياسة الحكومة في استعراض لمشاكل إمدادات النفط والأمن الغربي، وركزت دراساتهم على التطورات التي وقعت خلال عام 1979، وشددوا على المخاطر الجسيمة التي تترتب إذا كان معظم الدول المستهلكة للنفط لا يزالون يعتمدون على النفط من منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك، وهم غير قادرين على تحقيق التنسيق الدولي الفعال لتنظيم هذه الطاقة.ويبدو من المناسب الآن دراسة كيفية تغيير الظروف أو بقائها دون تغيير، فخلال العام المنصرم تم اقتراح خطوط العمل، على حد سواء على المدى القصير والمتوسط الأجل وأنه ينبغي السعي بقوة لإقرارها.

منذ ربيع عام 1980 والأحداث متواصلة لتقديم الأخطار الكامنة والواضحة للعالم غير الشيوعي في الاعتماد على مصادر غير آمنة لإمدادات النفط. وعلى الرغم من توافر النفط الوفير، لكن أثارت دول أوبك القلق مرة أخرى من خلال أسعار النفط الخام الرسمية من متوسط قدره 20 دولارا للبرميل في أيلول 1979 إلى 32 دولارا للبرميل بحلول آب 1980.

في الشهر التالي جاء تعطيل آخر لإمدادات النفط الكبرى، وهذه المرة نتيجة اندلاع الحرب بين اثنين من دول أوبك العراق وإيران. هذه الحرب التي لا تزال مستمرة تداعياتها حتى اليوم هي التي أدت إلى انخفاض مفاجئ لحوالي أربعة ملايين برميل يوميا في إمدادات النفط العالمية المتاحة، وهددت لفترة من الزمن السوق النفطية بسبب الإرباك من ضخامة نفس الثورة الإيرانية 1978-1979.

اليوم الدول الكبرى المستهلكة للنفط وشركات النفط في موقف أقوى بكثير. فقد تراكمت المخزونات النفطية الكبيرة جدا في الاستجابة لطلبات السوق. ومن خلال توافر الأسهم وضعف الطلب على النفط والمطالبة بعمل المملكة العربية السعودية لزيادة إنتاجها للتعويض جزئيا بسبب تأثير الحرب الأمريكية العراقية على صادرات النفط، والدول المستوردة للتمكن من تجنب منافسة السوق الفورية والكارثية التي لم تفعل الكثير في انفجار الأسعار.

منذ عقد من الزمن تقريبا سلطت الأضواء على ثروات بعض البلدان المصدرة للنفط وقد تم التركيز على الاهتمام العالمي لها. فقد حمل النفط الخام البلدان المصدرة الدول من بين الأقل نموا إلى مصاف الدول المؤثرة على السياسة العالمية بشكل عام.

فقد شوهدت الدول الصناعية بلا حول ولا قوة وتضاءل نفوذهم السياسي والاقتصادي من قبل المملكة ومن قبل وحافظي رأس المال النفطي القصير والمخططين في العالم الثالث الطامحين بجعل أنفسهم مسيطرين على النمو الاقتصادي العالمي ويجعلونه في متناول اليد.

قبل عقد من الزمان تقريبا برزت ثروات بعض البلدان المصدرة للنفط في بؤرة الاهتمام العالمي. وفجر الازدهار والتقدم بالنسبة للبلدان النفطية الغنية والقفزة الكبيرة في أسعار النفط منذ 1973-1974، ونقلت الثروة من البلدان المصدرة للنفط، على نطاق واسع وبشرت دون تمحيص.

وكان من المتوقع بشكل كبير أن تعود عائدات الأوبك الهائلة والمتزايدة ليس فقط لتحسين موازين المدفوعات الخارجية، ولكن أيضا للمساعدة في تمويل التنمية المحلية واحتياجاتها الدفاعية. ومن المتوقع أن تساعد إيرادات النفط من الحد من تكاليف المعيشة المحلية من خلال توفير أكبر.

ويعتقد على نطاق واسع لعائدات النفط الضخمة، ليس فقط لتكبير وتوسيع نطاق السلع والخدمات المحلية، ولكن لجعل عجز الميزانية صفرا من الناحية المالية. وتوفير فرصا واسعة جديدة للاستثمارات المحلية الحكيمة لضمان فرص العمل المجزية للقوى العاملة المتزايدة.

وكان يعتقد أن تحقيق الازدهار الاقتصادي في كافة المجالات يمكن تحقيقه من دون التوفير القسري أو المؤلم لصنع الازدهار والتقدم، ويعتقد بدوره أن تؤدي إلى مزيد من التماسك الاجتماعي، والمزيد من الاستقرار السياسي، وهي ديمقراطية ذات معنى صناعي ووضع هذه الدول في مصاف الدول المتقدمة في نهاية المطاف.

يتوقع أن تشهد أسعار النفط ارتفاعا حادا مع ورقة الضغط للمساومة أكثر من الوقوع مرة أخرى في أيدي الدول المصدرة وذلك من خلال استغلال الفرص المتاحة في بسط السيطرة بشكل تام على موارد الخليج النفطية وبصورة تامة ومن خلال استخدام القوة العسكرية المسلحة كوجه آخر من أوجه التعامل الغربي مع النظام النفطي.

كانت سيطرة الرئيس العراقي السابق صدام حسين للكويت واحدة من أقوى الضربات السريعة والتي بدت حينها أنها أشرفت على إلغاء النظام النفطي الدولي لولا التردد الذي أصاب العراق حينها وأضاع من خلاله ديمومة السيطرة المحلية على ذلك النظام. ومهما كانت سلسلة الأحداث الناجمة عن تلك السيطرة العسكرية وتطور بغداد آنذاك، فإن منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) لم يكن باستطاعتها تحويل العلاقات التجارية بين الدول المنتجة للنفط وأسواقها الرئيسية في الدول الصناعية المستهلكة، فأنماط الاستثمار شهدت تحولا جذريا، وسياسة الطاقة في الولايات المتحدة اتخذت معنى جديدا.

صدام حسين لم يكن مسئولا لوحده عن تسريع الوتيرة السريعة للتغيير الذي تم في تحويل قطاع النفط لكن الأثر الفوري جاء بعد الحظر الدولي للتجارة مع العراق والكويت المحتلة والذي ضاعف سعر النفط. ولكن حتى من دون تلك الاضطرابات في الشرق الأوسط، فقد كان من المقرر ارتفاع أسعار النفط إلى نحو 40 دولارا للبرميل شبه مؤكدا أواخر 1990. مما جعل ذلك انه لا يمكن لأحد أن يشك في سير الأحداث في منطقة الخليج العربي سوف يكون لها تأثير كبير على المدى القصير على أسواق النفط؛ فقد جعلت سيطرة العراق للكويت من المستحيل تقريبا العودة إلى النظام النفطي الماضي.

وجعلت أي اندلاع للحرب في هذه المنطقة ولأي سبب من الأسباب بعد تلك الأحداث أن تؤثر بوضوح أكثر في أسعار النفط، وكذلك أصبح أي وجود عسكري مستمر للولايات المتحدة في منطقة الخليج قد عد تهديدا لشرعية النظم السياسية التقليدية كتحد مباشر لسيطرتها النفطية.

ولن يعرف إذا ما كان صدام حسين على قيد الحياة أم الحصار الذي فرضته الأمم المتحدة على العراق بعده أو الحربين الخليجيتين الأولى والثانية أو أسباب الانسحاب العراقي من الكويت وستظل أسئلة مفتوحة. وعلى أية حال، سوف تتأثر ترتيبات النفط في العالم الجديد بالفصل الأخير من تطورات الوضع العسكري في منطقة الخليج على الساحة النفطية نفسها.

ينبغي أن نؤكد هنا بداية قبل الجواب على تلك الأسئلة أن كلا من الولايات المتحدة والمملكة السعودية أشارتا قبل الحرب على العراق أن وجود القوات الأمريكية على الأراضي السعودية ستعود بالنفع على الجانبين على الرغم من أن القوات الأمريكية ومعظمها من أفراد القوات الجوية قد غادرت البلاد عندما انتهت من تهديد صدام حسين.

كان الوجود الأميركي عبئا على السعوديين وهذا العداء تجاه الوجود الأميركي لفترة طويلة على ما يبدو يغذي مشاعر الاستياء والغضب تجاه حكومة المملكة وغذت التطرف الإسلامي. وكان من بين الشكاوى الرئيسية للسعودي المولد أسامة بن لادن أن قوات الولايات المتحدة "الكافرة" موجودة في المملكة السعودية، التي تحوي على أقدس المواقع الإسلامية وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة.

كانت القوات الأميركية في المملكة السعودية تعمل على الأراضي السعودية بعد الحرب العالمية الثانية حيث عملت الولايات المتحدة بعثة عسكرية صغيرة للتدريب في المملكة السعودية منذ 1950. وخلال الحرب الباردة، سعت واشنطن والعائلة المالكة في السعودية لعلاقات قوية. وكان السعوديون، الذين يسيطرون على نحو 25 % من احتياطي النفط في العالم، واهم مصدر للنفط، قدمت الولايات المتحدة لأمن المملكة المساعدة العسكرية منذ ذلك الحين..

وتمت زيادة عدد القوات الأمريكية فيها حيث وصل الوجود الأميركي في السعودية ذروته خلال حرب الخليج عام 1991، عندما كانت قوام قوات التحالف نحو 550000 ،في الصحراء السعودية. وكانت تعمل مع القوات المسلحة السعودية، وكان لديهم اثنين من المهام الرئيسية:

حماية حقول النفط السعودية من القوات العراقية التي كانت بالفعل تحتل الكويت عبر الحدود، واستخدمت الولايات المتحدة، والسعودية، وغيرها من الدول القواعد الجوية التابعة للتحالف وهي القوات المستخدمة في المملكة السعودية للحملة الجوية ضد العراق.

واستعملت الأراضي السعودية كنقطة انطلاق لطرد قوات صدام حسين من الكويت.

وعد بوش العاهل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز أن القوات ستنسحب بمجرد أن تنتهي الحرب أو المهمة، لكن الحرب لتحرير الكويت أصبحت حملة لاحتواء صدام بعد ذلك. فحوالي 5000 من القوات الأمريكية المقاتلة وأطقمها الجوية قامت في منطقة جنوب العراق "بحظر الطيران" القسري حيث تم منع تحليق الطائرات العراقية وساعدت في الدفاع عن المملكة السعودية من قواعد عسكرية سعودية لا تقل عن سبعة.

بعد شهور من عدم اليقين في فترة ما قبل الحرب، منحت الحكومة السعودية الولايات المتحدة حق الوصول إلى بعض منشآتها العسكرية. وتضاعف عدد القوات الأمريكية في المملكة إلى 10000، ونسقت الهجمات الجوية لقوات التحالف من قبل القادة العسكريين الأمريكيين في قاعدة الأمير سلطان الجوية جنوب الرياض، العاصمة.

ومنح السعوديون حقوق التحليق للطائرات والصواريخ الأمريكية. وقدمت المملكة السعودية أيضا تسهيلات لقوات العمليات الخاصة الأمريكية للانطلاقات السرية والهجمات التي شنت في غرب العراق قبيل الاحتلال الأمريكي للعراق في نيسان 2003.

وفي خطوة أخرى هامة، استخدم السعوديون احتياطياتهم الضخمة من النفط للحفاظ على استقرار السوق النفطية العالمية خلال الحرب. وذكر هذا التعاون الوثيق في الصحافة الأميركية. لكن القادة السعوديين، الذين واجهوا معارضة داخلية قوية للحرب نفوا مرارا وتكرارا أنهم سمحوا بالهجمات انطلاقا من الأراضي السعودية.

أما الآن فهناك بعض من القوات يتراوح عددها من 400-500 لا تزال في المملكة السعودية كجزء من بعثة التدريب منذ فترة طويلة حسب اتفاق الولايات المتحدة مع الحرس الوطني السعودي.

وسينتقل مركز العمليات الجوية إلى قاعدة العيديد الجوية في قطر، والتي شيدت في عام 1996 بمبلغ 1 بليون دولار على حساب قطر.

وجهة النظر للسكان المحليين هو أن الولايات المتحدة ستكون الحامية الرئيسية في المنطقة فمع ذهاب تهديد العراق، فان على واشنطن واجب إعادة تموضع القوات الأخرى في المنطقة أيضا. فالطائرات تقوم بدوريات في منطقة حظر الطيران شمال العراق سابقا من قاعدة انجرليك الجوية في تركيا واليوم يقوم الوجود الفعلي للقوات الأمريكية في العراق بهذه المهمة.

إن المشكلة الرئيسية التي تواجه الأمريكان في السعودية هو الإرهاب. فقد هاجم الإرهابيون الجنود الأميركيين في المملكة السعودية في 1990 وفي 1995، حيث انفجرت سيارة مفخخة في العاصمة الرياض، وأسفر عن مقتل سبعة أشخاص بينهم خمسة جنود أمريكيين وفي حزيران 1996 قتل 19 جنديا أمريكيا وجرح نحو 400 شخص عندما انفجرت قنبلة في مقر الجيش الأمريكي قرب أبراج الخبر في الظهران، وهي ميناء كبير على الخليج العربي. ثم نقلت القوات الأمريكية إلى قاعدة معزولة في الصحراء السعودية. ومع ذلك، كان وجودهم سببا لانتقادات داخلية ولدت مشاكل سياسية لحكام السعودية.

وثمة مشكلة أخرى أن السعوديين وضعوا قيودا على زيادة القوات الأمريكية العاملة على أراضيهم، فعلى سبيل المثال، قدرتهم على الهجوم من القواعد الجوية السعودية. مما دعا بعض الأصوات الأميركية عن بديل "استراتيجي للمملكة العربية السعودية".

وهناك مشكلة ثالثة وهي ثقافية. ففضيحة بعض العادات والممارسات التي لدى الأميركيين الشباب مع مظاهر السعودية الدينية، ومن جانبها بعض القوات الأمريكية تبدي استياءها من القيود المفروضة على الملكية الإسلامية المحافظة حيث يحظر الكحول ودور المرأة محدود للغاية عامة.

لكن هل سيحد رحيل القوات الأميركية من المملكة السعودية من الإرهاب العديد من الخبراء لا يعتقدون ذلك فقضية الإرهاب ضد القوات الأمريكية أعراض وأعمق معركة فهي مركزة بصورة أساسية على النفوذ العالمي التي يشنها بن لادن وغيره من الإسلاميين. فتنظيم قاعدة الجهاد ضد الغرب هو أكبر بكثير من الحالة في المملكة السعودية.

ورغم ذلك فالولايات المتحدة تحافظ على علاقات وثيقة مع المملكة السعودية وذلك يرجع أساسا إلى النفط. فاحتياطي النفط في المملكة السعودية، حتى الآن أكبر من أي دولة، مما أعطاها قدرا كبيرا من التحكم في سوق النفط العالمية. والولايات المتحدة أكبر مستهلك للنفط في العالم ، وتعتمد على المملكة السعودية بنحو 20 % من إجمالي واردات الولايات المتحدة من النفط الخام و 10 % من استهلاك النفط في الولايات المتحدة. ويذكر أن حجم التجارة بين البلدين قفزت من 56.2 مليون دولار في عام 1950 إلى 19.3 مليار في عام 2000.

على الرغم من أن العديد من أبناء وبنات النخبة السعودية درسوا وعملوا في الولايات المتحدة، إلا أن هناك تأرجح حاد في المشاعر السلبية تجاه الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة.

فقد أظهر استطلاع للرأي صدر مؤخرا عن مؤسسة زغبي الدولية أن 97 % من السعوديين لهم وجهات نظر سلبية من صورة الولايات المتحدة، مما دفع بعض المعلقين إلى القول إن العلاقات السعودية الأمريكية قد بلغت أدنى مستوى لها منذ عقود.

ووضع استطلاع للرأي أجرته مؤسسة غالوب عدد اقرب إلى 65 % من نفس الأسباب الكامنة وراء هذا الموقف، هو الغضب على نطاق واسع بسبب دعم الولايات المتحدة لإسرائيل، ودعم الولايات المتحدة لحكومة المملكة السعودية الاستبدادية، والغزو الأمريكي للعراق.

في حين يعتقد الأميركيون في المملكة السعودية عكس ذلك إذ تظهر استطلاعات الرأي أن مواقف الأمريكيين الايجابية تجاه المملكة السعودية انخفضت بشكل كبير بعد 11 أيلول2001 لان 15 من الخاطفين أل 19 كانوا من السعوديين ولم يكن هنالك واحد منهم من العراق.

في أوائل عام 2001، قدم 56 % من الأميركيين على المملكة السعودية تصنيف إيجابي، وفقا لاستطلاع أجرته مؤسسة زغبي الدولية في كانون الأول 2001، لكن هذا العدد انخفض إلى 24 %.

وقد تحولت المواقف قليلا في أوائل عام 2003، إلى 35 % من الأمريكيين قائلين أنهم يعتبرون المملكة إيجابية بسبب موقفها من الحرب على العراق.

توجهنا اللهم بجنابك الاقدس يامن اليه ترجع الامور، وتعرضنا بشيم لطفك يامن لديه دواء جراحات القدور، فسبحانه من حفيظ حمانا عما يصيب المحكومين وياله من حكيم انزل علينا كتابه المحكوم ... هو للذين امنوا هدى وشفاء.....

المصادر والمراجع:

- بريان بروغ. الأغنياء الكبار: صعود وسقوط أعظم ثروات النفط في تكساس.. مطبعة البطريق، 2009.
- بول روبرتس. نهاية النفط : على حافة عالم جديد محفوف بالمخاطر. مطبعة هوتون ميفلين، 2004.
- جون الترمان باء وجون جارفر دبليو، المثلث الحيوي: الصين والولايات المتحدة، والشرق الأوسط.. مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، 2008.
- دانيال سوليفان. الذهب الأسود براميل ورقية وفقاعات في أسعار النفط. مطبعة هاريمان هاوس، 2009.
- دانيال يرغين. الجائزة: ملحمة البحث عن النفط، والمال، والطاقة.. مطبعة سايمون اند شوستر، 1991.
- راشيل برونسون. أسمك من النفط: الشراكة الأميركية غير المريحة مع المملكة العربية السعودية. مطبعة جامعة أكسفورد لمجلس العلاقات الخارجية، 2006.
- روبرت لاسي. داخل المملكة: الملوك ورجال الدين والحداثة، والإرهابيين، والنضال من أجل المملكة العربية السعودية. مطبعة البطريق، 2009.
- روبن ميلز م. أسطورة من أزمة النفط: التغلب على تحديات النضوب، الجغرافيا السياسية، والاحترار العالمي. دار نشر برايجر، 2008.
- ستيف ليفين النفط والمجد والسعي للإمبراطورية والثروة على بحر قزوين راندوم هاوس، 2007.
- غريغوري غوز الثالث. ممالك النفط: التحديات الداخلية والأمن في دول الخليج العربي. مجلس العلاقات الخارجية، 1994.
- ماثيو سيمونز ر. شفق في الصحراء: مجيء صدمة النفط السعودي والاقتصاد العالمي. مطبعة جون وايلي، 2005.
- مايرز جافي . النفط والدولار والديون والأزمات: اللعنة العالمية من الذهب الأسود. مطبعة جامعة كامبريدج، 2009.
- مورغان داوني. النفط 101. بترولية بوتين والسلطة وروسيا الجديدة. مطبعة الصحافة ، 2009. مارشال غولدمان. مطبعة جامعة أكسفورد، 2008.
- هوبرت لبيك، كينيث س.. نقص النفط العالمي الوشيك. مطبعة جامعة برنستون، 2001.
- هونغ بو. الصين وسياسة البترول الدولية. دار نشر برايجر، 2009.

العراق بين الحرب والسياسة والواقع

الفصل الثالث

الفصل الرابع